

أمين الرحباني

ملوك العرب

أو
رحلة في البلاد العربية تشمل على مقدمة وثمانية أقسام

مزينة بالخرائط والرسوم
وفهرست اعلام

الجزء الاول

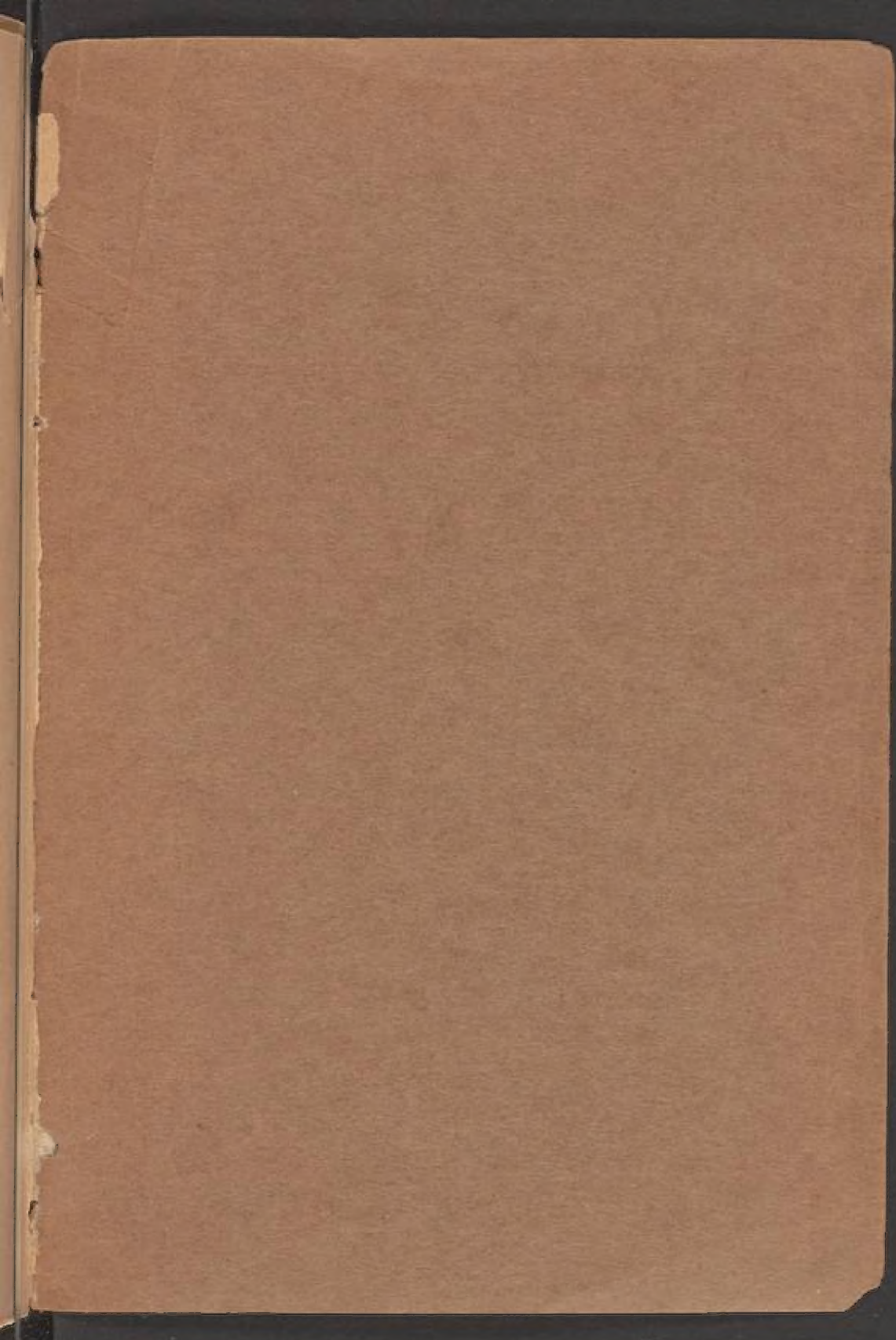
الحجاز - اليمن - عسير - الحج

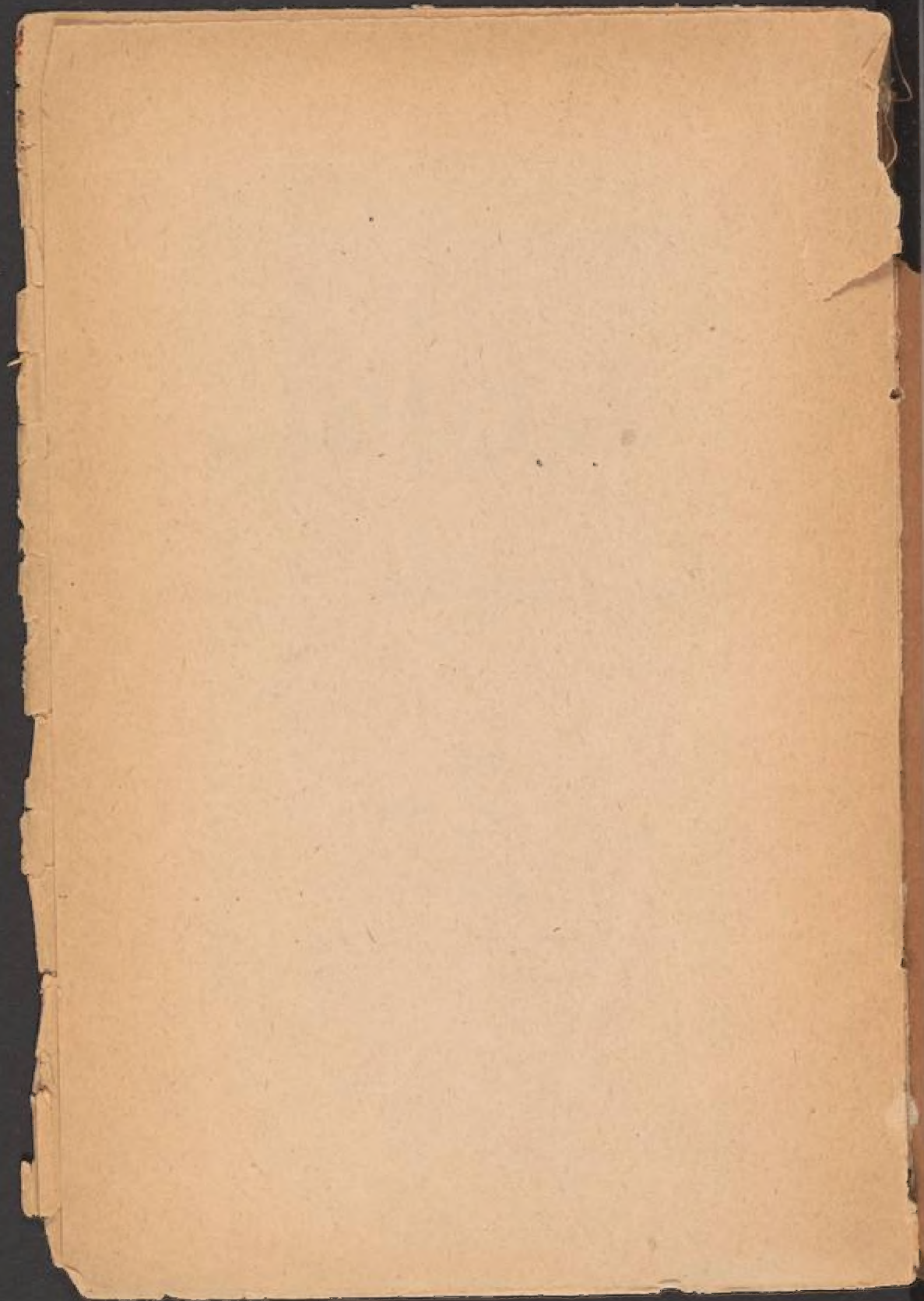
والنواحي التسع المحيطة

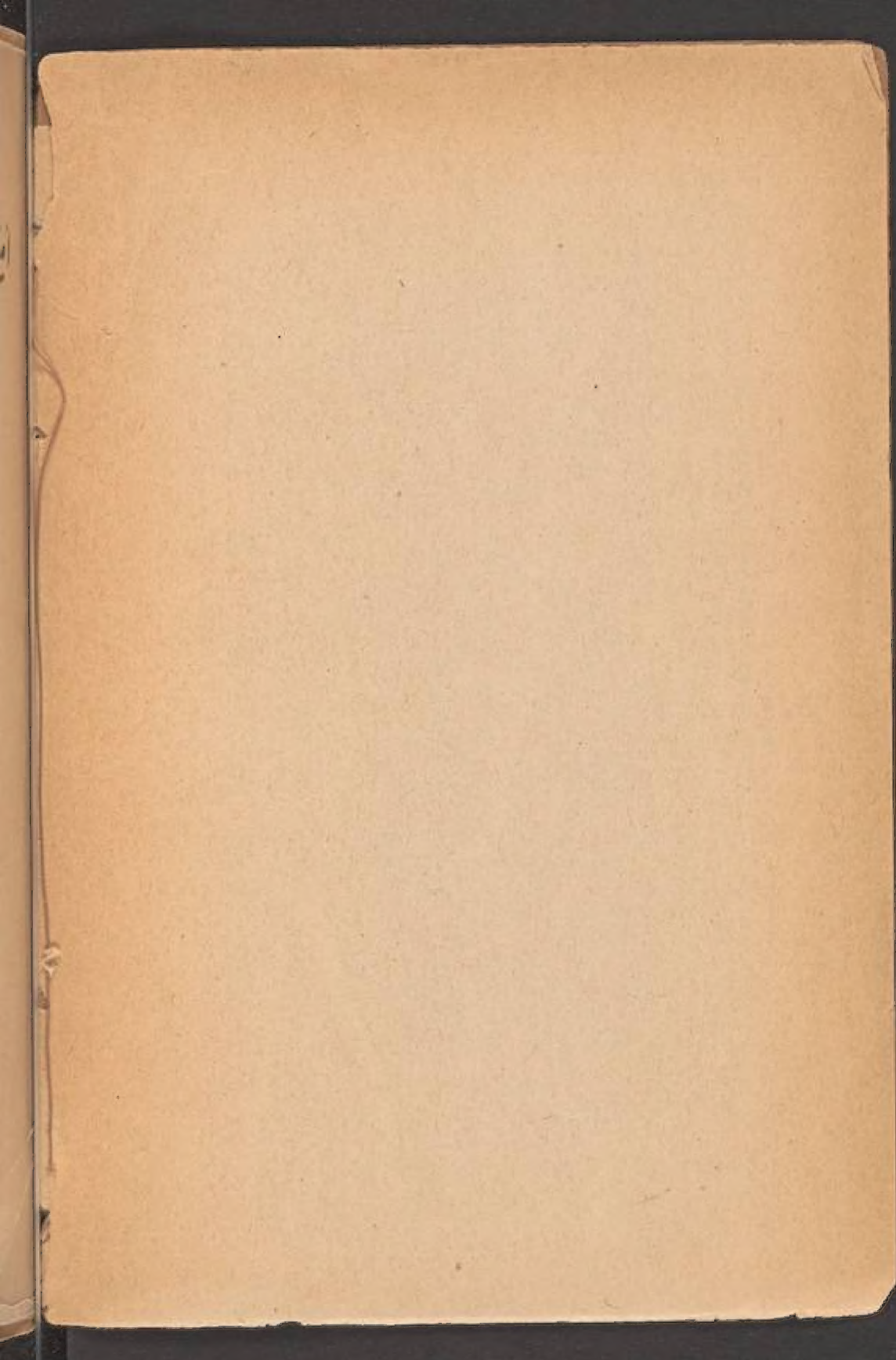
الطبعة الثالثة

اشرف على تصحيحها وطبعها البرت الرحباني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر رحباني - بيروت ١٩٥١







Rihani, Ameen Fares

/Mulūk 21-Arab/

أمين الريحاني

مُلُوكُ الْعَرَبِ

أَوْ
رِحْلَةُ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ تَشْمَلُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ

مَرْبُوعَةٌ بِالْخَرَائِطِ وَالرُّسُومِ
وَفَهْرَسْتِ أَعْلَامٍ

الجزء الأول

الحجاز — اليمن — عسير — لحج

والنواحي التسع المحيطة

الطبعة الثالثة

أشرف على تصحيحها وطبعها البوت الريحاني شقيق المؤلف

طبع في مطابع صادر ریحاني — بيروت ١٩٥١

الطبعة الاولى : بيروت - ١٩٣٦

الطبعة الثانية : بيروت - ١٩٣٩

الطبعة الثالثة : بيروت - ١٩٥١

DS

49

7

R5

1957

v. 1

c. 1

To my good
friend Mr. R. White.

هدى لفضيلة السيد
المستدانت
عبد الوهاب

اقدم

هذا الكتاب

للناشئة العربية الناضجة

في كل مكان

امين
الحياتي

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالاخبار من لم تورد
طرفة بن العبد

فهرس الجزء الاول

صفحة

تقدمة	٥
المقدمة	٩

الفهم الاول الملك حسين بن علي

الحجاز	٢٨
الفصل الاول البدو والحضر	٢٩
» الثاني من الضب الى الطب	٣٥
» الثالث الابداع في الاصلاح	٤٠
» الرابع تليذ في البداوة والحكمة	٤٦
» الخامس قرون السياسة	٥٣
» السادس بين الاستانة ومكة	٦١
» السابع بين مكة ودوزن سقرت	٦٧
» الثامن الوحدة العربية	٧٢

الفهم الثاني الامام يحيى بن عبد الله

اليمن	٨٠
الفصل الاول التبليغ في الترويع	٨١
» الثاني في الطريق الى صنعاء	٩٤
» الثالث اليمن الاخضر القديم	١٠٥
» الرابع صنعاء اليمن	١١٩
» الخامس الضيف المأسور	١٣٠

صفحة		
١٤٠	الفصل السادس	حكم الامام
١٥٠	» السابع	الضرائب والسلاح
١٥٦	» الثامن	الثمائل القدسية
١٦٣	» التاسع	الجو ينجلي
١٧٣	» العاشر	الخيم المنصور
١٨٢	» الحادي عشر	الزبور واليهود
١٩١	» الثاني عشر	المسئلة السياسية الكبرى
٢٠٣	» الثالث عشر	تسعة المفاوضات
٢١٠	» الرابع عشر	المعاهدة

الفصل الثالث البير الادريسي

٢٢٠	بلاد السند او ما يحكمه الادريسي من عسير
٢٢١	الفصل الاول
٢٣٥	» الثاني
٢٤٦	» الثالث
٢٥٧	» الرابع
٢٦٦	» الخامس
٢٧٨	» السادس
٢٩٤	» السابع
٣٠٤	» الثامن
٣١٥	» التاسع
٣٢٥	» العاشر
٣٣٢	» الحادي عشر
٣٤٠	» الثاني عشر
	جوارر وسادات

الفصل الثالث عشر	تجاسة الرقيق	٣٥٤
» الرابع عشر	خطوات الى الوحدة	٣٦٢
القسم الرابع طبع والنوامي التسع المحبة		
طبع والنوامي التسع المحبة		٣٧١
الفصل الاول	الثالث المادي في عدن	٣٧٢
» الثاني	من اجل شركة الهند	٣٨٦
» الثالث	سلاطين طبع	٣٩٢
» الرابع	طبع في الحرب العظمى	٣٩٩
» الخامس	التدن الحديث في طبع	٤٠٤
» السادس	النوامي التسع المحبة	٤١٥
	لائحة الرواتب الشهيرة	٤٢٧
	فهرس الاعلام	٤٢٨

فهرس الرسوم والخرائط

خريطة البلاد العربية (في صدر الكتاب)	
جلالة الملك حسين بن علي	٢٦
حضرة الامام يحيى بن حميد الدين	٧٨
حضرة السيد محمد بن علي الادريسي	٢١٨
ممر السلطان عبد الكريم فضل	٣٦١
خريطة طبع والنوامي التسع المحبة	٤١٦

المقدمة



كنت في الثانية عشرة من عمري عندما سافرت للمرة الاولى الى الولايات المتحدة . فلم اكن اعرف غير الشيء اليسير من اللغتين العربية والفرنسية ، وما كان في ذهني من العرب واخبارهم غير ما كانت تسمعه الامهات في لبنان صغارهن . هي ، جاليدوي ، واليدوي ، والاعواني واحد اذا رأت الام « بيبعا » تخوف به اولادها .

هجرت وطني وفي صدري الخوف من انكلم لغتهم والبغض لمن في عزوتي شيء من دمهم . والبغض والخوف هما قواهما الجهل .

اما الامة الافرنسية فما كنت اعرف من امم الارض سواها . ولكنها معرفة مطلوبة كانت المدارس تنشر اذنيها في لبنان : ان فرنسا لأعظم امم الارض ، هي اشرفها واغناها وارقاها . بل هي قطب المدنية ، وعاصمة النور والجمال — هي الطاووس بين الامم .

كذلك كانت مدارسنا . مثل امهاتنا تسبقنا العلم في كأس التسوية . الا ان في كأس المدارس حلاوة زادتنا كرها « ابيع » الامهات . هي كأس الجهل في الحالين ، الجهل الذي يولد الخوف والبغض ، والجهل الذي يولد الحب والاعجاب .

اما اميركا فقد كنت في ما عرفته . عنها بعيداً عن الام وعن المدرسة . تناولت الكأس من يد الوجود وقد ملأها الشعب الاميريكي بنفسه . ومع ذلك فلم تحل بما امتازت به الكتابان الاوليان . رشفت في نيويورك انظام

قلوب الخلق من العلوم المشوبة وفيها أشياء من الجهل المتلائي. وما يارزحه من الحروف والاعجاب .

قدوت بعد عشر سنين في أميركا معجبا بنشاط الشعب الأميركي وبحريته في الفكر والقول والعمل ، خائفاً من نتيجة الجهاد المادي هناك ومن التكاليف في سبيل الحياة الدنيا . وما كان خوفي على الأمة الأميركية وأنا في ذلك الحين ، في عين نفسي ، قطب كل ما اهتمت له ونقطة الدائرة في كل ما ملت اليه . خفت ان اُغلب في ذلك الجهاد ، اشغقت على نفسي من ذلك التكاليف .

ونسيت فوندا إلا في آدابها ، تلك الآداب التي زادتني ضعفاً وتردداني مضار الحياة . صرفتني عن حقائق الوجود المادية ، وزينت لي في الفنون الجميلة الحقائق المعنوية . صرت في نيويورك كثيراً يحمل كتاباً ، وغاوية من غواة الفنون عيشي في الجوائن العمومية سهلاً ، فانفتحت امامي ابواب من العلم متعددة واتسع مجال الاضطراب والغرور .

ولكن الآداب الانكليزية عادت لي الى الشعب الانكليزي فوجدته في امور كثيرة ، اخلاقية واجتماعية ، ارقى من الشعب الأميركي ، ارحب الى من كان مثلي . ففكرت لي في ذا العلم عون على مقاومة تيار الاقتباس والتأمر ، فلم اُلتفت مثل سواي من السوريين هناك باخلاق الأميركيين كلها . والفضل في ذلك علي هو اقليلهم امرسون الذي كان دليلي الاول الى محاسن الانكليزية في ما كتبه عنهم وعن سجاياهم^(١)

وقد عرفني امرسون الى كرتيل ، وكان كرتيل اول من عادني من وراء البحار الى بلاد العرب . اجل ، وقد يستغرب قولي اني عرفت بواسطة

(١) « السجايا الانكليزية » English Traits by Ralph Waldo Emerson

تأليف رالف والدو امرسون .

الكتاب الانكليزي الكبير سيد العرب الاكبر النبي محمد^(١) فأحسست
لاول مرة بشي . من الحب للعرب وصرت اميل الى الاستزادة من اخبارهم .
ثم في غزواتي للكتب الانكليزية غنست كتاباً استوقفتني ظاهره الفصم
وداقتني الصور فيه . وما كان العنوان لينبئي بشي . اكروه او احب . قرأت
كتاب الانسبر^(٢) فأدركت ان المؤلف يزيد بالعنوان الجراء ، وعرفت ان
الجراء هي لؤلؤة تاج العرب في الاندلس .

لله انت ايها البلاد العربية التي لم يشأ الله ان اجهلك حياتي صكها ،
فيمت الي ، وانا بعيد عنك ، الانكليزي يعرفني الى رسولك واميركياً يصعد
لي محاسن ابنائك .

بعد ان قرأت كتاب الجراء . ما زج عقليتي الاميركية الافرنسية
الانكليزية شي . من الخيال الله في ، فصررت احلم بذلك العهد الماضي احلاماً
قتلني حياً فيه بل قتله حياً امامي .

عدت الى بلادي كثيراً يحمل كتاباً ، ويرغب في ان يكون الكتاب
مئة كتاب وكتاب . وكنت لا اعرف من لغتي وآدابها غير اليسير اليسير ،
فتفلمت في سراديبها دون ان اترقي حالي . وبيننا انا الخيط في ديامي اللغة
عزت على كتاب شعر انساني الكسائي و-ابويه وكان من علم حرفاً في
البصرة والكوفة .

حمي الله - سبحانه وتعالى باني العلاء المعري بعد ان هداني بواسطة
افينسوف الانكليزي الى الرسول المعري . قرأت التزويجات معجبات بها ، ثم

(١) الابطال Heroes and Hero - Worship by Thomas Carlyle

وتأليه الابطال : تأليف طامس كرايل . وقد ترجمه الى اللغة العربية عبد السباع .

(٢) الانسبر The Alhambra by Washington Irving

والشؤون اديبق .

قرأتها مترجماً ورحلت المأخوذاني من الامة التي نبع فيها هذا الشاعر الحر ،
الجور ، الحكيم .

٢

عدت الى اميركا استمتع بصاحب اللزوميات ، وكنت ترجمانه هناك .
فسأقني المهنة الى الدائرة الشرقية في دار الكتب العمومية ، فاجتمعت فيها
بعدد من المستشرقين الذين صوروا لي الحياة رحلة في الارض داغة ، وصوروا
الارض بأدب غريبة نبع فيها محمد بن عبدالله القرشي وامرؤ القيس الكندي ،
الشعر والنبوة والذهناء ، والواحات في بحار من اجمال ، والخيال في الواحات
يهبس في اغصانها النديم ، ونهر جندوها السوم ، وصوت الساقية وهي تغني للارض
المسفة في ظلال النضيل ، وبنية البدو تغني لجل الساقية - وماذا في نيويورك ؟
ماذا في نيويورك غير الضوضاء والعناء والبلاء ؟

هذا الرحالة بلذراف^(١) وترجمانه اللبثاني الذي صار بعدئذ بطريركاً
عظيماً^(٢) يحدداني عن شتر والقصيم والعارض والرياش ، وذلك المستعرب
بركهاردت^(٣) وقد دخل الى مكة حاجاً ، مسلماً صادقاً نقياً - وهذا العلامة
برثن^(٤) يقتض قصة عجيبة بطلها بزاز من سمرقند قد حمل الكيس - ثقتا
هندي شاش حريز يا بنات ايكشف له اسرار الحرمين ثم ركب العيس ،
وكان دليله ابليس ، فاقتفى اثر بركهاردت لغرض في النفس ، ونظم قصيدة

(١) قلب البلاد Central and Eastern Arabia by W. G. Palgrave

المريه وشرقها تأليف وليم بلذراف

(٢) البطريرك الجرمنيجري .

Travels in Arabia by J. L. Berkhardt

(٣) سياحة في بلاد العرب

تأليف جان بركهاردت .

A Pilgrimage to Al-Medina and Mecca

(٤) الحج الى مكة والمدينة

by Richard F. Burton

تأليف ريتشارد برثن .

كفرية كفر بها عن كل مآتيه في التلبيس .

وهذا خليل^(١) الذي راح يهول بنصرانيته في وجه البدو ، فقاى في رحلته الاعمال ، ونجا غير مرة من محالب الاضطلال . اضلهد في بريدة ، وطرد من عنيزة ، وسلب وضرب ، وترك في النفود يهيم على وجهه وليس في جيبه غير خمسة ريالات ، وليس في قلبه ذرة من التدايس والتلبيس . الدرويش خليل ، كأنه كان بهوى الاخطار فيجذبها اليه . خليل النصراني ، جاء بتعصب اسكتلندي يثير في العرب التعصب الاسلامي . خليل النصراني الكافر اقطر رأسه بالسيف ، ولكن الله اخرجته من شبه الجريرة حياً ليكتب كتاباً لا يموت .

وكل هؤلاء من الاجانب يسبحون في بلاد كانت قديماً ولا شك بلاد اجدادي ، ويحاطرون بانفسهم فيها حياً بالعلم ، فيكشفون منه الحجاب ، ويجلون المصدر ، ويقربون البعيد ، ويعربون في الذبذبة المفيد . وانا في نيويورك كتيب بحسب كتاباً ، ويطلق للبحر الانكليزي المتعطر باباً . اديب شعرة طويل ، وصدره عليل ، يسرف من ذهب الحياة في تسويد المقالات . آلة كاتبة ، يرقص حولها الميم والامل متخاصرين . اف لها من زوجة نقاقة ، ومن حديشة لباب الشهرة دقاقة ، واية عبودية اشد من عبودية الآلة الكاتبة وانحس . طلقها ثلاثاً ، وعدت الى بلادى اعد العدة لرحلة تبعني عنها وعن الكتب والمجلات . والادباء والادبيات .

وكان لي صديق في دمشق يحرق قيروداً للسياسة ثقيلة فحاول التفلت منها . كسرها ذات يوم فانار السلطة عليه ، فصقع السلطة وقهر هارباً الى افريكة ، فحل فيها اهلاً وتزول سهلاً - سهلاً في القلوب ومنجذراً في الوادي . اقسام

(١) التجوال في البلاد Wanderings in Arabia by Charles M. Doughty

الغزية تأليف شارلس دوطي وقد اتحل اسم خليل .

محمد كرد علي عندما أسبغاً عددناه من شوارد الزمان . الوادي مهد الحرية وحضنها الحصين . سمعني صديقي اردد ذات يوم هذه الكلمات فقال : لا تنخدع يا امين . الوادي قريب من دمشق ومن بيروت وفي المدينتين لعمودية عبيد وللظلم سادة زعاديدي . لا بأس بالهوس : والحمد لله ! ولكنك اذا رفعت صوتك تسمعك الصخور فتتم عليك وعلي .

فقلت : صدقت ، وفي نيتي ان اهجّر حتى هذا الوادي . في نيتي رحلة الى البادية ، الى البلاد العربية على هجين يبعثني عن كل مظلمة وكل عبودية . فهل صديقي وقال : نسير سوياً . واتفقنا يومئذ ان نشتري بتجار من نجد في الشام يهدون لنا السيل ويؤودوننا بكتب التوجيه الى اهلهم ورا . النعوذ . لكن الايام عدوة الاحلام ، او انها لا تحقق منها غير ما كان ناضجاً في القلوب . تأثرت السلطة الانسية صديقي كرد علي فاضطر ان يتركني وحدي في الفريكة ويفر هارباً من سوريا . ثم سافر الى اوروبه فذاق من طعم المدنية فيها ما استلذه فاسترادها . فقلت له : عد فماد ، فتددت رحلته من المشرق الى بلاد المغرب واثرت ثاراً طيبة تجدها في كتابه القيم «غرائب الغرب»^(١) . اما انا فقد طوخت في الاقدار وابتعدتني ثانية عن الوادي وعن البلاد العربية كلها . عادت بي الى نيويورك . ثم نسكبت الانسانية بالحرب العظمى فزلزلت الارض زلزالها ، فاستعادت ما لها من القواب الذي كان شراً مسلحاً محارباً ، وقضت ، في الكثيرين ممن استبقت ، على جميل الاحلام والامال .

٣

ومن الاحلام ما يصبح جزءاً من حياة الانسان فيبلا تنفك ترجيه وان

(١) «غرائب الغرب» كتاب اجتماعي تاريخي اقتصادي ادبي . طبع في جزئين في المطبعة الرحمانية بمصر . تأليف محمد كرد علي رئيس التجمع العلمي بدمشق للسام .

شاخت ، فخرضه وتسحبه حتى يسقى في تحقيتها ويقطع في مساه .
 ورافقت العرب في خروجهم على الترك اثنا ، الحرب ، رافقتهم في الحملات
 الانكثافية والجراند العربية فكنت اقوم في ما اكتب بعض الواجب الذي
 يفرضه الحب والاعجاب . وتوقفت في تلك الايام الى زيارة الاندلس فوفقت
 في الجرا . في القرقة التي كتب فيها واشتطون ارفين كتابه النفيس ، فسعت
 اصواتاً تنادي بي باسم القومسة ومن اجل الوطن ، وتدعوني الى مهبط الوحي
 والنبوة .

اكبرت الملك حيناً الذي استنفر القبائل على الترك وارسل اولاده
 الامراء الاربعة الى ساعات الوغى . وكان الناس في اميركا بمجبون
 بروزقت^(١) الذي قدم ثلاثة من ابنائه الى وطنه ، فقلت : ولا يصغر العربي
 الهاشمي اذا قابلته بالاميركي الكبير . وعندما انتهت الحرب كان الملك حسين
 اول من صورته الامال ملكاً يفتح لي بابها . وبينما انا افكر في طريقة تحمل
 اليه امنيتي القصوى ، جاءني مجلة صديقي سليم سر كليس وفيها خبر زيارته
 لتلك السدة الهاشمية المباركة .

واهم من ذلك يومئذ عندي خبر قرائنه مدهوشاً مسروراً . جاءني الصديق
 بصديق آخر ، وهو من الحلان الاولين الذين كانوا يزوروني في القرية بعد
 مودتي الثانية من اميركا ويشجعوني في اقبالهم على رسالتي كتابية وخطابة
 في سبيل الاصلاح الاجتماعي والتهذيب . وهذا الصديق هو قسطنطين بني
 الذي ابعده عني الحرب العظمى وحرمتني اخباره . فجاء العزيز سر كليس ،
 كانه رسول العناية الي ، يشعري بوجوده في خدمة جلالة الملك حسين .

هلت وكهت . وتناولت القلم وكتبت قرأ كتاباً الى العزيز قسطنطين
 فيه بين السلامين مئة سؤال وسؤال ، اولها : هل يأذن جلالة الملك بالزيارة ؟

(١) ثودور روزفلت احد رؤساء الولايات المتحدة

وآخرها : هل ترافقتي انت في هذه الرحلة ؟ وما مضى الشهر الاول وانتصف الثاني حتى جاني منه الجواب وفيه ما يلي :

« اتفق ان وصل كتابك الي وجمالة الملك حسين في جدة فقرأته له كلمة كلمة وتباحثنا ملياً في الموضوع ... وهو يرحب بك اذا حضرت . ومن رأيه ان لا لزوم للسياحة في جزيرة العرب كلها فهو يساعدك على زيارة الحجاز من اقضاء الى اقضاء ، ويعطيك المعلومات اللازمة ، ويطلعك على جميع العقود والنصوص والمفاوضات بينه وبين الدول من مطلع النهضة الى اليوم ليكون في استطاعتك تأليف كتاب عن العرب مستوفى من جميع ابوابه . ومن رأيه انك متى درست اخلاق قبائل الحجاز تكون درست اخلاق بقية القبائل لانهم كلهم متقاربون بالعادات والمشارب ... اما زيارتك الرياض وابن سعود فهذه مستحيلة لاستحكام العداء بينه وبين الحجاز ... والسياحة توافق ان تكون في فصل الشتاء ولا تستغرق اكثر من اربعة اشهر ولو انتهت في بغداد .. واني بكل سرور ارافقك حيث شئت . اما الكعبة فلا يؤذن لك بزيارتها في الوقت الحاضر للاسباب المعروفة ... والسياحة تكلفك لا اقل من خمسة جنيه . »

في هذه المعلومات يبدو للقاري شيء من سوالات سألها ولم اقف فيها عند حد من حدود التحفظ والمداورة . ولا لوم علي ، وانا بعيد حقيقة وعلماً عن البلاد العربية ، اذا استغرت بكل ما يثيرني في رحلتي قبل ان اقدم عليها . ولكن سؤالي عن زيارة الكعبة ، وانا مسيحي ، يائق باميركي لا يعرف من العالم غير بلاده ، فاذا قيل له انه لا يؤذن للمسيحي بالدخول الى مكة اعتراه الدهش والعجب .

اما انا فما ذهبت ولا اسفقت . بل كنت اعطى النفس بتحقيق امنيتي

بعد ان اقبل جلالة الملك ، كيف لا وهو زعيم النهضة العربية القومية
 الاصلاحية ، ومنقرض العرب الاكبر ، كيف لا والمسيحيون السوريون من
 العرب ، والاخاء والمساواة ركنان من اركان النهضة . ما اغرب الاعلام
 التي كنا نلحها في بلاد الغرائب وما ابعدنا . لا اظن ان من كان قادماً من
 القسور او المربيع يلمهم اجلاماً اغرب منها واعجب

وفي معلومات قسطنطين لما استرعى له نظر القارئ ايضاً قول جلالاته :
 « ان لا لزوم للسياحة في جزيرة العرب كلها » ولكنني لم اتقيد بهذا القول
 لاني كنت اعرف في الاقل اوليات الجغرافية العربية ، والتأكد ان « من يزور
 الحجاز من اقضاء الى اقضاء » لا يكون قد زار البلاد العربية كلها ولا جزءاً
 كبيراً منها . وهناك غير ما تقدم من المعلومات التي تأكدت بعدئذ الخطأ او
 التحفظ او القصد السياسي فيها . وما كان صديقي غدير ثاقب في اكثرها
 كلام جلالة الملك الذي لم يشأ على ما يظهر ان ازور غير الحجاز . وقد خير
 قسطنطين ما خبرته في اليمن مثلاً وعسير بخصوص القبائل التي يختلف بعضها
 عن بعض في الملابس والمشارب والامادات . وتأكد مثلي ان من يزور الحجاز
 فقط لا يستطيع ان يزلف كتاباً عن العرب مستوفياً من جميع ابوابه .
 وادرك بعد رحلتنا الاولى من جده الى عدن بان نفقات السياحة ستكون
 ضعف ما ذكر ، وان مدتها قد تتجاوز السنة ولا سيما اذا قمكنت من السياحة
 في نجد . وما كانت زيارة الرياض واين سعود ، والحمد لله ، بالامر المستحيل .
 على اني اذا ما ذكرتها الان اضحك من تلك البساطة التي حملتني على توجيه
 السؤال بخصوصها الى جلالة الملك حسين . انما لبساطة تدنو من البهامة لان
 ليس فيها شيء من الحُبث .

٤

وهذا الكتاب وفيه ترجمة سبعة من امراء العرب غير الحسين بن علي ،

وكلهم مارك وان اختلفت الالقاب مستقلون بنعمة الله بعضهم عن بعض ،
وجاهلون شخصياً بعضهم بعضاً . فاننا اذا استئذنا الملك حسيناً وابنه الملك
فيصلاً لا نجد بينهم ، او في الأقل بين الكبار منهم ، من يعرف زميله الملكي
معرفة شخصية خاصة ، او يعرف من الاقطار العربية معرفة حقيقية تامة غير
القطر الذي هو حاكمه .

ليس في مارك العرب اليوم ملك ساح في البلاد العربية حكماً ، وليس
فيهم من يستطيع ان يقول : انني اعرف بلاد العرب وحكامها وسكانها
وقبائلها واحوالها الاقتصادية والزراعية وشؤونها السياسية الداخلية والخارجية
تماماً ، مما لبي من تقارير العارفين واخبار المفكرين عن الاغراض السياسية والتحيزات
المنهجية . ولا استسي من هذا القول الملك حسيناً او الامام يحيى او السلطان
عبد العزيز آل سعود .

قد يكون الملك حسين اكثرهم علماً باحوال سكان البلاد . من بدو
وحضر ، ومذاهبهم وتوزعاتهم ونعراتهم وعدواتهم وسياسة امرائهم ، لان
مركزه الشرف بالكمبة التي يحجبها المسلمون من البلاد العربية كافة . بل من
اقطار العالم الاربعة يساعده على ذلك . وقد يعرف من احوال جاريه
الادريسي وابن سعود ما يستطيع ان يستند اليه فينضمه في سياسته الحجازية ،
ولا ينضمه بل قد يضمره في سياسته العربية . اريد بذلك ان علمه ، وان تجاوز
ما يتناول قبائل نجد وعسير وما يستطيع كل من حاكمها ان يجند من الناس
ويجمع من المال ، ومن لهم النفوذ الاكبر في بلاديهما ، فلا يصل ذاك العلم
الى عقلية الادريسي مثلاً او الى قوة ابن سعود الشخصية والعنصرية . ان
لساطان نجد في ذهن الملك حسين صورتين لا ثالث لهما . صورة تجسم نبوغه
فلا يكتفئ بها وصورة تنفي ذاك النبوغ فيقول عليها . فكيف السبيل مع
هذا الجبل الى التهام والولاء ؟

أما الأعلام يحيى فلا شك أنه يعرف ، وهو العالم الأكبر في أمراء العرب ،
أقطار اليمن وسير وحضرموت وبعض أقطار معرفة حقيقية تامة . ولكنه
يجهل البلاد النجدية وسلطانها وحقيقة حال أهلها من بدو وحضر . أو أنه
لا يكثرث بذلك . ولا شك أن السلطان عبد العزيز أكثر ملوك العرب علماً
بالقبائل والعشائر في نجد وأقطار وبلاد الشمال وفي مسقط وعمان وما يليها .
ولكنه قلما يكثرث إذا ذكر اليمن في غير السياسة . فإذا حدثته عن
عادات أهل ذلك القطر القديم وأحوالهم الزراعية والاقتصادية والاجتماعية
فكأنك تحدثه عن شعب ليس بعربي فبتفكه ويستفيد .

لست مسلماً إذا قلت أن ليس في البلاد العربية اليوم رجل واحد يعرف
البلاد العربية كلها . وليس في العالم اليوم ويا للأسف من يحيط عاماً بالأقطار
سكانة وبشؤونها جميعاً ، بحكوماتها وقبائلها وزراعتها وصاداتها وخراجها
وحروبها ، ومشايخها وأمرائها ، وبكل ما يختص بأمورها السياسية الداخلية
والخارجية غير الحكومة الانكليزية أو بالطري وزارة المستعمرات فيها .
فهي تصدر كتاباً عن البلاد العربية^(١) مبني على تقارير وكلائها السياسيين
والسياح العلماء ، تصححه وتعيد طبعه كل بضعة سنوات مرة . وهو مع ذلك
لا يخلو من الأغلط إذا نظر في ما يختص بكل قطر منه ابن البلاد العالم
بشؤون القطر المذكور كلها ، زد على ذلك أن الكتاب لا ينشر للعموم
وقلما يرى خارج الدوائر الرسمية .

ولا اظن أن من وظيفة الحكومة الانكليزية أو من واجباتها ، فضلاً
عن ميلها ومصحتها ، أن تعرف ملوك العرب بعضهم الى بعض ، أو أن
تطلعهم على أحوال الأقطار العربية كلها . ولا اظن أن أحداً من أبناء العرب
^{(١) Manual of Arabia} هو كتاب تاريخي احصائي سياسي جغرافي في البلاد
العربية نظمه وزارة المستعمرات وتوزعه على الوكلاء السياسيين والقناصل والسفراء
لدولة بريطانيا العظمى فقط .

يستطيع ان يقوم بهذا الواجب دون ان يدخل الرحلة التي دخلتها .
 فيها انا اذن في هذا الكتاب ، ولا فخر ولا اعتذار ، اعترف سادتي
 ملوك العرب بعضهم الى بعض تعريفاً يتجاوز الزمومات والسطحيات .
 وليتفق سادتي ان ليس في التنازع في ما كتبت ترفق او مدهانة ، ولا في
 النقد تشيع او تحامل . انما غاييتي القصوى تهديد السيل الى التفاهم المؤسس
 على العلم والخبر اليقين . ولا علم ولا يقين الا في تبديد الاوهام ، واثارة الازدهان .

٥

وفي هذا الكتاب من النقص ما ينبغي ان اشير اليه . كان قصدي الاول ،
 عندما سافرت من نيويورك ، ان اشرح في الحجاز واليمن ونجد لعلمي ان في
 هذه الاقطار الثلاثة تجتمع العرب كافة . ففي اليمن قحطان ، وفي الحجاز
 ونجد فرعا عدناني اي مضر وربيعة .

ولكن المشاهدات الاولى غيرت من قصدي فشذبت ونقخت فيه حتى
 اصبح يشتمل على ما في شبه الجزيرة خارج الحجاز من امارات او شيخوخة مستقلة .
 اما الحجاز وان كان اصغر الاقطار الاربعة الاولى مساحة ، واطلها عدداً ،
 فهو اهمها مركزاً ، واولها في السياسة الدولية مقاماً . وقد صار بفضل حالاته
 الملك محمـد بن عبد الوهاب من العرب المحمديين في سبيل الوحدة العربية . نقل
 من لا يعرف شيئاً عنه . الحجاز كتاب مقتوح . واهم ما في الكتاب اليوم
 ما عبدا الحرمين هو الفصل الذي عنوانه : الملك حسين ، النهضة العربية .
 فقد اكتملت بهذا الفصل ووليت وجهي الاقطار الاخرى ابقي زيارتها كلها .
 ولكنني لم اتوفق الى ذلك . ازمنت السفر الى حضرموت عندما كنت
 في عدن ، فاجتمعت وانا في بيت شركة البواخر الهندية برمان البوخرية التي

سافرت فيها الى جيزان وكانت هذه المرة تقصد مكلًا ميناء. حضرموت
فقلت للربان : اني معك ثانية ، فضحك وقال : لا اخذك شهوى الحياة .
فقلت : واي خطر على الحياة في بحر العرب وفي فصل الصيف ؟ فأجاب
الملاح الانكليزي : هو فصل الموت - فصل الممنون^(١).

ثم قال : وليس لمكلًا ميناء زسوفه . وقد لا تسبح الانواء بالرسو في
عرض البحر . وانت تعرف ياخوتي ، عرفتها في هدأة البحر الاحمر . وماذا
في حضرموت ؟ اقبل نصيحتي الخ .

فانتصحت آمنًا . فجاء هذا الكتاب وليس فيه غير بعض الشيء عن
حضرموت اخذته من رجال من ذاك القطر اجتمعت بهم في عدن والحديدة .
وهذا اول نقص فيه .

اما مسقط وهو البلد الاول في شبه الجزيرة الذي دخله الاوروبيون
والاميركيون^(٢) فلظني ان الروبة فسدت فيه لم اعرج عليه وما ملت اليه .
وقد اكون غلطًا فأؤوفق في المستقبل الى تلافي هذا القصر الآخر في
الكتاب .

وهناك عمان وقطر ، تلك البلاد التي قتد من الساحل تجراء البحر
جنوباً الى مسقط ، وفيها اربع او خمس « شيخات » مستقلة . فما عذري فيها ؟
اجيب بكلمة واحدة : العجز .

(١) الممنون Monsoon ريح شب في الشهر الصيف من الجنوب الغربي وبحري
في بحري الهند والعرب شرقاً لسهال فتحصل الامطار الى الهند وجنوبي الصين . وهي
رياح صرفة شبهة بريح السوم في الصحراء تشتد منها الانواء في الاوقيانوس الهندي
والبحر العربي اشتداداً بروع حتى للملاحين .

(٢) في ٢١ ايلول ١٨٣٣ عثدت حكومة الولايات المتحدة بواسطة وكيلها
الخصوصي ادمون دهرنس Edmund Roberts معاهدة ولاتية تجارية مع سلطان
مسقط سعود بن سويد .

عندما عدت من رحلتي في نجد رأيتني مرتباً الى حد يُشغى مع الزيادة
الاستسقاء او بالاجرى امليت وذهني ونفسي كالاسفنجية وقد امتلأت ماء
فلا تحتمل من الزيادة نقطة واحدة . وما رأيت ، وانا في البحرين ، ان ازور
تلك « الشيوخ » في عمان قبل ان ازور سلطان نجد في الرياض . فلم آسف
على ما خسرت في جنب ما كتبت . ولكنني لا ازال اعمل النفس باقات ،
فأضيف في المستقبل ان شاء الله قسماً آخر الى الكتاب او قسمين اني فيها
عمان ومنقط وخضرموت حقها .

بقي ذاك القطر الحديد في الشمال الغربي الذي اشتهر السياسة الجديدة
سياسة « بعد الحرب » وأمرت عليه النجل الثاني من النجبال الملك حسين
الامير عبدالله . فما تلك الامارة في اعتقادي من الامارات العربية الثابتة
الدائمة . قد لا تزول في عهد اميرها الاول ، وقد يكون اميرها الاول الحاكم
غداً لواء الاتحاد الى ما وراء الاردن او الى ما دون العقبة وتبرك . اما اذا
فازت سياسة التقسيم وثبتت اماره شرقي الاردن فالعذر سلفاً الى سمو اميرها ،
والتكفير ولو مؤخراً اذا ابقانا الله وايه على مسرح الحياة .

٦

وفي هذا الكتاب طائفة من الآراء التي تهتم العرب خصوصاً والاسلام
عموماً ، والتي تهتم الاوروبيين عموماً والانكليز خصوصاً ، يجدها القارى . في
مبكراتها من البحث . اما الذين لا تهتمهم السياسة بقدر ما يهتمهم العلم
والادب ، واجبار الاسفار ، فقد خصصتهم بقسم ما كتبت . وقد اتخذت
في ذلك اسلوباً يقرب من القارى . ما شاهدت بعيني ، وسمعت باذني ، ولمست
بيدي ، فيشكل ، اذا تم القصد الفني ، حياً لديه .

وليس في الكتاب ، ادبا كان او سياسة ، وضفاً او نقداً ، الا الحقيقة

غير المجردة ، لأن في التجرد ، في العربي ، شيئاً من سوء الادب ، لاسيما اذا كان المجرد والمجرد في القربة . ولا ينسى القاري ، عافاه الله اني جئت الى البلاد العربية من ارض قصية يسكن فيها التجرد حقيقة ومعنى . ثم سمعت في بعض ارض الهند حيث يستشعر الناس الهواء ، ولا يلبسون احياناً غير نسيج من الشمس والظلمة . فسمعت التجرد ولكنني لا اخفي الحقيقة في ما ألبسها وكأنني بالقاري . يقول : ان في احتجاجك على العربي شيئاً من الدهاء . فاعتذر اليه في ما قد يمد مكابرة اذا اعترفت بالذنب - نعم ، وفيه كذلك شيء من تلك الصناعة التي يندد بها ارباب الدين على الدوام ، وتارسها على الدوام النساء .

وما الضرر في اليسير من المساحيق والاولون ، وفي المهمل المطرز من الكساء ؟ اذا كانت الحقيقة المجردة جميلة فهي في ثوبها المهمل اجمال واذا كانت تولد فهي في زينتها ادعى الى الألم والحزن . الا انها في كل حال لا تجالس العصب ، ولا تدنو من التشيع والتشيع . فمن هذه الوجهة لك ان تحسبها ايها القاري ، العزيزة مجردة كل التجرد .

وقد نجي . في بعض الاماكن فاقصة او مخططة ، شأن كثير من الامور والافكار البشرية . ذلك لان النقص في كل ما يرى ويدرك موجود ، والخطأ لا يستدرك كله . فقد بذلت في التحقيق والتدقيق طاقتي ، ولا عذر مع جيد تناهي .

على اني متيقن ان كل من يطالع الكتاب من الناطقين بالضاد ، هما كان علمه في البلاد العربية واهلها يجد فيه بعض الشيء ، الجديد المفيد . ولاخواني الادباء خاصة ، في سوريا كانوا او في مصر واميركا ، اقول : تعاونوا سيجوا معي فاعود بكم الى ما ابعدم عند التفرنج والتأمر ، الى حقائق لمستأظفها في آداب العرب القديمة ، والى حقائق استأظفها الايام والعربية ، والى

حقائق يجملها كثيرون حتى من العرب انفسهم ، والى حقائق نشأتها عن علماء
الافرنج مكتوبة مشوهة .

تعلموا سيحوا معي فاعود بكم الى بلاد عجيبة معها كان فقرها ، والى
شعب كرم معها كانت آفاته ، والى امة حرة ابية معها كانت ذنوبها . ايها
الاخوان الادباء ان في اكثر المدارس السورية اليوم روحاً اجنبياً من شأنه ان
يبعد السوريين والبنانيين عن كل ما هو عربي في غير اللسان . ولو استطاع
لابد منهم كذلك عن اللسان — فقل فيهم حب اللغة العربية . وفي البلاد
اليوم سياسة تعمد المدارس في خطتها فتوسع اللغة بيننا وبين العرب
وببلادهم . أنفل ذاتما حيث كنا منذ خمسين سنة ؟

اعود الى الكلمة التي افتتحت بها هذه التمهيدات . ان البغض والخوف
توأما الجهل ، ومن الجهل ما يولد الحب والاعجاب . وأن الروح الذي يهي
في اية دناء عن العرب لا يفايح ان شاء الله في مسام . فقد بددت الايام تلك
الاوهام التي صبرت لنا الكمال كله في الامة الافرنسية ، وعسى ان هذا
الكتاب يبدد الاوهام التي فنورت لنا « البصع » في العرب .

الحسين
البياتي

الفرينكه : لبنان

في ٢٧ ايار سنة ١٩٢٨ و ٢٣ شوال سنة ١٣٤٣



جلالة الملك حسين بن علي

القسم الاول

الملك حسين بن علي

الحجاز

سنة ١٩٢٢

•

حدوده : يحده شمالاً العقبة وامارة شرقي الاردن ، وجنوباً القنفذة وجبال
عسير ، وغرباً البحر الاحمر . اما شرقاً فحدوده مختلف عليها
وغير معروفة اليوم تماماً

عروسها : نحو ثلاثمائة الف واسكنهم من البادية

مساحتها : نحو خمسة وسبعين الف ميل مربع

اهم قبائلها : حرب وعتيبة وجهينة والحويطات وبنو ثقيف وبنو سفيان

الاشراف : العبادة (ومنهم البيت المالك) وذوو حزن وقريش

اهم بلادها : في الداخل : مكة والمدينة والطائف ، وعلى البحر : جدة
ويثرب والوجه

مذاهب : السنة : حنفيون وشوافع ، والشيعة : جعفريون وزيدون



الفصل الاول

الدور والحضر

البنوتون في الحجاز - عربية لاوطانة فيها - قدوم الملك - وسنه وحقيقة محيائه -
 الديمقراطية العربية - القتال والعمامة - الحضر والبتوك - تقبيل اليد والركبة - اللثامات
 والقبليات - البند - خدوة الحرية - التاجر والقاتل - الملك بين الاثنين - اللغة التي يفهمها
 المبدو - الانكليز - العرب والاسلام - السوربون في امريكا - الملك يدعوهم إلى الحجاز .

في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٢٢ (٨ رجب سنة ١٣٤٠)
 وصلت لأول مرة ارضاً في شبه الجزيرة العربية وقابلت ملكاً ما عرف
 الغربيون غيهم من ملوك العرب . جئت من نيويورك ازوره وفي قلبي بعض
 التردد لما تصورت في راسه الذي نشرته الجرائد ، وجاء من مكة وفي ذهني
 صورة وشهرة جسمها لديه صديق لي في خدمة جلالاته ، بل صديقان ، هما
 قسطنطين بني والشيخ فؤاد الخطيب . وقد اجتمعنا في جده يوم وصلت اليها .
 وكانت اولى دهشاتي فيها ان محافظ المدينة الذي تفضل فلاقاني على الرصيف
 بأغ جلالة الملك بالهاتف خمد ووصلني .

الحائف في مكة المكرمة ا ولكنه مستعرب تماماً . فالحجاز هي
 البلاد العربية الوحيدة التي لا تسمع فيها : آلو آلو . الناس هناك يهتفون
 ويتعادتون بلغة عربية لاوطانة البتة فيها .

- مركز ، اعطاني مكة .

ولا انتظار ، ولا ابطاء ، ولا تسويف ، ولا مشاقمة .

- مكة ، محافظ جده يتكلم ، الديوان . خير . قل لجلالة الملك . . .

خير . . . خير . . . ابشر .

ثم كلمني المحافظ قائلاً : سيدنا لم يتأكد قدومكم في هذه البادرة ، لذلك لم يتزل للملاقاتكم . ولكنه يحبي اليوم .

وبعد ثلاث ساعات من حديث الهاتف جاء رسول يقول : سيدنا دخل البلد . ثم سمعنا صوت السيارة في الشارع فصارعنا الى باب القصر نتظر قدوم جلالتهم . وكان قد اجتمع هناك نفر من اعيان جده وعلماها . وقفت امام الباب سيارة فضة فخرج منها فاخر الخارجية ، ثم ناظر المالية ، ثم الامير زيد ، ثم الملك حسين .

صافحته مسلماً سلاماً عربياً - حي الله مولاي بالحخير ولا اذكر بآفة كلمة حياتي . ولكني لا انسى اننا في صعودنا الدريج كان يتلطف فيأخذ بيدي لاسير الى جانبه .

دخلنا ردهة الاستقبال في الطابق الثاني ، وهي طويلة تشرف على البحر غرباً وشمالاً . وليس في فرشها ما يتنازع فرش البيت ، بيت الضيافة ، الذي ازلت فيه . ان البساطة اتحدت في القصر من التشيف ، فتبدو في السجاد العادي ، وكراسي الخيزران ، والدواوين المغطاة بقماش من القطن ، والجدران العادية الحالية حتى من الايات ، كأنها تنازل الى شيء من المدنية اكراماً للزائرين الاجانب فقط . . ولكنها الديمقراطية العربية في بعض مظاهرها التي تروق على الخصوص القادمين من البلاد الاميركية . وهناك مظاهر اخرى في ظاهر صاحب الجلالة ، اي في حديثه ، وفي لبسه ، وفي اكرامه الضيف . من عادة المصورين انهم بصنائعهم يحسنون في بعض الاحايين صورة الناس . ويظهر عفواً في رسوم بعض الناس شيء من الحسن قائماً يبدو في وجوههم . اما رسم الملك حسين الذي نشر في اوروبا واميركا اثنا الحرب فهو لا يشبهه ، ولا يمثل ما في وجهه من البشاشة وقد عازجها شيء من الغم ، ومن الجلال المقرون باللطف وليس فيه تصنع واعتناء .

وكانت دهشتي الثانية اني اجتمعت بملك كنت اظنه من رده رجسلاً

قطوباً جافياً قاسياً . فكذب ذلك الرسم الوجه منه والحديث . اجل ان في حياً الملك حسين سيما ، جلال طبعي لم اشاهد مثله في غيره من ملوك العرب . بل فيه تجلي روحانية شرقية قرنت بالتأدب الغربي . ولا غرو ، وهو من بني نهي من سلالة الرسول ، وقد اقام عشرين سنة في الامتانة . ان طديشه اذن مصدرين من الافس والكياسة ، الاول اخلاقي نبوي ، والثاني اجتماعي اكتسابي .

وفي وجهه ما يقصع عن الاثنين مما غاب ويا للعجب في رسمه . فهو رقيق الادم صافيه ، عدل الانف دقيقة ، له جبين رفيع وضاح يظهر بكل حال بهانه عندما يرفع العقال ويلبس المعامة . وفي فاطريه نور يشع من حذقتين عسلتين تحيط بهما حالة زرقاء . وله فوق ذلك ابتسامة ما عرفت اجذب منها للقاوب غير ابتسامة خصمه ابن سعود السلطان عبد العزيز .

اما صوته فألطف من النور في عيذه . واما اقله فان فيها دليلاً افصح واصلق مما في كتب الانساب على طيب الارومة والشرف الاثيل . وقد كهت هذه المحاسن في نظري لانها عارية من مظاهر الابهة والجلال . فانك لا تميز الملك من احد مشايخ العرب اذا كان مسافراً لولا عقال من الحرير اصفر فوق كوفية اخف اصفراراً منه . وهذا العقال ارت ثمين . هو عقال بني نهي ، عقال بيت الشريف ، بل تاج الملك فيه . واذا اعتم الملك فلا ترى فرقاً بينه وبين احد الاعيان او العلماء لولا ذؤابة عمامته البيضاء . هالك في القياسفة مظهراً من مظاهر الديمقراطية التي يشاهدها السائح في كل ملوك العرب وامراتها .

جلس الملك في زاوية من الديوان واثار الى عيته فجلمت وفي بعض الحيا . من التصدر في حضرته . ثم دخل اعيان جده وكبارها مهابين على صاحب الجلالة ، المنفذ الاكبر ، مهتئين بقدمه السعيد . فانتبهت في ساو كهيم الديمقراطية . وغدوت حائراً لا ادري ابثدي . في الحجاز التترك في

البلاد العربية ام ينتهي .

دخل عرب المدينة ، عرب جده ، مطاطين الرؤوس ، مكثفين ، صامتين ، خاشعين . فكان الواحد منهم يقبل يد الملك مرة ، والاخر مرتين ، والاخر ثلاث مرات . ومنهم من قبيل منها الكف والظهر ، ومنهم من زاد على ذلك فقبل الركبة الملكية . وكان جلالة يأذن بذلك ويقبل بعض الزائرين في وجوههم . وقد يسحب يده مانعاً من هم ارفع مقاماً من الجيم ، اي الاشراف العبادلة وهم اقارب الملك الادنون .

ان التقبيل درجات اذن في الاحترام وفي العبودية . وكل من المقبلين والمقبولين يعرف مقامه فلا يتعداه ، ولا يحجب من ان يعرفه سواء . اجل ، ان بين من يقبل ركبة الملك ومن يقبله الملك في جبينه ، او ينع عنه يده ، يونياً شاسعاً في المقامات لا يخفى على احد من الناس . واذا خفي على عرب البادية ، على البدو ، فلاهم لا يفهمون هذه الرسميات او لا يكتثون بها . يجي البدوي الى البلد فيقف تحت نافذة القصر وينادي « يا يو علي » وهو سامد الرأس ، صريح الكلمة ، فحجته لهجة الاكفاء والقرناء . قل هي لهجة ابناء الفقار . والملك حسين يقبلها كما يقبل قبلة الاحترام والاجلال من المتدينين المتزكّين . بل يقبل فروض العبودية من الحضر ياشاً كما يقبل هاشاً من البدو خشونة الحرية ومماجتها . ولا يتغير في اخالين ، ولا يأمر بتهذيب هذا او بدشيقف ذاك . ايهشك منه هذا السلوك الملكي النبوي ؟ هو اعلم مني ومنك بامور ملكه ويدعائهم السيادة فيه .

ان الحضري عادة ثاجر ، والبدوي غالباً مقاتل . والاثنتان لازمان ، فنأخذ من الاول لنعطى الثاني ، ونذل الاول احياناً لتسكن من الاخذ والخطا . ولا سيما اذا كان الثاني خشن الخلق ، صعب الشكسية ، ويحسب فوق ذلك البندقية . والبدوي لا يفهم غير لغتين ، لغة الدينار ولغة السلاح ، بل لغة القوة التي تشمل في سلاح امضى من سلاحه وساعد اشد من ساعده .

أما جلالة الملك حسين فليسوا الحظ لا يحسن في معاملة البدو اليوم غير لغة واحدة هي لغة الدينار . وسنعود في ما بعد الى هذا الموضوع .

— البدو يا حضرة الفاضل - اذجون فقرا ، ولكنهم صادقون . اقول : صادقون . وهم يرون اليهود .

في النصف الثاني من كلام جلالتهم نظر ، بل فيه باب للرب فسيح . الا انه اراد حكما علمت بعد ذلك غير قناعة الانكليز الذين لا يشبهون البدو في سياستهم وفي عهودهم وقد عاد الى هذا الموضوع مراراً في المقابلات التالية . انه في احاديثه السياسية كثير الالتاف والرموز ، قلما يصرح بفكره ، وقلما يشرف عدوه بذلك . ولكنه في الجلسة الاولى لمس من الموضوع اطرافه واستعاض عن البحث بذكر الايات ورواية الاشعار . وهو شغف بالاولى وله حافظة لا تزال على سنه قوية .

كان الكلام في العرب والاسلام . وكان جلالتهم يدعهم كل ما يقوله بآية او بحديث شريف او ببيت من الشعر — « من اعز العرب اعز الاسلام — اعتصموا جميعاً بحبل الله ولا تفرقوا — الاسلام يا حضرة النقيب لا يقاتل غير من اعتدى عليه — لا تحارب الا دفاعاً عن انفسنا . اقول : دفاعاً عن انفسنا . الاسلام يعلم البساطة والصدق والمساواة والقناعة . . . وليس ما يتبع المسلمين من الزواج بالمسيحيات . هذا السوريون لو جاءوا من اميركا واقاموا في الحجاز يتاجرون ويسعدون . اقول : ويسعدون فيساعدوننا في تشييد الملك العربي وتعزيز الوحدة العربية » .

وكنت قد رفعت الى جلالتهم سلام اخوان لي في نيويورك وتحيات بعض العرب والمستعربين في مصر .

— نحن نشكركم على هذه الزيارة ونكبرها منكم . فقد جنتم من اقاصي البلاد واعظمتها ، اقول : واعظمتها ، الى بلاد متأخرة فقيرة بينها وبين الحضارة مراحيل طويلة . ولكنكم جنتم تلبنون دعوة القلب . معتم ،

يا حضرة النجيب صوت الضيف . عذتم بعد هجرة طويلة الى الاصل . بارك الله فيكم .

في صوت الملك حسين الدمعبي خفوت تضع عند الكلمة فيعيدها مثباً مكنياً - اقول يا حضرة النجيب - كذلك يتكلم .

وكان اعيان جده وكبارها جالسين على الدواوين وهم مثل الجائين في معابد المسيحيين لا يفصح عن حاشم غير السكرت والحشوع . ثم نهضوا مستأذنين ، وقبوا يد الجلالة مودعين كما قبلها مسلمين . فنهضت على اثرهم فأشار جلالتهم تاطفاً ان اجلس . فعدت الى مكاني . ثم قال ، والاعتذار في صوته وكلامه ، صحيح فصيح : ان حياتنا في هذه البلاد غير ما آفت يا ايها العزيز ، وخشونة العيش عندنا لا يشفع بها غير الحب والعفة . . . فحاولت ان اباريه في هذا الميدان فذكرت التنازل الجميل في محبته من مسكة ليقابلي . فأسكتني بإشارة من يده ، وافهمني ، بل زادني خجلاً وعياً ، اذ قال : وهلا نقطع فرسخاً لتلاقي من قطع البطار ونجشم الاخطار في زيارتنا ؟

الفصل الثاني

من الضب الى الطب

التبادل بالحامد والواجبات - الانكليز - ذوا العيظ - الناظر الجبان - العنبريات
والدبابات - الضب - درس في علم الجيران - اعتد من قلوب الضب - فتصل
انكليزاً - انتقام الملك - اضعوكته - افضو الجدين والظن العاسا -
الغاز الديوان الهاشمي - التفتيد في السياحة - شخصية ساحرة - الباقي من
قرويس - بنو سعد - الطب - الكي - « وقد يشفيك الله بواسطة طميط من
بني سعد » - مجي - الطبيب من محطة - العلاء .

ان الملك حسيناً لمعتقد ببدأ التبادل في الحامد والواجبات ، ان كان في
السياسة او في الاجتماعيات . وعنده من الدين على ذلك براهين . لقد امرقا
الله بالصوم والصلاة وتأدية الزكاة ، ووعدنا في مقابلة ذلك بالجنة . هذا هو
التبادل بالحامد والواجبات . وقد اخذ الانكليز منا عهداً في القتال فاقنعنا على
العهد ، وقطعوا لنا عهداً بالاستقلال والوحدة العربية ، ولكنهم وبوا الاسف
نقضوا العهد .

عندما يذكر جلالة الانكليز يستحوذ عليه الحزن والغم فينادي احد
فظاره ، الناظر الحضرمي ، ويكون قد دبر له حيلة للتسلية او مغزعة يشرح
لها صدره . والناظر الحضرمي ضعيف العصب ، سريع التأثر من غريب
الحركات والاصوات ، شديد الخوف من الحشرات والدبابات وفي المبادعات .
وبكلمة صريحة هو جبان - الجبان الاول في الديوان الهاشمي ، اما الثاني فهو
الناظر الشاعر . اذ كل شاعر في رأي جلالة جبان .

اما الملك حسين فلا الاصوات ولا الخيالات ، ولا « بجمع » السياسات
يحدث فيه ما يبعد عيياً في الرجال . انه لشديد البأس ثابت الجان - يوم
ضرب الاتراك مكة والكعبة كانت تقع قنابلهم على قصره وهو فيه ثابت

لا يزال . اما الاتراك فهم في نظره مثل الحشرات والديدان التي يوتئ طالها ويستفد منها احياناً لترويع الناس . فقد علمت انه شغف بها وبدرس اخلاقها وعاداتها . وقد يكون فيها فائدة خاصة لجلالته ، لانها بمساعدة الناظر الحصري تبذل المهوم الملكية ، وتذبح الغم الأكبر الذي يتولاه ليجرد ذكر الانكليز .

جامعي احد عبيده ذات ليلة يقول : سيدنا يبيغيك . فأسرعت اليه فاذا بقتل بريطانيا العظمى هناك . وبعد ان حدثنا ساعة عن الابل والاهوية في الحجاز ، وعن البدو وعاداتهم ، سألني قائلاً : أعترف لي يا العزيز الضب ؟ فقلت : في الكتب فقط يا مولاي . فقال : ستعرف الضب حتى اذا كتبت عنه تحسن الوصف . وضرب كفاً على كف فحضر عبد من العبد . هات الضب نظرت الى القفص وكان ينظر الي ، كأن قد خطر بباله ما خطر ببال ، فتبادلا ابتسامة فيها الدهش والاعجاب من هذه الجلسة الملكية التي صار فيها جلالتة استاذاً في التاريخ الطبيعي والحيوان .

دخل العبد وبهده حيوان شبيه بالحرباء فأخذه الملك منه ووضع على الديوان بينه وبينني .

— هذا يا حضرة الفاضل الضب ، وهذا ذنب الضب . قال ذلك وهو يربته بيده . « اعقد من ذنب الضب » ترى ان المثل صادق . وذنبه هو سيقه ودرعه .

قال القفص : انه يشبه الحرباء واظنه هو بعينه . فترجمت كلامه لجلالة الملك فقال : الحرباء غير الضب ، والفرق بين في الذنب .

ثم اوما الى القفص ان تقدم وافحصه . فنهض ودنا من الضب ، فأخذ الملك بيده ووضعها على الذنب الشوكي وضغط عليها . فبدت في وجه القفص علامة الألم فضحك جلالته ، واستأنف الحديث — هذا ضب صغير يا حضرة القفص ، وقد رأيت منه ما يزيد طول الباع — كأنه ضب السياسة .

والذنب كما ترى هو نصف جسده ، اذا ضرب به ادمى ، وقد يقتل خصمه بضربتين . اقول : بضربتين . اما هذا الضرب فلا اثر فيه يتقى ولا خير يرجى . دخل اذ ذاك الحاجب يني . بقدم الناظر الحضرمي . فقال الملك : بلى بلى ، فيه خير (اي في الضرب) وهو يوارى الحيوان تحت جبته .

دخل صاحب الاقبال الناظر الحضرمي ، وأشار الملك الى مجلس قريب منه . وما كاد يتبوأه حتى مُدَّت اليه يد الجلالة ، وصاحبها هادي . البال ، وفيها الضرب ، وضعت في حجر الناظر المسكين . فصرخ وصاح صيحة طفل مرعوب ، ووثب على الديوان وثبة جاب فيها الباب ، واصطدم بالحاجب هناك . ففقهه الملك وكاد يستلقي ، وضحكنا كلنا ضحك الصبيان ، وفيما الناظر الشاعر الذي كان جالساً متكئاً على عادته ، وقد كان يحاول اخفاء سروره في ابقامة قيده التأدب . ولكن صيحة الناظر ووثبته فكثرت منا القيود فتساوى في فترة بهجة الملك والشاعر والعبد المملوك . الا ان جلالة صكان اول من ناب الى الرذانة فغاطب الشاعر موبخاً : لا حق لك انت بالضحك . لا حق لك حتى تتركب الطيارة او في الاقل الخيل . والناظر الشاعر يخاف ركوب الانثين خوف زميله الحضرمي من الحية والضرب .

عندما خرجنا من مجلس الملك تلك الليلة قال لي القنصل : هي الذ ساعة قضيتها مع جلالتهم . وهو في غير موضوع السياسة افسح المحدثين والطف الجلساء . ففتنت ذلك من مثله جوراً في الحكم وان كان مصيباً . لان كل من عالج السياسة رصياً يعتمد التعرض احياناً في حديثه . ولكنني علمت بعدئذ ما يقاسيه الوكيل البريطاني في جده من فك القزاز الديوان الهاشمي وكشف الستار عن رموزه . وخبرت بنفسي اثنا اقامتي هناك ما لجلالته من القوة في التعقيد ، والهرافة في التورية والابهام . بل هو يطوف حول نقطة سبع موات كأنها الكعبة ولا يلمسها . فيدنو منها اطرأ في بعض الاحايين

ثم يبعد عنها منقلباً سريعاً ، وجليسه ، وهو يمدو مبارياً ، وقد اعتراه من الطواف الدوار ، يدق رأسه بالحائط او يصطدم بباب في هيكल الاسرار ، فتلفت ليري أين هو من صاحب الجلالة فيراه ، وأسفاه ابعيداً ويقف خجلاً مبهوتاً لا يدري ما يقول . والمصيبة في السكوت مثلها في النطق . فإذا قال : فهمت يا مولاي مكان من المجاملين . وإذا سكنت ظن سكوته استهجاناً . فيهر برأسه تحضاً من الاثنين وينتظر الفرج من غوامض الحكمة ، في بوارق الحثمة .

وطالما استأثرتني إشارة مولاي الطبيعة فقلت : بقولي الى السر في يديه وفي ناخريه ، وكنت كلامسحور في فيض من المتعاطيل يسيل من الثمالة ومن نظراته . وما النياسة ، وما الحقائق ، وما الحكمة صكلها ، عند سحر ينسبك شغفقات الناس وخزجلات الامم .

اجل ، ان لمولاي صاحب الجلالة الهاشمية ، والغوامض السياسية ، وقفات في حديثه تروي بالفصاحة والبيان ، وإشارات تفك طلاسم الكهان ، ونظرات تقيد منك العقل والجنان . ينسبط يديه اشباعاً اذا احس من نفسه انه افحك ، ويضربها الى صدره تلميحاً اذا توقع منك جواباً . ويعالج عقاله او يجررك عمامته اذا رأى منك فتوراً او دبراً . ويمرر جلسته على الديوان اذا اوجس فيك الملل . فاذا تهلك معانيه ومقاصده وهو امامك السحر الحلال مجسداً !

كنت استغنى الفرصة عند ما يفك جوده او يتقددها فاسأله سؤالاً لا علاقة له بالموضوع ، ملتصقاً لقلبي العذر في حب العلم وفي السياحة من اجله .
- نعم ايها العزيز . الباقي من قروش قرب خمسة الاف وهم ثلاثة اقسام : قروش الاعاصيد ، وقروش النيس ، وقروش الطائف . ولا يزال بينهم وبين السلالة النبوية كثير من الحس والمطف . . . اما بنو سعد ، وهم الذين ارضعوا النبي ، فديرتهم قرب الطائف ، وفيهم بيت يحسن امله الجراحة

ويتوارثونها بعضهم عن بعض . . . هل تعلم يا حضرة النجيب ان الحمى تداوى بالكبي ؟ بنو سعد الجراحون يداوونها بالكبي .

وكشف جلالة عن نجساح طريقتهم في نفسه اذ انه مرض مرة بالحمى واكتوى فاراني اثر الكيين ، واحد في زنده الايمن والاخر في ساقه اليسرى .

- السر في مكان الكبي . فهم يختارون اما كن في الجلم تتصل

بالاعصاب التي تنتهي بجموعها عند موضع المرض . لذلك لا يترك الكبي

مفتوحاً يخرج منه الصديد كما يفعل غيرهم ، بل يخبثونه خالاً بشي . من

الملح ، اقول : بشي . من الملح ، يذرونه عليه .

وكان قد انبث جلالة حركة في يدي تدل على الم فسالني عنها فاجبرته

فقال : وقد يشفيك الله بواسطة طبيب من بني سعد . وبمعد يوم وصل

الطبيب من مكة . جاء باسر جلالة يداويني فسالني ثلاثة سوالات فقط ،

ولم يفحصني والحمد لله فحصاً طيباً . ثم قال : لا ينفعك الكبي . سخن السمن

وخذ الثوم دقه وامزجه فيه وادهن ثلاث مرات كل يوم . وستشفى باذن الله

تمامي وتذكرني بالخير . قال هذا وودع وانصرف .

وها اني اذكرك يا اخا العرب ، يا راعي الابعار ويا طبيب الملوك ، يا خير

من قابلته في حياتي من الاطباء . وسأذكر دائماً تلك البساطة فيك ، وذلك

النور في خاطريك ، وتلك العظمة في صوتك ولهجتك وحركاتك . وسأذكر

كذلك انك لم تصف في ما هو اصل علاجاتك كلها كما يفعل الاختصاصيون

في البلدان المتقدمة . بل اشركت مع علاجك الله ، فكنت اكبر الحكماء

واصدق الاطباء . سأذكرك دائماً يا راعي الابعار ويا طبيب الملوك ، لاني

كلما ذكرت لك النسي آلامي ، وهذا لعمري خير علاج والجمع دواء .

الفصل الثالث

الابداع في الاصلاح

طريقة عون الرفيق في الاصلاح وطريقة الملك حسين - الصحاح ريتن زمزم -
 المياه المقدسة الممدنية - الاربعة - في الماء في منى - للظاهر كل شي - ظاهر -
 والصفحة لا تضر - القضاء على الكذب - المستشفى في مكة - تقرير مدير
 الصحة العام - المحجر الصحي في الجزيرة اي سعد - محجر الطور - معجر
 قمران - البعثة الطبية للنقض الحاجر الصحية في الشرق - المعاهدة الانكليزية
 العجازية - اسباب الصحة واسباب الاستيلاء - جوقة الموسيقى الملكية -
 طريقة الملك في اصلاحها - كتاب من جلالته .

ان جلالة الحسين طريقة في الاصلاح تختلف مبدئياً عن طريقة عمه الشهيد
 عون الرفيق الذي حمل مرة على الاوليا ، وشرع في تهديم قبره ثم ومقاماتهم .
 اما جلالة الملك فهو اذا حافظ على تقاليد فيها بقية ، او ليس فيها شي ، من
 الخير ، يسمى هادئاً ويتخذ الطف الاساليب في اصلاحها او ابطالها .

من مظاهر الحنج العجيبة مثلاً ان بعض الحجاج من الهند ، لشدة ايمانهم
 وتفجر بركان اجتياهم ، كانوا يرمون بانفسهم في بحر زمزم توكراً واستغفاراً ،
 واعتقاداً منهم انها اسرع واسلم طريق الى الجنة . فلم يقل الملك حسين ان
 هذا غلو بل جنون في الدين ، ولكنه امر بوضع شبك من الحديد على فم
 البئر فقطع بها الطريق القصيرة - المقربة في لغة اهل اليمن - على المستهدين .
 ولعله يقبل اقتراح احد رجاله المجنونين بالبعثات الفنية والمشاريع الاقتصادية
 جنون اولئك الحجاج بالدين فيأذن بوضع مياه زمزم في القناني لتباع للاحجاج -
 ماء مقدس ومعدني معاً ! انها لنعمة تشكر وتستثمر ، تستثمر في سبيل
 الصحة العامة . وقد باشر جلالتهم بعض الامر المتعلق بها .

ليس من ينكر ان الامراض والادوية كانت ملازمة الحجاج في الماضي

ان كان في الاماكن المقدسة او في الطريق منها واليهما . وقد ادرك الملك حسين ذلك واكتشف السبب الاول فيها . ان قني الماء في منى مكشوفة والحجاج وهم في بيئات الحج لا يهتم المكروب ، هم يدوسونه بأرجلهم ، ويوجونه بالأوساخ ثم يشربونه ويقضون عليه . للظاهر كل شيء . عاشر . والملك حسين كذلك يقول هذا القول . الا ان الحنفية لا تضر بالطهارة . وكل ما فيه راحة الحجاج وليس فيه ما يمس العقائد الدينية محلل . ومن ذا الذي ينكر في مكة او خارجها ان الشرب بواسطة الحنفية هو اسهل منه عباً او صبا .

عقد الملك النية على ان يجيب عن الحجاج وجه المياه ، فامر بان تغطي القني في منى ثم توضع القسائل والحفريات لشرب الحجاج منها . وهكذا قضي على المكروب او كاد . ثم اسس مستشفى في مكة^(١) مجهزاً بالآلات والادوات الفنية لتسم مساعدته الشريفة في استئصال الاوبئة ومكسافية الامراض . انه ليس في سلامة الحجاج وصحة العرب قبل كل شيء . وهناك في جزيرة ابي سعد في مياه حده بحجر صحي يقتدر الملك به ويلفت اليه نظره الانكليز قائلاً :

(١) جاء في تقرير بحث به الى الدكتور محمد الحسيني نائب مدير الصحة العام في مكة : اخذنا في توسيع نطاق المستشفى فحصلنا فيه اربعة اقسام ذات شأن احتوت على مئة واربعين سريراً . قسم منها لتعريض الجنود وافراد الشرطة . وقسم لتعريض الاعالي . وقسم لتعريض النساء . وقسم لتعريض الاطفال . وقد اخض المستشفى الاهلي لتعريض الفقراء المحتاجين اما عسده الذين حضروا الى المستشفى في خلال ثلاثة اشهر وضمت فهو كما يلي :

برسم العائنة	٣٤٩٥
برسم العائنة في المستشفى	٣٣٣٠
تغيير القروح	٣٩١٧
الوفيات	٥٠٣٤
علاجات جراحية	٥٠٣١

— وما الفائدة من محجر الطور ومحجر قران وهذا محجرنا كامل الاجزاء ،
نظيف الزوايا والارجاء ، ولا يُظلم فيه الحجاج ولا يُعْبَنون ! نعم ابنائنا
واخواننا ، ولا نُظلمكم تغارون على صحتهم وراحتهم اكثر منا .

قد رافقت جلالة الملك الى تلك الجزيرة وكان فيها يومئذ مئة ونيف
من حجاج جاوا ، تهافتوا على جلالته وحاقوا بها . فغفروا — ولا استعارة —
امامها وجوعهم ، وقبلوا اليد والحية والركبة والرجل الملكية ، ثم التراب ،
ثم بدأوا بالشكوى . وقد علمت ان الماء قليل ، وان الحدامين ، وعلى
رأسهم رجل تركي ، يتاجرون به ، وان الطعام ردي ، وثاقته غالية ، وان
غرفة التطهير مغلقة لخلل في عذتها . اما البيوت التي يقيم فيها الحجاج ثلاثة
ايام فهي نظيفة لانها خالية خاوية ، يلعب فيها الهواء على الدوام . وهذه
لعمرى فضيلة المحجر الصحي الحجازي الوحيدة .

انتهى الينا يوم كنت في جده خير البعثة الطبية لفحص الحاجر الصحي
في الشرق وكانت يومئذ قد وصلت الى مصر . فاقترحت على جلالة الملك
ان يدعوها لفحص المحجر في جزيرة ابني سعد لعله يدرك بعد ذلك بعض النقص
فيه . فقرأ في اقتراحي غير ما قصدت وامر ناظر الخارجية ان يبعث حاكماً نبأ
برقي الى المستشار الهاشمي في القاهرة يأمره بان يدعُر البعثة المذكورة لزيارة المحجر
الصحي في جده وفحص اسباب التطهير والصحة فيه .

ولا اظن ان جلالته يعتقِد بغير الشمس والهواء تطهيراً . — تأمل
يا حضرة النجيب طمع الناس ، يأخذون من الحجاج في الطور راتب تطهير قلما
يفيد ، يأخذون راتباً في قران ، ويبغون فوق ذلك مد ايديهم الى ابني سعد
لنتم لهم السيادة على الحجاج ابنائنا واخواننا . وهذا مستحيل ، اقول ، مستحيل .
ان من بنود المعاهدة بينه وبين الانكليز ، تلك المعاهدة التي جاءه بها
الكرنل لورنس والمرحوم حداد باشا في شتاء سنة ١٩٢١ فرضاها ، ان يكون
لبريطانيا العظمى الحق في تعيين اطباء انكليز في جزيرة ابني سعد . فأني

الملك حسين ، لظنه ان الانكليز في طلبهم هذا ينفون اكثر من معاش بعض
الاطباء اطبايتهم واكثر من السيطرة على الحجاج . وقد لا يكون لهم في
الامر من غرض يذكر ويخشى . الا ان اساليبهم الحديثة لتدخلهم في شؤون
البلاد وبسط سيادتهم عليها تشمل الاسباب الصحية كلها ، وقد تنحصر
احياناً بها .

والحق يقال ان محجر ابي سعد من الزيادات غير المفيدة بالنظر الى محجر
الطور في شمال البحر الاحمر ومحجر قران في الجنوب منه . فاذا امر الملك
بقفال ابي سعد يقفل باب الصحة الوهمي الذي يتذرع الانكليز به لتعريض
سياساتهم في بلاده ويرجع الى الحقيقة العلمية البارزة في الطور وفي قران فينتفع
بها ، وقد يتوصل الى اصلاح ابي سعد او بالحري ابطاله في المستقبل على
طريقته المخصوصة في الاصلاح والعمران التي تقدم ذكرها .

والى القارىء مثال آخر منها . ان في مكة جوقة موسيقى ملكية امسى
امرها من التقاليد الهاشمية المقدسة . وهي تضرب امام القصر ثلاث مرات
كل يوم وترعج جلالتها كل يوم ضمنى الثلاث المرات ، بل تكاد تخرجها من
توب الحكمة وثوبه . ولكنها التقاليد ينبغي احترامها على ضررها ، ثم
مداومتها باقاي عبي احسن . ومن تقاليد هذه الجوقة ان رجالها لا يعزلون ولا
يسدلون فيخدمون فيها مدة الحياة . وعندما يموت احد اعضائها يعين الملك من
يخلفه وهناك طريقة صاحب الجلالة والحكمة في دفع هذه النكبة واستئصالها .

مات منذ سنتين راعي (صاحب) الدف فلم يعين خالفاً له . ومات في
السنة الماضية احد الزعماء فقال الملك : وما الضرر اذا نقصت زمراً ؟ ثم
مات راعي الطبل فكان سرور الملك عظيماً . وانه يعون الله وعزرائيل
ابتخلص تدريجاً من الجوقة كلها .

ابن المصلحون ينجشون مكة طالعين العلم والارشاد ؟ الا انهم اذا كانوا

مثلي ومن ملتي فلا يتجاوزون في مسيرهم حداً^(١) ولا اظنهم يتناولون جزاء
سعيهم اكلها مما نزلت .

بعد ان اقام جلالاته اسبوعين في جده عاد الى مكة لاشغال هامة وظل
معي من قبله وزيره الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب وحاشيته ، اي حاشية الشيخ
فؤاد ، المؤلفة من امرى ، القيس والنايعة الذبياني والاختلال والمثني ، وكان
الشيخ قسطنطين بني داعي الكاس والقرطاس فلا يدع فرصة تفوت او
كلمة من الشعر قوت .

ومع ذلك غدت كثيلاً فكبت الى جلالاته كتاباً اشكو فيه الم الفراق
والالم الاخر الاشد من تقليد عقبي يضطره ان يحرمني زيارة ام القرى .
فكتب اليّ يعتذر - وتوقيع الملكي في رأس الكتاب - عذراً طيفاً عذراً
يصح فيه ما قيل في الشعر . كتب جلالاته :

عزيزي المحترم

بعد اعدائي حضرتك السلام وجزيل الاحترام . بانامل الشوق
والتكريم تلقيت رقيبك ، ويقدر ابتهاجي به وما احتوته مباحثه
الكرعة كان خجلي من بقاءكم في جده هذه المدة . ومخلصكم
جنى على نفسه حرمان لذاته واستفاداته من فضائلك وكرامتك ، فان
مهما حسبت ضرورة اسباب هذا الحرمان لا اجده الا حجة علي .
وعلى كل حال فقي كالانك ومداركها ما يغني عن كل بيان . وبها

(١) في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي في الجزء الثالث صفحة ٣٨٥ :
حداً بالفتح ثم التشديد والهم مدودة وادرفيه حصن وغل بين مكة وجدة يسوونه
اليوم حداً . قال ابو جندب الحنفي :

بينهم ما بين حداً والحشا . واوردهم ماء الاثيل فداما .

متسع يحيط كل ما هو في معنى ذلك . وليس لي ما يهون تلك الرزية
التي احكم بها على نفسي الا اعتقادي بان اسبابها ودواعيها هي مما
تهم لها فضايلكم . والله يحفظك وعين علي بتلافي ما فات عزيزي .

فهل في مروج الذهب ورياض الجنه الطيف من هذا الكلام واعذب ؟
عاد جلالته بعد اسبوع من مسكة ايوذهني ومعه الضب يراضي به . وكفى
بمجلسه رضى وسلاواتاً .

الفصل الرابع

تلميذ في البداوة والحكمة

ضيافة النوك - الاقارب - الهدية - البدوي الجديد - تلميذ في البداوة - حقوق
 الخوة - العميلة - الضيف السار - التلب السايه - رفيق الجنب -
 الاستنجا - المحاكمة عند البدو - الجزاء - المخبرون - المساوت - التلب
 في جوار مكة - الإوداع - الناقة التي لا ترضع ولد غيرها - حيلة الاعرابي -
 غسل الحجارة ورمائه - شهادة الغديوي عباس وشهادة السلطان عبد الحميد -
 نادي الصلاة - طائفة الثلاث - أعضاء البيعة - جلال الدين الرومي - ناي
 يحق الى الغاب .

لا حاجة في الضيافة العادية الى صلة بين الضيف ورب البيت . فإنا نك
 تقبل ما يقدم لك او ترفضه ، وتطلب او تتسنى ما تشاء ، ولا رسول بينك
 وبين ضيفك غير رسول الادب والذوق . اما في الضيافة الملكية فالامر
 غير ذلك . والقاعدة الاولى فيها هي انه لا يجوز ان ترفض شيئاً يهدي اليك
 او يتعم به عليك .

وملوك العرب ، على ما يظن فيهم من البداوة وخشونة الذوق ، هم مثل
 سائر الملوك في انهم لا يبادهون الضيف فيرتبك فلا يحسن القول او السلوك .
 لذلك هم يسيئون ، فرق من يتدبون لخدمته ، رجلاً يقيم معه فيكون له رفيقاً
 وصيراً ، ويكون بينهم وبينه رسولاً يحقق البنيات وينبه الى ما فيه تدارك
 المزعجات .

كان صديقي قسطنطين بني هذا الرفيق والسير والرسول ، فجاء في
 اليوم الثالث بعد وصولي لجدثني بالاقاب ، فذكرته بايام الفريكة والعزلة في
 الوادي ، ثم قلت : ومن يقيم في امير كما عشرين سنة مثلي لا يغيب رأيه في

الموضوع وقد أخبرني بما كان من امر صديقي سر كيس قبلي ، فقلت :
وعسى ان لا اضطر مثله ان ارفض شرفاً هامشياً . ان امري في يدك
يا قسطنطين ، تدارك النعمة قبل حوالها فقال : والهدايا ؟ فقلت : اقبل كل
ما يحسنني منها .

وجاء في اليوم التالي عيد من عييد جلالة الملك يحمل الي " كسوة عربية
وخنجر مكيأ ، وقطعة مزركشة بالذهب من ستار الكعبة . لله در قسطنطين ،
الرسول الامين ، القائل لجلالته : هذا الرمحاني ناسك تاليت به الآثار المقدسة
ولا تليق به الالاقاب وفي الحقيقة ان قطعة من ستار الكعبة هي علق من
الاعلاق لا يجوزها غير المقربين .

لست انسب البدوية ذات الاردان ، ثم العباة ، ثم عقال الذهب ،
وقنطقت بالخنجر^(١) ورحلت توأ اشكر صاحب الجلالة . فلما رأي في هذه
الصورة بسط ذراعيه هاتفاً : يا حبيبي يا عيني اوضعي الى صدره وقبلني .
فأحسست من شدة التأثر بشي . غشى عيني ، فبادرت الى مكان المنديل من
ثوبي الجديد ، فما وجدت حتى الجيب فيه ، فسحبت الدمع بردني ، فضحك
جلالته وقال : حقاً انك بدوي الآن .

وجلسنا نتحدث في السياسة . ثم جاء قنصل فرنسا وبعض التجار مسلمين
فانتقل جلالته الى البدو - اكراماً لهذا البدوي الجديد التليد في البدوة -
وحدثنا في حقوق الحماية والحرة .

— ثلاثة لهم حقوق الحرة والحماية : الضيف السارح^(٢) والطنب السابح^(٣)

(١) يدعى الخنجر في الخجال قديمة ، والفاف تلفظ جفا - جدمية - لانه يحمل من
قدام ويدعى في اليمن جنبية لانه يحمل على الجنب

(٢) من كان في سفر

(٣) من دخل الديرة مستجداً ، يراد بالطنب البيت بيت الشعرة وهو من باب تسبئة
الشيء بجزء منه . ويراد بالبيت صاحبه وان كان ساجداً سائحاً لا بيت له ولا مقر .

ورفيق الجنب^(١) وإذا دخل الضيف السارح بلداً أو «ديرة» يضيفه أول بيت يمر به . له الحق الأول في الضيافة . أقول : الحق الأول . فإذا تجاوزه السارح إلى جاره بعدها أهانة فيطالب الجار به - مر القريب بيئتنا قبل أن يمر بيئتك . وإذا كان لا يطالب بهذا الحق ينظر إليه بعين الاحتقار . . . ومن أضاف سارحاً أيها العزيز ، عليه أن يحميه مدة اثنتي عشرة ساعة بعد أن يتحول . والاستجداء نعم له حدود . يرفض العرب الاستجداء إلى خمسة أجداد فقط وما وراء ذلك فلا حق فيه لاستجد . ولا فرق بين العرب والأشراف من هذا القبيل إلا في القصاص . حياة الشريف إذا قتل عمداً بجنايتين . ولابدو طرائق في الحكمة وتقاليدها مجتزءاً حتى اليوم ملوك العرب كلهم . فلا يضطرونهم في كل أحوالهم إلى الخضوع لأحكام الشرعية . من تقاليد البدو مثلاً أن على كل أعرابي أن يحكم في خصومة إذا رفعت إليه . أما إذا كانت الخصومة بين قبيلتين فتسعم غالباً في ديوان الملك الخاص .

حدثنا جلالاته في طريقة الموافقة قال : ينتخب لكل فريق اثني عشر رجلاً لاتبات دعواه ، فينتخب المدعي رجاله من قبيلة خصمه والعكس بالعكس . ويكون من الاثني عشر رجلاً أربعة هم الجرائمون ، وأربعة هم المساوون . ويحلفون كلهم اليمين المعظمة قبل أن يشهدوا . يقول الجرائم : القضية كذا وكذا ويقول المخبر : سمعت بما يخص بها كذا وكذا : ويقول المساوي : إذا كان كذلك فينبغي أن يكون كذا وكذا .

أي أن الجرائم يبسط الدعوى والمخبر يشهد والمساوي يحكم فيها . وانك لترى في هذه الطريقة البدوية شيئاً من أحكام الأمم المتدنية بل فيها ما هو أقرب للحق وأضمن للعدل ، لأن كلًّا من المدعي والمدعى عليه ينتخب رجاله ، أي وكلاءه وشهوده وقضاة ، من قبيلة خصمه . وما أشبه المساوون

عند البدو بالـ «جوري» عند الأوروبيين .

قلت ذلك جلالاته فقال : الله سبحانه وتعالى لم يخص الأوروبيين بكل فضيلة . عندنا نحن العرب بعض الفضائل . وانت ايها العزيز النقيب اعلم بذلك . ليس كل ما يجي من أوروبا خالياً من القش او من الشره والشين . قد يحبل الأوروبيون اشياء نعلها ونعلها بها . خذ الطب مثلاً . قد شاعرت ايها العزيز اعظم الاطباء فلم يشفوك من الآلام العصبية . وعسى ان يشفيك الله بواسطة طبيبنا ، فتقول لهم اذ ذاك : جاءني الشفاء من جوار مسكة من الله . ثم قال : وقد يكون في ما تشكر منه بعض الوهم ايها العزيز . اقول : بعض الوهم ، والوهم يسطو على الناس كما يسطو على الحيوان . اذكر لك مثلاً في الابل . من النوق ، المزاج فيهن او املة عصبية ، من لا يرضعن ولداً منهن فيجمل العرب الولد الذي لا ترضعه امه الى ناقة اخرى . وهذه لا ترضعه لانه ليس بولدها . فيجتال الاعرابي على الناقة ، يسقط عليها الوهم . اقول : يسقط عليها الوهم . وكيف ذلك ؟ انه يضع في حياها خرقه مطوية او شيئاً آخر يسونه الدُرْجة ثم يشد على عينيها عصاة وعلى انفها اخرى ويدرك الناقة كذلك اياماً ، فيأخذها غم كغم الخاض . ثم يحل الرباط عنها ويخرج الدُرْجة ويلطخ بها ولد غيرها فتظن انه ولدها فترضعه .

وكان ينتقل جلالاته من موضوع الى آخر وفي كل منها المستغرب من اللذة والبسيط المفيد من الحكم والأمثال . وهي تتعلق ببلاد وشعب يعرفها كما يعرف الكتاب الكريم .

— ما حرمنا الله كل فضيلة ايها النقيب ولا حرمنا كل ثمرة من خيراته . قد اترك لك بواد غير ذي زرع . هذا صحيح . ولكن الحجاز ، على فقره ، يفاخر سائر الاقطار العربية بشيئين ، بعسله ورمازه . عندما جساء الحديوي عباس حاجاً اكل من عسلنا وكان يقول بعد الشهادتين : واشهد ان لا عمل

في العالم مثل عمل الحجاز ، أما الرمان ، وهو ينجي من وادي إله قرب الطائف ، فيصير كبيراً كالجلب (البطيخ) وهو كبير الحبة خال من البذر ، أكبر والذما في الدنيا . أرسلنا مرة صندوقاً منه إلى السلطان عبد الحميد فقال : هذا أجل رمان جاء من أجل بقعة في أرض الله . وهو يلقى بالهدية . كذلك ينادي بائع الرمان : من وادي إله ، للهدية . نعم أيها العزيز في عملنا ورمانا برهان أن الله سبحانه وتعالى لا ينسانا نحن العرب ، عرب الحجاز . وكيف يناسم وفي جده مظهر من مظاهر الورع والتقوى ما شاهدت مثله في غير مكان . هو نادٍ قليل الأعضاء ، ولكنهم كلهم حكماء ، صغير الحلقة ولكنهم حلقة نور صفي ليس فيه خيط واحد من الظلام . هو نادٍ فريد في بابه لا رئيس له ولا بيت ولا قانون ، يجتمع أعضاؤه كل يوم عند الغروب على كتيب رمل قرب البحر خارج البلد ، فيصاؤون المغرب أولاً ، ثم يبادرون إلى الكرة من حديد فيتمنون ويتبارون في رميها ، ثم يجلسون في حلقة على الرمل ويتحدثون في الأدب والشعر والتاريخ .

إنه يدعى نادي الصلاة ، ولكنه في غايته الثلاث أي رياضة الجسم ، ورياضة العقل ، بعد الرياضة الروحية ، قد جمع بين أطراف الحكمة كلها . لا اظن أن في العالم شرقاً وغرباً نادياً آخر مثله ، ولا اظن أن فريقاً من الناس غير أعضائه ، غربيين كانوا أو شرقيين ، تواصلوا قولاً وفعلًا إلى غايات الحياة الثلاث القصوى ، أي المحافظة بواسطة الرياضة على سلامة الروح ، وسلامة العقل ، وسلامة الجسد معاً .

وما أجملها ساعة نذكر الله فيها ، ثم نذكر نعمائه في الأجسام فنسعى دائماً في حفظها صحيحة سليمة ، ونذكر نعمائه في العقول فلا نهملها في الرياضة والتدبر لتساوي الجسد والروح صحة ونشاطاً .

إن نادي الصلاة في جده هو مقاصد الحياة كلها . ويصح أن ندعوه

نادي الحكمة العملية المثلثة الزوايا فان الحكمة كل الحكمة في المساواة والتوازن بين الروح والعقل والجسد .

اما اعضاء النادي فهم كما قلت من صفوة الناس ، كلهم اتقيا عقلاء حكماء . وقد شرفوني يوم كنت هناك بان ادخلوني في الحلقة المباركة على نقص وخلل في مثلثة الزوايا عندي . ففسد غلبي شيخهم الاكبر في رمي الاكبر ، وغلبي شيخهم الاصغر في المساجلات الادبية والشعرية . اما في الصلاة فكنت اشاركهم ، دون ان اقف في الصف وراء الامام .

ومن هو الشيخ الاكبر الذي يرمي الاكبر كالشاب ومن هو الاصغر ؟ اما اذا ادخلت القارى الى النادي الفريد في قصده ويته فينبغي لي ان اتم العمل فاعرفه الى الاعضاء ، وعددهم هو العدد السري القدسي سبعة فقط .

هذا الحاج زينل علي رضا شيخهم الاكبر يحترمه التجار في الحجاز وفي تباي وتمرفه وتحميه كل الاولاد في جده . ذلك لانه في عيد رمضان يخصهم بقسم مما كسب في الاتجار . فيجلس في ايوان داره والى جنبه اكياس من النقود الفضية ، ربالات وروبيات ، قبوزعها على الفقراء وخصوصاً على الاولاد . يرون امامه صفوفاً في ذلك اليوم وكثيراً ما يمر الولد الواحد ثلاث مرات فيأخذ قسمته ثلاثة اضعاف ، والحاج زينل عالم بذلك ضاحك محبوب .

وهذا اخوه الحاج عبدالله محافظ جده وهو حكم الحلقة الاكبر وصاحب الفكرة في حفظ التوازن بين العقل والروح والجسد وان عدل الحاج عبدالله في الحكم ايجاري النهر والحكمة في اعماله الخيرية واهمها المدرسة العمومية التي انشئت في جده .

وهذا الشيخ محمد نصيف اديب جده الاكبر وامير الكتب فيها . فان عنده مكتبة حافلة بالقديم والحديث من التأليف لا يقيها للمعرض فقط بل ليتفع وينفع بها . يحجي الادباء الى دار الشيخ محمد كأنها دار الكتب العمومية فيهمهم ما يشاؤون منها ويشترى ما يعرضون من مخطوط او مطبوع .

وهو دائرة معارف ناطقة يجيب على السؤالات التي توجه اليه ويهدي الى مصادر الثقة في العلوم الادبية والتاريخية والفقهية.

وهذا الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية واخوه عبد القادر ، وهما من العرب الذين لا ينادون بنعم الدنيا في سبيل التعمير السرمدي المنتظر ، بل يشركون بين الاثنين ، او بالحري يحملون الواحد مقدمة تلاخر فيلبسون الدمقس والاستبرق ويتطيّبون بعد الاكل وقبل النوم ولا يستكثرون الخس الجنيهاً يدفعونها عن زجاجة واحدة من الروائح الطيبة ، ولا الخس الصلوات يصلونها كل يوم

وهذا الشيخ محمد الطويل ، اصغر الاعضاء قداً ، وأتقهم كساءً ، والطفهم مبداً ، واقدروهم في عهد الاموال وتصريفها . اجل ان الشيخ الطويل هو المصرف الهاشمي ، هو خزينة الملك حسين ، هو ناظر الجمارك في القطر الحجازي . وعليه دفع الكبيرة والصغيرة . فاذا شاء جلالة الملك ان ينعم احداً بمئة روية يجيله على الطويل ، واذا شاء شراء باخرة او سرباً من الطيارات فالدفع على الطويل .

ولا نظن ان اخلاقاً اوروبياً يفوق الشيخ محمد في علمي الادارة والاقتصاد . ولا يفوقه يقيناً في الفزاة والاخلاص

وهذا الملا حسين الشيرازي العالم بأسرار الميكانيكيات والتصوف ، يصلح القناديل وآلات الحياطة ويروي من اشعار مولانا جلال الدين الرومي باللغة الفارسية فيشدو ولا شدو اللابل . فيجاوبه الحاج زينل بتلك الالة الفخمة المزينة ، ثم يترجم لي بعربية افضم واشرف .

قال مولانا جلال الدين : اني عود قطع من الشجرة وصنع منه الناي فهو في صوته يحن دائماً الى الغاب .

والي وان كنت ضيفاً سارحاً احس بالي عود قطع من تلك الشجرة المباركة شجرة نادي الصلاة في جده ، وصنع نايّاً صغيراً . والناي يحن دائماً الى الغاب .

الفصل الخامس

قرون السياسة

الضدات والفتنات - البعثة الثورية ونتيجة أعمالها - الفتنة الوطنية - شروبا
الامتياز الذي طامحه النعماني - مدرسة الزراعة - المدرسة العربية - الضغط
على تعاضد جده - قصة الاسطول الانكليزي والاسطول الهاشمي - تعديل الولاد
الحرب خارج الحجاز - « سيدنا لا يذن به » - طروحاتي وحرب القدس -
الشعارات والفتنات - نادي الكاس - حفلة الحجازيين - شيخ الاساقفة وبار
روحه - البند جعل مناس - « الهاشميات » لا تصنع شيئا - ذوق حسن -
بندر الروس - البترول - جده سيدنا - شيخ حزين - « آتاه من آتاهلرون »
- التماسك في المؤتمرات - فيصل شعبنا وصراخه - وزيد وعبدالله -
« ان البشانا بعدوا » .

في كل كبير تجتمع الاضداد . ولكل كبير من العرب قلوبان ،
قبلة الدين وقبلة الدنيا ، فيولي وجهه الاولى مرة او خمس مرات كل يوم ،
ثم يتطلع الى المغرب بقية يومه . يا قبلي ساعة نلبس ، وساعة نأكل ، وساعة
نركب السيارة ، ولكن القبلة الجديدة كثيرة الاسباب : كثرة النفقات ،
فيبقى لنا اذا ان نستعين عليهما اما بالمعاهدات الدولية ، والقرروض المالية ،
واما بالبعثات الفنية والامتيازات . وقد جرب جلالة الملك حسين الطريقتين
ولا يزال يتردد بين معاهدة تقيد وامتياز وطني قد لا يفيد .

منذ خمس سنوات في سنة ١٩١٦ بعث صديقي قسطنطين بني الى سوريا
ليبحث له عن اخصائيين ، مهندسين واعباء . فعاد قسطنطين الى جده ومعه
بعثة كاملة من الفنيين ، ابناء العرب النجباء ، المخلصين للقضية العربية ،
والمخلصين كذلك للذهب الوهاج ، كما اتضح بعدئذ . جاءوا مع القسطنطين
راغبين مسبشرين ، فاقاموا في الحجاز سنة ينتقبون ويبعثون ، ويقتلون .

ولكن أعمالهم لم تسفر عن شيء مفيد . ولا يعلم جلالته اليوم أكثر مما كان يعلمه قبل قدومهم . نعم ، إن في جوار الوجه نطقاً ينبع على الشاطئ . من البحر ، وفي جبال الحجاز نخاساً وطلقاً وحديداً ، وفي مكان حول مكة معدناً من الماس ، وليس في البلاد العربية شركة مالية ذات قوة فنية تستثمر هذه المعادن ، فتخلص جلالته من ظل محالب الشركات الأجنبية .

أما شركة النعماني ، وفيها لا شئ مال وعظم اجنيان ، فلم تحز الحظوة لدى جلالته الملك . وقد يكون رفض الامتياز الذي طلبته منه ، على شروطه الحسنة المتأخرة^(١) لأسباب سياسية تتعلق بالمعاهدة الانكليزية الحجازية التي لا تزال قيد المفاوضات . وقد يكون « شركة المشاريع العامة »^(٢) في جده كلمة نافذة لدى جلالته في تفضيل هذا الامتياز فيما بعد على سواه .

قلت إن أعمال البعثة الفنية لم تسفر عن شيء مفيد . وما الفائدة لمن مدرسة زراعية بمكة وليس في الحجاز ارض توجب الاهتمام بعلم الزراعة . وقد انزلناك بارض غير ذي زرع .

(١) من شروط هذا الامتياز الذي يشل من اجل البحث والتنقيب اراضي الحجاز صكوا ، أن صاحبه يدفع للحكومة الحجازية اربعين في المئة من صافي ارباح عملية الاستثمار تحتفظ الحكومة بحقوق الافضلية في شراء خمسة وعشرين بالمئة من البترول المستخرج بامداد تبنى على اساس سوق لندن بمعدل خمسة مصاريف النقل الى حدود اوربا . وتشكل الشركة بإنشاء خط حديدي بين حده ومكة وخط ثان بين ينبع والملا لحساب الحكومة وذلك عند مباشرة استجار البترول . وتسلم مهندسين المظنين الى الحكومة الهاشمية بكل لوازمها فوسيلان ملكاً للحكومة . ثم تسو في الشركة فية ما تصرف على إنشاء المظنين مع الفائدة القانونية من كليل واردات الاربعين بالمئة الفائدة الى الحكومة . ومتى تم استهلاك ما صرف على إنشاء المظنين ، تعود اليها الاربعون بالمئة كاملة .

(٢) هي نقابة وطنية ترمي الى تحسين اقتصاديات البلاد من كل الوجوه المشروعة ويدخل في برنامجها الذي اجازته الحكومة الهاشمية ان لها حق النظر في الامتيازات فتستثمرها الحكومة قبل ان تعطى امتيازاً لاحدى الشركات .

اما المدرسة الحربية فلا بأس بها لو كان البدو يقولون عليها ، ومعلوم ان اكثر اهل الحجاز من البدو ، وانهم لا يحتاجون الى من يعلمهم القتال وحمل البنادق وقد يستكبرون ذلك . ا.ا اذا كان لا بد من جيش منظم فالحكومة تضطر على ما نظن ان تدفع للبدو ، بدل ان يدفعوا لها ، راتب التعليم . وليس لجلالة الملك من الموارد الآن ما يساعد على القيام بتفقات هذه المدرسة ، التي يرجو منها اعادة الجيش الهاشمي المنظم الى مكانته وقوته قبل وقعة ترابه^(١) وما وقعة ترابه غير نكبة نكبت الحجاز بها ولا يزال متأثراً منها .

فلا عجب اذا كان سيد البلاد يرهق اهله ليعيد اليهم ، بواسطة الجيش النظامي ، غزاً قضى « الاخوان » عليه . ولا غرو انه ينجس التجار بما يستوجه تسليح البدو . فـ اذا ابرأ يستشيط غيظاً ويستسلم الى توعة فيه تركية ا كناية . قد قيل لي انه في ساعات الغضب يخيف هائل وانه اذا استدعى احداً منهم الى مكة ، بريئاً كان او مذنباً ، يكتب الرجل وصيته قبل ان يخرج من بيته .

رسا الاسطول الانكليزي ذات يوم في مياه جده وكان حديث الناس ، فقال احد الطرقات . بل البسطاء ان الاسطول الهاشمي اكبر واعظم منه . ولو لم يسكن كذلك لما جاء الاسطول الانكليزي مسلماً موالياً فوصلت الكلمة الى جلالة الملك ، فطأ الرجل الى مكة ، وأزيل السجن عند وصوله اليها ، فظل فيه اربعة اشهر دون ان يعرف ذنبه ، ودون محاكمة . ثم جي به الى حضرة صاحب الجلالة المنفذ الاكبر ، فقرصت اليد الملكية اذن ذلك المسكين واسمحه اللسان الملكي من الحكمة ما يمينه في المستقبل على حسن الكلام في الحكومة الهاشمية او في اسطولها .

(١) هي وقعة ترابه في البلد التي تدعى بهذا الاسم وقعت في ربيع ١٩١٩ بين عرب نجد « الاخوان » وجيش الامير عبدالله المنظم الذي كان محاصراً المدينة والتي لم ينتج منها غير الامير وبضعة من رجاله . راجع تاريخ نجد الحديث الفصل ٢٧ صفحة ٢١٩

حدثتُ أحد وجهاء جده في ولد له ذكي ورغبت اليه ان يرسله - لا الى اوروبا - بل الى مصر او الى سوريا ليشقى العاوم فيها . فقال : وعنده رغبتى ولكن سيدنا لا يأذن بذلك . وقد تأكدت ان في جده غيره من الناس الذين يرغبون بتعليم اولادهم خارج الحجاز . في - مصر او في بيروت - ولكن سيدنا لا يأذن به

الا هو الشرع ، لنعود الى الشرع والى الكتاب والسنة . وان كل ما يخالف ذلك في حياة المسلم ، قولاً او عملاً ، وكل ما فيه شيء . يطلق في المسلم حرية قد تخرجه عن المشروع والمنقول ، بل كل ما فيه جرثومة علم قد تكون نتيجتها ، ولو بعد جيلين ، حيوان كافر كبير ، فهو من الولايات التي يحاربها المنصرخ الحكيم والحاكم العادل ، البعيد النظر ، اجل ، انه يحاربها قبل ان تظهر الى عالم الوجود .

وجلالة الملك حسين من ملوك العرب الذين يبهيم فوق كل شيء - سعادة المسلمين الدافئة السرمدية . وهذه السعادة التي نص عليها النبي ووصفها الله في كتابه وصفاً جيلاً لا تقوم بالموسيقى ، او بالرقص ، او بشرب الخمر ، او بكسب المال ، او بالتعام في المدارس الاجنبية ،

واذا ما تساهل جلالته في امور لا تمس « السعادة السرمدية » بضر ، كالطيارات مثلاً او الديابات ، التي يعدها الزحف على « الاخوان » او كالة لتصفية الماء ، الذي جعله الله في ارضه المقدسة مالحاً ، او كعمل اصنع التلج ، فهو لا يتساهل قطعاً في ما يبيلل الازهوان ، ويفسد الاخلاق ، ويخرج العرب ولو قيد فتور عن دين هو كثرهم الشين في الدنيا وفي الآخرة .

- لا يازمنا نحن العرب من العلم ، يا ايها النجيب ، غير ما يوافق حالنا وبلادنا ، ويمكننا ضمن حدود الدين ، اقول : ضمن حدود الدين ، من الانتفاع بالكمالات .

ان في جده افاضل من التجار والعلماء ، ساحوا في العالمين ، عالم المادة وعالم الفكر ، وخبروا الزمان ، ولم يفقدوا كثرة الايمان . وهم يرون في التعلم ، حتى في مدارس الاجانب ، غير ما يراه صاحب الجلالة . ولكنهم . . .

اذا قلت الحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي

وفي جده اناس فيهم ما في غيرهم من اصناف الناس من النزوع الى الكيف ، فيطربون لصوت العود ، ويمتهجون بتلك التي تشمخ في الكأس ويمسنون لب الـ « يوكر » ولكنهم ، اذا جاء المعلم ، يتأدبون واذا غاب يلعبون . يكفي ان اقول ان في جده غير نادي الصلاة . فيها نادي الكأس ايضاً ، ولكن اعضاءه الذين لا يتجاوزن العدد المقدس اي سبعة لا يجتمعون الا مثل القروضيين سرّاً . حدثني احدهم وكان الاحوى به ان يستعمل ضمير الجمع الحاضر بدل الغائب ، قال :

— عجب يا استاذ امر الناس في هذا البلد . ولا تستغرب قلبي ان في جده خوفاً يستحوذ عليهم من مجرد ذكر صاحب الجلالة المنقذ الاكبر . فتراهم عندما يشرف البلد كأنهم في ماتم ، وعندما يعود الى مكة يبعيدون . فيخرجون من الصاديق ، الكأس والابريق ، وترى حتى الجليل ، مستقراً في التهليل . هذا الشيخ قاسم يشهد علي ما اقول :

فقال الشيخ قاسم ، وهو البارع الحاذق في افانين الحديث ، فيغير الموضوع دون ان يتنقل منه او ان يسي : عندما كنت في الأستانة كنت اقول لزميلي سليمان البستاني : لا يصلح هذا الكون الا بامرئ ، ان اصير انا بابا ورومه ، وتصير انت شيخ الاسلام .

فقال الضابط : لا يصلحه الا السياف .

فأجابه الشاعر : قد كان السياف بيدكم وما اصلاحتوه .

فقال التاجر : مصيبتنا البدو . البدو مشكل لا يحله الا الله .

فأجابه الحكيم : جهل مسامح يزيله علم منسلح .

— احسنت احسنت . وهذه المدرسة الحربية الهاشمية قد اسست لهذه الغاية .

— اقول لك بحرية ان « الهاشميات » كلها لا تصلح شيئاً . يظل ذوو

حسن^(١) الى آخر الدهر اضعافاً مضاعفة ، وبدو الزويس^(٢) لا يتغيرون ولا

يصالحون . والبقوم^(٣) يتذبذبون وينافقون ولا يدعون الا للقوة وانتم — صل

على النبي .

بيتنا نحن في هذا الحديث جاء الامير زيد يثبتي بان جلالة الوالد قد ادم

لوزارتي . فاردفت الجلسة وبعد دقائق دخل عبد يقول : سيدنا . فضفنا

الى استقباله ووقفنا في الباب ننتظره حتى نزع نعلنا من رجله يليه فوق

حذاءه ودخل فجلس في كورسي الى جنب الديوان الذي خصني به . ثم جاء

الخادم بالقهوة وجاء عبد جلالاته بالفنجان الملوكي الخاص اندي يحمله في بيت

من حريم مزرعكش بالاولو الثمين .

وكان للكتابة يومئذ خيال على جبينه العالي ، بل ظل في وجهه الصافي

الاديم . وكان الحديث في السياسة ، وفي النهضة ، وفي مؤتمر فرساي ، وفي

الانكلاز ، وفي فيصل .

(١) هم اشراف ذوي حسن يقسون بين الليث وجده يقطعون الطرق براً وبحراً

فيطيرون وينهبون ولا تستطیع الحكومة الهاشمية تأديهم .

(٢) بدو الزويس . مثل ذوي حسن الاشراف ، ولكنهم يارسون مهتهم في الشمال

بين يقيم وجده .

(٣) البقوم عشيرة تسكن تربة والحرمه وفيها من الاشراف الذين « دينوا » اي

اعتنقوا المذهب الوهابي . فلذلك حسين يدعي رعايتهم لانهم من بني لؤي ، اشراف

الحجاز ، والسلطان عبد العزيز آل سعود يدعي ذلك لانهم وهابيون . وقد فصل

السيف ، سيف نجد ، يشها في وقعة تربة .

— لا تظنني اشكوريا يا ابن العزيز النجيب اقول : انا ثابتون في خدمة البلاد مهما تشعبت الاسباب وتعددت الصعوبات . ولا نبغي غير عز العرب . والسوريون من صميم العرب . فاذا صعدنا في الكيالات ، وبعدنا عن مفاصد المفسدين ، ودسائس النفعيين ، ولا استني اقرب الناس الي — اقول : اقرب الناس الي . يخونون او يخطئون — فالجواز يتبع سوريا . وانا يا حضرة الفاضل اتبع من تخارون للخدمة وللزعامة . اقول : اتبع من تختارون
وكان الكاتب الاول في الديوان الهاشمي الشيخ احمد السقايف وهو كاتب سر جلالة يحمل حقبة فامر بفتحها ففتحها وقدمها للملك فاخرج منها اوراقاً رسمية ادلمني عليها

— ما جئتك شاكياً يا ابن النجيب العزيز ، ولكنها اليهود ، وحقوق الاب على بنيه . . ان احقر البدو لا يخزن عهداً يعاهد به . ولو اتبعوا نصيحتي ، لو امتثلوا لامري ، لما كان ذاك التساهل والتذبذب في المؤثرات فتحوا لافرنسيس باب سوريا ، وكادت سياستهم تقضي على القضية العربية .
قد علمت بعدئذ من شرح المتن لجلالته ، ان الضمير في « اتبعوا » « وامتثلوا » « وفنحوا » هو عائذ الى من كان يمثله في الشام وفي فرساي وعلى رأسهم الامير فيصل . وعلمت كذلك ان جلالة الملك حينئذ كان يرغب بالقدوم الى سوريا ، وبان يتزل العرب في مؤتمر السلم الاول اذن هو قائم على فيصل . وقد قيل لي انه يوم عاد الاير آخر مرة من اوربا الى الحجاز لم يتزل جلالة الوالد ليلاقيه في جده كما كان يفعل سابقاً .

انها لمن المحزنات . اما الحقيقة في القضية ، الحقيقة كلها : فهي مقسمة لا تجتمع لواحد من آل هذا البيت الشريف . فلو مثل الملك حسين العرب في باريس ولندن ايام المؤثرات لكن الامر ولا ريب انبت في يسدبه ، ولكانت النتيجة احسن للعرب . ولكن وجود الملك حسين في الشام ، في

سوريا ، يضع ما قد يكون كسبه في مقايضة الاخلاق بباريس ذلك لان السوريين كانوا اميل الى فيصل منهم الى والده لعلمهم انه عصري ، رجب الصدر ، دمث الاخلاق .

فالصلافة التي تفيد في لندن وباريس لا تفيد في الشام . ومهما قيل في الملك حسين ، ومهما تعددت مناقبه الشريفة ، فهو في صفته الدينية لا يُعزَّر زعيماً كان او مليكاً ، في بلاد تعددت اديانها ، واشتدت من جراء ذلك التمرات والنكبات .

ولكننا اذا ما نظرنا الى القضية من وجهة المثلث الايوبية ترى ، في حقوق تقضي عليها الحوادث ويصير اثرها الزمان ، مأساة بشرية في قلبها شيخ جليل نبيل * وهو مع ذلك ثابت في عزمه ، وفي ديوانه ، وفي جريدته . يهز على اعدائه السيف والبراع ، ولا يسه من الملك اضعاع ، او ما لا يعطى منه ولا يباع فهو ، ما دامت له قوة ، يطالب به على الدوام ، ولا يرضى بغير « ملك العرب » لقباً وان كانت سيادته لا تتجاوز الطائف شرقاً والغنفه جنوباً ، رضي امراء العرب ام لم يرضوا .

ملك «فبون» ، وشيخ في بيته محزون ، لا يشكو الزمان ، واصكن في قلبه من الزمان حجرة حامية . ولا يلام العربان ، وفي صدره من العربان دالة دائمة . ولا يتقدم على ما تقدم في سبيل النهضة من المساعي والذنوب . فهو النهضة اولاً وآخراً ، وهو لا يزال باذن الله قوياً عصياً ، «ها كان من امر « فيصلنا » و « زيدنا » وعزيزنا في شرق الاردن قد قال بأرائك » ان ابننا اعداؤنا » . وما اصدقها كلمة ولاسيا على الاسر الشريفة المالكة .

الفصل السادس

بين الاستانة ومكة

اكبر ملوك العرب واضعهم - ملك الحجاز وملك العرب - فضاه الاكبر
الثورة على الترك - نشر الدعوة في أوروبا - حيرة الملك حسين - اقامته في
الاستانة - رجوعه الى مكة - عون الرفيق - قهر ابنها حوا - في تلك
التاريخ عون - الرجوع الى الاستانة - عضو في مجلس شورى الدولة - امير
مكة - الجلاء في الحجاز مدة امارته - اعلان الثورة - ماضور الاستقلال -
سورة البقرة - العرب غير المسلمين - الدين في النهضة - الاصلاح التركي -
انتصار الترك - عهد الحسين الضعيف - مكة وفروق - السجن واليسفور

ان الملك الحسين اذن لاصحابه ملوك العرب سنأ ، واظهرهم جلالات ،
وارفعهم من الوجهة الدينية مقاماً ، واغضهم في السياسة مسلكاً ، واضعهم
اليوم سلطنة ، واشدهم كرباً وغماً . هو ملك الحجاز في المعاهدات الدولية ،
وملك العرب في الجريدة الرسمية ، والمفتي الاكبر في مسين اولئك الذين لا
يعرفون من البلاد العربية غير الحجاز . وليس من ينكر انه كان متقدماً في
برهة من الزمان لا اظن التاريخ يعيدها ، او الاقدار تسمح بتسديد اسبابها ،
فتمكن الملك حسين من تحقيق امال المنهوسين وآماله الوطنية ، بل احلامه
الهاشمية .

ان فضله الاكبر لغني ثورته على الترك ، وان كانت المصلحة والمساومة
فيها موعبة اكثر من المبادئ التي اعلنت من اجلها . ثم في شره الدعوة
العربية في أوروبا ، وان كان ذلك ضيقاً في سبيل آل البيت الخاص ، ثم في
الشباب المدهش في مطالبته بحقوق العرب وان كانت همومية الى حد الابهام .
ان في النهضة العربية مجد الملك حسين وانجائه البراسل الذين حاربوا في
سبيلها ، وان في الوحدة العربية المفازات التي ضاعت فهلك فيها كل

امالهم . ومن المسؤول في ذلك ؟ ان في سيرة الملك حسين ما يجعل غوامض الموضوع ظاهرة جليلة .

واليكها بالإيجاز . هو حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون^(١) ولد سنة ١٢٧٠ هـ في الاستانة وجاء في السنة الثانية من سنه الى مكة مع والده وجده ، ثم عاد والده الشريف علي الى فؤوق واقام فيها الى ان توفاه الله سنة ١٢٨٧ هـ وكان في خلال تلك المدة عضواً في المجلس الاعلى ثم صار وزيراً وعين عضواً في مجلس شورى الدولة . فزاره ابنه الحسين وكان لا يزال في طور الفتوة ، فنشأ هناك في بيئة تركية عربية .

ثم عاد الى الحجاز بعد وفاة والده فأقام في كنف عمه الشريف عبد الله بضع سنين وتزوج بابنته عبيدة خاتمه^(٢) كان الشريف عبد الله يومئذ امير مكة . وهو مثل اكثر كبار الاشراف ربيب الاستانة التي اكتسبته شيئاً من الكيانية الاسلامية واشياء من السياسة التركية .

وكان للحسين انعام آخرون تولوا الامارة بعد عبد الله ، منهم الحسن الصالح ، الذي قتل في جده ، وعون الرقيق المصلح الذي كان يعمل في عقيدته

(١) في ما تسمى الطبقة الرابعة من تولوا سدانة الكعبة ، التي تبدأ سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠٤ م) وتستمر الى يومنا هذا ، فروع من البيت الهاشمي ليس كل فرع منها رجل كبير نبع في قومه . فالفرع الذي أسسه في مطلع القرن الماضي في زمن ابراهيم باشا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون سلف الشريف حسين هو عضو آل زيد الذي نطق عليه . وهذان الفرعان اللذان كانا يتاذران الامارة وسدانة الكعبة هما من بني حسن الذين نبع فيهم جد الاشراف الاكبر محمد بن ابي نجي . ويتصل نسب ابي نجي بكبير آخر في السلالة الهاشمية هو قتادة ابن ادريس ، وقنادة من ولد موسى الجوني . وموسى هذا هو ابن حفيد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب وابن بنت الرسول

(٢) هي ام الاميرين علي وعبد الله والملك فيصل . وبعد وفاتها تزوج الملك حسين بتركية من امر الاتراك الكبرى هي ام الامير زيد .

الى الوهابية . فحمل حملته المشهورة على الاولياء ، فأمر بهدم القبور والمقامات ، وكان جهاده يذهب حتى بقبر «امنا» حواء . لولا تدخل القناصل وقولهم للشريف عون : لك ما تشاء في الاولياء ، ولكن حواء ام الناس اجمعين ، ونحن نحتاج على عدم مقامها . فاقنع الشريف بما قالوا وعفا عن ذلك المقام الاكبر^(١) وفي ايام الشريف عون ظهرت مواهب ابن اخيه الحسين ثلاثاً ذكاه واشتد غزوه وكان في شعوره ومساخيه عربياً كريماً ، غيوراً على قومه وبلاده ، طروباً متهمساً ، ولا غرو وعمه الشريف عون كان يومئذ مثاله الاعلى . فرأب الاستانة امره ، فاستدعي البها سنة ١٣٠٩ هـ ليكون ضيف الباشا واسيدته مثل من تقدمه من الاشراف ، فأثرب هناك روح السيادة العالية ومباذيه السياسة التي اشتهر بها الماين .

صعد الشريف حسين في الدواوين الى مقام المقربين من السلطان واسندت اليه رتبة الوزارة مثل ابيه ، وعين مثله عضواً في مجلس شورى الدولة ، فاستمر في وظيفته الى سنة ١٣٢٦ هـ اي اول سنة الدستور العثماني وكانت مدة اقامته هذه المرة في الاستانة سبع عشرة سنة . ثم عاد الى ام القوي ايماً عليها ،

(١) هذا المقام او القبر هو في جذه ، طوله نخة وسبعون قدماً ، وامنا حواء مدفونة فيه . وقد شاعرت في البلاد العربية القبور الاخرى للعائلة الاولى البشرية وكل واحد منها بهد مئات الاميال من الاخر . قد يكون قايين فر هارباً بعد ان قتل هابيل فجاء البلاد التي تسمر اليوم عدن ، ومات ودفن هناك . فان الصيادين بدؤوا على كهف عال في الجبل الى البسين وانت سائر من التواهي الى عدن القديمة . هذا قبر قايين ! اما قبر ابيه آدم فقد سمعت به في النجف بل هو هناك وقل من يعرف ذلك من غير اهل الشيعة الذين يزودون الشهيد اي مقام الامام علي . فهم اي الزوار ، عندما يقفون تحت القبة المباركة امام ضريح الامام ، يسلمون قائليين : السلام عليك يا علي وعلى صحبيك آدم ونوح . ابونا آدم مدفون اذن مع علي في النجف ، وبين النجف وجده حيث قبر امنا حواء ما يزيد على السبعين ميلاً . لا بأس بالاساطير اذا كانت تثير . اللهم لا تفتت هذه الامة العربية وان كثرت ذنوبها كما شنت العاصفة البشرية الاولى .

وخل خلاص الدولة او متظاهراً بالاخلاص حتى السنة الثانية من الحرب العظمى
عندما اعلن الثورة وشهر الحرب على الاتراك .

ان ما يستغرب من امره في مدة امارته هو ان الحجاز في تلك الايام ايام
راتب باشا السودان ، كان نهياً للناهبين ، ومحط رجال السفهاء . من الاتحاديين ،
تعددت من فوضى الاحكام المظالم ، وغدا العدل شريداً ، والامن طريقاً ،
فكان الحجاج والمطوفون يسلبون حتى في ظل البيت الحرام في راحة النهار .
ومع ذلك فلم يفضب الشريف حسين اثم من اآثم ذلك يومئذ اكثر من
خروجهم ، وهو في نظره الاثم الاكبر ، على التقايد الاسلامية البالية . انها
لعنري فضيلة فيهم يستحقون من اجلها احترام الامم المتقدمة .

اما الملك حسين فسجلها عليهم في رأس المفاسد والآثام . وقد عدد منها
في منشور الاستقلال الذي اصدره في ٢٧ حزيران سنة ١٩١٦ و ٥ رمضان
سنة ١٣٣٤ فجاءت قسمين ، قسماً نشأ مع الدستور وكان ملازماً له فصر
جلالته قاضي سنوات دون ان يحرك ساكناً عليه ، وقسماً نجم عن الحرب العظمى
والسياسة التركية الجديدة . وقد ذكر من الذنوب الاخيرة في منشور
الاستقلال « مخالفة نصوص الشرائع الاسلامية » و « اهانة النبي » و « التبديل
في شريعة الوراثة الشريفة » و « المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل » و « اعفاء
الجنود الموجودين في دمشق والمدينة ومكة من المحافظة على الصوم » و « اصدار
الاحكام التي فيها مخالفة صريحة لنصوص سورة البقرة » وبعد ذلك احتج
على اعدام الاحرار في سوريا .

ومنشور استقلال العرب هو اساس الوحدة العربية ! انما حان لنا ، أولاً
يحق لنا ، ان نقسمال نحن العرب غير المسلمين : ماذا يهتنا من نهضة اساسها
سورة البقرة ؟ واي دخل لنا في ثورة اعطنت في ذاك السبيل ولتيك الاسباب
الدينية ؟

على انه اذا اتبعنا النظر في سيرة الملك حسين وفي ما له من الذكاء
وغريب الساليب السياسية نتأكد انه اتخذ الدين او العاطفة الدينية في العرب
سبيلاً الى تحقيق مقاصده .

لست السكر اخلاصه في احتجابه على ما يعتقد بدعة في سلوك الانحاديين .
الا ان الحكمة في سياسته قصرت دون المراد . قال : النهضة العربية
عززوها ، وهو عالم بان احذر كنيها مسيحيو سوريا الذين لا يستحسنون
الصبغة الدينية فيها ، والركن الثاني مسلمو سوريا ، واكثرهم يعطفون على
الأتراك ويستحسنون الاصلاحات الدينية التي يسعى الحزب الرأقي منهم الى
ادخالها في الاسلام . ليس في ما يجلو الخفايا مثل الايام ، ولا في ما يظهر
كامن الشعور مثل الحوادث . ولعمري ان ملوك العرب لا يفطنون ، لا يفوزون
فوزاً تحسن نتائجهم وتقدم ، ما زالوا يتخذون الدين وسيلة لتأييد سيادتهم ،
وتحقيق مقاصدهم ، وتعزيز العصبية فيهم . والملك حسين ، في فوزه وفي خيبته ،
برهان شريف على ما اقول .

انه ليصعب على من نشأ بين الأتراك ، وتشرب روحهم ، ومارس
سياستهم عشرين سنة وثيقاً ، ان يتجرد قسام التجرد من آفاتهم ، او ان
يحاربهم بسلاح هم اعلم به منه واقدر على استعماله . ولا يقرنك ان الأتراك
حاولوا مراراً ان يعلنوا على اوردها الحياذ ولم يقلعوا . فهل يفلح جهاد فريق
من المسلمين على اخوانهم في الدين وفي هذه الايام ؟ انها لمن الخزانات . ومها
كان من انتصار العرب على الأتراك في الحجاز وفي سوريا باسم الدين او لا فان
انتصار الروح التركية على زعيم النهضة وكبيرها انما هو رأس الحية والفشل
في سياسته كلها .

يدعونه عبد الحميد الصغير . ولعمري اذا صح التشبيه فالتصغير لا يجوز ،
لان الامور تقاس ببيئاتها والاشياء كلها نسبية بما فيها من خير او شر . ان

مكة في نظر المسلمين لاعظم من فروع ، وقد قيل لي ان سجنها اظلم من
اعماق البسفور . فما قول اهل جده وقد شاهدت بعيني ولمست بيدي ذلك
الحرف المستولي عليهم ؟ الحرف من رجل مكة الظالم ، ومن سجن مكة
الظالم ، ومن وحشة مكة عند المغضوب عليهم هي وحشة لا يتخللها
بصيص من الرحمة او المعروف

الفصل السابع

بين مكة ودون الشقيقة

رسول اللورد كاتشر - التجنيد في الحجاز - الشريف يعزّل المباحة -
الظلام في سوريا - احتجاب الشريف وجواب جمال باشا - فيصل في الشام
- حيلة الشريف في التآفة - رجوع فيصل الى المدينة - رسل الانكاف
والناويزات - الشروط الحقة - التأهب للثوب - خطاب من السير ارور
مكماهون - الشريف يطلق يدقته - اعلان الثورة - تسليم العاهيات في
مكة وجده والثالث - الشريف حسين ملك الحجاز - اعتراف الاحلاف به -
هيئة الاميرال الافرنسي - كتاب من مندوب بريطانيا العظمى في مصر - السير
رغبيشك يفتك .

بينما كان جلالة الملك ومجلاؤه الاميران عبدالله وزيد جالسين ظهر يوم من
الايام الى المائدة في الطائف دخل الحاجب يقول : غريب في الباب يبقي
سيدنا . وكان الرجل رسولا خفيا جاء الحجاز متذرعاً بالحق وهو يحمل الى
الشريف حسين من مندوب بريطانيا العظمى في مصر اللورد كاتشر دعوة
للانضمام الى مصاف الاحلاف . فالى يومئذ الشريف . ثم كتب اليه خالف
اللورد كاتشر السير آرثور مكماهون في الموضوع نفسه وتردد وتودد .

وكان لا يزال محافظاً على ولائه للعرش العثماني مع انه لم يحضر الى
المدينة ليسلم على انور وجمال عندما زارها في طلائع سنة ١٩١٦ . وقد كان
نصح الاتراك ان لا يدخلوا في الحرب العظمى ، ولكنه بعد دخولهم عرض
عليهم المساعدة بشروط منها العفو عن المسجونين السياسيين في سوريا والعراق ،
واعطاء البلد نوعاً من الاستقلال اي انشاء حكم لامركزي فيها .
وعندما رفض الترك طلبه والحو عليه - رغم ذلك - بالتجنيد في الحجاز
راح الى قرية خارج مكة يعزّل السياسة الى حين .

ثم حدثت الفظائع في سوريا ، ورأسها شتى أحوار العرب ، فأنارت غضب الشريف فكتب الى جمال باشا يحث على اعماله القاسية ، فأجابته جمال ان يتقي نفسه بدل ان يدافع عن سواه . وكان الامير فيصل في الشام يومئذ فضاف الملك عليه واحجم عما كان يديره من امر الثورة الى ان يخص ابنه من الخطر هناك . فكتب الى جمال باشا يقول انه هم بالتجنيد وسيشارك العرب مع عساكر الدولة وحليفاتها المانيا في الزحف على ترعة السويس اللهم اذا اسرع فأرسل الامير فيصلاً الى الحجاز لهذه الغاية . فجازت الحيلة على جمال باشا وجاء الامير فيصل الى المدينة ومعه عشرة آلاف ايرة وأربعة آلاف بندقية .

وكان الاتكليز في اثناء ذلك يواصلون مفاوضاتهم السياسية مع الشريف المستردد المتوحد ، فارساوا اليه المستقر ستورس الذي صار بعدئذ حاكماً على القدس والكورنل هوغارث ثم الكورنل لورنس فأسفرت المفاوضات كلها عن الشروط الخمسة التي تم الاتفاق عليها في الشهر الاول من ١٩١٦ وهذه هي :

اولاً : تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بشكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، حدودها شرقاً خليج فارس ، وغرباً ببحر القازم والحدود المصرية والبحر الابيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات وبحضمة مع الدجلة الى مصبها في خليج فارس ، ما عدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي اجرتها بريطانيا العظمى مع اي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بانها تحمل ثقلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع اربابها امراء كانوا او من الافراد .

ثانياً : تتعهد بريطانيا العظمى بالحفاضة على هذه الحكومة وصيانتها من اي تدخل سكان باي صورة كانت في داخلتها ، وبسلامة حدودها ايرة

والبحرية من كل تعدد ، اياً كان الشكل ، حتى لو وقع قلعة داخلية من
وسائل الاعداء ، او من حصد بعض الامراء تساعد الحكومة المذكورة مادة
ومعنى على دفع تلك الفتنة . وهذه المساعدة في الفتن والثورات الداخلية
تكون مدتها محدودة اي الى حين تم للحكومة العربية تنظياتها المادية .

ثالثاً : تكون ولاية البصرة تحت مشاركة بريطانيا العظمى الى ان تتم
للحكومة الجديدة المذكورة تنظياتها المادية . وبين من جانب بريطانيا
العظمى في مقابلة تلك المشاركة مبلغ من المال يراعي فيه حالة الحكومة
العربية .

رابعاً : تتمهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما يحتاج اليه وبيوتها
الحكومة العربية من الاسلحة والذخائر والمال مدة الحرب .

خامساً : تتمهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين او من نقطة
مناسبة في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها .

وظل الشريف حتى بعد هذا الاتفاق الذي تم في كانون الثاني من سنة
١٩١٦ يعمد ويسوف الانكليز وبعد العدة سرّاً لاعمال الخطير ، يتأهب
للوثوب . وكان قد صوّب الى المندوب السامي في مصر كتاباً يعلمه بذلك
فاجابه المر آرثور مكماهون في كتاب مؤرخ في ١٠ اذار سنة ١٩١٦ (٦)
جمادي الاول ١٣٣٤ هـ) يقول :

« قد تلقينا رقيبكم المؤرخ في ١٤ ربيع الاخر ١٣٣٤ عن يد
رسولكم الامين . وسررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوون اتخاذها
وترونها موافقة للاحوال الحاضرة . ان حكومة جلالة ملك بريطانيا
العظمى تفيدها ويسرني ان اخبركم بان حكومة جلالة الملك وافقت
على جميع مطالبكم وان كل شيء رغبتم بالامراع فيه وفي ارساله هو
مرسل مع رسولكم حامل هذا . وستحضر الاشياء الباقية بكل

سرية ممكنة . فبقى في بورت سودان تحت امركم الى حسين ابتداء
الحركة واعلامنا رسمياً بها . وقد انتهت الينا اشاعات مؤداها ان اعداءنا
بأذن الجهد في اعمال السفن ليبتوا بواسطتها الاغنام في البحر الاحمر ،
ولإخلاق الضرر بمصالحنا هناك . فترجوا ان تسرعوا باخبارنا اذا تحقق
ذلك لديكم » .

مرت اربعة اشهر على الاتفاق الانكليزي العربي قبل ان يطلق الشريف
حسين بندقيته من قصر الامارة بمكة . وكان الحجاز يعاني من شدة الحرب
واغواها اكثر من سواه من الاقطار العربية . فسدت ابواب البحر ، وانقطع
الحجاج عن الحج ، ونفذ القليل مما كان في البلاد من زاد ، فضجت الناس
وهلك مئات من الجوع . وقد قال جلالة الملك انه ظل واهل منزله سنتين
بأكلون الدخن .

مرت الاربعة اشهر وكان قد اصبح الامير فيصل في مأمن من الأعداء ،
ولديه فوق ذلك من الملمح وسلاحهم ما لا يستهان به . وكانت الذخائر
والسلاح والمال بدأت ترد عن طريق بورت سودان من المصدر الذي لا تنفذ
عداته وقواته .

فتوكل الشريف على الله . ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة
١٣٣٤ هـ (٢ حزيران ١٩١٦ م) قبل الفجر وببذنه بندقيته أطلقها طلقة
واحدة كان لديها حدى في جده والطائف والمدينة . أعلنت الثورة في مكة
وجده في اليوم الاول ، وفي الطائف والمدينة في اليوم الثاني . وكان ما لديه
من القوات العسكرية موزعة متأهبة كلها ، فحاصر الامير زيد مجمره قلعة
« احياد » بمكة ، وعيجه الامير عبدالله على الطائف ، وكان الشريف محسن
قائداً في جده ، والاميران علي و فيصل ، وقد خرجا من المدينة ، يجتمعان
العربان ليحاصروا الترك فيها .

وقد برهن ابتداء الشريف خصوصاً صغيرهم الأمير زيد على بسالة فيهم
أظهرها القتال، وعززها الجدل في النضال ولم يمر شهر على حصار قلعة «أجياد»
التي كانت نصب نارها على مكة، وخصوصاً على قصر الإمارة فيها، والشريف
في غرفته الخاصة في ذلك القصر يدير الحركة ولا يبالي بشظايا القنابل التي
كانت تحترق السقوف والجدران، فلم يمر شهر حتى كمل الحصار بالنصر .
سلمت «أجياد» في ٤ رمضان . ثم استولى الأمير عبدالله على الطائف
في ٢٦ ذي الحجة من تلك السنة .

وفي ٢ محرم ١٣٣٥ هـ (٣١ تشرين الأول ١٩١٦ م) يوسع الشريف
حسين بالملك، وفي الشهر التالي اعترفت به دول الأحلاف الكبرى، أي
انكلترا وفرنسا وإيطاليا، ملكاً على الحجاز، وجاء الأسطولان الانكليزي
والافرنسي الى جدة يحملان الى جلالة الملك تهنئته تلك الدول احلافه،
فخطب في حضرته اميرال الأسطول الافرنسي ودعاه باعظم امراء العرب .
قد ينسى الملك حسين تلك الخطبة وذلك الاطراء من الاميرال الافرنسي
ولكنه لا ينسى ما أُخط على الورق وما لديه من الرسائل التي كان يحملها
كاتب سره في تلك الحقيبة الصغيرة يوم شرفني بزيارته في دار الضيافة . هوذا
كتاب من خليف السر آرثور مكماهون في مصر المندوب السامي السر
رد جينلد ونجت، مؤرخ في ١٩ نيسان سنة ١٩١٧ م و ٢٧ جمادي الثانية
١٣٣٥ هـ وفيه ما يلي :

فاؤمل ان لا يبرح من بال جلالتهكم ان الحكومة البريطانية هي
التي تحترم المعاهدات وهي حامية دمار الحق والعدل، والحليفة الوفية
التي لا تخون العهد .

الفصل الثامن

الوحدة العربية^(١)

رأس البلية فيوا - معاهدة سيكس بيكو - كتاب الدر ادوارد غراي الى ستور
فرنسا في لندن - بشرط ان تكون المدن الاربعة جميع وحياء والشام وحلب للعرب
- تنازل الملك عن جزء من سوريا - وماذا في شبه الجزيرة - قبلة العرب القاتحين
- الاعتناء باستيف البعث قبل الانجاب - فضل الحسين قبل ان صار ملكا - ملوكة -
- عدوانه لامراء العرب - الخطل في سياسته وثباته فيهما - امانيه واماني ملوك
العرب - الشرط الثاني من الشروط الخمسة - حقا، واثباتها العظمى - خيلاء
وكلائها او جهاهم - سذاجة العرب - دولة سوريا حاشمية - تنازل الملك والسخاية
- لا يبقيا » .

انه يصعب على من انعم النظر و كان منصفاً ان يقول من هو رأس
البلية في القضية العربية ، واذا ما بعينا الحقيقة كل الحقيقة في الموضوع ، اي
موضوع القتل ، يبدو امامنا في اربعة اجزاء تجسدت في انكلترا وفرنسا ،
ومن ثولى الزعامة من العرب ، ثم العرب انفسهم . رأس البلية اذن اثنين ذو
اربعة رؤوس .

والكن هناك عاملاً واحداً يعد من اسباب الخيبة والفشل يشترك معه
عامل اخر ، ألا هو السياسة الدولية السرية . لنجنب التعميم ، ان المعاهدة
السرية - التي كانت سرية - بين فرنسا وانكلترا ، اي معاهدة سيكس
بيكو ، هي من اعلم اسباب القتل في تحقيق الوحدة العربية .

وقد تم عقد هذه المعاهدة في ١٥ ايار سنة ١٩١٦ اي قبل ان اعلن
الشريف حسين الثورة على الترك بسبعة عشر يوماً . فيينا كان الدر ارثور
مكهاون يفاوض مكة ويقطع للعرب العمود كان المسيو بيكو والكروئل

(١) لهذا البحث لاحق في خاتمة الكتاب في اخر الجزء الثاني

سيكس قد اتقا عملها المشؤوم فقسما البلاد السورية الى مناطق سياسية اقتصادية ، زرقاء وحمراء وسحراء ، وهي كلها اليوم اذا اعتبرت مصلحة البلاد مناطق سوداء .

على ان الحكومة الانكليزية لم توافق على تلك المعاهدة دون تردد او دون شرط وقيد . فقد كتب السير ادوارد غراي ناظر الخارجية يومئذ الى سفير فرنسا في لندن المسيو كليون كتاباً مؤرخاً في ١٥ ايار سنة ١٩١٦ يقول فيه ان حكومة جلالة الملك توافق على المشروع (مشروع التقسيم) اكراماً لمصالح الاحلاف العامة بشرط ان يشترك العرب بالحرب ويكون لهم المصالح السورية الاربع اي حمص وحماه وحلب ودمشق .

وكان جلالة الملك حين قد طلب من الانكليز البلاد السورية كلها ، ثم تنازل عن مرسين واسكندرونه ، واستمر يطالب بالمدن الاربع والسواحل ايضاً . ثم اعترف للانكليز كما يظهر من الشرط الثالث في الشروط الخمسة بالمشاركة - وقد ترجمها ترجمان انديوان الهاشمي بالاشغال - على ولاية الموصل . نعم ان الشرط ينص حرفياً على الاستيلاء مشاركة كان ام لشغلاً والاستيلاء يبدأ غالباً بالشروط وينتهي بالاطلاق

ايحوز ان نقول اذن انه لولا المعاهدة السرية بين فرنسا وانكلترا التي تقدمت المعاهدة بين انكلترا والشريف ، لكانت تحققت اليوم الوحدة العربية ؟ ليس من ينكر ان تلك المعاهدة قضت على القضية في الشمال ، في سوريا وفلسطين ، وانكلتها لم تصل بكل اسبابها المدمرة الى شبه الجزيرة . والي في هذا القول لا انطق بتعب نصف الحقيقة .

اما نصفها الآخر فهو ان الشريف لم يكن ليهتم بشبه الجزيرة يومئذ اهتمامه بسوريا وفلسطين ، ولا جزءاً من ذا الاهتمام . وماذا في شبه الجزيرة ، اذا مال بوجهه اليها ، غير الامراء الاعداء ، والقبائل المتسردة ، والصغار

والقفار ؟ اما سوريا وفلسطين ، قبله العرب الفاتحين ، فينبغي ان تكونا جزءا من الحجاز او يكون الحجاز جزءا منها . لا فرق عند الشريف . وفي ذلك الانضمام تتحقق الوحدة العربية .

افلا ترى في هذه الخطة ان صاحبها يتم بسقف البيت قبل اهتمامه بالاساس ؟ وليس الاساس ايها العربي الفيور في سوريا وفلسطين ، بل هو في نجد واليمن وسدير ، في الامراء الاعداء والقبائل المتسرعة . فلو تمكن الملك حسين من ضم كلتهم الى كاسته ، وجمع شتاتهم تحت رايته ، لكانت له سيادة تذل عندها عقبات الشمال ، وتروى الوان المناطق السياسية كلها . ولكنه ، وقد فشل في سوريا وفلسطين ، امسى ولا نفوذ له يذكر في شبه الجزيرة .

اقول هذا وانا عالم بالجلالته من الفضل في سبيل القضية قبل ان صار ملك الحجاز . وانه في ثباته ومضائه ، وفي دهائه وابائه ، عندما كان يهد السبيل الى العمل الحظوي ، ذاك العمل الذي لم يقدم عليه الا بعد ان نال من دول الاحلاف مطالبه المادية كافة ، من سلاح وذخيرة ومؤنة ومال ، واخذ منهم الوعود بتحقيق مطالبه السياسية كلها ، انه ، وان كان مبدؤه المساومة ، جدير بالاعجاب والاحلال . ولكنه بعد ان صار ملك طمع بان يكون ملك العرب . ولم يكن في اساس عمله ما يجيز مثل ذا الطمع . فهو فوق احتقاره امراء العرب الحاكين اضر لهم العداء كما يظهر من الشرط الثاني في الشروط الخمسة . ومهما كان من عزمه وثباته في الدفاع عما يعتقد حقا ، فان الخطل في سياسته العربية تقدم السداد في ثورته الحجازية .

وما الفائدة اليوم من ضجة تملأ الدوائر السياسية احتجاجا ، وقد انكشف الستار ولم يعد في القضية سر يستثمره الدهاء ؟ انه لوهم قديم طلي بذهب حلم جديد ولكن الملك حسينا اصل ساسة الارض اليوم رأيا وابيهم عودا . فهو وان شابت الاوهام ، وهرمت الاحلام ، لا يطوي

العلم ولا يكسر الحسام . وقد يوت شاهراً سيف السياسة والدها . على
اعدائه الحقيقيين والوهيين في سبيل المجد الهاشمي ، والوحدة العربية . ما
اعظمها وما اجملها ثقة ، تلك الثقة بالنفس .

اجل ، ومن يطلب ما طلبه الملك حسين من دولة بريطانيا العظمى غير
رجل طامح ثقته بنفسه اعظم من ثقة الانكليز بانفسهم ؟ ومن من امراء
العرب الذي يعرف بعض الشيء . عن زملائه واخوانه في الجزيرة يعطل النفس
بتحقيق تلك الاماني ، اماني الشريف ، واماني الملك ، واماني المنقذ الاكبر ؟
وهي كلها واحدة لا تتغير .

ولكنها لا تتفق مع اماني الآخرين . قلت انه اخبر لهم العدا . في
الشرط الثاني من شروطه الخمسة . فقد جاء فيه ان « لو وقعت فتنة داخلية
من دسائس الاعداء او من حسد بعض الامراء » تتمهد بريطانيا العظمى ان
تساعده « بمادة ومعنى » عليهم . ولا ريب ان ابن سعود والادريسي كانوا في
ذهن الملك عندما امر وزيره ان يكتب هذا الشرط . ولا ريب ان معتد
بريطانيا العظمى كان يدرك ذلك لما بين الملك وابن سعود والادريسي من
العداء القديم . ولكن سلطان نجد وسيد عسير من اصدقاء بريطانيا العظمى
واحلافها ، فكيف يمكنها ان توافق على شرط قد يوجب عليها محاربتها من
اجل الملك حسين ؟

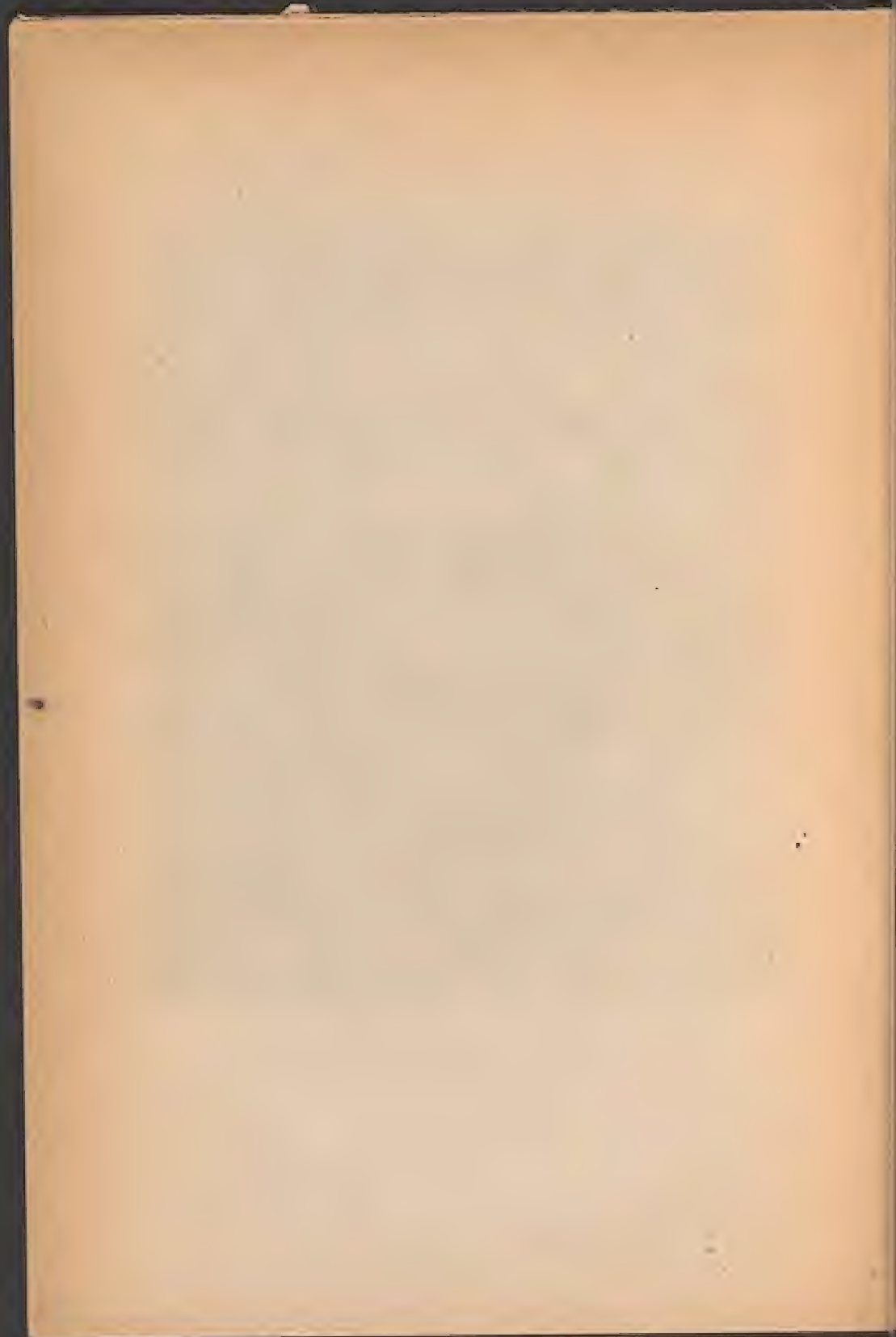
وكيف يستطيع الانكليز ان يقوموا اليوم بشروط اتفاق فسخته معاهدة
سيكس بيكو ؟ ان تلك الصفقة اصفقة يائس مستهتر . وان في تلك الشروط
دليلاً على سذاجة في المنقذ الاكبر مهما كان دهاؤه السياسي . وان في قبول
بريطانيا العظمى بها دليلاً على جهل في معتدتها ، او حماقة في رُسلها ، او
خدمة في حكومتها مهما كان من قول رجالها في برتها بالوعود ومحافظتها على
العهود .

قد أدرك جلالة الملك حسين حتى قبل انتهاء الحرب وعورة المسلك الذي سلكه في تأسيس دولة عربية ، يريدنا أو لا سورية ، وقد لا يريدنا إلا هاشمية . فكتب قبل انتهاء الحرب بثلاثة أشهر الى فخامة نائب الملك في مصر كتاباً يقول فيه : « فتي أضفنا عليه تظاهر عجزى بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم علي الانسحاب من الأمر والنازل عنه » . . . ثم قال وهو لا يزال يصر على الشروط الخمسة : « فإذا كان لا بد من التعديل فما لي سوى الاعتزال والانسحاب . . . ولها (اي بريطانيا العظمى) لا ترتأ في الي واولادي اصدقاؤها الذين لا يتغير ولا زعم واخلاصهم . . . ثم تمينون البلاد التي يستحسن اقامتنا فيها للسفر اليها في اول فرصة . »

ولا تزال هذه لهجة الملك ولا يزال هذا قصده منذ ذاك الحين الى يوم كسرت بقابلته في جده ، وقد قال لي يوم ودعته . وهو يقبض على حليته : « اني لا ابغها (اي الزعامة) لا ابغها . ليتفق امراء العرب عليها وانا اعزل . ليتفقوا على تأييد الوحدة العربية فأنسحب اذا شأوا واساركم بما يتفقون عليه تباعاً كنت او متبوعاً . اقول يا حضرة النقيب ، تباعاً كنت او متبوعاً . » وهذا ما وطد في يومئذ احد المقاصد من رساتي ، فشجعتني في رساتي الوطنية العربية ، وجيب الي خدمة جلالته في تهديد السبيل الى التفاهم بينه وبين امراء العرب .^(١)

انتهى القسم الاول

(١) في تاريخ نجد الحديث للدواقي ، صفحات ٢٠٣ - ٢١٦ نسخة تاريخ الملك حسين .





حضرة الامام مجي

تصوير المورلف

الفصل الثاني

الامام يحيى بن حميد الدين

المتوكل على الله

اليمن

حدوده : جنوباً خط يمتد من الحفا على البحر الاحمر الى تنزفاويه فمقطبه .
شمالاً خط يمر في بلاد حولان وبني بشر الى نجران . غرباً البحر
الاحمر من الشيخ سعيد الى ميدي وشرقاً البحر السافي او
الربع الخالي .

الريثة : لواء صنعاء ولواء الحديد ولواء تعز ولواء صنعاء .

عدد سكانه : نحو مليوني نفس ونصف مليون ٢,٥٠٠,٠٠٠

صاحبه : نحو اربعين الف ميل مربع .

اهم قبائله : حاشد وبكيل وحمدان والحوارثة وذو محمد وذو حسين وبني
اسلام وبني مطر والمكاريه .

اهم بلدانه : صنعاء وذمار ويوم واب وتعز وزيد وبيت الفقيه ومناخه .

مذاهبه : الزيدية والاسماعيلية والسنة (شوافع) واليهود .

الفصل الاول

التبليغ في التدويع

« والله نذبحه » - « سفرك الى اليمن مستحيل » - « بوضوئنا الى عدن -
 « بامر من الحاكم » - « الاتصال الاميركي » - وكيل بريطانيا العظمى - العربي وعمر
 الهياكل - الخطر في السفر الى اليمن - « لا يمكننا ان نصيبك » - الاثباتات
 والشبهات - سلطان لمحج يرحب بنا - زيارة بتيوند - الاعتراض على رافيتي
 « العجازي » - الفواشيس - السياسة في القرويه - وحيل الامام يحيى في
 عدن - اللغة العربية في المهجر - سفر يعمل سيفاً وحذراً - المشيدون -
 حياض المكنة - وميض الامل - حجاب من دار الاعتقاد - حجاب من وعيل
 الامام - الجاسوس الثاني .

كنت ذات يوم في ادارة احدى الجرائد النيو يوركية حين دخل رجل
 غريب اللهجة لا اللسان يعني كتاباً يعلمه الحديث في اللغة الانكليزية .
 فسألته : من اين انت ؟ فقال : من اليمن . وكنت يومئذ في اهبه السفر
 الى بلاد العرب فاستأنست بالرجل وباللهجته وقلت ، وانا راغب في الاستفادة :
 اجلس وحدني عن بلادكم . فقال علي الفور : بلادنا طيبة الهواء والماء
 ولكن اهلها دائماً في احتراب . فقلت : ومن يجاربون ؟ فاجاب : حاربنا
 الاتراك ، وحاربنا القبائل ، وحاربنا الاذريبي ، ومجارب دائماً بعضنا بعضاً .
 - وهل الامام يحيى حاكم اليمن كله ؟

- لا . هو يحكم جزءاً صغيراً منه . نحن اهل اليمن لا نخضع لاحد
 دائماً . نحب الحرية ونحارب من اجلها . نذبح اقرب الناس الينا لنكون
 مستقلين . نقول للامام : هذا الرجل لا يشتهي (لا نريد) حاكماً ، ونقيم
 منا شيخاً علينا ونقول له : انت حاكمنا انت امامنا .
 قلت : واذا ابي عامل الامام التنازل عن منصبه ؟ فاجاب باللهجة هادئة :
 والله نذبحه .

ثم سأله ما اذا كان من اجانب في اليمن فقال : لا . وانه لا يؤذن لهم لا بالاقامة ولا بالسفر هناك .

- واذا جاءكم الاجنبي .

- والله نذبحه .

- واذا ساح متشكراً .

- اذا عرفناه فوالله نذبحه .

- او ما يؤذن للسوري وهو عربي مثلكم ؟

- اذا كان مسيحياً فهو والفرنجي سواء . عند اهل اليمن . وقد يحببه لسانه او بصرف النظر عنه .

قلت واذا انكشف امره فعرفتموه ؟ فأجاب الرجل دون ان يغير لهجته الناعمة اللطيفة : والله نذبحه . كأنه يقول نضيفه ونكرمهم .

سافرت من نيويورك وفي من قصة « نذبحه » ما يضحك ويزعج معاً . ثم رويت في مصر . قلت في بيت احد الاصدقاء اني مسافر الى اليمن وكان الاديب السوري نعيم شقي^(١) حاضراً فقال على الفور : غير ممكن ، فذكرني رحمه الله بالقصة وهاقت بي اشباح من بلاد « نذبحه » . فقلت : ولماذا ؟ هل من خوف على حياتي ؟ فأجابني ثانية . مستحيل . غير ممكن . ثم صرح بما فيه بعض الاطشنان اذ قال : لا يأذن بذلك اولياء الامر .

- ومن هم اولياء الامر ؟

- الانكليز .

- وهل للانكليز سيادة في اليمن ؟

(١) له تاليف ادوية ونارنجية منها « تاريخ السودان » وكان قبل وفاته يشتغل في تاليف « تاريخ الحج »

— هم في عدن يرصدون الابواب . ما لك واليسن ؟ قد ياذنون بزيارة سلطان طبع وهذا يكفي . في اليسن حرب اليوم ، والاختار كثيرة . . . زد على ذلك . . .

ولم يزد شيئاً جديداً . سهكت فروع ثم قال : مستحيل سفرك الى اليسن مستحيل . ودعائي للامناء في بيته . فقلت : اني اقبل دعوتك بشرط الا تقول ان سفري الى صنعاء مستحيل . فقبل الشرط رحمه الله وما لمنا في تلك الليلة في الحديث حاشية من حواشي اليسن .

جئت الى جدّه واجتمعت فيها بصديقي القديم قسطنطين بني . وخطر لي ان لا بأس بل لا بد في السفر الى جبال اليسن من رفيق فسألت جلاله الملك حين ان ياذن قسطنطين ان يرافقني فاجاب تلطفاً سؤلي . فسافرنا متوكلين على الله ، انا في ثياب افرنجية وعقال احمل جوازاً اميركياً ، وهو في ثوب ملازم في الجيش السجازي يحمل جوازاً سجازياً . وكانت العلائق بسين الانكليز والملك متراخية في ذاك الحين كما اسلفت القول في الفصول الاخيرة من القسم السابق .

وصلنا الى عدن فاستقبلنا على الرصيف ضابط انكليزي وبعد ان اطالع على جوازاتنا احتفظ بها قائلاً : يا امر من الحاكم . فقلت : وهل هو امر عام او انه يختص بنا فقط ؟ فاجاب : هو امر عام يا سيدي . ثم اخذ عنواننا ووعدها بان يعيد الجوازات الينا في ذاك اليوم ولكن ذاك اليوم والايام الثلاثة التالية شهدت على الانكليزي فتيقنا انه لا يبر دائماً بوعده .

وقد كنت احمل كذلك كتاب تعريف من الوزارة الخارجية يواشفتون فقدمته للفصل الاميركي وسأته ان يطلب من الحاكم اعادة جوازي . ثم اعلمته بقصدي فصر مدعوشاً ثم قال : وقد يُقطع رأسك ولا أحد يسأل عنك . . . انصحك لا تسافر — هذا اذا اذن لك . . في البلاد حرب اليوم ، والطرق

غير امينة ، وان لا اقدر ان احبك .

فقلت وكاد ياكني الغيظ : اسمع يا رجل ، قد تنازلت في العاصمة وفي الوزارة الخارجية عن حقوقي كلها . ولا اسألك الآن غير كتاب تكتبه الى الحاكم تعرفني اليه وتقول له اني ابغى مقابلته . فكتب القنصل الكتاب في الحال ولكن الحاكم ابطأ في الجواب كما ابطأ في اعادة الجوازات

جاءني القنصل صباح اليوم الثالث وفيه بعض الاضطراب يقول : لست ادري ما السبب في التأخير ولكني اجتمعت في النادي مساء البارح بالمعاون الاول . تعالى تزوره الآن . فذهبت الى دار الوكالة فاستقبلنا معاون قاتلاً للقنصل : قد كتب اليك الجنرال وعين هذا اليوم للقاء . وتلطف حضرته بان قابلا في قاعة الساعة . دخلنا الى مكتب الجنرال سكوت^(١) وكييل بريتانيا العظمى والحاكم المدني والعسكري في عدن ، فاذا هو كهل طويل القامة طلق الحياء . صافحتنا وامر باجلوس فجلس معنا المايجر ريلي معاونه الاول . وكان القنصل اول المتكلمين . ثم قال الجنرال يخاطبني : قيل لي انك شاعر . فقلت : صادق من اخبرك . فضحك وتبع الموضوع فكان الحديث في شعراء العرب والمعجم . فذكر الجنرال عمر الحيام ، ورجال الجندية يعرفونه ويمجّبون به اكثر من سواهم لانه يشير الحمر والاهو والغناء . ثم قال : اما الشاعر الذي ترجمته الى اللغة الانكليزية . . . فساعدته في لفظ اسم ابي العلاء المعري . وقلت كلمة اجابة طلبه في الفرق بين الشعارين : فلسفة المعري عقلية وفلسفة الحيام محض حسية .

عجبني من الجنرال انه لم يفاجئني ، فيجبني ، كما يفعل موظف اميركي ، في الحديث عما ابغى منه . وكان في ذلك اشبه بموظف شرقي . ولا عجب وهو من رجال حكومة المند خدم بلاده هناك عشرين سنة . تطرقنا من

الشعر الى العقائد الدينية ثم الى السياحة فيجهرت بقصدي فقال : او لا تهلك
الاخطار ؟ فقلت : هي لذة الاسفار . فقال : ولكن في السفر الى اليمن
خطراً اكيداً ، خطراً كبيراً على المسيحيين . ونحن لا نستطيع ان نحملك في
ما تجاوز حدودنا .

فقلت : يا حضرة الجزال ، هذا قصلي وقد غسل يديه مثل بيلاطس
في قديم الزمان . وانا راض بذلك . فاذا كنت لا اطلب الحماية من حكومتي
أبجوز لي ان اطلبها منكم ؟ . . . اني مسافر الى صنعاء يا حضرة الجزال
وايس لي مهمة سياسية . لا علاقة لي باية حكومة من حكومات العالم . الا
اني احب العرب ، وانا اصلاً منهم ، واحب في سياحتي ان اخدمهم ما استطعت .
فاذا تأكدت بعد البحث والملاحظة انهم في حاجة الى مساعدة انكثرت
انصح لهم بالتفاهم واحثهم عليه . واني اجهر امامك وامام قنصل اميركا
بذلك اعلمي اننا كحكومة وكأمة لا يهتنا اليمن ولا مطاعم لنا في البلاد
العربية . فاذا كنت استطيع ان اخدم انكثرتا في ما اعتقده نافعا للعرب
افعل ذلك مسروراً ومجاناً . لا اسألكم مكافأة غير الاذن بالسفر الى
صنعاء . واذا مهدتم لي السفر الى نجد كذلك اكون لكم شاكراً وفي ما
فيه مصلحة العرب خادماً اميناً .

فقال الجزال : لا دخل الحكومة عدن بنجد . اما السفر الى صنعاء فهو
كما قلت محفوف بالاطار وخصوصاً اذا كان المسافرون مسيحيين . فاذا اذا
لكم باجتياز حدودنا لا نكون مسؤولين قطعاً عن حياتكم وسلامتكم
دون تلك الحدود .

فقلت : وهل تريد ان اكتب لكم صكاً اتنازل فيه عن حقوقي بل
عن حياتي ؟ فضحك ، ثم سكت ، ثم وقف قسائلاً : ما ننظر في الامر
واكتب اليكم قريباً .

وقال القنصل عند خروجنا من دار الوكالة : يظهر ان الجفرال يعرفك
وسأبحث لأعرف بعض ما يعرفه او يظنه غير ما سمعناه الآن . وما كان
موانياً او مبطلًا ، فأوقفني في اليوم التالي على ما كنت اجهله من غرائب
الامور التي اصبحت في البلد حديث الناس .

اولها ، اني رسول الملك حسين السياسي الى الامام مجي . والبرهان على
ذلك رفيقي الملازم في الجيش الحجازي . فكيف يأذن لنا الانكليز بالسفر
الى صنعاء وهم لا يرتاحون الى عقد معاهدة بين الملك والامام .

وثانيها ، اني قادم من اميركا من قبل بعض الشركات المانية ابني
امتيازات من حاكم اليمن . والبرهان على ذلك اهتمام القنصل بأمري . فكيف
يأذنون بالسفر الى صنعاء وهم المنافسون ؟ فاذا كان هناك من امتيازات ،
فأنا يبعوثها لانفسهم .

وثالثها ، اني ممثل حزب النهضة العربية في مصر وقد جئت سائحاً في
البلاد ابث هذه الفكرة فاستثير العرب على الانكليز . والبرهان . . . سبقنا
في البرق الى عدن .

فهل يستغرب التوزيع بعد ذلك ؟ وهل يستغرب صدور الامر الى
ادارة الشرطة بترافقتنا انا ورفيقي ؟

ولى الاسبوع وانا انتظر واحاول في الظنون الثابت والانصاف . وكنت
اتنا . ذلك طلبت ان ازور السلطان عبد الصكريم ففضل سلطان الحج واراد
القنصل مرافقتي فتيلى لي : ينبغي ان اكتب الى حموه وان استأذن كذلك
الانكليز . فكتبت الى حموه السلطان والى معاون الحاكم فجاءني الجواب من
الاول مؤهلاً مرحباً ، وجاءني ورفيقي بواسطة القنصل اذن من الثاني مصحوب
بكتاب يقول فيه ان الجولان خارج حدود الحج محظور ومنوع . وان السفر
بدون حرس لا يكون ، وان امر الحرس « منوط بهذه الدائرة » اي دائرة

الحاكم . ائنه خاف ان يسافر من خليج بدون اذن منه ونستغني كذلك عن الحرس . على اننا والحق يقال بننا والخطر الاكيد احب اليانا من الترويع والقيود .

دفع القنصل الكتاب الي وحذرتي من اولئك العرب الذين يتكلمون اللغة الانكليزية : اكثرهم يزورون المايجر ويبي بعد ان يزوروك . ثم قال : ويظهر ان اعتراض اصحابنا على رفيقك اشد من اعتراضهم عليك . فاكذبت له ان رفيقي صديق قديم وان لاصفة له رسمية في هذه السياحة ، واني ارفض الاذن بالسفر اذا صدر ياخي فقط .

بعد ثلاثة اشهر اي بعد رجوعي من صنعاء عرفت السبب في ابطاء سعادة الجنرال الحاكم . فقد اضطره امرنا الى مراجعات كثيرة طويلة بعيدة اتصل بعضها بوزارة المستعمرات بلندن ، وبوزارة الخارجية الاميركية بواشنطن . ومن هو امين الريحاني ؟ وهل يؤذن له بالسفر الى صنعاء ؟

عند ما رأت الوكالة البريطانية ان لا بد من الاذن اتخذت خطة اخرى فسعت بواسطة اصحابها ، ومنهم اولئك العرب الذين يتكلمون اللغة الانكليزية ، ان تقنعني بان السفر الى صنعاء من المدينة هو اسهل طريقاً واقل خطراً . وقد ارادت بذلك ان ازور اولاً صديق الانكليزي السيد الادريسي فاري في تهامة ما قد يقيني عن زيارة خصمهم حضرة الامام . فرفضت بتاتاً وكتبت الى معاون الحاكم ، جواباً على ما جاءني في كتابه الى القنصل ، اسأله ان يتفضل فيرفقنا بالحرس اللازم الى حدودهم اي الحدود التي تنتهي عندها حمايتهم . فجاءني منه جواب يقول فيه : قد كتبت الى سلطان خليج بخصوص طلبكم وسأعلمكم بما يجد .

اقت عند هذا الحد في القصة لأرجع الى مصدر اخر من مصادرها الغريبة . بعد ان زرت الوكالة البريطانية رحلت اقصد الى وكالة اخرى سياسية . تمت

في فم البركان ، في عدن القديمة ، وممي رفيقي قسطنطين ، بيت القاضي عبدالله العرشي وكيل حضرة الامام يحيى وسفيره الى الانكليز في عدن . فلما وصلنا الى دار السعادة الجانية يادد الى استقبالنا عند الباب رجل صغير نحيل في قميص من القطن قصيرة ، تحمها قميص اخرى من الصوف زرقاء . وفي رجله الخف ، وعلى رأسه ، وقد نزع العمامة ، طاقية بيضاء . هو القاضي عبدالله سفير الحضرة الامامية .

جلسنا على سجادة صغيرة في زاوية من غرفة تكاد تكون عارية وكان الى جانب مسند القاضي عدد من الجرائد المصرية والسورية وفيها جريدة نيويورك اشار اليها فضيلته قائلاً : نعم الغيرة غيرة ابناء العرب في اميركا على الوطن واللغة . ولكنني اقف حائراً في مطالعتي هذه الجريدة عند القارئ فيها وتعابير ليست من العربية بشي . أفلا يقرأون النحو واللغة على اساندة من العرب هناك ؟ . . . اما هذه - وأشار الى مجلة مصرية ، فاسألونها « ناهي » (جميل) . . . ومن الغريب يا حضرة الفيلسوف ان يوم وصلتنا برفقتكم من بورت سودان وصلت هذه المجلة وفيها مقال عنكم ، طالعنا والاصحاب بكم يسابق الشوق اليكم . فشكرونا الله الذي حقق امنا . باللقاء . . . ومولانا الامام هو عالم كبير وشاعر مجيد . وعنده مكتبة من الكتب المخطوطة لا مثيل لها في البلاد العربية كلها . . . يوم وصلتنا برفقتكم يا حضرة الكامل اشعونا بالسالك (تلفراف) حضرة الامام . ومتى جاء الجواب لسارع اليكم به . نحن في خدمتكم . وهذا قليل نجاه من وقف نفسه على خدمة العرب . . .

وفي اليوم التالي جاء فضيلته ، لابناً ثيابه الرسمية ، راكباً السيارة ، يزورني في المنزل . وكان في معيته كاتب سره واثنا من العبيد . دخل احدهما علي يقول : مولانا القاضي . فلبست عقالي وخففت الى استقباله . ولولا العبد المبشر بقدمه لما عرفته لأول وهلة ابن القيص والطاقية والخف

من هذه المطارف الفخمة التي جاء يوفل بها . وهذا البرد البالي الخطط بالاصفر والاحمر وقد علجحه على صكته كأنه ردا . روماني . وهذه العمامة العامة الباهرة الالوان ، والسيف يحمله بيده ، والجنيبة في زناره . هوذا حقاً سفير الحضرة الامامية دام نصرها .

والغريب ان حضرة القاضي كان في تلك الزيارة وصحياً في حديثه كما كان في تبابه . فما انعش لي املاً ، ولا قال انه زار كذا . صباح ذاك اليوم الوكالة البريطانية . فلا غرو اذا فتحت اذني لرواة الاخبار الذين قالوا انه راح يستشير الحاكم في امري ، وانه لا يقدم على عمل لا يستحسن في دار الوكالة ، وانه يقبض منهم ، لا من الامام ، المشاهرة . وقال بعضهم : بنس المفسدون - انه يقبض من الاثنين ، واثمهم ، اي الانكليز ، اذا شاوروا ان يتعنوني عن السفر فلا يفعلون مباشرة اكراماً لتقتصل اميركا ، ولكنهم يوزون الى القاضي عبدالله بان يقول لي ان الطريق الى صنعاء مخوفة بالاختار ، فلا يستطيع ان يوفقي باحترس اللازم ، وغيرها من الافاويل . لله منك يا عدن ما اكثر الدسائس فيك والجواسيس .

جاءني بعد ايام كتاب من فضيلة القاضي « مجدداً للوعاد مؤكداً للوداد » يشيرني فيه بوصول برقية من حضرة الامام محبباً بالايجاب . ثم قال : فاي وقت تريدون ان تسافروا عرفوني فأرسل معكم احد خاصتي الى امير الجيش في ماوية ^(١) واعطيكم كتاباً اليه فيكرم وفادتكم ويوفقكم بن يقوم بخدمتكم وحراستكم الى السدة الشريفة . انتم منا وعلينا واجب الحب والاكرام ...

وصاني هذا الكتاب وانا في خليج ضيف سمو السلطان عبدالكريم فضل انتظر الفرج من الوكالة البريطانية . وكنا ، على جميل ضيافة سموه وحفاوته

(١) هي عند حدود اليمن الجنوبية وعلى مسافة خمسة وسبعين ميلاً من عدن

بنا ، في حالة تعددت همومها . فقد مرض اولاً الرفيق قسطنطين بالحمل
ومرضت انا به « القال والقليل » وكان داء الجدري متفشياً في البلد فضفت ان
يكون قد اصاب رفيقي به . واطلني السلطان ذات ليلة على كتاب من
الحاكم : لا تأذوا فلان وفلان ان يتجاوزوا الحدود قبل ان يجيئهم الاذن
منا . فاذا مثل القارى . تلك الحال ، وقد بقينا اسراء في القصر بلجيج ، يدرك
شيئاً من سروري بكتاب القاضي عبدالله العرشي .

اسرعت باعلام القنصل فراح الى دار الوكالة يسألهم البت في الامر .
ومرت خمسة ايام حبستها خمس سنين وانا اجتهد ان اكون محسناً بالانكليز
الظن . واكنني شئت التسوية والمراطة ، ونفرت من الاثرة في امر اربعة
اخمسة يد سواهم حقاً وعملاً . ولو كان كله موكولاً اليهم لما كنت اليوم .
فما ان صاحب البلاد يوجب بنا ووكيله في عدن يعدنا بما يلزم من الخدم
والحرس في الطريق من ماويه الى صنعاء . والسلطان عبد الكريم ، رغم
رسائل الوكالة ، يوقفنا ساعة يشاء . نجرس الى حدوده . وانا ورفيقي ، وحياتنا
على كفنا ، مكتفيان بهذه الضمانة .

— واذا مت يا مولاي (كان السلطان عبد الكريم يحاول تسكين خاطري)
اموت والله في حيكهم ، في حب العرب .

فضحك سموه وامر لي بداعة^(١) وامر كاتب سره ان يكتب الى الحاكم
في عدن يقول انه مستعد ان يوقفنا يوم نشاء بالحرس الى ماويه . فجاءني
والحمد لله بعد يومين الكتاب التالي :

(١) تدعى للارجيلة في اليمن مداعة واضنها تحريف مداعة لفظاً ومعنى . ففي الفاروس
المداعة نقيض للدعاء الى الطعام وفي اليمن المداعة هي الدعاء الى الانس والسرور .
وقد قال الشاعر فيها : مداعني انيسني جليستني في وحدتي
تقول في كركرها باقه خذني بالتي

دار الوكالة . عدن . في ٥ نيسان سنة ١٩٢٢ رقم ٣٩٥

الى المستر امين الريجاني -

ايها السيد العزيز :

قد كتب الحاكم الى سلطان لحج يسأله ان يرفقكم انت وقسطنطين
بني بالحرس الى حدود حايثنا عندما ترمعون الرحيل ، ولكنه رغب الي
ان اعطىكم بان البلاد في اضطراب ، وان في السفر فيها خطراً على
المسيحيين ، وانه وان كان قد سأل السلطان ان يرفقكم بالحرس الى
الحدود فلا هو ولا السلطان يضمنان لكم السلامة . وليكن معلوماً
لديكم بان الحاكم غير مسؤول البتة عما يحدث لكم في ما دون حدود
المقاطعات الخمية . لكم باخلاص

ب . م . دبلي

المعاون الاول للحاكم بـعدن

ذكرني هذا الكتاب بالكلمة الاولى التي قالها القنصل لي : قد يُقطع
رأسك ولا أحد يسأل عنك وكنت قد تركت عنده من امتعتي ما لا
احتاجه في السفر الى اليمن ، واعطيته عنوانين . في بيروت وفي نيويورك .
لينعيني في الاقل الى اهلي .

لست ادري وانا اعيد ذكرى تلك الايام ما الذي تغلب في علي ذلك
التزويج اذا لم يكن تبايني على احد امرين وهما ثقتي الثامة باخواني العرب
وعزمي على التجاز ما بشرته من السياحة الطيبة . نعم قد كنت مزوداً
بكتب التوضيح من الملك حسين . وقد رأى القارىء في ما تقدم ما له من
الاعتبار عند التكليف الذين حاولوا ان يمنعوا صديقي من السفر لانه في خدمة
جلالته . واما اوليا الامر من رجال الامام محيي قسيري القارىء . ما لملك
الحجاز عندهم من الاحترام .

اما الخطر وان جسمه الانكليزي فقد حُكِنَ والحق يقال في حيز اليقين
وخصوصاً في بلاد الخواشب ، احدى السلطنات الداخلة في حماية الانكليز ،
السكاننة بين حلب واليمن الجنوبي . وكانت عساكر الامام في الزحف تلك
السنة على المقاطعات التسع المحمية قد وصلت الى الخواشب ونكملت بهم ،
فارسل الانكليز على اليابانيين طيارتين رمتهم بالقنابل فتفوقوا وعادوا
خاسرين لذلك كان العداء لا يزال متسكناً بين الامام والخواشب . ولذلك
اطلقوا الرصاص على رجال الوفد الياباني عندما مروا ببلدهم قبلنا بشهر واحد
في رجوعهم من الحجاز الى صنعاء . فاذا عسى ان يكون حفظنا منهم ونحن
قادمون من الحجاز ووجهتنا الحضرة الامامية 9

قيل لنا اننا اذا اجتازنا ساليين المسيير ، عاصمة السلطنة الحوشية ، نكون
قد اجتازنا منطقة الخطر الاكبر في طريقنا . ولكن كلمة قالها القاضي عبدالله
العرشي في صفته الرسمية - اذا لم يكن الامن موجوداً فنحن نوجده من
اجلكم - وكلمة كتبها طردان كل ما تهافت على آذاننا وتراحم في قلوبنا
من كلمات الترويع والتهويل . اما الكلمة التي كتبها الى حضرة الامام وقد
اذن لنا بنسخها فاننا ندونها في هذا السفر لعرضين ، فيطلع القارئ اولاً على
اسلوب المراسلة في اليمن اليوم ثم على مثال من كرم الاخلاق وحسن الظن
يندر في رجل لم يعرف عن المؤلف غير ما حاله في مجلة عربية . قال عفاه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

امد الله مدة مولانا ، ومالك امرنا امير المؤمنين ، والحجة على الخلق
اجمعين ، المتوكل على الله رب العالمين ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته يردد
في كل وقت وعين .

وبعد فصدورها للسلام ، مقبلة بواطن الاكف والاقدام ، وهي لكم

صحة السيد الماجد . . امين الرحاني الذي فيه سبق الاشعار من
 المملوك اليكم بوصوله الى عدن وقصده الوصول الى حضراتكم الشريفة
 الفزارة والمعرفة وتأدية ما معه من خدمة ونصيحة . وقد وجدته على
 جانب عظيم من الحب والمودة للعرب ، ومن اللطف . . . وعرفت ان
 لا مانع من توجهه الى حضراتكم . وكتبت في النصيحة به وتسهيل
 سفره وحسن وفادته الى امير الجيش في ماويه ، حماها الله . وسيتضح
 لكم حسن نيته وما هو عليه من المحبة والمودة للامة العربية كافة عند
 المراجعة وربما تستفيدون منه ومن نصائحه وموفته بالاحوال ما يكون
 فيه نفع الوطن وعمرانه . وليس لمن مثلي ان يشير الى من مثلكم فقد
 نورك الله بمعرفة كل شخص فتعطونه حقه وفوق حقه . وفي هذا كفاية .
 والله تعالى يصلح بكم جميع الامور والسلام عليكم .

في ٨ شعبان المعظم سنة ١٣٤٠ من المملوك
 عبدالله العرشي

قبل ان اتم هذا الفصل المؤلم المفكك معا ينبغي ان اسجل على اولياء
 الامر فعلة قد يفيدهم نشر خبرها . عندما صدر الاذن بسفرنا استخدمت
 الوكالة البريطانية رجلاً عربياً ليرافقنا سرّاً في رحلتنا الى صنعاء فيتحسس
 اخبارنا ، ويدون احاديثنا كلها . واعطته الوكالة كتاباً مختروماً ليغضه بعد ان
 يخرج من الحج ويعمل بوجبه .

ولكن الرجل تاب في آخر ساعة الى ربه وأبى القيام بتلك المهمة . زد
 على ذلك انه فض الكتاب في السوق بعدن واطلع بعض التجار على ما
 احتواه . سمعنا في الحرب العظمى بالغريب القطيع من اخبار الجاسوسية ،
 وهذا بعد الحرب الغريب المضحك منها .

الفصل الثاني

في الطريق الى صنعاء

جنود نجية - الخواشب - اجسام العرب - وادي ذيب - جبل وروه - حديث
الولد الجندي - الخندق - ابن السلطان يلاقية مرحباً - القصر في السعيد -
المساء - السلطان علي بن مانه - اعداؤه واخوانه - اخلاصه للانكليز - رائد
الشهري - « عند الانكليز مال وحكمة » - صباه غير مبارك - زمني القطار
على زجاننا وهم يجعلون - « هم يطردوننا » - عجلوا بنا الى جبل - اطلاق البنادق
والطير - السلطنة تكرم الضيف - مأوى - الزيد - جيش الامام النظامي -
السيد علي بن الوزير امير الجيش - مجلس القات - « هل انت جندي او حسيبي؟ »
- وجاننا القريب في بيت من الشعر - الملك حين ولاده .

ركبنا قبل انبلاج الفجر سيارة صغيرة وخرجنا من لحج لبغلي الدكيم التي
كانت يومئذ حدود السلطنة المحمية شمالاً وفيها حامية انكليزية من الهنود .
وكانت الحلة قد سبقتنا اليها ومعها الخرس يركبون الهجن ، ورسول القاضي
عبدالله العرشي الى امير الجيش ، وبعض المسافرين الذين احبوا ان يرافقونا .
وكان في الدكيم ايضاً عشرة جنود من جيش سلطان الخواشب علي بن
مانع ، جازوا باصر منه يستقبلوننا ويصحبوننا في بلادهم . والحوشي لا يتقل
نفسه بالعدة والثياب . ليس في العالم جندي اخف منه حملاً ، وأشد منه بأساً .
ولا اظن ان في جنود الامم المتسدة اجساماً مثل اجسام العرب في اليمن
الاسفل . هاك الحوشي مثلاً وجلده الاسود او الاصفر يلمع في نور الشمس
كالنحاس المصقول ، وعضلاته الشديدة المقتولة تتحرك كالأجزاء الدقيقة في
آلة كهربائية ، وقامته المتناسقة الاعضاء تسر بالمرى فيكتفي بالفتوة يشدها
على وسطه ليستريح عودته - هوذا معرض محاسن من صنع الله تمتع به ناظره
اذ يشب صاحبه ، والبندقية على كتفه والامان في قلبه ، كالقزال الشارد امامك .
من هؤلاء الخواشب ولد لا يتجاوز الخامسة عشرة مشى الى جنبي وهو

ينظر اليّ من حين إلى حين وكأنه يبغى الحديث . سرنا في وادي دُين ، وهو طويل يتصل شياً لا بمدينة اب ، والشمس حتى في زيمان تشوي الضب . وكنا بدأنا في التصيد ، فترأى لنا خيال اسحم على الافق البعيد ، فوق قن من الجبال كثيرة . فهتف الجندي الصغير قائلاً : هذا وروءه - جبل وروءه - تراه من عدن وسواء غداً من ماويه . لم أتأكد القسم الاول من مقاله لاني لم اهتم وانا في عدن بالجبال . ولكنني تأكدت المبالغة في القسم الثاني منه . رافقنا وروءه يوماً واحداً وغاب عن الابصار . وكذلك الجندي الصغير الذي تأسفت على فراقه . كان يحذني وهو يتقل البندق ثقله من كتف الى كتف ، ويثني على بؤس حاله ساءد الرأس .

— العفو يا امير حضرتك من الشام ؟ اجبه بالاجاب .

— وهل راضية الشام بالسلطان ؟ اخبرته بان حكم السلطان فيها قد انتهى ، فاسره الخبر ، فقال : السلطان رجل طيب يا امير ، ما فيه شر . سألته : وهل تحب الاتراك ؟ فهز رأسه وأشار بعينه ان نعم ثم قال : سعيد باشا^(١) رجل طيب . كنا في ايامه مستريحين ، وكانت الظلطة^(٢) كثيرة . اما الآن يا امير فلا سعيد ولا ظلط . انظر الى ذاك الجبل . وراه الصبيحة أشد العرب . وهم دائماً يعتدون علينا نحن الحواشب المحافظين على الامن . الحوشي فقير ولكنه منيع ، ورفع بندقيته مشيراً اليها ، ثم قال : سلامة القوافل في يده .

اما الصبيحة يا حضرة الامير فهم يجادوننا لانهم لا يحبون الامن . ونحن نهجر حقولنا ومواشينا ورزقنا لنحصل هذا البندق ، لنوجد في البلاد الامن للامباد ، وحضرة الامير - العفو - لا يقدر ان يسافر وحده ، لا والله . بنادقنا

(١) علي سعيد باشا الشركسي كان القائد العام في اليمن أثناء الحرب

(٢) الظلطة اي النقود الذهبية والفضية

وحياتنا ملك السلطان ، وهي الآن تحت امر الامير . هل انتم تحكمون في بلادكم ؟

قلت له ان اسمي امين لا امير ، واني محكوم مثلكم لا حاكم .

- ومن يحكمك يا حضرة الكامل ؟

- يحكمني الان الانكليز . هل تحب الانكليز ؟

- يقول السلطان ان الانكليز ما فيهم شر .

- وهل الحواشب يحبون سلاطنتهم ؟

- اي والله نجده ، علي بن مانع رجل طيب ، ما فيه شر . ولكن من هو الخوشي وما هي اهميته ؟ البندق على كتفه ، والموت قدومه ، ولا يعرف في الليل اذا كانت تشرق عليه الشمس .

سرتنا في الوادي وادي دُين والجمال حولنا وامامنا قنص عنا الهواء ولا تقينا حر الشمس ، فوصلنا الظهر الى الخندق وهي قرية خيامها من القش والعرف ، فيها سنسرة^(١) للقوافل والمسافرين فاسترحنا هناك ساعة الغداء ، وارسلنا عجائزاً يحمل منا كلمة سلام الى صحر السلطان علي وينبئه بقدومنا .

استأنفنا السير بعد الظهر فالتقينا في نصف الطريق بين الخندق والمسيير بفرقة اخرى من جيش السلطان ، يتقدمها ابنه الصغير راكباً جواداً رائعاً . جاؤوا من قبله يلاقوننا ، فدوث في ذاك الوادي اصوات البنادق ترحيباً اطلقوا ثلاث طلقات فاجبتناهم بثلاث ، ورحنا وابن السلطان يتقدمنا ، ورجله الخافية في الركاب ، وبده اليمنى على عمامته الكبيرة الرفيعة ، الطويلة الذرابة الكثيرة الالوان كأنها عمامة العيد ، ترقص فرحاً على رأسه ، وهو على ظهر الجواد اتبعت منها .

(١) الخان في اليمن يدعى سنسرة والقنوة مقبلة

وصلنا عند الغروب الى قصر السلطان في المسيير ، وهي قرية يربتها من الحجر واللبن قائمة على ربوة خضراء ، ينساب عند سفحها في وادي دُين سلسيل فضي ، الى جنبه الحقول المروعة وهي تتسوج حول اصكواخ من القش ، ان الجمال الذي يجلب المكان لبني . بالسم القروي ولكنه مفقود فلا في سلطنة ابن مانع وجدناه ولا في قلبه . ومن المسؤل ؟ سيجيب السلطان على سؤالنا هذه جنود تطلق البنادق ثائية ولاء لا عداء ، تأهيلاً لا تهويلاً .

دخلنا الى بيت في القصر أعد للضيوف . وبعد قليل جاء سموه بالسلام ، يتبعه الخدم وبين ايديهم اطباق اطعام : خبز بسن وسكر ، ومرق وبرغل ولحم ومسل . فجلستنا في حلقة على الارض نطبخ بايدينا الزاد . وكان السلطان وهو ينظر الينا ، أعجب بسفي البرغل سقا فقال : انت منا يا امين ! انت والله منا . . .

سكان السلطان على نحيلاً كالخيال ، عصبي المزاج ، حاد الطبع ، حرم الكلمة . حدثنا بعد العشاء عن احواله قال : انا بين اربعة يا امين ، والاربعة يقصرون حياتي^(١) هذا ابني وهذه حبيتي البيضاء . هو ابني الوحيد يا امين ، ولكي اذبحه والله ولا اسلمه رهينة لاحد^(٢) اما الاربعة فالواحد منهم فوق^(٣) يشهر علينا الحرب لاننا هادئون ساكتون لا نعتدي على احد . والاخر تحت^(٤) يغزونا لظنه اننا اغنياء وان خزانة الانكليز تحت امرنا . والثالث هناك^(٥) لا يخاف الله . والرابع^(٦) عدونا اليوم ، صديقنا غداً ، لا نعرف والله متى ينقلب ولماذا ينقلب ا وعلينا ان نحاربهم كلهم . واننا والله نحاربهم يا امين ،

(١) قد توفي في عام ١٩٢٣ (٢) يشير الى الرهائن التي يأخذها الامام يحيى من عماله وسيجيء ذكرها (٣) اي امام صنعاء الامام يحيى (٤) اي عرب الصبحة (٥) اي عرب الضالع جبران الخواشب شرقاً (٦) اي سلطان لمحج

وتحاربهم حتى نفنيهم او يفنوا . . لا والله . لا نأخذ من القوافل الا مجيديا واحداً على كل جمل . والامام يأخذ مجيديين وصاحب خليج يأخذ ثلاثة .

— وكم تأخذون مشاهرة من الانكليز ؟

نظر السلطان علي اليّ ويده على خاتمه ، وثلاثة اصابع من الاخرى مرفوعة ، وقال ثلاثمائة روبية وهي والله غير كاملة . يدفعونها لنا كل ستة اشهر ولا يدفعون غير الف وستمئة روبية . احسبها . وعطينا ان نؤمن للقوافل الطرق ، وان نطعم اهلنا ورجالنا ، وعندنا قبائل يذكرولنا حين يجوعون وينسولنا حين يشبعون . الانكليز ضرورة يا امين .

قلت ولو دفع لك الامام مشاهرة مثل الانكليز اتفقكهم وتواله ؟

فاجاب علي الفور : لا والله . انا متعاهد والانكليز فلا اخلف . وسأبقى صديقهم دائماً ، اي والله . الانكليز يا امين يعقلون . عندهم حكمة كما عندهم مال نعم هم غير مسلمين ، والمسلمون اخوان . ولكن القلب يعرف الاخ يا امين والسياسة لا تعرف غير الضرورة .

ان الحواشب مثل الشرافع في الين وعسير يكوهون الامام ، لا لانه عدوهم في الحرب فقط اي في ضرورات السياسة ، بل لانه عدوهم كذلك في الدين ، وفي المذهب . هو زيدي شيعي ، وهم سنيون .

ودعنا السلطان تلك المليحة شاكرين له حسن الحفاوة والضيافة واعلمناه اننا سننهض باسكراً لارحيل ، فلا نكلفه مشقة القيام مثلنا ايودعنا ثانياً . وفهمنا منه انه قبل بذلك الا اننا في صباح اليوم التالي ، بينا كان المكارون والخدم يجتالون دهننا بل ذعرنا لحادث فيه منتهى القراية . كنا مقيمين في جناح من القصر قبالة الجناح الذي يسكنه الحرم ، وبيننا الخوش الذي كانت فيه الركائب والخدم ، فسمعنا بفتة ان اثناء من الفطار تكسر فيه ، فظننا انه وقع من السطح . ولكن انا . اخر تبعه — رأيناه يرمى من النافذة

ولم نر الرامي - فاصاب احد العساكر فرفع صوته شاكياً . ثم جفنة ، ثم قطعة اخرى من الفخار تحطمت بين اقدام البغال ، فقلت الضجة في الطوش وصعنا رجالا يصيحون : هم يعارضوننا ، عجوا يا ناس ، هذه ضافة ابن مانع ، عجوا بالرحيل .

خرجت وقسططين مسرعين فرصتنا وسرنا نتقدم الحملة . نزلنا من الخيل الى السهل فأنهر وقابنا - اقول قلبي ولا اتهم رفيقي - يخلج حنقاً ورعباً . ظننا أننا بعدنا عن الخطر وعن ضيافة صاحب السمو الحوشي عندما وصلنا الى النهر . ولكننا قبل ان اجتزناه معناه اصواتاً تنادي : قفوا ، قفوا . فلم نقف ، فاطلقوا اذ ذاك البنادق طلقت متعددة ، قفلت لرفيقي : هوذا الخطر الذي نتوقه . دنت الساعة يا قسططين ، قف واشهر سلاحك .

بعد قليل قرب القوم ما فاذا هم تخدم السلطان يجامون على رؤوسهم الاطباق ومعهم بضعة عساكر . جازونا بالفطور ! اي بالله . كيف نسافر قبل ان نفطر ؟ وكيف نسافر قبل ان نودع السلطان الذي نهض باكراً للوداع ؟ سألتهم عن الفخار الذي رموا به ، فاخبرونا ان السلطانة ، وهي في خدرها ، أتت من على السطح في اهبه الرحيل ، فهضت ككذات باكراً من اجلنا . فارادت ثنيي الخدم الثامين في الطابق الاسفل ولم تشأ ان تسمنا صوتها او تربنا من النافذة وجهها فرمتهم بالفخار تستفيقهم لينهضوا ويبيتوا لنا الطعام . الضيوف ، انهضوا للضيوف ، والحقوهم بالفطور ، واطلقوا الرصاص اذا كانوا لا يقفون .

اكثر الله ايها السلطانة من فخارك ، وجعلنا السنة فخارك . انك في الضيافة شاعرة الاقران ، وفي البلاد العربية فريدة الزمان . وكيف لا وانت السيف في اكرام الضيف . تضربين من اجلنا الكسل ، وتلحقيننا بالعسل . تروعين ايها الحوشية الالمية ولا تجوعين . قد كنت حديثنا وموضوع

اعجابنا حتى في بلاد الزيد ، التي تنسب المرء الحبيب والمعبود . وقد تنسب
 القريبة الجديدة ، غرائب عديدة ، كما حدثت في ماويه اول بلد من بلدان
 الزيد^(١١) شمالي عدن .

دخلناها في اصيل ذاك النهار وهي مثل الميسير محتبنة في اصيل وراء
 الوادي الذي اجترناه . فشئف اذاننا لما كنا مصمدين اليها صوت كان وقع
 جيباً في ذاك الوادي الموحش وفي ثلث الساعة * فاستأنسنا به اينا استناس .
 كأننا عند حدود الامام عندنا الى المدينة والنظام . ولما بلغنا رأس العقبة
 رأينا على سطح من السطوح صاحب ذاك الصوت ، وهو جندي بيده الهرزان
 (البوق) ينفخ فيه مرحباً بنا باسم امير الجيش .

وكانت فاتحة الانطاف . فلما دنونا من القصر سمعنا الموسيقى العسكرية
 تعزف بنشيد اليمن الوطني ورأينا فرقة من الجنود النظامية مصطفة خارج
 السور لاستقبالنا وعلى رأسها ضابط تركي ، فترجلنا زود السلام ، ودخلنا
 البرابة الى الخوش بين صفوف من العساكر مسترسلي الشعور ، اللابسين
 القمصان والغرمخ المصبوغة بالنيل ، المسليحين بالنادق والجنبيات . وعندما
 وصلنا الى الباب يتقدمنا كاتب سر الامير واثنان من رجاله ، اوقفنا الحارس
 هناك ونادي بكلمة حارساً آخر داخل القصر فجاء الجواب مؤذناً بالدخول .

دخلنا وكانت بداية الرعب والصكرب ، صعودنا في درج لوائي مظلم ،
 ذكرتني درجاته بدرجات الحرم الكبير ، كل واحدة منها دكة ، وعلى كل
 دكة واحد او اثنان من ذوي الشعور الطويلة ، والياب المنيلة ، التي تفوح
 منها رائحة النيل الطري السائل كذلك في اجسامهم^(١٢) سكنت وانما انفس

(١١) الزيد ينسبون الى زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب
 وم وان قالوا في المفرد زبدي لا يقولون في الجمع زبديون بل زبده كأنهم يريدون
 بذلك ان زيداً متجسد في كل واحد منهم وان امتهم امه الزيد .

(١٢) هم ينسبون لياهم بالنيل ويلبسوها قبل ان تنشف لبيل الصباغ على اجسامهم

طريقاً تمثل القلعة بل السجن في ذلك القصر واتصور نفسي اسيراً فيه ، فجاء الاضطراب مع التقرز يفقد علينا بيجة الاستقبال العسكري ، وما هي الا فاتحة الكروب ، فعندما وصلنا الى الطابق الاخير اوقفنا الحرس ثانية امام باب صغير ، ثم دخلنا فاذا نحن في غرفة صغيرة نوافذها مغلقة الا واحدة منها ، وهو اؤها وقد امتزج والدخان كثيف فاسد ، وارضها مفروشة بالقش والحشيش ، والى جانب الاربعة الخيطان غمام بيضاء كبيرة ، اصحابها جالسون على الارض صفوفاً ملوزة ، وكلهم في تلك الساعة يعضون القات بل يحزنون^(١) وفي

ويدخلها فيسد المسام من الخلد وفيهم حسب اعتقادهم من البرد . وقد قيل لنا ان عساكر الامام وكثيرين من اهل اليمن ينيلون لا لقاء للبرد بل حداداً على الحسين . على ان الوم في هذه العادة اصبح من التقليد كما يظهر لان السادة وهم اولى الحداد لا ينيلون ثيابهم .

(١) ساعة القات عند اهل اليمن مثل ساعة الشاي عند الانكليز . ولكن القات غير الشاي . القات حشيشهم وانيوخهم والسكر عندهم وهم يدعونونه اذمان الاوروبيين الحمر . قال شاعرهم العامي :

زمرداً يقطف الاصحاب اوقانا يصفر به العيش احياناً راوقانا
باعاذلي عن حصول القات مت كبداً لا تترك القات احياء وامواتاً
وقال في مدحه الشاعر المتصوف :

براك ممر اج قلبي حيث يصعبه جبريل روجي الى اعلى ماواي

ان في القات على ما يظهر خاصة الحشيش الاولى اي الكيف ، وشيئاً من خاصة الافيون المخدرة ، وبعض ما في السكرات مما ينه الفكر . وبكلمة اخرى هو يطرِب النفس ، ويخدر الحواس ، ويشجذ الذهن . بل يبعث ، على اعتقاد اهل اليمن ، في صاحبه النشاط فيقويه على السهر والعمل في الليل . قد تحققت بنفسى انه يورث في ويمدح في المدة يوسه واتقياضاً وفي الله جفافاً وعفوصة مثل البلوطة فيطلب صاحبه الماء كثيراً . ولكنني لم احس بشيء من الكيف اي خفة النفس . ولم ينه الفكر الى غير الاوهام التي تستحوذ على الناس فتعمل بحكم التأثير الطويل المتوارث فمثل الحقائق المحسوسة . قد يكون هذا وما في لان تأثيره في من يستعمله مرة غير تأثيره في من يستعملونه دائماً ، ويفضلونه على خبز يومهم .

كل الناس في اليمن ، من رجال ونساء واولاد ومن اغنياء وفقراء ، بها كانوا

الزاوية عند منضدة صغيرة ، الى جنبها مداعة ، بين اكمة من الاوراق ورزمة من القات ، رجل صغير المنكب والعمامة حاد النظر واللسان ، ناصع الجبين والبيان ، قدعنا اليه كاتب الاسرار ، فعرفنا انه السيد الامجد علي بن الوزير امير جيش الامام في لواء تعز .

صافحناه وهو جالس كأنه احد ملوك اليمن في الزمن الغابر السعيد ، فإشار الى قتر من السجادة حشرنا فيه بين شيعتين هائلتين ، وكان كل من اولئك الاجلاء المحترمين ينظر الينا شزراً كأنه ياتمس لنفسه عنراً من مجرد النظر . وما اظن اننا ظفرتا بشعاع من العطف في تلك العيون ولا فترنا بنظرة واحدة فيها شيء من الارتياح او التساهل .

القات - بخراون . والتخزين هو ان تضع الاوراق مضفاً بطيئاً طويلاً كما يضع مضر الاميركيين التبغ ، ويحفظونها تغزينة هـ اي كتلة هـ في النمل يخرأونها . ولكنهم لا يصنعون مثل الاميركيين الا عندما تذيب التخزينة فيصقون اذ ذلك في اناء من النحاس ما تبقى منها وبخراون غيرها . ان مجلس القات لا يتم بغير اباريق الماء وكؤوس الخمر الخفيفة الشكل المدهونة بالكؤوس الذهبية التي تستعمل في الكنائس وقت القداس . اما الاغرب من ذلك فان اهل اليمن لا يشربون قهوة البن بل يكتفون من قهوة قشر البن الذي يغلوونه كالشاي ، فتظنه الهليونج لطيفة بدون سكر وهو على ما اظن مفيد لانه يقاوم بعض المقاومة مقعول القات ويخفف من اضراره . لا ريب في ان القات مضر بالصحة والنسل . فهو يثقل المراء شهوة الاكل ، ويفسد اسباب الخضم ، ويحدث مثل الاقيون شللاً في مجاري البول ، ولا يقوي الباه بل يضعفه .

ان اسمه العلمي (Catha edulis) وهو نبات شبيه بالبطيخ الا ان شجرته صغيرة وورقة مثل ورق النعنع ، يزرعه اهل اليمن في البساتين . مثل اشجار النار ويبيعونه باسعار غالية اذا كان من النوع الجيد اي الرخص الصغير الاوراق . هم يقطقونه اغصاناً ويرسلونه الى المدن وزعماً ملفوفة بالحشيش الاخضر ومربوطة بقشر الشجر ، ثم يمشون بالزعم الى المجالس ، يجالس القات ، ينفكونها ويرمون بالقشر والحشيش والنضيان على الارض . ثم يدأون بالتخزين بعد ان يفتلوا الشبايك ويشعلوا المداعات (التراجيل) فتسمي الفرقة في تلك الساعة كقهوة الحشاشين في دماغها وكربوخا ، وكلاصطيل في فرشها .

بعد ان سلمنا على الامير قدمنا له كتاباً من القاضي عبدالله العرشي وفيه يعرفه اما خطأ واما تلطفاً ، الى السيد^(١) امين الريحاني ، فطلعتني حضرته مسلماً من اشراف المسلمين واراد ان يعرف الى اي الفرعين انتسب ، فسألني قائلاً : هل انت حسني او حسيني ؟

وقع السؤال علي كاصاعقة ، فلبل خاطرني لاول وهلة وعقل اللسان ، فجالت في ذهني بل جرت كجري البرق صور كلها سوداء تنذر بالبلاء . أفلم يندرنا الانصلاخ بالخطر على المسيحيين ؟ أفلم يحذرنا عرب عدن ولحج من الزيود المتعصبين ؟ وما نحن في مجلس اميرهم وعلماهم ، وفي قلعة ظلماتها كظلمات السجن او اشد ، وروائحها مثل نظرات اصحاب الغمام بل احد ، ولا تزال والحدثة في بداعة الرحلة ، وهل انت حسني او حسيني ؟

جاوب يافتي . هل تكذب على الامير فتنتسب ، وما الحسن وما الحسين في مثل تلك الساعة ؟ اذكر اني في خمس لحظات غيرت ديني خمس مرات ، فكنت انتقل كالبرق من الحسن ، الى مارون ، الى الحسين ، الى درويش . اما اذا اكتشف الامير بمدنر حقيقة دينك - اصدقه بالخبر يا رجل ولكن - هل تعلن امام الجمع الزيدي الرهيب مارونيتك او مسيحييتك او درويشيتك ، قد يوقفونك فيأسرونك ، يوجعونك الى حيث جئت ، هذا اخف ما في البلية ومن جهة اخرى اشدها .

جالت هذه الصور والسؤالات في نفسي ، جرت مجرى الكهرباء ، وانا اثنا ذلك اسير خوف اشد من خوفي ساعة اطلقت الحواشب الرصاص ليوقفونا للفظور . وما خفت على حياتي خوفاً من تعرقل معالي - من القتل ، من

(١) لا يدعى سيداً في اليمن غير من كان من السلالة النبوية . وليس هناك غير طبغتين من الناس ، السادة وهم الذين يتسبون الى الحسن او الى الحسين ، والعرب وهم الفلاحون البدو منهم والحضر .

الرجوع الى عدن مدحوراً مذموماً ، ولكنه سبحانه ، بعد ان غيرت فكرى
خمس مرات في خمس لحظات ، فتح علي فقلت بحياً : انا عربي يا حضرة الامير ،
احترم كل المذاهب الاسلامية ، واحب كل العرب ، واقبل دائماً في مثل هذا
الموقف بقول الشاعر :

ولكل ربيع من ذبوعك حرمة وهوى تغفل في صميم فؤادي^(١)

اظن ان الامير استحسن الجواب او انه احسن امام العلماء المدارة .
وصاتان من رجاله الذين استقبلونا خارج القصر رجل يش تقدمونا بشاشة
الصديق فلهنا القلب منه في سلامه وتبادلا وايه الثقة والولا . فقال يعقب
على جواني مخاطباً الامير : حضرته من سادات لبنان .

فبدت منه ، بارك الله فيه ، شارة القبول والافتتاح وغير الحديث جون
ان يبعد كثيراً عن الدين . بدأ الامير علي وهو فصيح اللسان بنقطة رأسها
الذي والاسلام وذيلها اولئك الذين يفسدون بالبدع الدين . يتقربون حباً
بالمال او السيادة من الافرنج ويدنسون الشرف النبوي بالنياشين الانكليزية .
يوالون الكفار ويفتحون لهم حتى ابواب الحرم . . . الى ان قال : الايمان
بالله رأس الفلاح والصلاح ، والجهاد في سبيل الله واجب على كل مسلم سلم
ايمانه . وفي سبيل من يجاهد الملك حسين واولاده ؟ في سبيل الله ؟ استغفر الله .

فتصدى قسطنطين الدفاع عن الملك وقلت انا كلمة اثبت ما قال الرفيق
في ما يختص برفضه المهادنة مع الانكليز . ثم قلت وانا اتوق الى الهواء :
قد يريد الامير ان يصلي المغرب . فاذن لنا بالانصراف وامر كاتب سره
ورجاله ان يصحبونا الى المضيف ويعتدوا بامرنا صافضاه مودعين فلم يقف
لنا ولا وقف احد من العلماء . في مجالس القات ثقل الترهات .

(١) كل مرة اذكر هذه الحادثة اشكر صديقي الشيخ فؤاد المطيب صاحب هذه
البيت الذي فرج عني في موقف حرج جداً .

الفصل الثالث

اليسن الأخضر القديم

الطيارات - الفاتحة - الاعام - وادي الذهب - وادي تعلان - تليل - الخرس - نجد الاحمر - رباحون لبنان - جبل إعدان - ساحة الاستقبال - مكتب الزيدود - اسماعيل ياسلامه عامل ايب - مدينة قديمة عالية - وادي الرقد - شجر الون - تليل سماره - ثمانية الاف قسدر فوق البحر - قاء الحقل - برام - الرهائن - ذمار - امير الجيش ابن الوزير الثاني - خطبته المدهشة - لا فسق في البلاد ولا زنى - والزانية - حديث الجنود وشكواهم - رقيتنا السيد مجيد - الغرض من زيارتي الاعام - البيوت في اليسن وعسير - الوحشية والاستغلال

مشينا من قصر الامير الى قصر الضيافة ، بل الى قلعة اخرى عالية مظلمة ، وكل البيوت في تلك الجهات من اليسن قلاع وحصون ، فأترلنا في الطابق الاعلى ، في غرفة سقفها واطر ونوافذها ضيقة صغيرة ضاقي منها صدري ، فهربت الى السطح ونصبت سريري هناك .

وكان كاتب سر الامير الاديب التركي ، الذي ادرك بعض ما في من الانقباض والاضطراب ، يحاول تسكين خاطري وتسليني بقصة علينا من قصص الجيران المقتسة في اليسن الاسفل . فقلت له ، وانا احس ان الحيوان المسجون في وفي تلك القلعة يشتهي الفلاة : اننا نرؤم الوصول الى الحضرة الشريفة بأسرع ما يمكن ونلتبس من امير الجيش ، وان سكان ذلك مخلا باداب الضيافة ، ان يسهل امرنا فنسافر في الغد . فوعدنا خيرا .

ثم جاءنا بعض وجهاء البلد زائرين وفيهم احد اقارب الامير يحمل الينا هدية من القات . فاستقبلهم الرفيق قسطنطين وحديثهم وتناقشوا وياغم في موضوع الطيارات . نقرأ عليها الفاتحة فنسقط كالطير المذبوح الى الارض . فافهم القسطنطين ، وبادر الى القات يكتشف فيه اليقين . اما انا فاعتصمت

بالسطح ابغى العزلة والهواء ، فصحبني ذاك الفاضل الذي جعلني من سادات
لبنان ، فشككا اليّ اموراً واسراً اخرى : لا شك ان حضرة الامام رجل
كبير قدير ، ولكنه ظالم يرهق الرعية بالضرائب المتعددة ، ولا ينصف السفين
الشوافع في بلاده ، ولا يحسن السياسة مع الانكليز ، فقد استول على جنوده
هول طياراتهم ، ولا يفتح المدارس في البلاد ، ولا يعزل الظالمين من عماله مثل
عامل هذا البلد ، ولا يحجود بما رزقه الله وهو الغني الاكبر في اليمن كله .

نمت تلك الليلة وانا افكر بالسلاح الجديد اي الفاتحة ضد الطيارات
وبما عدده الشافعي من سينات حكم الامام . فطلعت حلاً غريباً عجيباً ما
ذكرت منه عندما استفتت غير اليّ كنت والامام يجي نطير في طيارة صنعت
في انكازرا ، وكُتبت على جناحيها فاتحة القرآن ، ونقشت على الواحها سورة
التوحيد . فبأي سلاح يا ابن الوزير تحارب طيارة المؤمنين ؟

سافرنا في اليوم التالي عند الغروب راكبين البغال بدل الطيارات ،
مصحوبين بحرس من جنود الامير المنيّة اتوايهم ، المدهونة بالسن شعورهم .
فتبعنا في ضوء القمر ساعة عادت فيها اليّ الاحلام ، وانا على ظهر الدابة
شطان ، شطار فاتم وشطار يقطان ، فكانت تدور الارض تحتي بما فيها وقور
في الاشجار كأنها عرائس من الجن . وكنت اسمع القسطنطين يناديني فاطلته
في قارة وانا في اخرى ، ثم رئيس القافلة : هذه هي الطريق ، ثم احد الجنود :
هناك الله يا مقدم ، فيخيل اليّ اني في ارض غريبة الظل والسراب ، فيها
اشباح تسكلم كالعرب .

وفي الساعة الثانية بعد نصف الليل وصلنا الى قرية تدعى الشيخ صالح ،
فتزلنا هناك والتعب والجوع فينا يساوران النوم . فنام رفقاؤني في كن صغير
لا يليق في بلاد الله بغير المواشي — ما رأيت انساناً يخشون البرد مثل اهل
اليمن — ونمت انا في القلاة على سطح ذاك الكن ، ساعتين لا غير . ثم نهضنا

قبل الطيور فستأنف السير ، والتمب لا يزال حليف الجوع علينا .

فطرونا عند شروق الشمس وسرنا في ارض خضراء . تفوح من ادغالها روائح النبات الطليبة ، ومررنا بوادي الذهب ولا حيف بالاسم . فهو من اجمل الاودية واخصبها في اليمن الاسفل ، تجري فيه المياه ، ويزرع ثلاثاً في السنة الواحدة . رأينا الناس يحصدون عندما مررنا به في شهر نيسان^(١) ثم اجتازنا وادي نخلان وفيه رأينا لأول مرة سلك التلغراف الذي يوصل تعز بصنعاء ، وصعدنا من الوادي في نقيل^(٢) المحرس الى رأسه فاشرفنا منه على مشهد بهيج من السهول المزروعة ، ومن القسم الخضراء والجرداء دون تلك السهول . ثم دخلنا في ما يدعى « نجد الاحمر » وهي بقعة من الارض الحمراء صغورها تعلو اربعة الاف قدم عن البحر ، فيجف الهواء ، ويرد الماء ، وتعددت حولنا النباتات والرياحين التي ذكرني بعضها بلبنان فهوذا البيلسان وذاك اليانسون ، وفي تلك الادغال شجيرات من البطم والغار .

عندما وصلنا الى اعلى درجات نقيل المحرس تراءى لنا منها جبل بعدان ووراءه جبل حب اعلى وابعد منه ، وانكشف امامنا مشهد اخر من السهول والهضاب ، في وسطها عند متحدر من جبل بعدان ، مدينة اب القديمة . التي تسارى في علوها ووادي نخلان ، لاننا بدأنا في النزول اليها فوجدنا بعد ساعتين الى ساحة تدعى عند اهل المدينة ساحة الاستقبال . هناك يترجل المسافر اذا كان معروفاً ويتنظر قدوم المرحبين .

ترجلنا طائعين ، وكان قد تقدمنا احد العساكر يني . العامل يقودونا ، فبنا نتنظر « استقبلاً ليليق بنا » كما قال رفيقنا رسول القاضي عبدالله العرشي .

(١) من مزروعات اليمن الحنطة والشعير والذره والدخن والعدس والبطاطس والوردس والحلبة والفات

(٢) النقيل في اصطلاحهم هو العقبة او الطريق السالكة في الجبال العالية .

وما عتست ان تحركت الجموع وخرجت من المدينة ، فشهدنا عسكرياً زاحداً
اليينا وسمعنا اصوات الابواق والطبول . جاء العامل اسماعيل باسلامه بجيئه
ورجله ، وبجندته وجمعه ، وبنوبته واهازيجه ، يستقبلنا ويرحب بنا باسم الامام .
وبعد السلام ركبنا وانخرطنا انا ورفيقي في ذلك الجمع المنبل المهلل فنحسب
انفسنا في حلم من الاحلام ، او في موكب من مواكب الجن ، والجنود
مستترسلو الشهور ، مكعبو العيون ، المزينة عمامهم بالورد والريحان ، حولنا
وامامنا ينشدون بصوت جبلي رهيب :

يا من يخالف امر مولانا ويفضيه لا بد من يوم تراه
لا بد من يوم يشيب الطفل فيه والطير يوسي في سماء

دخلنا المدينة دخول الفاتحين ونزلنا على الرحب والسعة في بيت من بيوت
العامل اسماعيل ، المشهور في بلاد اليسن ، اعلاها واسفلها ، بكرمه وفضله
وعدله ، فقمنا ، بعد ايام من المشقة والشقاء ، بنواعم العيش وطيباته ومثلها
اسرعنا من ماويه ابطاناً في اب ، بلا حياء في الحالين . فجانا ونحن هناك
برقية من الامير علي بن الوزير يقول فيها انه محزون لقراقنا فأحجلنا وعاد بنا
الى ما كدنا لنسائه من التأديب في الغربة . على ان التأديب في المشقات اجتهد
يزيد المرء بلاء ، والحجل في السياحة ولا سيما في البلاد العربية ، يمرض ويميت .
من حسنات اسماعيل بك باسلامه انه لا يخطب في ضيوفه ، ولا يفاخر
بدينه ، ولا يهدد بلاد الكفار بالدمار . هو رجل هادى . الخاطر ، وديع
الذفس ، غني كريم ، يحبه كل من يشتمل في ارضه ، صكاً يحبه كل من في
حكيمه . وهو يخلص الى الامام اخلاصاً لا يشك الامام به ، ولا يخشى من
تقليبه . انه العامل الوحيد على ما علمت الذي لا يأخذ الامام رهينة^(١) منه .

(١) سمعت بالرهائن في حلب فاستغربتها واستنكرتها . وكدت انكر صحتها
سمعت . الا ان اغرب الامور في اقربها في بعض الاحايين الى الخفوة . فالاعام

وقد يكون السبب في تساهله ورحابة صدره انه سني حضرمي . وقد تكون هذه الحلال من فطرته وصفاء ارومته . على ان المحاسن الروحية والذوقية مثل السيئات تتغذى خصوصاً في الشرق بالمذاهب والاديان . ان اول رجل لمس قلبه قلبنا في اليمن هو شافعي ، واول رجل اضافنا ولم بسبب الكفار هو شافعي . على اني اظن ان اسماعيل باسلامه ، ولو كان من عباد الاشجار ، يظل في فضائل الجملة قريباً من الله والناس .

جاءنا صباح اليوم التالي يسلم علينا ويبيده طاقة من ورد نيسان قدمه الي . وزرت واياء بحاتينه التي يزرع فيها من الثمار انواعها ، تلك التي تصلح في الشمال وفي الجنوب ، في المنطقة الباردة والمناطق الحارة ، فرائدا الزيتون ، والموز ، والمانس ، والعنب ، والثفايح والزمان زاهية كلها زاهرة . ان هذه الاشجار تنمو كلها في اليمن الاسفل ، لان تلك البقعة من الارض تعلو خمسة الاف قدم عن البحر ولا تبعد اكثر من عشر درجات عن خط الاستواء . فنستوي فيها لذلك حرارة الهواء والتربة .

اما مدينة اب فسورة ، وهي وسجة ومزدحمة ، تروق الناظر اليها من الخارج فقط . بيوتها من الحجر واكثرها ثلاث طبقات ، تستخدم الاولى لقوامشي والدواب ، والثانية للخدم ، والثالثة لاهل البيت . ليس في المدينة مدارس غير ما في المساجد لتعليم القرآن ، وليس فيها احد من الاطباء ، ولا نقطة ولا حبة من الدواء . ويكثر فيها الجدري والحمل والكل القات . اننا

يحيى يتقاضى كل موظف من موظفي حكومته الكبار ، الملكيين والعسكريين ، رتبة واحدة ، ابناً او اخاً او نسيباً عزيزاً ، يقيه في حوزته كغفلة الاخلاص والاستقامة في الخدمة ، وضمانه الصديق والوفاء في التابعية . وهو لا الرعاع - عند الامام على ما قيل اربعة الاف منهم - يقيمون في المدن المختلفة كل بعيد عن اهله ومسقط رأسه . فتعلم الحكومة بعضهم وتامر البعض وتفتح الآخرين ، بكفالة احد وجهاء المدينة ، حرية الجولان فيها .

كلما صعدنا في اليمن أنرى « التخزين » في ازدياد وصحة النسل في نقص ظاهر
 لاسيا في الاولاد . فان وفيات الاطفال في اليمن كثيرة ، اذ قلما يعيش الرجل
 الواحد من عشرين ولداً مثلاً اكثّر من سبعة او عشرة اولاد . واظهر ما
 فيهم النحول ، والشحوب ، وضعف الاعصاب .

قلت ان اب جميلة من بعيد ، فالقادم اليها من مأوية او قيز يراها فيه
 السهل وحوله الرئي كأنها حفنة من اللؤلؤ على بساط اخضر ، فترش في بحيرة
 جفت مياهها . والقادم اليها من يريم يراها قائمة على رأس الجبل كصخر في
 مرج او كهج في جزيرة . ولها ساحة وداع كما لها ساحة استقبال . متى معنا
 اليها اسماعيل بك ومعيته ، وارقنا الى دمار بثلاثين من الجنود النظامية على
 رأسهم ضابط تركي . فسرنا بعد استراحة يومين في نعيم ضيافته ونحن نكفي
 ان يراه عدد الحرس كلما دنونا من صنعاء .

مررنا في طريقنا الى يريم بوادي المرفد الذي يفوق وادي الذهب جبالاً
 وغصباً ، وشاهدنا فيه لأول مرة شجر البُن الذي يشبه في ورقه وزهره الاسبون
 وشاهدنا كذلك الجوز واللوز والخروب . وبساتين غضة من العنب والموز ،
 تجري في ظلها مياه النهر الذي يتدفق من جبل سمارة . وبدأنا بعد الظهر
 نصعد في نقيط ذلك الجبل ، وهو اعلى نقيط في اليمن ، فوصلنا الى وسطه عند
 الغروب ، وبثنا تلك الليلة في قرية تدعى المنزل ، تجرها دون واهلها الشعيون .
 ولما صلنا الى رأس النقيط في اليوم التالي كانت الرياح شديدة ، والهواء ،
 على نحو الشمس ، بارداً ، فشمرت بالبرد لأول مرة في اليمن . ولا غرو فكانت
 قد علونا عن البحر ثمانية الاف قدم اي علو ظهر القضيب في لبنان . ومن تلك
 الذروة الهائلة ، المدهشة المنعشة ، رأينا منبسطاً امامنا وتحتنا قاع الحقل والى
 الجنوب منه ظفار^(١) التي كانت مشهورة في العهد الحيري بقصورها وحصونها .

(١) ولا يزال في ظفار آثار سميرية رأينا من شكلها الحلي الذهبية واللائل الرخام هند
 احد التجار في عدن وكان فيها من قصور اليمن المشهورة كوكبان وينون وسلحين .

ان ذاك القاع في مزروعاته المتنوعة ، وبقاعه المحصودة ، اشبه بطنافس خضراء وصفراء وببيضا وسجواء قلا العن هجة والنفس سرورا . نزلنا اليه وسرنا معجبين بانتقالنا السريع من منطقة باردة الى ما يدنو من خط الاستواء .

اما استقبالنا في يرم التي كانت تدعى مريه في عهد حشير فقد كان مثل استقبالنا في اب ، وذا مظهر ، فوق ذلك ، فريد . وكيف لا وقد خرج ملاقاتنا اولاد المدرسة مع شيخهم الفقيه فاصطفوا الى جانب الطريق ، ينشدون ويهللون مرحلين . ما فهمت من النشيد غير كلمة الله والمسلمين ، والمجاهد الامين . ولكنني علمت ان الاولاد هم من الرهائن عند الامام . انه حكم عسكري قاس شديد ، بل حكم استبداد وارتباب . فلا عجب اذا اخلص العمال لرئيسهم الاكبر ولكل واحد ولد عنده او اخ او نسيب عزيز .

سألنا في محبرة في الطريق : هل عندكم حايب . فقال صاحب المحبرة : لا غم عندنا ولا بقر ولا معزى . ولو كان عندنا فليس من يرعاها . شباهنا في عسكر الامام ، واولادنا هاريون من التجنيد ، والعمال اخذوا اغنامنا كلها زكاة وضرائب لبيت المال . و

وانكنا عندما وصلنا الى دمار قابلنا امير الجيش فيها ابن الوزير الثاني ، السيد عبدالله ، صنو ابن عمه في ماويه ، سمعناه يقول : هذه بلادنا وهي بفضل حضرة الامام بلاد الحق والعدل والدين والصدق والوفاء . الحكم الكامل العادل تراه عندنا في اليمن ، فلا خمر ولا فسق ولا زنى ، ولا قتل ولا سرقة ، ولا ربا ولا رشوة ولا انتصاب . كل ذلك لاننا نحافظون على ديننا ، عاملون بكتاب الله ، مجاهدون في سبيله تعالى . . . ثم قال : نحن نقول ونفعل ، وغيرنا يقولون ولا يفعلون ، او انهم يقولون الحق ويفعلون الباطل . العرب ككذابين ساقطون ، يفضاون مال الاجانب على الجهاد في سبيل الله . نحن حاربنا الاثراك مراراً ، وجاهدنا الكفار الحونة في تهامة ، وسنحارب كل

من يحاول اختلاس قتر من ارضنا او هضم ذرة من حقوقنا . ستحارب حتى الموت . نحارب ، واذا غلبنا تنهقر . نحارب ونرجع الى الشمال ، نحارب ونعصم بالجبال ، نحارب ونلجأ الى الصحراء . واذا لم يبق لنا غير موطن . الاقدم نحارب حتى الموت مؤمنين بالله ، واثقين برحمته ، وطيدي الامل بعونه . ولماذا لا يعمل كذلك سائر العرب ؟ اين فيصل اليوم ؟

قلنا : هو في العراق ، ملك العراق .

فقال : واي خير واي شرف في ملك عربي زمامه بيد الانبياء ؟
لكان احسن فيصل لو ذهب الى ابن سعود ليصلح بينه وبين ابيه الحسين .
الملك حسين ! ان قلامة ظفر الامام والله خير منه . يا للعارا انفتح ابواب الكعبة للنصارى الكفار ؟

حاولنا اصلاح ظن الامير في ما اشيع عن الملك حسين . وانا اعلم انه لم يأذن للمسيحيين بالدخول الى مكة . فاهدأت من تأكيدتنا سورة غضبه .
- العرب كذابون ساقطون يحبون المال . وقد يصيرون بعدئذ ان شاء الله مثل اهل اليسن . هذا اذا اقتدى امراؤهم بولانا الامام واخذوا من احكامهم مثالا لاحكامهم . فتطهر البلاد كلها من الفسق والنجور ، من الزنى والحمر ، من الربا والرشوة كما تطهر اليسن .

وكان الزبيدي قسطنطين قد رمقني بنظرة فهمت معناها عندما ذكر الامير في مطلع حديثه الفسق والزنى . ثم عند ذكره ذلك ثانية هم رقيق بالكلام فنعته باشارة من يدي ، فلما عندنا خرجنا من المجلس لاني حلت دون جوابه . وما جوابه ؟ قد اضحكني من الامير ما غاظ القسطنطين . ذلك لاننا في احدى الليالي السابقة ، جاءت الامراة التي طيحت لنا العشاء ، والنام في اليسن خارج المدن الكبيرة سافرات ، تعرض نفسها علينا بشمن فسطان من الشيت . وقد قال لنا احد العساكر بعد ان خرجنا من ذمار : لولا السيد

معكم لكائنات النساء. تجيئكم في كل مصرة^(١)

كنت في كل قطر من الاقطار العربية افتح الاذن دائماً لجميع الناس ، فاسمع الشريف والبدوي ، والجمال والجندي ، والتاجر والسياسي ، فادون احاديثهم دون رأيي لي فيما اذ ذاك ابديه . والي اسألك ايها القارىء ، وانا اشاركك الآن في ما سمعت وشاعدت ، ان ترجى . وأنت كذلك الى ان تسمع الحديث كله ان كان عن الامام يحيى او عن سواه . وها قد اسمعتك كلام ابنا الوزير وهم من كبار رجال الامام ، وحديث احد الشوافع العقلاء . وهم باطناء اعداء الامام ، وحديث صاحب مصرة وهو ممن يدفعون ضرائب الامام . واليك الآن بحديث من يحارب لتعزيز وتديد حكم الامام .

كان في حرسنا جندي اسمه احمد ، حارب على صغر سنه ، في ثلاثة حروب مع الظليان في طرابلس الغرب ، ومع الانكليز في الهند ، ومع الترك في اليمن . قال احمد : أخذت خدعة من عدن قيل لي ان في الغرب حرباً بين الاتراك والكفار فركبت الباخرة وتولت في طرابلس وبعد ان صرت في عسكر الظليان عرفت انهم يحاربون الاتراك المسلمين . ولكنهم اعطوني مالاً واسموني الكلام اللطيف ، وعاملوني معاملة حسنة ، فحاربت واستغفرت الله . . . الظليان احسن من الاتراك ، واحسن من الانكليز الذين كانوا يقتلوننا بالشغل والنظام . اما الاتراك فلا يسهم النظام ، ولكنهم لا يدفعون

(١) ان بعض الافاضل في اليمن وخارجه اغوا علي باللائمة لذكري هذا الحادث . فلم لم يلوموا لاني نقلت كلام ابن الوزير الامير عبدالله ؟ - لا فسق ولا زنى في اليمن ! ايبغون الخفافى التي تدغدغ قواهم دون سواها ؟ على الرحالة ان يصدق قراؤه الخبر في كل شيء . اما الحادث نفسه فهو عادي في اي بلد من بلاد الناس ولولا خطبة الامير عبدالله لما كان له في الرحلة مكان ولكني اسف لاني دقق في التسجيل فذكرت اسم البلد والبيت (في الطبعة الاولى) وعرضت بالمرأة للاهانة . اني اعتذر اليك ايها المجديبة الباقية واسأل الله لك الخير والسلامة في كل حال .

مثل الطليان . والآن يا افندي - اقرب مني ليهمس كلمته همساً - لا مال ، ولا نظام ، ولا لطيف كلام . . . اما حضرة الامام فهو رجل عظيم ، رجل صالح عادل عزوم . والسكن عماله طماعون يشتهون دائماً القلوس . . . قسستنا خمسة ريلات في الشهر - عندما يدفعونها . ولكنهم يسيرونا في البلاد من طرف الى طرف وليس في قيصنا بغشة - اي نحاسة - واحدة . والاغالي لا يحبوننا لانهم يدفعون ضرائب كثيرة . ولا يطعموننا ولا يؤووننا الا اذا دفعنا . وماذا ندفع ؟ ما في هذه القيص شي . - نفطها ليريني انها فارغة - وغتها يا افندي انا والله دفعتها . ويجب ان ادفع ايضاً ثمن النيل لأني جلدي من البرد . والقات ؟ من يدفع ثمن القات ؟ نحن في اليسن فقراء ، وحكم الامام يزيدنا فقراً .

وسكان معنا ولد لا يتجاوز الخامسة عشرة وهو متزوج فسألته : يا ابن زوجتك ؟ ففرقع اصابعه وهو يشير اشارة يمنية لطيفة وقال : هي هناك وراء الجبل . وهو لم يزرها منذ سنة . « ولا اعود اليها والله حتى يصير في جيبي ظلط^(١) فقال احد رفاقه : مسكينة توت ولا تراك .

وقال آخر حليته بيضاء ظننته يتجاوز الحسين : لا والله ! لا ازال في الثلاثين . اما هذا الشيب فهو من هنا - وأشار الى قلبه وسكت . ثم راحوا كلهم ، ويد الواحد في يد الآخر ، يعدون وينشدون :

يا الله اليوم فرج وفك العسر

يا مغرج على النفس في ضياقتها^(٢)

بدل العسر بكل اليسر

وفتح ابواب قطال^(٣) غلاقها

كيف قوم محوز^(٤) وقوم اخر

(١) ظلط فضية (٢) في ضيقها (٣) قد طال (٤) حامر

في المقابل^(١) على شرب تباكها .

لم ار عرباً يتكلمون في امورهم مثل عرب اليمن وخصوصاً الزيد .
ولكنهم اذا سمعت القرص ووثقوا من محدثهم يجهرون ، فيفصحون اذذاك
ويصدقون . والسيد والاعرابي واحد من هذا القبيل . ارفقنا امير الجيش
في ذمار باحد السادة الكراماً او استغلاماً ، لا فرق ، فكان يركب بعيداً عن
الجنود ، ولا يقترب منهم الا امرأ او ناهياً . وظل في اليوم الاول بعيداً
كذلك عني ، فما كان بيننا من الكلام الا السلام .

ولكنه في اليوم الثاني سألني هماً ان اطلع له السر في حفظ الماء بارداً في
قنينة الـ « ترموس » التي كانت معي . فاخبرته ورسمت الشكل في الزجاج
المردوج الحالي من الهواء . فدهش وقال : الافرنج اصحاب عقول - عقول
ذكية . وهم يستخدمونها دائماً في كل شيء . ونحن لا نستخدم عقولنا الا في
الحروب . سأسافر يوماً ما ان شاء الله . سأخرج من اليمن متكرراً . . .
اهل اليمن يا امين يفارون جداً على دينهم ، ويظنون ان ليس خارج بلادهم
غير الكفر والكفار . ولكني سأسافر ان شاء الله وان كفرت .

سألني السيد محمد ان اعطيه عنواني فكتبته في ورقة فأخذها وخبأها في
طية من طيات عمامته البيضاء . وقال : سبقي سرأ بيننا . وعندما نصل الى
صنعاء انت تقول ضيقاً على حضرة الامام ، وانا اذهب الى بيتي ، فلا نتقابل
بعد ذلك ، ولا لزوم .

وفي اليوم الثالث اقرب مني وانا اكتب فقال : ما الذي تكتبه في
دفترك ؟ فقلت ، وكنت خلال السفر قد سألت عن اسماء بعض النباتات
والازهار : ما اعطيتني به . فقال : وما الفائدة من كتابة اسماء الازهار
والاشجار والحجار ؟ فقلت : قد تم معرفتها من يحيى بعدي . فاقنع ظاهراً

ثم قال : هوذا اليوم الثالث وانا رفيقك ، أفتأذن بسؤال ؟ فقلت : نعم بعد ان تجيب - وائي . هل انت مسافر الى صنعاء لشغل خاص بك او بامر من امير الجليش ؟ فاجاب : لي حاجة في صنعاء واسكنني لولاك ما جئتها اليوم . ارسلني الامير رفيقاً جاً واکراماً وما قصدك يا امين من زيارتك اليمن ؟ - مشاهدة البلاد وتأليف كتاب فيها وفي اهلها .

- وهناك مقاصد اخرى .

- نعم ، اراكم حيث كان اجدادكم منذ الف سنة ، وسأقول هذا لخدمة الامام فمضى ان يسعى في ما يدفعكم الى الامام . فيفتح المدارس في البلاد ويمهد سبيل العلم والتعليم .

العلم ناهي^(١) ولا ريب في ذلك . انا من رأيتك ، واقدم بالله وبهذه الشمس الغاربة اني صديقك . فقل لي هل يطمع الانكليز ببلادنا . - لا اعلم . قد اصدق اذا قلت لا ، وقد اصدق اذا قلت نعم .

- الست رسول الانكليز الى الامام ؟

- لا ، ولا رسول دولة من الدول . لا ناقة لي في السياسة ولا جل . ولكنني اقول لك اني اخو الحرب ، وصديق العرب ، واشتهي ان اراهم كلهم في التحالف بعضهم مع بعض . اشتهي ان ارى الامراء سائرين في سبيل الوحدة العربية وتعزيزها .

- ناهي ولكن كيف تم الوحدة ؟ اعلم ان الامام رجل عظيم ، اعظم العرب اليوم ، وهو يطمح الى حكم اليمن كله بامر . ثم الى حكم البلاد العربية كلها باسرها .

- قد يكون الامام رجلاً وابن يجتهد . ليجتمع الامراء ويتفقوا على ذلك .

(١) ناهي في اصطلاحهم حسن جميل

— ولكن كيف يجتمعون وابن ؟ ومن يدعوهم ؟

— يا حضرة السيد ، قلت وانت الصادق ان عندي رسالة ابلاغها الامام .

فلو اطلعتك انت على كل شي . فباذا احتفظ للحضرة الشريفة ؟

ابنتم السيد محمد وقال : كلام حكيم . ولكني انا اطالعك على ما لا علم لك به . شكوت بيوتنا الضيقة ، وسقوفها الواطنة ، ونوافذها الصغيرة . فلو سمحت في عير لوجدت البيوت هناك اضيق واظلم . اتعرف السبب ؟ لا يزال اهل اليمن وعسير وحشين ، لا يثق الواحد منهم باخيه ، ولا يركن اليه . حياتهم خوف دائم واضطراب . هكذا ينعمون في عير — وبأذن الى بندقيته فرضها بين جنبيه وضما اليه — هم كالحبوانات البرية يخشون كل من يدنو منهم . وفي اليمن ، قد رأيت بعينك ، الناس كلهم مسفحون ، وكلهم يقاتلون ، ويقتلون لامر طفيف . نحن نغار على حقوقنا . ما قصة هذا ؟ — واخذ بيده فجان القهوة — ولكنه لي ، هو حقي . فاذا اخذته مني ، اغتصبته ، وما سمحت احتجاجي اقاتلك ، استل عليك هذه الجنيبة ، اذبحك . هذه طريقتنا في اليمن . واذا حدث قتال بين بيتين في هذه القرية مثلاً ينضم اهلهما وقد انقسموا حزبين ، الى المتقاتلين ، فتشب في القرية نار الحرب ، وعندها تنطلق ، يتساملون : وما السبب في القتال بين فلان وفلان ؟ يقاتلون اولاً ثم يستسلمون . هذه طريقتنا في اليمن ، نحارب حتى اهلنا . يحارب الاخ اخاه ، والابن اباه . فاذا كانت هذه حال بعضنا مع بعض فكيف تكون حالنا مع الاجانب ؟

قلت : وهل في اليمن اناس يشتمون رجوع الابرار ؟

فاجاب : من يشتهي ذلك نذجه .

— وهل في اليمن اناس من الباطنيين ؟

- كان منهم طائفة فافينناهم بالسيف .
- أهذه هي طريقكم في اليمن ؟
- نعم يا امين . يغار اهل اليمن على بلادهم كما يغارون على حريمهم .
- لا حق في البلاد لنغير اهلها . ونأبى الشرقة فيها كما نأبأها في الحرم ، فتعارب
ليسلم الشرف ، ونحارب ليسلم الوطن .

الفصل الرابع

صنعاء اليمن

وعلان - حزيز - البن المطري - جبل القمر - صنعاء - جبال الاسماء وجبالها - جبل عقار - جبل آلس - معادن الفضة والطاق - لشيد الزامل - يبر - العزب - الدوشن - بيت من بيوت الشام - ازهار لبنان - طباش مشدون - الحجام - الحيد علي زباره - القاضي عباد الله العمري - الطواف في المدينة - الهندسة العربية في البناء - الاحياء ذوات - اجرة البيوت - اسعار لوازم المعيشة - « وهو مع ذلك يشعرون » - حصار صنعاء ووقعة شهاره - الحضرة النسيبة - المظلة المشهورة - البنود والطبول - قصة الجندي ورسول مصطفى كمال الى الامام .

في صباح اليوم الثاني عشر ١٨ نيسان سنة ١٩٢٢ بعد خروجنا من الحج وصلنا الى حزيز ، المرحلة الأخيرة في رحلة مشقاتنا تنسي المسافر ما فيها من الحسرات والمستغربات ولكن أثر المشقات يزول فتعود الحسرات الى مقامها في الذاكرة وفي الفؤاد . اني وانا اكتب الان اتمتع بها واستأنس بترداد ذكرها . كآني في رحلة اخرى الى صنعاء ، لا مشقة فيها ولا عناء .

بننا الليلة السابقة في وعلان ، وهي قرية صغيرة على مسافة خمسة عشر ميلاً من صنعاء ، وخرجنا منها باكراً فأحسست بعدد شديد يستغرب مثله في الدرجة الخامسة عشرة عرجاً من الارض . واصبكتنا اصبحنا كذلك في علو يدنو من عشرة آلاف قدم فوق البحر ^(١) هذا هو السبب في انتقالنا تلك الساعة

(١) هذه اصح قياسات الارتفاع في جبال اليمن بالاقدام الانكليزية

١٠٠٠٠	جبل سماره	٩٥٠٠	جبل ذفار قبالة	٦٧٥٠	مدينة اب
٢٩٠٣٠	يرم	٢٦٥٠	ذمار	٢٥٦٥	صنعاء
٩٥٠٠٠	بوعان	٨٠٠٠	مناخه	٩٨٤٠	جبل شام

عند تضاد البرد بمعد الماء في صنعاء وقد سقط الثلج في ذمار لأول مرة في حياة من شاهدوه في شتاء سنة ١٣٤٠ - سنة رحلتنا .

الى طقس اشبه بطقس الشمال . على ان الشمس ، شمس اليمن ، لننجر بقرون صغير من قرونها الذهبية كل ربيع تهب فتدميها ، ثم تحييها ، وترسل الحرارة فيها .
وصلنا الى حزيز ، وما هي الا بضعة بيوت وممنسرة ، ساعة الضحى فجلسنا هرباً من الشمس في في حائط نتناول الغطور . وكان مما قام حولنا من الجبال اثنان شهيران يا يهتان ويجاوران . وهما بنو مطر غرباً ، وفيه احسن ما يزرع في اليمن من البن ، وأقم شمالاً ، وفي غلة اكبر واجمل مدينة في اليمن ، بل في شبه الجزيرة العربية كلها .

وما هي الا ساعة بعد ارتحلنا من حزيز حتى ترامت لنا رؤوس المآذن في تلك المدينة . ثم قباب مساجدها وهي بيضاء توهج في نور الشمس الذي يتفرج كالزئبق في الخاف الشفاف من الهواء . بينا نحن ندنو من لقم الذي اصبح على تيننا ، اذ بدت لنا المدينة نفسها وهي محاطة بالجبال تمتد شرقاً وغرباً ، كأنها وهي كلها بيضاء ، سلسلة من التلال الكلسية ، في سهل ذهبي منقطع الأخضرار .

اتنا بشر يوماً في المشقات والوهالات . وهذه صنعاء تنسيك اضعافها . اي صنعاء ، مثلك انا التاريخ فكنيت مليكة الزمان ، ومثلك لنا العلم فكنيت يوماً ربة العرفان ، ومثلك انا الاساطير فكنيت سيدة الجن والجان . اجل ، فكلم من ايلة ، وفي اليد الكتاب والى جانب الكتاب نور شمعة ضئيل ، تغلغلنا في سراديبك ، ووقفنا عند كنوزك ، وعطفنا حول قصورك ، وصحنا الشراء ينشدون الشعر في دورك . واليوم ، ومطبتنا غير الخيال ، نشاهد ما يثبت المقال ، ويحقق الامال . هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ . وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر . وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم . وهذه كنوزك وسحر قصورك بل سحر الاسماء . فيك ما كذبت الاساطير . كنا نظنها اسما . ابتدعها

الشعراء لعرائس الجن والخيال . ولكنها من الحقيقة في اعلى مكان . أفنا
صعدنا وياك ايها القارىء في نقيع السيآن ، واجترأنا وادي نخلان ، وغنا في
يريم ووعلان ، وتقيلنا في ظل بعدان ، وها نحن نشرف على قصر غندان .

اجل ان صنعنا في محاسنها لا تحسب للزائر املا . وكلما دنوت منها ، وهو
عكس الحقيقة في اكثر المدن ، ازداد رونقها وازداد اعجابك بها . هي في
مقامها الطبيعي فريدة عجيبة . فيها الهواء اعذب من الماء ، والماء اصفى من
السماء ، والسماء اجمل من حلم الشعراء . وفيها البرد ، وقد عاتت تسعة الاف
قدم عن البحر يستحيل لقرىبا من خط الاستواء . دفء . وهي قائمة في قاع
سنتان ، تربتها من جهة الروضة وفيها البساقين والكروم ، ومن جهة اخرى
الحوطة وفيها السواقي والطواحين . ثم تحيط بها الجبال دون ان تقصر ارجاءها .
اقربها اليها عَصْر وهو يظلل المروج في الاصيل ، ولثَم الذي تجري منه المياه
الى المدينة وتحمل الشمس من فوقه وميض الزجاج - تلغراف المرايا - الذي
يوصل اوامر الامام من قنّة الى اخرى . وهذا عِشَار وفيه الرخام والمرمر .
وذاك آتس في الجنوب وشعوان دونه شرقا وفيها معادن الطلّق . وهناك
رضراض وفيه معدن الفضة . وهناك شبام شحالا بغرب وفيه من الحجارة
السكرية الجرج والعقيق .

وصلنا الى صنعاء الظهر فلاقانا على مسافة ميل خارج السور رجال الامام
وثلة من جنوده . وسرنا في موكب الفناء وما ملئناه لان « الزامل » اي تشيد
الزبود عكس ثيابهم المثيلة راقنا جدأ . وكنا كل مرة يقفون فيه عند القرار
الغريب الرهيب نثلهم على العدو زاحفين ، ويجرد الزامل غالبين منتصرين .

سرينا على موز^(١) حل^(٢) السجر

ليلة مقدره^(٣) ما قرها هليل^(٤)

(١) ضر معروف (٢) وقت (٣) مظلمة (٤) ما حل فيها قر

واصبح الصبح ورحنا^(١) براس النقييل

فنجور^(٢) العدى غارسين القتييل

نعقر جوادهم مثل عقر البقر

ساروا وهم يهزجون فروا ببرابة عدن الجميلة الهندسة والبناء ، والى جانبها خارج السور ثكنة كبيرة شيدها الترك . ثم حول السور غرباً الى بوابة اخرى ، افضت بنا الى ساحة فسيحة بين صنعاء والحلي الجديد منها الذي يدعى ببر الغرب . هناك سمعنا وشاهدنا في مظاهر الاستقبال الياضية مشهداً اخر كان له في لبنان مثيل . الا وهو « المشربش » الذي يدعى في اليمن « الدوشن » فشرع يصيح مرتجاً بنا صياحاً فيه نبرات وغناات جمعت بين ردى الخطابة والنشيد ، علمنا منها اننا نور شمس البكال ، وقر الفضل والجلال ، وغيرها من آيات المحال .

وعندما وصلنا الى ببر الغرب ، اي الحلي الذي يسكنه اغنياء صنعاء وفيه قصور الامام ومركز الحكومة ، ودخلنا البيت الذي اقمنا بعدئذ فيه عيذان الحرارة ، كان الحيال في الانتقال الى لبنان والى الشام ايهج واتم . البيت صغير ولكن في الذوق واسباب الراحة كبير . ردهة الاستقبال فيه تكسرف على صحن في وسطه شاذروان ، وحوله القرنفل والريحان ، وفوقه تتدلى افصان المشمش والزمان ، يغرد فيها القسري والحسون ، وتتلاها خلاها الشمس فتكفلل حبال الماء المتصاعد من البركة لجناً رجواجا .

اما سرورنا الاكبر في اليوم الاول ففي مائدة ، على طاولة ، تحت المششة ، عند الشاذروان ، بادرنا اليها وعيوننا لا تصدق ان الكورسي كورسي ، وان في ايدينا الشوكة والسكين ، وان ما نأكل قد طبخه طبّاخ متسدين ، وان بالغ بالايازير . ثم سألنا ونحن في ذا النعم من النعم الآخر -

(١) نحن (٢) في نجور

الحمام . فقام السيد علي زياره ، وهو وزير المالية ووكيل الضيافة عند الامام :
الحمام يوم وصولكم لا يجوز . ولكنني عرفت في اليوم الثاني عندما زرت
الحمام ، الذي ارسلنا مصحوبين بجندي اليه ، ان للتأجيل سبباً آخر فيه دليل
على ذوق السيد علي ولطفه . فقد بعث الى صاحب الحمام يأمره بتنظيفه
واعداً له - لنا وحدها .

ثم عرفت في اليوم الثالث ان السبب الاول في ذلك هو التحذر من اجتماعنا
بالناس ومخادثتهم وذلك عملاً بأمر الحضرة الامامية الشريفة التي كانت يوم
وصولنا متفنية في الشمال لتحصم خلافاً بين الطواش وعيال سريح استفحل امره .
وقيل لنا في الطريق ان بعض رؤساء تلك القبائل كانوا يقاوضون السيد
الادرسي لينضروا اليه وينصروه على الزيد . فلما أخبر الامام بقدمنا امر
الأنقايل احداً من الناس قبل رجوعه .

ولكن في اليوم الثاني زارنا احد رجاله الكبار القاضي عبدالله العموي
وهو يد الامام اليمنى ورئيس ديوانه ، فاستأنسنا بحضرته وسررنا بحديثه .
الفينا على جانب صبير من الفضل والاتضاع ، ومن الحكمة والتساهل ،
فحللنا زيارته على المقابلة بينه وبين اولئك المتبعجين امراء الجيش وشكرنا
الله ان في رجال الامام من ينظرون الى الامور من وجهة عالية حديثة ،
ويحسنون الرأي والموازنة .

سألتنا زائرنا عن زميله القاضي عبدالله العرشي فاجبتنا بما نعلم فقال : له
سنة في عدن ولم يفعل شيئاً (اي في مذكراته مع الانكليز بخصوص الجديدة)
وسألتاه نحن عن عمال الحكومة والسبب في الرهائن فقال : النقص موجود
وبعض الخلل . ولكنها نتيجة غير اخطأت السبيل . الشافعي والزيدي
اليوم متساويان . وحضرة الامام عالم عادل ، سديد الرأي ، سمح الخلق ،
قويم الخطة ، لا يعرف في اقامة الحق غير الشرع . ولا يفرق بين الكبير

والصغير او بين الزيدي والشافعي . ولكن هناك بعض الذين يعانون ولا يعاقبون . نياتهم حسنة اما غيرتهم فقد اخطأت كما قلت السبيل . . . نعم حضرة الامام يضبط الامور بيد شديدة . لولا ذلك لما كنت ترى العدل والامن والاقبال في انحاء البلاد كلها ، الا في الاطراف حيث لا يزال بعض الاضطراب .

كانت هذه من القاضي عبدالله اولى الزيارات وآخرها اثناء غيبة الامام ، وما علمنا السبب في ذلك . الا اننا كنا راغبين في مقابلة رجل آخر كان معنا كتاب توصية اليه فاستأذنا السيد علي زياره فقال : حينما يرجع الامام وراح ذات يوم خادمنا الى المدينة فعاد يحدث بما شاهد فيها من المعائب والفرائب فاستأذنا السيد علياً في زيارتها بينما نحن ننتظر رجوع لحضرة الشريفة ، فلما اذن بغير الطواف حول السور ، وازسل معنا عسكريين وأحد الموظفين . مشيناً في طريق واسعة بين الحقول المزروعة والسور الكبير المشي من اللين والطين ، ووقفنا بعد نصف ساعة عند بوابة الشام ، اي بوابة الشمال ، فتباحث اذ ذاك الموظف والجنود وكنت قد سألتهم ان ندخل المدينة وكانوا قد ملوا المشي في الشمس على ما اظن . فاسفر البحث عن اجابة طلبتي بشرط ان لا يعلم السيد علي بذلك . دخلنا المدينة وقد تعاهدنا على ان نكتم الخبر وجعلنا في احياء السكن منها لا في اسواق التجارة .

ان صنعاء مدينة عربية صافية روحاً وشكلاً اسواقها مثل اسواق جده غير مرصوفة ولكنها اوسع وانظف . اما بيوتها العالية ، وبعضها ست طبقات ، فيبناؤها اكثر اتقاناً واجل هندسة لان الاسلوب العربي فيها لا يشوبه شيء اجنبي هندي او اوروبي . وهي المبينة بالحجارة البيضاء والسوداء . وبعضها بالأجر والبعض بالابن ، وبين كل طابق والآخر زناز من الجص الابيض المنقوش اشكالاً هندسية ، وفوق كل نافذة كوة فيها لوح من المرمر يكاد

يسكون كالزجاج رقيقاً شفافاً . ولكنه اقل من الزجاج واجمل . وهناك في الطابق الاخير لاكثر البيوت غرفة واحدة هي غالباً مطلقة من جهاتها الاربع تشرف على المدينة وتدعى المنظرة ، يستخدمها الناس للاستقبال والقبولة فيفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملون في النوافذ فيقسمونه اشكالاً هندسية ، ويلونونه بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق ، اي الاصباغ الاربعة التي يصنعونها في اليمن فيستخرجونها من النباتات .

اما الاحياء فتختلف رونقاً ونظافة . كان رفيقي ، ونحن ننقل من حي الى آخر فكاننا نبحث عن بيت نقيم فيه ، يقول : هذه الدرجة الاولى اي احسن البيوت في المدينة ، وهذه الثانية ، وهذه الثالثة . واهل اليمن او بالحري اهل صنعاء مثل سكان المدن كلها ، لا يتقسمون الى ما يتجاوز ثلاث طبقات . ولو كان في جوارها او فيها من البدو لكانت الطبقة الرابعة في المضارب خارج السور .

ما عرفت اليمن اثناء الحرب ولم تعرف حتى اليوم غلاء المعيشة والاجور . ان مجرد ذكر اجرة البيت في صنعاء يشوق اخواني في مصر ونيويورك الى الاقامة فيها ، وقد يحمل بعضهم على السفر حالاً الى اليمن . هذه بيوت طبقاتها من الثلاث الى الست ، وهي من الدرجة الاولى اي في احسن حي من المدينة ، وفيها المنظرات ، والمرمر ، والزجاج الملون ، وما اجرة الواحد منها غير اربعة ريالات مساوية شهرياً اي اربعون غرساً مصرياً اما في الدرجة الثانية فالاجرة ثلاثة ريالات . ويمكنك ان تستأجر بيتاً في الدرجة الثالثة ذا ثلاث طبقات ، له زائران من الجص وحكوات من المرمر بريالين فقط . اما المعيشة فلا تقل حسناً ولا تريد تفقة بالنسبة الى البيوت^(١)

(١) لم تثار اليمن لا اثناء الحرب ولا بعدها من غلاء حاجات المعيشة لان ارضهم ولا تررع كماء قطعهم ، وانوالهم تكسبهم ، فلا يحتاجون غير القطن وبض الاصباغ من الخارج . هاك اعمار بعض لوازم المعيشة هناك سنة ١٩٢٢ :

وهم مع ذلك يشكون - يشكون وقوف الأشغال ، وقلة المال ، وعسر الأحوال - ومنهم من ينسبونها كلها الى حكم الامام ، ومنهم الى الله وحده ، ومنهم المارقون الذين يبرئون الله والامام من شرور هذه الايام ، وقد وصل بعضها الى اليمن عن طريق السياسة ، سياسة الترك بالامس وسياسة الانكليز اليوم . لما الامام ففي مقاومته هذه الاخيرة كما قاوم تلك يكثر الضرائب ، ويذخر الاموال ، تقتل ولا غرو في ايدي الناس فتسبب قتلها وقوف الاشغال وعسر الأحوال فضلاً عما يعثر في اليمن دائماً من الاضطراب والشقاق والضعف الناشئة كلها عن حروبهم الاهلية . ناهيك بالمشازر وكلها مسالمة فيندر في البلاد ذاك الغرس الطيب ، غرس الوطنية المجردة من المصالح الذاتية . اجل ان الناس مع الامام اليوم ومع اعدائه غداً ، والسبب الاول في ذلك الجهل ، والسبب الاكبر هو الجهل المسلح .

قال المأمور دليلى : بعد ان حاصر الامام صنعا^(١) وسلم الترك غنمتنا من

لحم الضأن ثمن الرطل ٤ غروش

لحم البقر ثمن الرطل ١٠ غروش

السن ثمن الرطل ٣٥ غرشاً

القمح ثمن القدح ٦٠ غرشاً

البطاطس ثمن القدح ٢٠ غرشاً

القدح ٤٠ اقة ، والاقعة في اليمن كيلو وثلاثة ارباع ، والريال النمساوي الذي

يقسم مثل المجيدي الى عشرين غرشاً يساوي عشرة غروش مصرية

(١) هو حصار صنعا سنة ١٩٠٤ الذي استمر ستة اشهر فأكل اهل المدينة اثناء

الحصار لحم البغال والحمير حتى والخيول وكان عدده الاتراك الذين سلبوا وفيهم

الاهالي لا يقل كما قيل لنا عن الستين ألفاً . ولكنهم اعدوا بعد ذلك الكفرة على

صنعا فتهدف الامام وجنوده الى شهادتهم فقتلهم العدو الى تلك المضائق المائلة وخسر

هناك كل شيء . تلك هي وقعة شهارة المشهورة . لم يكن مع الاحام غير ثلاثة الاف

مقاتل غلبوا ثلاثين ألفاً من الاتراك وقد حاربهم بالصخور ايضاً يدحرجونها عليهم .

واهل اليمن يسمون النصر في تلك الوقعة اعينوبة بل كرامة من كرامات الامام .

البناحق خيرات - اي كثيراً فكانت الموزر تباع بريال واحد . وبعد وقعة
شهاده من استطاع ان يجر مدفعاً الى بيته أعطي له . فلا عجب اذا كان في
العشائر من يناهض الامام ويعصي جيوشه المنظمة .

عدنا بعد الطواف في المدينة فكان السر الذي تعاهدنا على كتمانته قد
سبقنا الى بحر العزب ودخل مفسداً حيث لا يستطيع سواه . لذلك لما رغبنا
المرّة الثانية في التزّهة قال السيد علي دون ان يظهر ما علمه من سرنا الاولاد
في المدينة يحنّون عليكم ويزعجونكم .

سكننا على علمنا اننا اسري الى ان يرجع الامام . والاسير اشدّة ما
يحدّق بالجدوان يصيح حاد النظر ، وتتنبه فيه كذلك الحواس الاخرى .
فقد سمعت مرة صوتاً شبيهاً بصوت الآلة الكاتبة - تك تك - تك تك تك ،
وراحت العين تبحث لتتحقّق ظن الاذن فاكتشفت شريط السلك اي التعرف
وعلمت ان المركز فوقنا في الطابق الثاني من البيت . وكان لنا باب موحد
من الخارج بينه وبين البوابة الى السوق حوش صغير ، سمعت يوماً جلبة فيه ،
فاستطلعت من ثقب في الباب الجهر ، فاذا هناك بعض المساكين يتنافرون .
ثم جاء واحد وهو يقول : هم عرب مثلنا . وفتح الباب فاستأذنته في الخروج
الى الحوش فأذن هاشأً وكان هو الدليل الانيس . اخبرني اننا مقيسون في بيت
من بيوت الامام العديدة ، وان الحضرة الشريفة غنية جداً ، وانها تقية ،
ورعة ، عاتلة ، عادلة فهي تجلس للناس كل يوم تحت شجرة في الحوش او
خارج البوابة في الساحة . اما المجلس الرسمي ففي الطابق الثاني من البيت .

نحن اذن قرييون جداً من الحضرة الشريفة . او انها تعطفنا - وقال
المفسدون تحفظاً - جعلتنا على مقربة من الاذن الامامية والعين العلوية ، وما
لا ريب فيه ان الزيود يتقون كثيراً ويتكسبون كأن هذه الخلة ، وهم قرييون
من المذاهب الباطنية ، صلة الانتساب بينهم وبينها . زد على ذلك انهم

يختلفون عن العرب بأنهم شغفون بالفضفضة والابهة الظاهرة . ولنا في موكب الحضرة الشريفة دليل وبرهان . كنت قد سمعت بالمظلة المشهورة التي تظل الامام يوم يزوم المسجد الجامع ، فتعطف به السادة والعلماء ، وتشتي امامه ووراءه الجنود ، وهم ينشدون « الزامل » تتقدمهم النوبة وثلة من الفرسان ، والمظلة في وسط الموكب كأنها القبة الزرقاء المروضة بالكواكب ، وقد مشى تحتها القمر المنير سُبُل الدنيا والدين .

هي ذا المظلة التي طُبِق ذكرها الافاق ومعها شقيقات صغيرات ملقاة في الزاوية في طريقنا الى الديوان . قال رفيقي وقد قبض على اكبرها : هذه لصلاة الجمعة . وفتحها فاذا هي كالخيمة ، قطرها ثلاثة اذرع ، وكنتها مصنوعة من الحرير الازرق والابيض المزركش ، وعلى اطرافها من الخرج العريض الثمين ما ينذر حتى في ملابس السيدات الفضة .

رأيت في تلك الزاوية ايضاً طبول الامام العديدة حججاً وشكلاً ، بعضها مشدود على الفخار وبعضها على النحاس . والى جانبها البيارق والرايات فكان الدليل اللطيف اسرع بيده مني برغبتي . فتح الراية الاولى فاذا هي خضراء مكتوب عليها بالاصفر : وفتحنا لكم فتحاً مبدئاً . والثانية صفراء ، مكتوب عليها بالاخضر : الجنة تحت ظل السيوف . والثالثة بيضاء ، وعليها بالذهب آية التوحيد والشهادة

سرت بخروجي الى الحوش وبدليلي اكثر من سروري بالطواف حول السور وفي المدينة . ولا غرو ، فقد شاهدت الرايات والطبول ، ولمست بيدي المظلة الشريفة ، واستأنست بالجندي الكريم الذي نفعني بشي . من عاومه ، ثم دخل معي الى البيت وجلس القرفصاء امامي فرائدي علماً بطرائق الامام .

« كان قبلك في هذا البيت فتحي بك »^(١) وكان الامام يزوره ليلاً وحده .
 سافر الاسبوع الماضي وهو رجل « ناهي » اعطاني هذه « الساكوة » واستدان
 مني عشرة ريالات اعادها لي عند سفره عشرين . . . لا ادري والله والسكني
 صحتهم يقولون انه جاء من مصر ليصلح السالك (التلغراف) . »
 ولكن الجندي في اليمن ، مثل من يقرأ الجرائد في البلاد المتدنية ،
 لا يعرف من الشؤون السياسية غير ما يذاع رسمياً لابعاده عن حقيقتها . فقدأ
 يحدث عنا فيقول : اننا جئنا من الجامعة الاميركية لنشتري الكتب الخطية .

(١) جاء من قبل مصطفى كمال الذي كان بينه وبين الامام يحيى في ذلك الحين
 مفاوضات سياسية .

الفصل الخامس

الضيف المأسور

الامام في مجلسه - قراش الملك - خطاب ابن قاضي ومذهبي - كتاب القوصية
من الملك حسين - الوحدة العربية والوحدة الاسلامية - محط رحالها - لا هل
عندكم كلام مضبوط ؟ - قصيدة الامام - المهنتون - تقبيل اليد والرجل -
ملوك اليمن قديماً - التقاليد والعادات - جرجي الشماري - شيوخ الاسلام -
« مسيحيان من لبنان » - رجل المسيح المسجون - عدد سكان اليمن - الميمنة
الاوربية - ما يوفى عن جورج واشنطن - العرائض - عريضة تقييد الامام -
« اذهبوا اذهبوا » - الوشاية والظن - ضيف مأسور - ضلالي الى الامام يعاد
الي - الملك يستغل - باب القريب - اصل المجنة .

اربعة ايام مضت ولم يخرج من البيت الا مرة واحدة . ثم عاد الامام الى
صنعاء من رحلته السلمية موقفاً قام قصره أولاً وجلس بعد الظهر للزائرين ،
فكنا بعد استئذانه اول المساعدين المهنتين . لم اشاهد في طريقنا اليه ، لا في
الرواق ولا على الدرج ولا عند الباب ، شيئاً من تلك الابهة العسكرية
المصنوعة التي شاهدناها في ماويه وذمار . حاجب واحد ، وهو جندي زيدي
في عامته غصن من الخبز ، فتح لنا الباب حين رأنا قادمين .

دخلنا وفيما ما يعتري كل غريب على ما اظن في مثل هذه الحال ، اي
الشوق الذي يسوده الاحترام ويشوبه بعض الظن . اترى الامام مثل امرأ
جيشه ، ام هو كريم الخلق لطيف الذوق كالملك حسين ؟ ايشف ظاهره عن
باطنه ، فترق ملامحه ، ويستطيل وجهه ، شأن معظم الائمة والعلماء ، ام يجتدع
ثا يمكنه مما لا تقصص عنه الوجوه والاشارات ؟

دخلنا فاذا نحن امام رجل ربع القامة ، صغير الرجل واليد ، احمر اللون ،
عالي الجبين ، مستدير الوجه قائمه . له فم كضم الطفل صغير بارز الا أن في
مرونته وهو يتكلم اشارة تقربه طوراً منك وترة تبعده . وفي عينيه السرداوين

القريبتين من انف قصير عريض نور يضيء وشرارة في بعض الاحايين روعة .
وله حلية سوداء قصيرة مستديرة يتخللها خيوط من الشيب . يلبس قباء من
القطان مخططاً فوق جبة ذات اردان من نسج اليعن ، ولعامة البيضاء الكبيرة
ذوابة تكاد تصل الى اذنه . دخلنا فاذا هو جالس على فراش اسود ونير ،
تحت فراش آخر وسجادة عجمية ، والى جنبه الوسائد يتكبي . عليها ، وامامه
زجاجة من الماء ورزمة من القات ، وخادم ينتخب الطوي من غصونها فيقدمها
له . وهو الامام يحيى بن حميد الدين المتوكل على الله . صافحناه مسلمين فرد
السلام مرحباً بنا دون ان يقف . جالساً امامه على سجادة تحتها فراش ، والغرفة
الصغيرة مفروشة بشلها ، وفيها عند الباب ديوان ، وعلى الحائط خرائط البلاد
العربية واليانية باللغة التركية .

كان في يدي ان القي بكلمة في حضرته فحدثته بها جالساً . وما قلته
بعد تهنتي بعوده سالماً موقفاً : اني جئت من وراء البحار واقاضي النديار عملاً
يعاطفة لا قوة للقومية بسراها ، ولا عز للامم بلوئها . فاننا همما اسرسلنا في
حب الانسانية المطلق لا ننسى اذ كنا منصفين حب الوطن الخاص . وهذا
الحب يحلني اليوم على السياحة في البلاد العربية . فاني ، وان كان لبنان
وطني الصغير ، وسوريا وطني الكبير ، انقلب الى البلاد العربية ، وطني
الاكبر . . . واني ، وان كانت المسيحية ديني ودين اجدادي ، ادين بدين
كل من اقام حقاً وازهق باطلاً . بل ادين بدين فلاسفة العرب وشعرانها
الكبار كالغزالي والفارسي والمعري ابي العلاء . بل ادين بدين كل من قال
بالوحدة العربية ، وتجديد مجد العرب ، وسعى في هذا السبيل سعياً شريفاً
خالصاً لوجه الله . فن اعز العرب اعزياً مولاي الاسلام . . . ولا غرو اذا
جئت بلاد الين حاجاً هذه الكعبة المباركة وقد منعت عني تلك المقدسة
كعبة الاسلام الاولى . على اني لقيت في جده ، في مقام الملك حسين الوهاب
العالي ، من الفضل العربي ، والمكارم الهاشمية ، ما ساد كره دائماً شاكراً

مفتخراً . واول مرة ذكرت في حضرته اني ارغب في زيارتكم كان - جاء
 وحاكم الله - اول المستعشرين بل اول المجيدين والمشجعين . فجنحت يرافقتني
 باذن جلالة صديقي العزيز القديم الشيخ قسطنطين بني ، وهو في حب العرب
 والعربية على جانب عظيم من الغيرة والاخلاص . . والبلاد اليانسية مهد العرب
 جناتها متجشئين المشقات ، مذللين العقبات ، مصعدين في الجبال الشائعة ،
 متفلقين في اوديتها المطيرة الارجاء ، ونحن اثناء الرحيل وقبله ننظر بعين
 الحب والشوق الى هذه السدة المباركة نستمد منها النشاط في السير والسرى .
 وكنا نلاقي في كل بلد حللتاه من حسن الحفاوة والاكرام ما شكرناكم بعد
 الله عليه ، وسجلناه لكم في جميع القواد ليحفظ مدى العمر ذكراً ذكياً جيلاً .

فاه حضرة الامام ببعض كلمات الشكر والترحيب . ثم وقف قسطنطين
 فتلا قصيدة كان قد نظمها في الطريق فسر بها واثني عليه . ثم قدمنا لحضرته
 كتاباً من جلالة الملك حسين ففضه وقراه ثم قال : ولكن الكاتب اهل
 الاسم فيه . فقلت : وقد يكون ذلك عرضاً او ذعولاً . اما الحقيقة فان
 ناظر الخارجية في جده كان قد كتب كتاب تعريف احملة الى حضرة الامام ،
 فلم يستحسنه جلالة الملك ، فأمر كاتبه الخاص ان يكتب آخر يعرف فيه
 الحضرة الامامية الشريفة بالاستاذ الفاضل والعربي الصميم الخ واغفل عمداً اسمي
 لاسباب لا يدركها الا من كان يدرك شيئاً من عوامض السياسة الهاشمية

لذلك ظل الامام على شيء من الريب والتحفظ . ونحن ، طاعار جال في
 ذهن الملك فلم يذكر في كتاب توصية اسم الموصى به ، نقاسي من نتيجة ذلك
 ما سيجيء ذكره . افضنا في الحديث بالوحدة العربية ، فكانت اول كلمات
 الامام في الموضوع : وصلتم الى محط رحالها . بيد انه الداعي الى الوحدة
 الاسلامية ، فحاولت ان اقنع ان الجامعة القومية اصح اساساً واسهل تحقيقاً
 من الجامعة الدينية . ومن أعز العرب أغزر الاسلام .

و كنت قد طالبت قصيدة الامام المشهورة التي مطلعها :
 مغفلة منشورة في الحافل تهيم وتذري الدمع تهبام ناكل
 والتي يستنهض فيها المسلمين واخوان الدين ويحثهم على الاجتماع والتعاقد .
 ايا قوم هيا شجروا وتعاقدوا وحوطوا ذمار الدين عن كل ماثل
 كما فعلت اصحابك ومن قلا - هو قافياً اثارهم من حلال
 فقلت : ان الجبسية تجمع الشعوب والدين يفرقهم . واننا نحن المسيحيين
 في سوريا - مثل العرب المسلمين فتجمعنا القومية ، وهي التي حملتنا على التسرف
 بزيارتكم ، ولا يجمعنا الدين . ثم انتقلنا من التعميم الى التخصيص - من
 يحمل القضية الى اجرائها - فكان الامام اكثر اهتماماً لذلك . بما داني على انه
 ذو عقل عملي حاذق . وفي اذكر كلمته عندما اشرفنا الى المهمة التي انتدبنا
 انفسنا لها فسالنا قائلاً : هل عندكم كلام مضبوط ؟ الا ان بعض الزائرين
 دخلوا اذ ذاك فر بيده على فمه ، فسكتنا ، وتأجل البحث في الموضوع الى
 وقت آخر .

دخل الزائرون المهثون وفيهم بعض السوريين من طرابلس الشام وبعض
 الضباط الترك ، فظهر لنا ، من استقبال الامام ومن تقبيل اليد الامامية
 تقبيلات متنوعة لها درجات ومقامات ، ان العظيمة « والمحسوبة » في صنعاء
 يشد منها في الحجاز . ان التبعة في ذلك على الاتراك الذين علموا الامراء هذه
 الاباطيل في الرسيمات ، وروضوا عرب المدن على هذا التسكك والخنوع .
 على ان تأثير الاتراك من هذا القبيل في اليمن اخف منه في الحجاز . وملوك
 اليمن من قديم الزمان كانوا شغفين بأبهة السيادة واباطيلها .
 قرأت كتاباً لولاعة افرنسي ، رافق في القرن السابع عشر بعثة تجارية الى

اليمن ، وصف فيه زيارتهم للملك في مقره ذلك الحين بالقرب من ذمار^(١) ووصف كذلك خروجه الى الصلاة يوم الجمعة وصفاً يبيننا باعادات اليوم هناك من الجدوع في التقاليد . وهذا الامام يحيى في القرن الثالث عشر للهجرة يجلس على فراش الملك كما كان يجلس اجداده في القرن الثالث ويأذن بتقبيل يده وكفه وركبته ورجله . بل يأكل فوق ذلك القات ويشرب من الماء ويحمد الله . ولا يقف مساماً الا لواحد في ملكه .

على انه تخرج قليلاً عندما دخل محمود بك نديم آخر والى من ولاية الاتراك في اليمن وهو كردي الاصل سوري المولد . فاستقبله واقفاً نصف وقفة ، وبأدله قبلة اليد بقبلة في وجهه . ثم دخل ضابط تركي في ثوبه ونياسيته وجزمته فرقع امام الامام وقبل يده وجلس على الديوان . ثم ذلك الافرنجي اي النمساوي الموكل بعمل الخرطوش ، اي جرجي المشهور في اليمن ، وخصوصاً في عدن وجيزان حيث يودونه في غير اليمن . فقدمه الامام اليها قائلاً : هذا عنكم . ثم دخل شيخ نحيل الجسم ، طويل اللحية ، حليق الشارب ، يشبه اميركيا من امير كينيوا اسكلند القدماء ، فاستوى الامام واقفاً وصافحه مصافحة الاقران . هو شيخ الاسلام الذي تبوأ مكانه في الزاوية . وكان قد تقدم حضرته ثلاثة صبيان ، منهم اثنان من اولاد الامام يرفلون بالاثواب المخططة ذات الاردان . وعلى اكتافهم البرد اليابانية ، وعلى رؤوسهم عمام مزركشة بالقصب ومكتوب عليها آيات من القرآن دخلوا دون ان يفوزوا بنظرة منه . غصت القاعة بالمهنيين ، وكان حضرته يعرفهم اليها فيقول : هذا امين ، وهذا قسطنطين ، مسيحيان من لبنان . فقلت : حضرة الامام شغف بالسجع . فقال : انتم السجع ، تنوعت الاحاديث وكان هو مدير رحاها ، فسأني سؤالاً

(١) هو الامام الهادي لعين الله الذي عقد في سنة ١٧٠٩ م معاهدة تجارة وولاء مع الفرنسيين . وكان مركزه في مواهب بالقرب من ذمار .

غريباً ثم جازب عليه فمكّان الجواب اشدّ غرابية منه : لماذا دُعيت صاحب الديانة المسيحية بالمسيح ؟ فاجبته بكلمة اثوية وجيزة فلم يقتنع ، فقال : لان وجهه كانت مسطاً . و اشار بيده الى وجهه ، ثم توكيداً بالسيابة الى خط الاشحاء اي القوس في كفه .

قد ساءني والحق يقال هذا التشبيه وان لم يكن الاحتقار فيه مقصوداً ، وعاد بي الفكر الى جده ، الى مجلس الملك حسين ، الذي لا يسمع فيه الزوار كلمة واحدة تكدر او تسي . بل لا يسمع غير ما يسر ويفسكه ويفيد . اما الرجل المسطاً والمسيح ! لم اتككن على تساهلي المعروف من دفع ما وقر من هذه الكلمة في النفس . وقد اكون اسأت الى الحضرة الشريفة في سؤال سألته لانه في ذاك الموقت لا يلبق ولا يجوز . ولكن عذري اني طالب علم — سائح في سبيله . قلت : اتعلمون يا مولاي كم عدد سكان اليمن ؟ فقال : بالتقريب ، لا بالتحقيق ، خمسة ملايين . فقلت ولم منهم تحكمون ؟ فاجاب وهو يبتسم ويضم انامله الى كفه : اليسير ، اليسير . فقال الضابط التركي باللغة العربية وكان قوله ولا شك زلفاً : كل واحد من الخمسة الملايين مطيع للامام ، فاعترضه الامام قائلاً : لا لا . وماك بوجهه الي وهو يشير بيده تلك الاشارة اللطيفة البليغة كأنه يقول : حقنة منهم فقط .

اما حدود اليمن فالامام لا يعرف منها غير القديمة التي كانت تشمل عمان وحضرموت . فاذا اعتبرنا هذا التحديد وفهمنا اشارة الحضرة الشريفة ظهرت لنا مطامع السياسة باجلى مظاهرها .

وكان الحديث بعد ذلك في السياسة الاوروبية فادعشني منه ما يعلم وما يهتم له من اخبار العالم . فهو يطالع الجرائد المصرية ، واذا ضاق دون المطالعة وقته يدفعها الى احد كتاب ديوانه فيلخص له الاخبار كأنه من هذا القبيل مدير شركة اميركية او رئيس وزارة انكليزية — سألتني عن ارلنده — وهل

حازت استقلالها ؟ سألتني عن لويد جورج - وهل يخلفه في الوزارة كرزون ؟ وعن زغلول باشا - وابن هو الآن ؟ وعن الاتراك - وهل عقدت المعاهدة بين مصطفى كمال والفرنسيين ؟ وعن اميركا - وكل سنة يحكم الرئيس ؟ وهل يعاد انتخابه ؟ وكل مرة يجوز ان يعاد ؟ فلما اخبرته عن الرئيس الاول جورج واشنطن الذي ترأس مرتين ورفض الثالثة قائلاً : ما تحررنا من الملوك لتقيم ملكاً علينا في هذه البلاد ، اعجب جداً اما كلمته المأثورة : استعملوا في ايام السلم للحرب . فابرق لها جبين الامام كانها حديث شريف ، واطرق وهو يهز برأسه ويقول : فاهي ، كلام فاهي ، حكمة رائعة .

وما توقف عن اكل القات وشرب الماء أثناء الحديث . ولا رد واحداً ممن جازوه بمحاور العرائض والكتب . الا انها كانت تقدم بواسطة الخاجب فيقضيها في الحال ويقضي بها . ومنها عريضة طويلة مسحت اللطف والبشاشة من وجهه . وكنت وهو ينعم النظر فيها انظر اليه وارقب عينيه ، وفيها يبدأ الانفجار او ما يشير اليه اما الغريب ان قد تشهر العين الحرب عليك في حين ان الفم ، مثل رسول السلم ، يهدم لك مطبخاً . كثيراً ما شاهدت هذه السياء المتناقضة فيه . ولكنه في ذلك الاوان تغير تماماً فساد الغضب في ناظره ، وقلص العنف شفتيه فاستأذنا بعد ان فرغ من قراءة تلك العريضة ، وكانت قد طالت الزيارة ، فاشار بيده اشارة سريعة جافية ان اذهبوا اذهبوا . ولم يبق بكلمة سلام واحدة .

خرجنا كالطارودين ، وبتنا في امر هذا الامام حائرين . أبدي هو اذا غضب ، وسياسي اذا رغب ، وشاعر في ما يجب ؟ أعالم مجتهد ، وحاكم مستبد ؟ أغليظ الكلمة ورفيق الشهور يجتمعان في شخص واحد - في زبيدي رافضي ؟ هو في امور الدين والدنيا الحاصم المطلق المعصوم في الاجتهاد عن الغلط . ولكنه عادل ، وفي اقامة الحق لا يميل ولا يجلبي ، وعند الاقتضاء صريح حليم .

ان له في حكمه فضائل اخرى ، منها انه يستشير ذوي العلم والخبر من رجاله ، وطريقته في الادارة والعمل منظمة ، وقوته على العمل عظيمة مذهشة . رأيت في ليالي رمضان ، وقد انصرف كل كتاب الديوان ، يشتغل حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل . سيدخل القاري . بعدئذ الى ديوانه ، فيرى كل شيء في مكانه .

اما الان فعلاقتنا - في لغة السياسيين والصحافيين - متوترة . وما بدأ منا ، على ما اعلم ، ما يسمى . الحضرة الشريفة بشي . فقد قبلنا رجل المسيح المسح . قائلين : ان الامام من المجتهدين ، وطويل البال في غوامض الدين . ولكن رجل حضرته أثيقة الشكل لها قوس بليغ ، يدل بحسب علم القراسة ، على طيب الارومة ، وحسن الذوق ، وكرم الاخلاق . فاین هذه الفضائل من تلك الاشارة العنيقة ، وذلك الوجه القطوب ؟ ونحن ضيوفه ورسل السلم والخير اليه .

مر اليوم الاول بعد هذه المقابلة ونحن فننظر من حضرته كلمة تسكن منا البال ، او اشارة تعيد اليها الثقة والامل . ومر اليوم الثاني ونحن نحسب كل ساعة منه شهراً . ونود لو جانا احد يساعدنا على محنة الريب وسؤ الظن ، بل نود انفسنا بعيدين عن الزيود وبلادهم . أفلم يرض الامام يا ترى بكتاب الملك حسين ، ام هو في ريب من امرنا بما قد يكون سبقنا الى عاصيته والى ديوانه من الوشائيات . فقد قال لي احد السادة : الناس مشبهون بكم ، حتى الذين اكرمواكم يكتبون الى الامام ليتحرز منكم . فهل تلك العريضة الطويلة سيرة حياتنا يا ترى ؟

استأذنا السيد علي زباره بزيارة المدينة فكان جوابه انه يخاف علينا من الاولاد بل على كيسان من الشحاذين . ثم استأذناه في اليوم الثاني بالطواف حول السور فقال ان المشي في الشمس يتعبنا ، وقد تؤذينا شمس اليمن المحرقة .

فلاحسن ان تخرج اذا عند الغروب . ثم جاء سيادته عند الغروب بصحبه
احد الموظفين يزورنا فتعذر علينا الخروج للزحمة . وقد قال ان اشغال الامام
بسبب تعييه كثيرة ، وسيأخذن بقبالة اخرى قريباً ان شا . الله

اما الرفيق قسطنطين فكان يستعين على هذه الحالة المزعجة بنظم الاشعار .
فلما فتحت دفتري مساء ذلك النهار لأدون فيه بعض الحواطر اطلعت على ما
يلي ، وبما اني لا اعتقد بالجن تيقنت ان البيتين من نظم مكروبر مثلي . قال
الرفيق :

ترجو الخروج الى المدينة باحثاً فيها عن الشيء الذي لا تعلم
لكن لسو الخط بابك موصد « ان اليبس من الاشارة يفهم »

وفي اليوم الثالث ، وانا اشك حتى في ما قاله الرفيق ، حاولت الخروج
الى الساحة فردني احد الجنود في الباب . صدقت في شعورك مرة ايها الشاعر
العزيز . فنحن لا نزال اسيرين . ولكننا علمنا السبب وقبلنا العذر يوم كان
الامام غائباً . فما السبب وما العذر الآن يا ترى ؟ بادرت الى الورق والقلم
وكتبت الى الحضرة الامامية كلمة يمكنني ان انقلها بالحرف لانها اُعيدت الي
مولاي :

حياسكم الله بالخير والسعادة . اما بعد فاني منذ وطئت ارضكم
اسير فضلكم ، وموضوع اكرامكم ، وسأكون مدى الصبر شاكراً
لكم . وجئت الان اسألكم ، واستسبح عن ذلك عذراً علمي بما انتم
فيه من الاشغال المتراكمة اثناء غيابكم ، ان تعلموني اذا كنتم تسمعون
بقبالة خاصة ومتى . فاني مقيد بمحلة سفر تضطروني الى القيام باذن الله
بالمحدد من زمان ومكان . وفي كل حال اني شاكر ايدياً لمولاي الامام ،
فخر العرب والاسلام ، حمى الله ذماره ، واعز بنوده ومناره .

امين الريحاني

في ٢٥ شعبان سنة ١٣٤٠

فاعاد الامام كما قلت الكتاب الي وقد كتب في اعلاه بخط يده :
عافاكم الله ووفقكم لا بد نطلبكم لما اشرتم
اليه ان شاء الله قريباً هـ

والحرف الاخير هـ علامته الخصوصية في كل ما يكتبه ويكتب باسمه .
زادني الكتاب حيرة واضطراباً . فضلاً عما ظننته اهانة مقصودة . أهذه
طريقة الزيد في المراسلة ؟ او انها طريقة الامام في ما يختص بالنصارى ، فلا
يرغب حتى بورقة من اشيائهم ؟ قد اكون اسأت الظن ساعة الحق والاضطراب ،
على ان ما عرفته بعدئذ وشاهدته اثنا . اقامتي في صنعاء لم يكن ليزيل التأثير
الاول كله تماماً .

كادت تحملي تلك المعاملة على الاستئذان بالوحيل لاني ، ولا بد من
الظهر بذلك ، سمعت ما شاهدت في طريقي الى صنعاء من مظاهر الاجتماع
والسياسة . سمعتها كعربي يحب لابناء جنسه ، راغب في نجاحهم وعمران
بلادهم . وما اني في صنعاء اسير ريب الامام بعد ان كنت اسير فضله . فما
السبب في الانقلاب ؟

ما نمت تلك الليلة الا قليلاً . وكنت كل مرة استفيق اسمع السلك
يشغل مجدداً وفي انبائه البرقية ما قد يزيل في الغربة الكربة . ولا حاجة
إلى قد « التوقع . فان سبب كربتنا كما تحققنا انما هو الملك حسين ، او بالحري
كتاب التوصية منه . فرأى الامام الحكمة في تثبيت الامر قبل ان يفادنا
بشيء . فاشتغل السلك لذلك ، وكان الجواب من عدن ، والحمد لله ، مثبتاً ما
اكرمنا من اجله ذاك الاكرام الجليل في الطريق . فاذا كان كتاب التوصية
من صاحب الجلالة المنقذ الاكبر يجلب هذه الظنون والشجون فاذا عني ان
تكون نتيجة كتاب التحرير ؟

الفصل السادس

حكمهم الامام

الامامة بالسيف - بفروعلها - سبب النتن والحروب - الرقاتن - اعداء الامام -
 اليمن في الماضي - اول امام زيدي في اليمن - الفرق الزيدية - الائمة الاقدمون -
 اليمن الاكبر - القرامطة في اليمن - اول دخول الاثراك - اول ثورة عليهم - خروج
 اشراف الي قرش علي امام صنعاء - خروج لحج وعدن من حوزته - رجوع الاثراك
 سنة ١٨٤٩ - انهزامهم ورجوعهم سنة ١٨٧٢ - ثم سنة ١٨٩١ - الامام المنصور
 - احمد فيضي باشا - الامام يحيى - ثورة ١٩٠٤ - حصار صنعاء - الضلوع -
 ثورة ١٩١١ - عزت باشا - معاهدة ١٩١١ - رجوع الامام الي شهازة - الحرب
 العظمى - رسوله الي الحج والاكواذ - كتاب ملوك العرب - اعداء الامام بعد الحرب
 - التجاوزهم الي الملك حسين والسيد الادريسي - الشوافع - العشائر -

ان الحكم في اليمن ديني وضعا ومدني عملا ، له فروع في الاصل مذهبية
 وله مظاهر في العمل غير يمانية . فقد اخرجهم الامام زيد^(١) الذي ينتسبون
 اليه او الداعي الاول الي مذهبه في اليمن عن العقيدة بالامام المنتظر ، وعلمهم
 انك بعض النظام في الادارة وفي الجيش . وكان الحكم هناك قريبا من
 الديمقراطية لو انهم انتخبوا الامام وبايعوه على طريقة الصحابة ، بدل ان يجعلوا
 الامامة غنيسة ان يأخذها بالسيف ولكن عقيدة غامضة باطنية في من انشق
 الزيد عنهم حملتهم ، على ما افطن ، على التمسك بضدها . قالت فرقة الشيعة :
 لا امام بعد الامام الثاني عشر وهو صاحب الزمان^(٢) فامست من العقائد الدينية

(١) هو زيد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب الذي جاءه
 ليسترجع الامامة التي اغتصبها الامويون فاضطهد وصلب .

(٢) هو الامام الثاني عشر الذي ظهر فترة في الارض ثم اختفى سنة ٥٥٦ هـ . غاب
 عن الابصار لا عن القلوب ، ولا يزال غائبا . ولكنه حي ابدآ ، ووجوده في كل
 مكان ، وسيظهر - هو الامام المنتظر - ليظهر العالم من الفساد والضلال .
 حاشية اخرى : قد تفصل احد علماء التجف فاصلح ما في هذه الحاشية من الاغلاط

التي ينسب فيها مكروب الخرافة ، فيفسد الحياة الروحية ، ويشين اساليب العبادة فيجعلها سخيفة .

وجاء في مذهب الزيدية ما ينقضها ويقضي على صاحب الزمان . وكان الزيديين يقولون لمصومهم : اذا اتم رضىتم بامام موجود دائماً في كل مكان ، ولا يرى في مكان ، فنحن لا نرضى . نحن نشتهي^(١) ان نرى الامام امامنا ولو في مكان واحد ، وفي قوة من الزمان . ولم يبتدوا في ذلك الحين على ما اظن الى غير السيف اثباتاً لعقيدتهم وتحققاً لاملهم فقالوا : ان الامامة بعد الحسن والحسين شردى في ولدهما ، فن خرج منهم شاهراً سيفه ، داعياً الى دينه ، وكان عالماً ورعاً ، اما هو الامام المنتظر

اما شروط الامامة عندهم فاربعة عشر^(٢) شرطاً ، منها ان الامام يجب ان

الناويجية والدينية فقال ان الامام الثاني عشر ولد سنة ٢٥٥ او ٢٥٦ هـ ، وانه غاب عن الابصار الغيبة الصغرى اي عن العامة دون الخاصة سنة ٢٦٦ هـ ، وغاب الغيبة الكبرى اي عن الجميع الا نادراً سنة ٣٢٨ هـ . فيكون عمره اليوم ١٠٦٨ سنة لا ٨٢٠ سنة كما يظهر من التاريخ المفلوط

ثم قال : « والامام الثاني عشر عند الامامية من الشيعة بشر مخلوق ، يحيا ويموت ، وبأكل ويشرب ، وهو في مكان مخصوص من الارض غايته ان لا تعرفه وربما يوجد من يعرفه وليس هو عقيد ممكن بل يتجول في الافاق متكرراً متغنياً الى ان يأذن الله بالظهور » .

وسد بشكل على الفارسي . قول الملم النجاشي انه اي الامام المنتظر « في مكان مخصوص من الارض » وانه « يتجول في الافاق متكرراً » والذي اراده على قصر باعي في هذا العلم ، ان في العالمين شيئاً من الحقيقة . فهو يقيم في مكان مخصوص برهة من الزمن ثم يتجول متكرراً في الافاق . وقد قال لي الداعي في عدن ان صاحب الزمان هو اليوم في اميركا .

(١) اشتهى في اصطلاحهم الشيء اي اراده واحبه .

(٢) وهي ان يكون الامام مكلفاً ، ذكراً ، حراً ، مجتهداً ، علوياً ، فاطمياً ، عدلاً سخيماً ورعاً ، سليم للعقل ، سليم الخواص ، سليم الاطراف ، صاحب رأي وتدين ، مقداماً فارساً .

يكون مكلفاً بالغاً ، وحرّاً اي ليس بعبد ، ومجتهداً ، وفارساً مقداماً ، هي اربعة اصول صحيحة تضمن على الاقل النظام في الملك ، لانها تنفي الوراثة وفيها من المجهول المخدور ما قد يكون الشر الاكبر في الاحكام كما يدل على ذلك تاريخ الملكيات وبعض من حكموها من السفهاء ، والمعاتيه ، وهي تحول دون مطامع العبيد والماليك - لا يزال منهم في قصور ملوك العرب اليوم وبعضهم يرتقون الى المناصب العالية - الذين زعزعوا اركان السيادة العربية الاسلامية واهنوها بما كان في الماضي من اختلاساتهم المعروفة ، اما الاجتهاد فيوجب على الامام العلم - والعلم اليوم في اليمن وفي نجد ينحصر بالاربعة الاصول ، اي الدين والحديث والفقه والمأقة - ولكنه شرط مرن ، فيتناول في تطور الحياة ولا شك شيئاً من العلوم الكونية ، اما الشجاعة والفروسية فليس من ينكر الفضل فيها - لم تكونا الركن الاول لمقيدة دينية او لحكم مدني .

واسري ان شروط الامامية في الزيدية ان خير ما تتطلبه الجماعات في حكمها لولا هذا الشرط الذي يتزل السيف ، يتزل الشورى والمباينة فهو ولا عجب السبب الاكبر في الفتن والحروب في تلك البلاد الجيلة التي دعاها الرومانيون سعيدة ، ونتمنى نحن اليوم ان تكون السعادة فيها حقيقة لا خيالاً . وكيف يثبت ملك فيها ويدوم نظام ، وكيف تضمن سبل الفلاح وال عمران ، اذا كان يحق لكل من كان شجاعاً طامعاً ، وكانت له بعض السيادة في عشيرته ، ان يخرج شاهراً سيفه ، داعياً الى دينه ، طالباً الامامة ؟ وان في اليمن اليوم عدداً من هؤلاء الطامحين اليها ، ومنهم من كان اياهم او اجدادهم ائمة حاكين . فاذا احسوا يوهن في حكم الامام ، او بضعف في موقفه ، فسيف الاسلام عليه . فيتسع المجال اذ ذاك لتبعه من سيوف الاسلام ، فتشب نار الفتنة ، وتندق طبول الحرب ، ويخفق دخان الفوضى روح الامن والعدل والنظام .

لا نخطئ. اذا قلنا ان الفتى في اليمن حالة مستمرة يتخللها في بعض الاحايين فترات يسود فيها السلم والسكينة . وقد كانت قبل ان جلا الترك عنها ميداناً لسيف الاسلام - الجهاد ثالث الماء والزاد - بل لسيف الامام زيد ، بل لسيف كل طامح من السادة المحترمين - ميدان هلاك ودمار ، لا يسكن فيه غبار ، ولا تحمد له نار ، الا في فترة عياء عام او تفوق شخصي مثل فترة الامام يحيى بن حميد الدين ، وقد ضبط الامر فيها بيد من حديد ، وبالعذل - والرهائن .

ولا عجب ، وتلك طريقة الاستيلاء على الامامة ، اذا كانت الرهائن اساس الملك . لكنه ، ولا ريب ، اساس فاسد ، لا يسلم حتى في ايام الحرب . اجل ، ان الرهائن دمل في حكم حضرة الامام ، بل دمل في نفسية اهل اليمن ، لان الامة التي ترضى في ايام السلم ان يؤخذ ابنائها رهينة الوفاء والامانة ، وان كانت سليمة العقيدة ، فليست بسليمة في وطنيتها . لسنا نلوم الامام وهو يحكمكم مثل هذه الامة ، واعدائه يحيطون به من الخارج ومن الداخل شمالاً وغرباً وجنوباً . ومع ان البلاد اليوم في اكثر انحائها هادئة سائلة ، وسبل التجارة والسفر فيها آمنة ، فهو دائماً في احتراب ظاهر مع الادريسي ، وفي احتراب خفي مع الشوافع ، وفي احتراب متقطع مع حاشد وبكيل ، وفي احتراب سياسي مع الانكليز ، وفي احتراب كذلك مع من يدعون حمايتهم من العرب في النواحي التسع حول عدن . هؤلاء اعداء الامام ، فضلاً عن السادة اقاربه ، الطامعين بملكه . ليس فراش الامامة بالفراش الوثير ، ولا امل في تلك البلاد بالسلم الدائم واليمن والنجاح الا في ترع حق الامامة من السيف ووضع في الشورى الحقيقية ، في المباينة بالافتراء بموجب السنة وعلى طريقة الصحابة .

لا ينكر ما كان لليمن في الماضي ، في عهد اسلاف الامام يحيى ، من المجد الاتيل والسيادة الواسعة . وسأعود بالقارى . الق سنة الى الوراء . ولا

اكلفه قراءة اكثر من صفحة او صفحتين ، فيها حقيقة الزيدية والامامة او الخلاصة التي تهمننا في هذا المقام .

في القرن الثالث للهجرة جاء الى اليمن من العراق السيد يحيى بن الحسين القاسم الراسي يدعو الناس الى المذهب الزيدي . فاقام في صعده يعلم عدة سنين ودعي الامام . هو رسول الزيدية الاول في اليمن . ولكن الذي اسس الامامة في صعده هو القاسم بن محمد الذي يتصل نسبه بالوسي المذكور .

بيد انه لا تخلو هذه السلسلة من التقطيع لان الشرط الذي ذكرناه - الامامة بالسيف - فتح الباب للخصني والحسيني من السادة والاشراف . فتشعبت الزيدية الى ثلاث او اربع فرق ، منها الجارودية نسبة الى ابي جارود زياد بن ابي زياد الذي سمي سرحوباً . والسرحوب كما قيل شيطان اعشى يسكن البحر . وهذه الفرقة تقول بالنص من النبي على امامة علي وصفاً لا تسمية ، وتختلف والفرق الاخرى في الامام المنتظر . والسليمانية تتبع سليمان بن جرير وتقول ان الامامة شوري بن الحلقى ، الا انها مقيدة بواحد من خيار المسلمين . وهناك امور ظليقة يختلفون عليها سب الخلفيتين الاولين ابي بكر وعمر ، فبهم من يقول بوجوب السب ، ومنهم من يقول بوجوب الاغضاء .

كان اليمن في عهد الائمة الاولين قطراً كبيراً يشتمل على عمان وحضرموت ، ويمتد الى الحجاز ، فيدخل فيه عسير وقسم من تهامة . فالامام شرف الدين بن شمس الدين « ٩٣٠ هـ » الذي مدحه موسى بن يحيى جيران شاعر صنعاء كان من الفاتحين الكبار . والامام المهدي احمد بن حسن استولى على اليمن كله بما فيه عمان وحضرموت . والامام المهدي لدين الله هو الذي اذن للغرليس ان يدخلوا عدن والمخا ، وان يزوروه كذلك في مقره بمواهب ، وعقد معهم معاهدة تجارية وولاء . سنة ١٧٠٩ م .

لكن الامامة لم تكن من سلالة واحدة دائماً كما اسلفت القول ولم تكن

دائماً مستقلة . فقد حكم القرامطة في اليمن ردة من الزمن قبل مجيئ الترك ، ثم استولى السلطان سليمان القانوني على بعض الاقطار العربية في اوائل القرن السادس عشر « ١٥١٧ م » ومنها عدن وقسم من اليمن . بيد انه ما عثم ان ثار اهل اليمن على الترك فاخرجوهم بعد عشرين سنة من البلاد واستمرت الامامة مستقلة بعد ذلك اكثر من مئة سنة فنار عليها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر شريف ابي عريش بتهامة واستقل عن اليمن . سيجي ، ذكر هذه الحوادث في الكلام على الادريسي . ثم ثار عليها احد عماله في لحج فاستولى على عدن واعلن استقلاله وسيجي . ذكر هذه الثورة في كلامنا على سلاطين لحج .

وفي سنة ١٨١٩ عاد الاتراك بقيادة توفيق باشا الى اليمن فقتلوا في الحديدة واستولوا على ابي عريش ، وتقدموا الى صنعاء . ولكنهم لم يستولوا عليها ، ولا تمكنوا من البقاء في اليمن الاعلى . الا ان الثورات في تهامة وفي لحج قسمت البلاد ، واضعفت شوكة الامامة ، فقام السادة سنة ١٨٧٢ على الامام واستأنوا بالترك فدعروهم الى صنعاء . ففازوا هذه المرة ، ووطسوا في الجبال العالية حكمهم الى حين . لان اهل اليمن الذين يشعرون على ساداتهم والسادات الذين يتمردون على امامهم لا يزالون الاجنبي طويلاً ففي سنة ١٨٩٦ نهضوا على الترك فجاروهم واخرجوهم من صنعاء . وكانت تلك الثورة فاتحة حروب وفتن استمرت ربع قرن ، يوماً تضطرم نارها ، ويوماً تهدأ تحت الرماد . وعند ما قام عليهم الامام المنصور والد الامام يحيى بعثت الدولة الفريق احمد فيضي باشا لاثام الثورة ، فتقدم بجنوده الى صنعاء فحاصرها واستولى عليها ، فتقهقر الامام المنصور الى صنعاء .

وعند وفاته خلفه ابنه الامام يحيى ، فاعاد سنة ١٩٠٤ السكرية على الترك ، فحاصروهم في صنعاء حصاراً دام ستة اشهر - « اطعنناهم النار والفار » - فسلخوا بدون شرط . وقد فاز ايضاً الثائرون فوزاً مبيتاً في نواحي اليمن الاسفل ،

فغنموا من الترك في تلك الثورة سبعين مدفعاً وكثيراً من الذخيرة والسلاح على ان احمد فيضي باشا الذي كان يومئذ في البصرة عاد بخمسين الف من الجنود لتأديب العصاة ، فأستولى ثانية على صنعاء ، ثم تبع الامام الذي انسحب بجنوده الى شهمه . ولكنه دُحر شر دحرة هناك^(١) فعقد بعدها اتفاقاً والامام - رقع صلحاً - لم يدم غير بضعة سنين .

ففي سنة ١٩١١ كانت العشار قد تآقت الى الحرب ، فهجست على صنعاء واحاطت بها تطلبها باسم الامام . ولكنها لم تفز فوزها في حصار ١٩٠٤ - ١٩٠٥ . وكان يومئذ عزت باشا والي اليمن ، وكانت الدولة على اهبة الحرب مع إيطاليا . فسمى عزت بما كان له من حنكة ، وفصاحة ، وكرم الاخلاق الى مصالحة الامام ليستمه على الاقل من مخالفة العدو كما فعل بعدئذ السيد الادريسي .

وقد كان عزت كرمياً جواداً ، فاستغوى العرب بالمال ، واستمال الامام بفصاحته وحذقه . فعقدت معاهدات ١٩١١ (شوال ١٣٢٧) لمدة عشرين سنين وكان من شروطها ان يعترف الامام بالسيادة التركية ، وتقبل الدولة ان لا يكون في البلاد غير المحاكم الشرعية التي يمين الامام قضاتها . قد تمهدت الدولة كذلك بان تدفع للامام ولرجالها المأدبة ومشايخ حاشد وبكيل مشاهرات مالية مقدارها الفان وخمسة ايرة ذهباً . وبنا ان الزيد ، بتوجب مذهبهم ، لا يتوجب عليهم دفع الزكاة لغير الامام امامهم كان موقفو الترك يحسمونها باسمه ويقدمونها له بعد حسم اثنين ونصف بالثة بدل الجباية .

بعد عقد هذه المعاهدة عاد الامام يحيى الى الحيرة في شهمه ، وظل والأتراك على ولاء ما داموا يدفعون المشاهرات ويحسمون له الزكاة . الا انهم لم يتسكنوا من القيام بما تمهدوا به بعد دخولهم في الحرب العظمى ، ومع ذلك فلم ينقلب

(١) راجع التبرج في صفحة ١٢٦ من هذا الجزء .

عليهم ، ولا ساعدتهم على الادريسي في تهامة ، ولا على الانكليزي في عدن . ويظهر ان الانكليزي هناك كانوا قد بدأوا بفاوضونه بطريقة غير رسمية . لينضم الى الاحلاف في الحرب فارسل بطريقة غير رسمية ايضاً ، لان رسوله جاء الى طنج لا الى عدن ، يطلعهم على احواله ويعتذر . وقد كان يومئذ الكرنل جاكوب ، صاحب كتاب « ملوك العرب »^(١) المعاون الاول للحاكم في عدن فذكر هذا الخبر في كتابه .^(٢)

الامام يحيى بن حميد الدين هو من سلالة الرسول الزيدي الاول في اليمن السيد يحيى بن الحسن الرسي . وقد كان والده المنصور مفتي صنعاء ، وهذا نفوذ كبير في عهد الامام شرف الدين فلما توفي الامام انتخب بالاجماع خلفاً له ودعي بالمنصور . وبعد وفاة المنصور ظهر ابنه يحيى المتوكل على الله بالامامة . وهو اليوم في السادسة والحسين من سنه وفي الثانية والعشرين من حكمه ، قضى اكثرها كما قلت في الاحتراب والمهادنات ولخضرة الامام اربع زوجات شرعيات جاءه منهن اربعة وثلاثون ولداً مات منهم ثمانية عشر ، اما الباقون

(١) من غرائب الاتفاق ان عنوان كتابه الانكليزي ، الذي طبع في السنة الماضية والذي يتجسم موضوعه باليمن وعسير فقط ، وعنوان هذا الكتاب واحد . وقد قال الكرنل جاكوب في صفحة ٢٨٤ من كتابه ان التوراة التي جاء فيها ذكر ملوك العرب اوجت اليه العنوان . اما انا فاخذت عنواني من ملوك العرب انفسهم .

(٢) بعد دخول الاتراك في الحرب في ك ٢ سنة ٩١٥ ارسل الامام رسوله محمد علي شريف الى الحج ليستطلع مقاصد الانكليز . وقد قابلت الرسول وكان السلطان علي (سلطان الحج وحليف الانكليز) حاضراً . قال الرسول ان الامام لا يخلف مع الترك وبينه وبينهم اتفاق على هدنة تستمر عشر سنين . مع انهم بعد ان دخلوا في الحرب لم يدفعوا مرتبانه ومرتبات عشار حاشد وبكيل . ثم قال ان الاتراك عرضوا على الامام ان يسحبوا من صنعاء لتكون له السيادة فيها ولكانوا يسحبون من اليمن كله لو سمح الالمان بذلك . فقد اقموا الترك بان انسحابهم من اليمن يفتح الطريق للانكليز فيحتلون تلك البلاد .

ماركس جاكوب في كتابه « ملوك العرب » صفحة ١٥٩

فمنهم محمد سيف الاسلام البكر ، والمطهر ، والقاسم ، والحسين ، وخمس بنات متزوجات .

عندما توفي ابوه المنصور سنة ١٩٠٢ قام بعض السادة يطالبون بالامامة ومنهم السيد احمد بن قاسم بن عبدالله بن حميد الدين المعروف بالضحاني وهو لا يزال حياً . ولكنهم لم يفلحوا . ثم بعد اعلان الهدنة تحركت ركاب الامام من السودة جنوباً ، وتحرك غيره كذلك يبغى الامامة . وكان في البلاد حزب يقاومه مقاومة شديدة فلجأ زعماءه الى اعدائهم يستنهضونهم على الامام هي عادة في العرب لم تتغير من عهد الامويين في الاندلس حتى اليوم . كتب اعداء الامام الى الملك حسين ، والى الادريسي ، وحتى الى الانكليز في عدن ، فبعثوا بوفد سافر رجاله سرا اليها عن طريق مأرب سنة ١٩١٩ وقصدهم السفر الى الحجاز شاكين مستعجدين . ولكن الانكليز لم يأذنوا لهم بالمرور فرجعوا الى بلادهم . قد سمعت من مصادر شتى ما يدعش ويضحك من اخبار هذه الفتن ، واغربها ان الامام يحيى رشي بعض الموظفين الكبار من الانكليز في عدن ليوقفوا اعداءه اعضاء الوفد ، فحققوا له تلك الرغبة .

قد استتب لخبرته الامر بعد ذلك فحسبهم بيد من حديد . وانتفع بن تحلف من ضباط القزاق فنظم قسماً من جيشه . وانتفع بنصراني غساري فأسر معمل الخرطوش . وانتفع بذهب اجداده فحارب الادريسي وتغلب الزيد على الشوافع مراراً الا وعنده المجاهدون في سبيل الله يجاريون غيرهم من المجاهدين كذلك في سبيل الله . ان المرء أسلف على امة عربية مجيدة ترفع المذهب على الكتاب والسنة ، او بالحري تجعل المذهب وسيلة الى الاستيلاء والسيادة .

اني على يقين ان لو حكم الامام يحيى حكماً مدنياً بحتاً ، حكماً عربياً عانياً لا حكماً زيبدياً ، لتسكن من تحقيق مطامعه السياسية . فالشوافع اذ

ذلك يدينون له طائعتين راضين ، او انهم يأتون على الاقل ان يكونوا آلة مذهبية
في يد أعدائه . اما اليوم فها قيل في عدله الجلي ، وحلمه الشامل ، والشواقع
في حكمه غير راضين ، والذين في الجيش منهم يحاربون الشواقع اخوانهم
مكرهين . ومن المظالم التي يشكونها انه يجمع الزكاة والاعشار منهم
بالتضمين كما كانت تفعل الدولة في الولايات . والاعشار مثل الجلال ، مكروه
في كل بلاد

الفصل السابع

الضرائب والسلاح

المسعود والبيوت - قوة الامام - عزلة اليمن - المذهب والجنسية والوحشية - الجيش النظامي - المجاهدون - العرض يوم الجمعة - انواء الدافع والبنادق - فصل الغرطوش - قصر عبادان - غنى الامام - قصص الكتور - حكاية السيد المنيعة الى ثلاثة اقسام * وحديثه - « الحياة هبة من الله وتجن بها الامام » - الضرائب - المشور - الزكاة - سر الجمارك والتوافل - والجزية يدفعها اليهود - بيت المال - اليوم المنتظر - ظليوم العرب .

كنت اسمع الناس في جده يشككون عن الحكومة العربية فيذكرون اليمن كأنه ولاية من ولاياتها ، وكان الامام ، وهو العربي الصميم - هاك قصيدته في جريدة القبلة - يعني الوحدة التي ينشدها الملك حسين ولا يقبل بغيره زعيماً . وسمعت بعض الناس في عدن يقولون ان بضع طائرات تبدد صفوف الزيد وتشتتهم في الاودية والجلال ، فتسببهم الامام ، ووحدة الاسلام . ولكننا سمعنا كذلك كبار قواد الحضرة الامامية الشريفة ، وشاهدنا جنودها النظامية . لا نظن ان عدناً تشاهد ما شاهدناه ، وان الحجاز يسمع ما سمعناه ، لان الحقيقة في البلدين مشوهة ، او مطبوسة ، او مبهولة .

وهذا مما يؤسف له . فان ماوك العرب وامراءها ناؤون بعضهم عن بعض ، وقلما يعرف بعضهم بعضاً معرفة اليقين . قد يسمع احد المسافرين كلام مثل ابن الوزير ، فيحصله الى الحجاز ، فيظنه الناس هناك كلام الحكومة . وقد يسمع احد رجال الامام المعتدلين فيتصور في كلامه صورة لآراء الامام ومقاصده . لا انكروا ان شيئاً منهما ينعكس في كلام الاثنين . ولكن الامام الكبير ، الكبير باستعداده وبقصده وبطبعه ، لا يظهر في كلمة بقولها هو او يقولها احد رجاله .

هو الرجل العالم الحكيم المعتدل - قد سمته بشكلم - ولكن اعماله ، وقد ادهشنا بعضها ، وبعضها راعنا ، تدل على علم يشوبه التعصب وعلى حكمة تضمها العقيدة . اما قوته الحربية والسياسية فلا تنحصر بالزيد ، لانهم في من يحكم التثاقف^(١) وانما هي في تلك الغزلة التي توجهها العقيدة ، ويثبتها التاريخ ، وتبرزها الجبال . اجل ، ان قوة الامام يحيى لفي ثلاثة يقدها اهل اليمن ، هي المذهب والجنسية والوحشية^(٢) وان في نفسه مواهب تغذى بهذه القوات الثلاث ولا تقف عندها . فهو وان كان التكتّم طبعاً فيه ، صريح الكلمة في مواقف الثقة والاطمئنان . وهو ، وان كان زيدياً ، يقبل هدية من الانكليز ، فيركب السيارة ، ويأذن بتصوير جيشه النظامي . وهو ، وان كان ديمقراطياً في مسلكه الشخصي ، يرغب في تلك الابهة العسكرية التي يسير بها الى المسجد ، ثم يشاهدها من نافذة قصره مرة كل اسبوع بعد صلاة الجمعة .

قد شاهدنا شراذم من الجند في ماويه واب ويريم وذمار . ولكننا في صنعاء شاهدنا يوم العرض فرقة كاملة تامة بعدتها واجزائها ، بنورتها ، بسريتها ، بمشاتها ، بدفميتها . وكان بعض ضباط الترك يركبون البغال ، وقد علموا ان اليمن ان يخطو خطوة الجندي الالماني الرسمية ، خطوة البط ، Goose-step في حين ان الفرسان يلعبون بالسيف والرمح ويحلبهم ترقص على نغبات الموسيقى . وشاهدنا بين الجنود الزرقاء ثلة في ثياب صفراء ، قيل لنا انهم تلاميذ المدرسة الحزبية ، ضباط المستقبل .

(١) يحكم الامام نحو مليونين ونصف مليون من عرب اليمن منهم زعماء مليون ونصف مليون من السنيين الشوافع ، وهشرون الفا من اليهود ، والباقي من الزيد .
(٢) اني استعمل هذه اللفظة ، وعشي ، كما يستعملها اهل اليمن فهم يقولون : اهل اليمن وحشيون . ويريدون بذلك انهم يتفرون من الغريب ،

أما السلاح فعند الامام من البنادق انواعها^(١) ، بعضها مجاوب وبعضها مغنوم ، وبعضها مشقوى من رجال عسير . وإن معمل الفسك في قصر غمدان^(٢) الذي يديره جرجي النمساوي يشتغل دائماً ، فينجز اربعة صناديق كل يوم ، في الصندوق الواحد الف فشكة^(٣) . وقد قيل لي انه يستطيع ان يجتهد ، خلا الجيش النظامي^(٤) ثلاثئة الف من المجاهدين . على ان هذا القول لا يخلو من المبالغة .

في كل حال يحق للامام ان يردد انشودة الانكليز الحربية الاستعمارية فيمتدح قائلاً : عندنا المدافع والرجال ، وعندنا فوق ذلك المال . اني اشهد على الاولى والثانية شهادة عين ، وقد سمعت عن الثالثة اخباراً شبيهة باخبار الجن والكنوز المرسودة . فالامام غني ، غني جداً . عنده في كل بيت من بيوته في بئر العزب خزنة من الذهب والفضة . لذلك تسمع الحرس في الليل يتبادلون كل ساعة كلمة الامان . وعنده في شهره ، في قفن الجبال هناك ، كنوز لا يعرف الطريق اليها سواه . واذا اكتشفت الطريق فالحجر الذي هو باب الكنز لا يعرفه سواه . واذا عرف الحجر فلا يستطيع ان يرفعه احد سواه ، لانه موضوع في شكل سره ، مقتاحه ، عند الامام . دعنا والكنوز ، ان الضرائب والميزانية تشهد ان الحضرة الشريفة غنية ، غنية جداً ، لانها مثل الاكايروس عند النصارى تأخذ ولا تعطى . في ايام الدولة كان

(١) قيل ان عند الامام اربعمئة الف بندقية . ولكن ، منها ما هو غير صالح اليوم كاطليانية القدية . وعنده متاع مدفع متنوعة ، منها الجبلية والراشاة . وقد رأيت يوم العرض مدفعين من طراز الماؤون .

(٢) قصر غمدان القديم دُرس والبناء القائم مكانه اليوم يدعى باسمه ويختصرونه في صماء فيقولون القصر . وفيه معمل الخرطوش ، والسكة ، والسجن .

(٣) هم يجلبون الرصاص ويستخرجون من ارضهم ملح البارود .

(٤) عدد الجيش النظامي خمسة الاف .

اهل اليمن يدفعون الزكاة فقط ، وكانت العشائر معفاة منها . اما اليوم فهم كلهم يتوجهون على الاتراك . قد اسمعتك شكوى الجندي وشكوى الفلاح . واليك الان بحديث غريب لرجل غريب ، ما عرفته من قبايه أجندياً هو او فلاحاً او سيداً . فقد كان يلبس فوق ردائه معطفاً افرنجياً من الجوخ ، اكل الدهر عليه وشرب ، وهو في رقاعه وطوله ووسعه وازراراه البيضاء والسوداء آية في الزي والاختراع ، وكان الرجل يشد فوق هذا المعطف الجنبيه اي الخنجر ويحمل بذل البندق العصا .

استوقفت هذه القيافة المتسكرة نظري فسألت الرجل عن مهنته فقال : مهنة الاجاويد . فقلت : زدني علماً . فقال : نعطي ولا نأخذ . فاعتذرت واستغفرت فقال : تريدان بلغة الفقهاء . قلت : بلغة من فضلك افهمها . فاجاب وهو يهز رأسه . حياتنا هبة من الله ونحن نهبها الامام . لا نزيح ولا نحسر . فقلت وايكن للهبة طرقات واساليب . فقال ضاحكاً وهو يلطم صدره بيده : كلها عندي . انا اصلاً ، كما يقول الفقيه - وماذا يقول الفقيه ؟ - يقول : انا اصلاً واحد امار بالسوء . اما انا فثلاثة وفي كلهم الخير . تلتني يا افندي شيخ ، وتلتني فلاح ، وتلتني جندي ، والمجموع سيد .

- نعم انا سيد ، وان كان السادة يشكرون ذاك علي . الثالث الاول خدم الامام فجمع له الزكاة . جمعتها بيده - وهز بيده العصا - جمعتها « ظَاط » « نقوداً » ، جمعتها مالاً « مواشي » ، جمعتها اعشاراً ، وحتى ثماراً . وما اكلت والله ثرة مما جمعت ، ولا لطخت يدي بنقطة دم من شاة او حمامة . كلها للامام . والثالث الثاني دفع الزكاة . وكنت ادفعها مسروراً مستأفياً ، فلا ارجم العشار ، ولا اخي الحمام . دفعت خيرات « كثيراً » وما بقي شيء . بعد خمس سنين من الارض او المال او الظل ، كلها للامام . والثالث الثالث يا افندي ، خاض من اجل الامام ساحات الوغى . وفي شاهدان ، هوذا

الاول ، وذا الثاني - قال ذلك وهو يكشف عن صدره ورجله ليريني الجرحين - وما عدت الى بيتي وفي جيبى «نجشة»^(١) واحدة . لا والله . .
 خمس رياللات ، هذا الرسم ولكن الريال فضة والعين لا ترى الفضة . نقبضها
 بنجشات . ست نجشات كل يوم - والباقي للامام . وبنا اني مجاهد كنت
 اشترى القات من كيسي ، هم يوزعون القات على «النظام» «المسكر
 النظامي» القات والهر «الخططة» . اما المجاهدون فلله امرهم وعلى الله -
 ست بنجشات كل يوم . والظلم مخزون ، مخزون ليوم شديد . . . نقول
 لحضرة الامام : من شروط الامامة السخا . فيقول لنا ، وهو العالم الاكبر :
 ومن شروط السخا . وضع الحقوق في موضعها ليس بالتبذير . . . الامام رجل
 كبير عظيم ، ينظر الى المستقبل بعينين . له مقاصد كبيرة . ونحن صكنا
 للامام . نعطيه ، نعطيه ، ولا نأخذ منه الا ما شاء . ان يتفضل به . الحياة
 هبة من الله ونحن نهبها الامام شاكرين . هذه هي الحقيقة ينبتك بها هذا
 السيد . فقد هزت سيداً يا افندي لاني لا اخدم اليوم الامام بغير الكلام .

اما الحقيقة كلها فهي ان الشكوى من الضرائب عامة ، وقليل من ينظر
 اليها نظراً هذا السيد الظريف . فالامام يأخذ من المسلم اعشار الارض عينا .
 والمخضرات اي الثار - والقات منها - تسمن فيدفع اصحابها العشر نقداً .
 ثم زكاة المواشي والدواجن و«القراش» «الدواب» وزكاة التجارة والمخازن
 ثم الزكاة الاصلية^(٢) ومنها الفطرة اي زكاة البدن تدفع في رمضان ، وزكاة
 الحلبي حلي النساء . من ذهب وفضة . وفوق ذلك كله اعانة الجهاد عند الحاجة .
 اصف الى ذلك الرسم المفروض على اليهود وان كان قليلاً . فاليهود في اليمن

(١) الريال النمساوي يقسم الى غانين بنشة ، والبنشة غناسة ضربت في صنعاء واللبدة
 الثانية تساوي تسع رياللات غناوبة فتكون قسمة الريال احد عشر قرشاً تركياً
 وقسمة البنشة ثلاث بارات .

(٢) تبلغ قسمة الزكاة الاصلية خمسة الف ريال اي خمسين الف جنيه .

ذميون يدفعون الجزية ، وهي ثلاث درجات : ثلاثة ريالات في السنة على
الفني ، وريالان على المتوسط ، وريال ونصف ريال على الفقير . كل هذه
الضرائب تدعى في اليمن زكاة ، الا انهم يقسمون الزكاة قسمين ، ما يدفع
من الجلس وهو العشر ، وما يدفع نقداً .

كل ما يجمع من العشر والاموال يحفظ في بيت المال الذي له فروع في
كل الاقضية . وفي هذه الفروع اي المستودعات دائماً كثير من الحبوب والبز
وغيرها من لوازم المعيشة ، التي لا يصرف شي . منها الا يامر من الامام . على
ان من حسنت بيت المال انه يقرض المحتاجين مما فيه ويستوفي الدين منهم
من الموسم الجديد دون فائدة ، وهي في اليمن متنوعة اطلاقاً ، في التجارة وفي
المعاملات كلها ، بمنوعة شرعاً وعملاً .

وما سوى القرض فلا ينفق من بيت المال الا القليل ، لان عند الامام
مصدر خراج آخر هو الجرك ورسم القوافل . فكل ما يدخل الى صنعاء من
عدن او من الحديدة اليوم يدفع رسماً معلوماً . وكذلك كل جمل وكل دابة
تحملة فمن هذه الرسوم ينفق الامام على حكومته . اما بيت المال فلا تقسمه
يد صاحبة او اتية . كل ما فيه مذكور بعون الله ، وبفضل الامام والرهائن ،
مذكور لليوم المنتظر . غلب يوم العرب الامام ، المان العرب الزيد .

الفصل الثامن

الشأن القديمية

خادم لا يعجبه شيء - بهادته في الامار - رآه جالساً تحت الشجرة يقضي في الناس - دعوا الصغار يأتون الي - التناقض في سلوكه - القصد من الجلوس في الدلاء للناس - كيف يقضي الامار يومه - مكتوبة من المخطوطات - كتاب الاكليل - « قبح الله ملكاً يدخل عليه من هو اعلم منه » - المدارس - العباد - القراء - العامة - ذكاء الاولاد - حب العلم والحرب - الامار الامبراطور - الامار الطبيب - الكرامات والقشور .

كان للرفيق قسطنطين خادم مدني وهو ولد مغربي نشأ في كنف الاشراف شكة ، فاكسب غير المشاكسة والمكابرة ، وما كان رأس ماله في الحياة غير رأس من حديد واسنان ذي حدين . استصعبه الرفيق ، فكان اضحوكة الطريق ، واعجوبة الخطر والضيق . وكان الاقدار تحسن الامثال ، فكان ينطبق على المدني ومطيته - بقله كانت او ناقة او حماراً - المثل المشهور : شبيه الشكل منجذب اليه . ولم وهلة روعتنا واضحكتنا معاً ، والمطية فيها تضرب بقوائمها الهواء ، والمدني ينطح برأسه الارض ، ثم ينهض كالجن ضاحكاً ، وان غلظة في فم اللعنات ، ويروح راكباً فوق احماله كأنه سيد السادات . ولد لا يعرف التوبة ، ولا يحسن من الكلام ومن الظنون الاسرارها . فما رافق احداً الا شاكسه في الساعة الثانية بعد اللقاء ، وجاء يتحفا بعلوماته عنه ويحذرها منه .

ولما دخلنا الى صنعاء فاز المدني قبلنا برؤية المدينة ، فراح يطوف فيها ، وعاد ولسانه على غير عادته يقطر عسلاً من عمل الالفاظ ، وعينه تهرقان ابتهاجاً . سبحان الله . لقد اعجبت المدينة المدني ، ففضلها حتى على جده . فقلت : افلا تفضلها على مكة كذلك ؟ فقال : لا والله . فسأته عن السبب ، فاجاب :

في مكة امي . وهذه ، اي حبه امه واحترامها ، هي بعد الامانة ، فضيلة الولد الوحيدة . قلت انه نقاد وقاد ، لا ينجو احد من لسانه ومن ناره . ولكنه جاء ذات يوم وهو عائد من المدينة يقول : رأيت الامام ، والله وامي ، وقبلت يده .

- أين رأيته ؟

- هو جالس الان في الساحة ، وحوله الرجال والنساء والاولاد . ولما رأيته قال : حيي الله الجاي . وقام من كرسيه ، والله وامي ، واعطاني يده فقبلتها . وسألتني عن امي وقال : امسلم انت ام مسيحي . فقلت : مسلم والحمد لله . فقال : بارك الله فيك . هو حيائي ، والله وامي ، قبل ان حييته . ما رأيت احسن منه ، والطف منه رجل متواضع كريم الاخلاق - والعدل - وامي لا اظن ان في البلاد العربية من هو اعدل منه . هو جالس الان في الساحة يسع شكواوي الناس . وكلهم رجال ونساء واولاد بنادون : يا امام ، يا امام ، يا حضرة الامام . جاء وانا واقف جنبه ولد يبكي . فقال للناس : افسحوا له ، قربوه مني . دموعه افصح من الافصح فيكم واصدق . تعال يا بني . وامي ، ما اقول غير الصدق . . . لا اظن ان في البلاد العربية كلها احسن من هذا الامام .

وهذا اجل ما فاه به المدني في الرحلة كلها . على اننا نضرب صفحاً عن رأيه وننظر في ما تضمنته حديثه من الحقائق . قد حياه الامام عند ما رآه قادماً وقام له . وهو يعرف انه خادمنا ، ولكنه يجهل ما اذا كان مسلماً او مسيحياً . هذا جميل منه . ولكننا نساء لنا ما السر يا ترى في ما تناقض من ساوكة . ينهض لخادمنا ويستقبلنا جالساً ، والسر لا يزال سرّاً ترفه الى القاري . ونسأل له التوفيق في اكتشافه واكتناحه .

اما الحقيقة الثانية فهي انه قدم شكوى الاولاد ، ومنهم الولد الباكي ،

على شكواي الرجال والنساء . وهذه بذاتها ثناء على الامام لا يقارنه في النطق ثناء . نذكرها اجلالاً لساكنين حائرين . ان امر هذا العربي الياني الشريف لغريب . يشبه المسيح بالرجل المسحوق ، ويشبه المسيح في عطفه وحنانه ، دعوا الصغار يأتون الي . من فهم مسلم زبدي تتساقط دموع حياك ، وفي اليمن يسع صدى كلماتك ، ايها السيد الكبير الالحد ، ايها الناصري العظيم . فما اصغر من يقيم الحدود ، ويحصر الحقيقة بالنصارى والزبويد .

قد رأيت بعيني ما يثبت رواية الخادم مدني ، بل رأيت حضرة الامام وهو يجلس ساعة وساعتين كل يوم دون تأفف وتذمر ، فيسمع شكواي الناس واعياً صابراً ، طلق الحياء ، عطوفاً شفيقاً ، فيقضي بينهم في بعضها ويجعل البعض الاخر على المحكمة الشرعية .

اما القصد من الجلوس في القلاة فهو يدل على رغبة الامام الشديدة في تعميم العدل والانصاف . قد علمت ان الحجاب في بابه يردون احياناً من ينبغي ان تسمع دعواه ، او تقدم على دعوى سواء . وقد يرثشون ويظالمون فيمكن من السر لا تصل اليه يد العدل والتأديب . فيجلس الامام حيث لا حاجب بينه وبين الناس . انا هي عادته كل يوم صباحاً عندما يخرج من قصره الى الديوان . يجلس في الساحة عند الباب ، او تحت الشجرة في الحوش ، ويقف وراءه جندي حاملاً السيف ، وآخر الى جنبه حاملاً المظلة . فيفتح الجلسة التي تستمر من الساعة الى الساعتين . ثم يطوف في المدينة مصحوباً ببعض الموظفين والجنود وبين شاء . من الناس . ثم يصلي صلاة الظهر ويرجع الى القصر راكباً في موكب رسمي تتقدمه التوبة ، وتعلو فيه اصوات الجنود وهم ياشدون الزامل . وبعد القداء والقبولة يجيء الى الديوان فيشتغل حتى صلاة المغرب ، وهو بأكمل اتنا . هذه المدة او بالحري « يخنون » القات ، بل يظل في بعض الاحايين حتى الساعة العاشرة مساءً في الديوان قائماً بما تقتضيه شؤون الامامة والرعية .

اما يوم الجمعة فيقتضيه في الصلاة والمطالعة . وقد قيل لي ان عنده مكتبة من المخطوطات لا مثيل لها في البلاد العربية كلها . علي انه يغادر عليها من عيون الناس وابديهم ، وخصوصاً الاجانب منهم . فقد أخبرت - واني اروي حديث المكتبة كما رويت حديث الكنوز - ان كتاب الاكليل^(١) كاملاً بعشرة اجزائه موجود في مكتبة الحضرة الامامية . وانه سيطلع ان شاء الله عندما تصل الطباعة الى اليمن في سياحتها العربية البطيئة وتستقر في صنعاء . ان الامام يحيى رآياً في العلم والملك جليلاً . هو من اكبر العلماء والمجتهدين ، وعنده انه ينبغي ان يكون كذلك كل من تكبره الامامة وتروفع الى سدة الملك . وكيف لا وهو القائل : قُبِّحَ الله ملكاً يدخل عليه من هو اعلم منه . فاذا لم يكن هو اكبر العلماء اليوم فلا شك انه ابعدهم نظراً ، واشدهم همة ، وادقهم اجتهاداً^(٢) وقد قال لي احد السادة انه خلاصة الخلاصة .

ولكنه في حبه العلم لا يحب علي ما يظهر تعمييه . لم تر مدرسة واحدة في المدن والقرى التي مروفا بها . اما عذر الامام في ذلك فهو انه منذ تولي الحكم وهو واعداؤه في احتراب . فكيف له ان يهتم بالمدارس ؟ ولكن

(١) كتاب الاكليل للحسن بن احمد الفسدي . لم ار منه غير جزء واحد . وهو كتاب محافد اليمن ومساندا ووفياها ومراتي حبيب في عشرة اجزاء . الاول : اصول الانساب . الثاني : نسب ولد الحسين بن حمير . الثالث : فضائل قحطان . الرابع : السيرة القديمة الى عهد تبع بن ابي كريب . الخامس : من اول ايام اسعد تبع الى ايام ذي النواس . السادس : في السيرة الاخيرة الى الاسلام . السابع : في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المتحلة . الثامن : ذكر قصور حمير ومدائنها ودفائنها وما حفظ من شعر علقمة بن ذي جندب . التاسع : امثال وحكم باللسان الحنيري . العاشر : في معارف همدان وحاشد وبكيل .

(٢) الاجتهاد هو تفسير او تأويل او شرح بعض الاحكام في فروع لا في اصل الدين ، تلك الفروع التي ليس لها في القرآن والسنة نصوص صريحة . والامام يحيى يخرج الاحكام على اصول اجتهاد الامام زيد ابن علي بن زين العابدين وفي بعض الاحايين على اصول الامام احمد بن حنبل .

اهل اليمن يهتمون كل الاهتمام بالمساجد وبالصلاة وبالقات ، فلو انصفوا ، لو احسنوا الى انفسهم ، اساووا في الاقل بين التعليم والتدين .
 اما ما يتعلقه الاولاد في المساجد فينحصر بالقرآن واللغة والفقه . لكن الفقه لا يدرسه هناك غالباً الا من هم من السادة . وليس الفقيه دائماً فقيهاً . الفقيه هناك مثل معلم الاولاد عندنا وغالباً تكون مهنته ان يعلم القرآن واللغة فقط . ومن هذه الجهة يقسم اهل اليمن الى ثلاث طبقات ، العلماء ، والفقهاء ، ويدعون بالقراء ، والعامه . ويقسم العلماء قسمين ، قسم يتولى امر التعليم والارشاد واكثرهم من الفقهاء ، والقسم الثاني هم اهل الحل والعقد ، هم السادة ويبدعهم مقاليد الاحكام الشرعية والسياسية والعسكرية . اما العامة فهم الذين يعلمهم القراء الكتاب وشيئاً من اللغة ، ويعلمهم السادة الطاعة والمحافضة على كل ما فيه تعزيز سيادتهم في البلاد . لذلك تراهم يكرهون السيد ويسخرون من الفقيه .

حدثت ذات يوم ولداً ذكياً ، وما اكثر الذكاء في الاولاد هناك ولكنه كالارض الطيبة غير المزروعة ، فسأته ما اذا كان يشتغل « اي يجب » السفر . فقال : عندنا والحمد لله ما يغنيننا عنه . فقلت : ولكن الاسفار تفقه وتفكره . فقال : الذي عندنا يكفي لمعاشنا فقط . فسأته كيف يبذل الزيادة لو كانت . فاجاب : والله يا سيدي انا احب المدارس ، كان عندنا في ايام الاتراك مدارس منظمة يعلمون فيها الجغرافية والحساب . وكانوا يعطوننا الكتب والالواح والورق والحبر والاقلام والدفاتر والطباشير - كل شيء ، وكله مجاناً . والله يا سيدي انا محزون . لا مدارس اليوم عندنا ولا معلم غير الفقيه . والفقيه سقيم ، لا يجب التعليم ، ويأخذ مع ذلك ثمانية ريات في الشهر ، وينام في المسجد والكتاب بيده . والورق والحبر والكتب ذهبت مع الاتراك . فلو كان عندي مال زائد كنت افتتح مدرسة ، واعزل الفقيه ، واجلب الكتب والدفاتر والورق والالواح والطباشير واوزعها على الاولاد مجاناً .

- ولماذا لا يفتح الامام المدارس ؟ الامام غي .
- بلى ، ولكنه . . . سكت الولد ومد يده مقبوضة . ثم قال : فهمت ؟
- وهل عند الامام كتب ؟
- خيرات ، خيرات .
- وهل هو عالم كبير كما يقولون ؟
- انتهى ان يكون لي هذا القدر - وهو يضم اصابعه بعضها الى بعض - من علمه .

- أو لا تحب ان تكون جندياً ؟

- بلى ، ولكن بعد ان احصل العلم احمل البندق .
- وماذا ينفع العلم اذا كنت تظل راعياً في الحرب وفي تقتيل اخوانك ؟
- العرب كلهم من بطن واحد ، والمسلمون اخوان .
- صدقت ولكن حضرة الامام اعلم منا . فاذا قال : الحرب ، فالى الحرب . كلنا نحارب من اجل الامام . وهو اعلم الناس بكتاب الله والسنة وما يجب على المسلمين . قد امرنا الله بالجهاد . . .

اعاد حديث الولد الى ذهني وجه الشبه بين هذا الشعب الياباني وبين ذلك الشعب الذي قام في اوروبا منذ عشر سنوات يلبي امر امبراطوره بتأديب العالم وإحط السيادة الالمانية على اوروبا جميعاً . وكلمة الامام اليوم مثل كلمة ذلك الامبراطور بالامس ، تكاد تكون منزلة في نظر رعيته .

ان الامام مجي اذن رب الحرب والاجتهاد ، رب السيف والقلم . هو الزعيم الاول والمعلم الاسبق في السن . وهو القاضي العادل الشفيق يجلس في الغلاة كي لا يقف احد بينه وبين المظلوم . قد علمت ذلك ايها القارئ . ولم تعلم بعد ان الحضرة الشريفة تارس كذلك الطب الحديث تدواوي المريض

بالإيمان وتشفيه بالصلوات . أجل إن الامام هو الطبيب الأكبر بل هو الطبيب
الأوحد في اليمن .

اخبرني احد الذين عالجهم انه كان مصاباً بداء الصرع وكان في رأسه
اهتزاز دائم ، فآخذ الحشايش التي وصفها له بعض البدو ، واكتوى ، واحتجم
وظل في رأسه الصرع والاهتزاز . فجاء الى الامام ضارعاً مستشفياً . فلباه
الامام . أخذ الكتاب فقرأ بضع صفحات فيه . ثم تناول ورقة وكتب فيها
آية من آياته الكريمة ووضعها في كأس من الماء . وحركها وهو يتلو الآيات .
ثم اعطاه الكأس قائلاً : اشرب باسم الله . فشرب المريض الماء . فقال الامام :
اذهب في شأنك ، قد شفيت بأذن الله . وهذه قصة واحدة في الكرامات
من عشر سمعتها .

اما التشوير^(١) وحضرته القدسية تشوّر ايضاً ، فاليك بمثل واحد منها .
جاء ذات يوم بعض العربان شاككين فاقين ، فنعيم عنه ، فوقفوا في الساحة
تحت النافذة ينادون ويهددون الامام . فاطل حضرته عليهم وأنهبهم فثارت
في رأس واحد منهم النخوة بل النخبة العربية فاطلق بندقيته . فقال الامام :
رصاصك بين عينيّك قبل ان تغرب هذه الشمس . وعاد الى مجلسه ، الى
فراش الملك مطمئناً . وراح العربان الى المدينة وهم يصيحون ويستنفرون .
ولكن الذي اطلق بندقيته تخلف عنهم فجلس عند بوابة صنعاء يستريح والبندقية
بين يديه ، وفها تحت انفه . نغم الرجل ونغم ، ثم تحرك حركة المستيقظ ،
فأطلقت البندقية عرضاً ، فاصابته الرصاصة في جبينه ، بين عينيّه ! وكان ذلك
قبل غروب الشمس !

(١) التشوير ، مثل « العين » ، يصيبك منه الشر المفصود دون تحديد . ولكن في
هذه الحادثة حدد الامام الوقت والمكان ، فكان ما شرّر به ، وقوة التشوير
عند العرب تنحصر بالبادة الاشراف .

الفصل التاسع

الجزء الثاني

قوائد السفر البطي - حصون أهل اليمن الثلاثة - ضعف الزيد - القرن الثالث للهجرة - العزلة والتعليم - جو الظنون - زيارة الامام - حديث خنيس - خير اليمن في السلم لا في الحرب - « افتتحوا البلاد للتجارة » - الانكسار - الاخرى - خطبة الرقيق الحربية - نفور وزور - عدن والاعقاب فيها - مندوب الامام الصوفي الاسلام احمد بن يحيى الكوفي - بداية المفاوضات - رمضان - ابطاء السيد احمد - نجته بالقوافي ولهجته .

من فوائد السفر البطي على ما فيه من مشقة وعناء انه يمكن طالب العلم من الاستقصاء والدرس والاكتشاف . كنا في طريقنا من لحج الى صنعاء سؤالاً متجسماً ، سؤالاً حياً متحركاً ، اذا اذن لنا بالاستعارة . وحسبنا في بعض الاماكن ان نقف ساحتين صابرين ، فيجئنا صاحب الامام مادحاً ، ويجئنا عدو الامام قاذحاً . فضلاً عن الفلاحين والجنود ، وقد عظم البؤس والفقر فيجئنا شاكين ومتبرعين همساً بما نبيغهم من المعلومات . فوصلنا الى صنعاء وعدنا « خيرات » من اخبار الامام واليمن والزيد . قد دونت بعضها في الفصول السابقة ، واقول الان تمهيداً وافادة انها تنفرع الى فرعين ، الاول وفيه تظهر قوة الزيد الطبيعية ، والثاني وفيه ضعفهم الكامن في تلك القوة . اما هذا الضعف فله في حياتهم الاجتماعية مظاهر شتى كلها قديمة .

قد علمت ما تقدم ان الامام هو الزيد ، وان قوته وقوى تلك الامة تنحصر في ثلاثة - ثلاثة حصون - هي المذهب والجنسية والوحشية اي الاعتقال . اما المذهب فلا رأي لي فيه . واما الجنسية فالمدارس توسع نطاقها لتشمل في المستقبل - القريب ان شاء الله - ربوع العرب كلها ولكنها الوحشية ، اي النفور من الغريب والنزوع الى العزلة ، تؤثر في السائح اشد

التأخير واسوأه . وهي مع ذلك اول الحصون المضي عليها ، لانها لا تقوى في هذه الايام على تيار العلم والتجارة ذلك التيار الذي يقرب الشعوب بواسطة البرق والبخار بعضها من بعض .

اما ضعف الزيد ففي جهلهم الكثيف وتقهقرهم ، لا بالنسبة الى الاوروبيين بل بالنسبة الى المصريين والسوريين حتي والعراقيين . كأنك في السياحة في تلك البلاد السعيدة قولا وتقليداً تعود فجأة الى القرن الثالث للهجرة . لا مدارس ، ولا جرائد ، ولا مطابع ، ولا ادوية ، ولا اطباء ، ولا مستشفيات في اليمن . ان الامام لكل شيء . هو المعلم والطبيب والمحامي والكاهن . هو الاب الاكبر ولا اظن ان في اليمن من يقوم مقامه اليوم لو فاجأته لا مبح الله المتنون . على انه ، وان حافظ كالأب الوقوف على ارواح ابيه ، وعلى صحتهم ، فقد اعمل عقولهم اعمالاً مخزناً مفاجئاً . وهذا النقص في حكم الامام .

ان في العزلة قوة نأسف على دوامها . ولكننا نأسف كذلك على زوالها اذا كان التعليم الوطني لا يحمل مجلها ، فيسكون فيه لاهل اليمن قوة جديدة تضاعف ما فقدوه . ولا بد مع التعليم من تحسين الصلاة وتمكينها بين الحضرة الامامية وسائر ملوك العرب ، ولاسيا من يحكمون الشطر الغربي من شبه الجزيرة . اضف الى ذلك تسهيل المواصلات التجارية والاقتصادية بين اليمن وعدن ، وهي من الامور الجوهرية التي لا تتم الا بوالاة الانكليز والاتفاق معهم على ما فيه مصلحة البلاد وشي . من المصالح المشتركة .

الثنا عشر يوماً في الطريق واسبوع في الاسر انضجت في هذه العقيدة وحصنتها بالمشاهدات وبالمقول . فدخلت صنعاء وقابلت الامام وهي متأصلة في مسكنة مني ، بيد اني جئت اليمن ولا رأي ولا عقيدة لي في رجاله وفي شؤونهم ، فلو القيتهم كالمصريين او كالعراقيين على الاقل لكان حديثي مع حضرة الامام غير ما ستسمع ايها القاري العزيز .

وهناك مشكلة هي في نظر الامام اهم من المدارس ، واهم من المعاهدة مع ملك الحجاز ، واهم من سكك الحديد والامتيازات . الا وهي مشكلة الحديد . الحديد الا ينال الامام سعيدها مطمئناً ما دامت ، وهي ميناء صنعا . ، في يد الادريسي والانكليز . سائبط قضيتها ، وهي قضية اليمن السياسية الكبرى اليوم ، في الفصل التالي . اما الان وقد اطمان بال الامام في تثبته صدق دعوتنا وحسن قصدنا فانقضت غيات الظنون والشبهات ، انجلي الجرح فانفتح في اليوم السابع من الاسر باب الفرج والسرور .

ولا تسل ايها القاري . لكم كان ذا السرور عندما دخل احد الحجاب . يشرنا بقدم الحضرة الشريفة . جاء الامام يزورنا في منزلنا ، والمحمدية . مزيل الشكوك من قلوب عباده . دخل يحمل السيف وظل من رافقه من الحرس في الرواق . هو يلبس ثياباً قطنية من نسيج اليمن وليس ما يبرزه عن احد السادة غير العمامة شكلاً لا لوناً وذراعتها الطويلة . وسادات اليمن مثل اشراف الحجاز وتجاره يلبسون غالباً الاجربة والاحذية لا النعال . بادرننا انا والرفيق الى الباب نستقبل الزائر العظيم ، ودخلنا وراءه فامر ان تجلس على الديوان وجلس هو امامي على كرسي ، وسيفه بين يديه .

اما الحديث فانقله من يوميتي وقد كتبت خلاصته ترواً بعد المقابلة . فما اتكملت على الذاكرة آنشد ولا أتذكر عليها الان . ليتقن القاري . اخذ صدق الرواية .

قلت : لست باجنبي يا حضرة الامام ، بل انا منكم ، من العرب . ولا يجزع من كان يجيد الفرس مثلكم . انظروا الي . ان قصتي صكلها في وجهي . فاذا رأيتم ما يريكم ، او ظننتم في شيئاً من التلبس ، فروني فاسكت واعود غداً حيث اتيت .

فاعذر حضرته عن التأخر بما لديه من كثير الاشغال ، واعاد الكلمة

التي وقفنا عندها في المقابلة الاولى عندما دخل الزائرون - هل عندكم كلام مضبوط ؟ فقلت : غير ما توجبه الوطنية العربية وثبته المشاهدة لا نسمعكم ان شاء الله . ولكن قبل ان افوض بالكلام اؤكد لمولاي ان لا علاقة لي البتة مع الانكليز ، ولا علاقة سياسية او تجارية مع اميركا ، ولست امثل رسمياً الملك حسين . انا مندوب نفسي ، رسول فكرة هي بنت علمي ووطنيتي . اما قسطنطين فهو رفيقي بصفة ملازم في الجيش الحجازي . وها هنا اعدت ما قلته في المقابلة الاولى عن الغرض من سياحتي ، ثم قلت : هذه بالاختصار خطتي في السفر . فاذا ساعدتوني في تحقيقها تغززون يا مولاي مصلحتكم . ما شك احد حتى الان في حبي للعرب واخلاصي لهم . ولا اظن مولاي وانا اصارحه كل المضارحة يشك في ما اقول .

فاعاد حضرته الاعتذار واكد لنا انه مطمئن البال لا بخماره شيء . من الرب في حسن قصدها . ثم قال : واسمعي الان بيت القصيد - فقلت : هما بيتان . الاول ان تنفقوا والانكليز والثاني ان تعقدوا معاهدة مع ملك الحجاز . ينبغي لكم يا مولاي ان تفتحوا البلاد للتجارة وللسياح . لان اليمن لا يحيا ولا ينجح اذا كان لا يتصل بالعالم خارج اليمن اتصالاً حديثاً . فلو عقدتم مع الانكليز معاهدة تجارية ولأثنية دون ان تمس استقلال اليمن بشي . او تعيد بشي . سيادتكم التامة ، يكون لكم فيها الفائدة الكبرى . واذا علم الانكليز بانكم عقدتم معاهدة مع ملك الحجاز وانكم انخدمتم لتعزيز شؤون البلادين ومصالحتها المشتبكة ، يتسامحون في بنود المعاهدة معكم رغبة في عقدها . سأجنب في ما اقول التعميم . اني اظن يا مولاي ان اتحادكم واخلجاز يساعد في حل مشكل الحديد على طريقة ترضيكم . بل اعتقد ان الحديد ، وهي مينا . صناعه التاريخية والطبيعية ، تعاد اليكم اذا استعظم عن السيف بالسياسة . استمروا في مفاوضاتكم والانكليز اذن واعقدوا المعاهدة او التحالف مع الملك حسين . ولا يخفى على مولاي انه اذا

فتحت بلادكم للتجارة ، وهي من اسس العمران ، فينبغي ان يكون لكم قوة تحافظون بها على استقلالكم وقوميتكم ، بل على سيادتكم التامة ، محافظتكم على الأمن والسلم في البلاد . واما عزلتكم اليوم ، فاذا دامت ، تتلاشى فيها قواكم . انكم تبدلون اموالكم وحياة رجالكم في الحروب الدائمة وفي الاستعدادات الحربية التي هي شر من الحرب . ان عندكم اليوم قوة مسلحة يامولاي وهذا لا يكفي فالامة تحتاج الى ثياب تقيها من البرد ، وإلى تعليم يقيها من الجمل والأمراض ، وإلى تجارة تقيها من الفقر والشقاء . ولا تنال ذلك الا بالسلم وبالعلم وبسائطها الحديثة . استمع من يدعون الى حرب بين الشرق والغرب ويستبشرون بها ، بل من مبادي وآماله ان تتحسن العالقة بين البلدين ، وان تكون المروءة الوثقى عروة تقام وولا . بين اوروبا وبين العرب على الأقل . واني اشتهي ان تكون البلاد العربية مستقلة استقلالاً سياسياً تاماً . ولكنني اغار عليها من الجمل يامولاي كما اغار عليها من دسائس السياسة الاجنبية . وما السبيل الى التخلص من الاثنين ؟ انما السبيل القويم في اتحادنا يامولاي ، في اتحاد ملوك العرب وامراتها اتحاداً لا يقدر بسيادة كل منهم ، ولا يحجب باستقلالهم المركزي التاريخي . اضعفتم انفسكم بالحروب . قتلتم البلاد بالحروب . انما حان انكم ان تجربوا طريقة اخرى ، طريقة السلم ، الولا . والاخاء . والتفاهم والتعالف ؟ بل فيها الحياة والعمران والعزة القومية .

كان الامام وهو مطرق يصغي لما اقول ، ويهز رأسه مبتدئاً من حين الى حين ابتسامة فيها دهش وفيها استعجاب . ولما وقفت عند هذا الحد رفع رأسه وقال : كلامك مضبوط . ولكن الادريسي حليف الانكليز وعدونا ، يأخذ منهم المال والسلاح ويحاربنا بها . وهو بيننا وبين الحجاز ، هو المانع الحاضر . -- هو ينضم اليكم عندما تتحدون . لا يقف الضيف عدواً بين قريين .

— ولكن الانكليز يساعدونه .

— الانكليز يا مولاي لا يستمرون على مساعدة الضعيف اذا استقوى
خصمه الى حد ادعوك اليه — الى حد فيه تم المحالفة اليانية الحجازية . فهم
اذ ذاك يغيرون سياستهم او يعدلون بها ويسعون في عقد معاهدة ولاء وتجارة
معكم كلكم . واي ضرر يا ترى في اتحاد الحجاز واليمن وعسير ، وفي
عقد معاهدة ولائية تجارية بينها وبين بريطانيا العظمى ؟ اما الحديدية فتعاد
اذ ذاك اليكم ويسترضي الانكليز صديقهم الادريسي بما فيه توسيع حدوده
شمالاً او شرقاً في الجبال . لان بلاده اليوم ان هي الا اساكل متعددة . فهو
لا يحتاج الى اسكفة اخرى وعنده اللحية وميدي وجيزان والصليف ، بل
يحتاج الى ارض مخصصة وبلاذ في الداخلية تساعد على تعمير الاساكل . اذا تم
اتحادكم سهل اذ ذاك تحديد الحدود بين الاقطار الثلاثة .

فقال الامام : ناهي . نحن لا نعادي الانكليز بالرغم عن سياستهم .
وقد عهدنا الى وكيلنا العربي بعدن ان يفاوضهم ولكن لم تشر المفاوضات
ثمرة حتى الان . هم ياطلون ويسوفون ونحن صابرون .

— لا يسوفون اذا عقدت المعاهدة بينكم وبين الحجاز وعلموا بها .
وكان قد نفذ صير القسطنطين وهو يشغفر للكلام ، فقال مخاطباً الامام :
بل يعيدون الحديدية اليكم . واذا ابوا فحين اذ ذاك تضرب الادريسي من
التيال ، وانتم تضربونه من الجنوب ، فتأخذون الحديدية منه كرهة وتزعمونه
فيضطر اذ ذاك ان ينضم الى المحالفة .

لم يقف القسطنطين عند هذا الحد بالرغم عن اشارتي وتحذيري السابق
بل اضمن في موضوعه الخاص بالحروب ، فشرع يخطب خطبة عربية ساد فيها
صليب السلاح الحديثة واصوات الطيارات ، ففخت منها على بناء السلم الذي
ابنيه . وقد تأثرت من لهجة الرفيق وشهوره ، واعدت بعدئذ عليه ما طالما قلته

في مواقف شتى . وهو اني رسول سلام لا رسول حرب او ثورة في البلاد العربية . وقد جئتها مبشراً بالعلم والتدين ، لا بالوحدة العربية وحدود ابن عباس كما يفهمونها في الحجاز .

لا والله ، ما جئت لانصر جهلاً مسلحاً واعزز تعصباً يفتخر بوحشته . نبغي الحرية والاستقلال ، نعم ، واحسننا نبغي المدارس ايضاً والطاعة والمستشفيات ، ونبغي النظافة في المعيشة وفي اللبس وفي البيوت وفي المدن .

ان حضرة الامام بعيد النظر ثاقب الفكرة ، طويل الالقاء . فها كان من صياح امراء جيشه وتبجهم - نشتهى عدن - دعنا نرحف على عدن فتأخذها بعشرة ايام ! - فهو يسير في جادة الثورة والحصافة . وقد احسست ميل فيه الى السلم اكيد بالرغم عن استعداداته الحربية كلها . على انه كما قلت طراح يحلم حلماً سياسياً باهراً ، ويعد لتحقيقه العدات ، ويجمع الاموال ، الذهب والفضة ، ويخزنها لذلك اليوم العظيم . وان اعد مرقداً ولا شئ في حمله ، وعلماً في محيط علمه ، كيف لا وقد كانت في الماضي زينة بلاده ، ودررة في تاج اجداده . انما هو يعلم ما يعترضه من العقبات ولكنه لا يعلم على ما اظن ما للامم الشرقية والغربية في عدن اليوم من المصالح التجارية والمالية ، وقد اصبحت من اهم مراكز الاتصال بين الشرق والغرب . سألت احد السادة العلماء : في عدن كثير من الاجانب ، فكيف تعاملونهم اذا اخذقروها . فاجاب سيادته ، يدفعون مثل اليهود الجزية ! ولكن حضرة الامام ، وهو « الرفيع الجنب الوسيع الرحاب » يسمع كلام السادة وامراء الجيش ويخرج الى الساحة ليسمع شكاوي الناس .

وكأنه صمنا نرق ، مع النفس الضامنة تشكو الاسر ، فأذن لنا في ختام تلك الجلسة بالتطواف والتتوه ، وكان يوصل الخيل احياناً لهذه الغاية فيرافقنا بعض الجلود حيث نشاء . بيد اننا ، وان كنا قد سررنا بهذا التعتاب

الامامي ، عندما بعد بضعة ايام مرت دون كلمة او اشارة من حضرته الى الريب
المؤلم والظنون . وقد كان ظني ، ساحني الله ، ان القسطنطين افسد علينا الامر
في خطبته الحربية ، وافقدنا ما احرزناه من ثقة الامام . وبما زاد في الطين بلة
ان الرفيق ، ونحن في تلك الحال ، شرع ينظم القصائد في مدح الحضرة
الشريفة وفي مدح سيفها ومظلتها وقصورها الخ . فرحت انا انجحت في المدينة
عن تزيات لسم الجروع والقنوط .

ان حياتنا في صنعاء في الايام العشرة الاولى كانت والحق يقال كادوار
من الحمى يتخللها فترات نقية قصيرة . ولم نشف الشفاء التام الا بعد ان
زارنا ذات ليلة سيد من السادة يحمل رسالة كانت فيها والحمد لله خاتمة الكرب .
دخل حضرة السيد يتقدمه جندي وجلس على الديوان بين الرفيقين يحدثننا
بجبال صنعاء الذي يفوق بها مضر وجلال الاستانة . ثم انتقل الى عاصمة بني
عثمان فعرفنا انه كان نائباً من نواب اليمن في مجلس المبعوثان . ثم الى مصر
التي اقام فيها مدة يعالج السياسة ويشم النسيم ثم الى جزيرة رودس فعرفنا
انه كان فيها اسيراً . وبعد هذه السياحة التي اتحف السائحين باخبارها تهيداً
وتعريفاً ، رفع العمامة عن رأسه واخرج من احدى طياتها رسالة من الحضرة
الشريفة ، بل خطأ امامياً ، انبأنا بان السيد احمد بن يحيى الكبسي هو مندوب
تلك الحضرة الينا ومعهدها في المفاوضات بشأن المعاهدة . وقد خط الامام
الخط بيده ، بالحبر الارجواني ، على طريقته الخاصة ، اي بضعة اسطر منها
متنا والبقية على الهامش تحيط بالمتن كالحلال ، ونخسه بالحبر الاحمر^(١) اما نص
خط الاعتماد فيها كنه .

(١) غم الامام احمر في ايام الحرب اسود في ايام السلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

يحيى حميد الدين

امين المؤمنين

(صورة المقيم)

المترشح على الله رب العالمين

الصنوصفي الاسلام احمد ابن يحيى الكبسي حرسه الله . كل
المراجعات بيننا وبين الشريف ناصر ثم مع السيد محمد علوي السقاف^(١)
باطلاعكم . وقد وصل الاستاذ امين الريحاني ورفيقه قسطنطين ومعهما
كتاب من ملث الخباز وظهر لنا من ظاهر كلام الاستاذ اراحة الخباز
الكلام والمراد منه البغية المقصودة والظالة المنشودة . فليكن منكم
الكلام . مما اتقرر المسئلة على الوجه الكامل ابتداء وانتهاء مع لوازمها
الداتية والخارجية اعانة لنا في ذلك . وليكن الكلام مكتوماً من
الجميع عن كل احد . واعرضوا هذا عليها . وقد اعلمنا الحاجب بالاذن
لكم بالدخول اليها والسلام عليكم .

في ٢٨ شعبان الوسم ١٣٢٠

ازال الخط كل ريب باننا مأسورون ، وثيقنا ان الحجاب في الباب لا
يأذنون بالدخول اليها الا من كان حاملاً براءة من الاهام . فكان السيد احمد
الكبسي اول من حظي بهذا الانعام ، وهو من سادات اليمن المستنيرين
المتساهلين الراغبين في فتح كروات في سور الغزلة يطل منها اليمن على العالم
فيستشق هوا . المدينة دون ان يعرض بنفسه لرياحها الشديدة وبحارها المضرة .
والسيد احمد جسيم وسمي ، بطي . الحركة خفيف الظل ، فصيح الكلمة ،
لطيف الاشارة . وله عين في الفتى السياسية ناعبة الملاحظ ، وعينان في كشف

(١) والاثنان قدمانا في المناوشات بين الملك والامام بخصوص المعاهدة .

الحقائق التي فيها خيره وخير الامام . اما ما سواها فهو لا يراها ولا يشتهي ان يراها .

جاءنا السيد احمد في اخر شعبان ، وكانت مقاضاتنا وايامه في رمضان فغيرنا من اجله نظام حياتنا ، وما تمكنا مع ذلك ان نباريه في النوم والابطال . - هذا وقت الغطور يا امين ، ثم وقت القات ، ثم السجود ، ثم وقت النوم ، ثم اوقات الصلاة - ظاهر ومشى ^{١١} ولا وقت للمقاضات . ولكني اجبتك الليلة ان شاء الله بعد جاسة القات . فيجئنا بعد نصف الليل او بين المذفين مدفع السجود ومدفع الامساك . والسيد الكبسي سيد الزمان ، لا فرق عنده بين الشمس والزرقان . وكان يحبي حرسه الله والطبيب ينكر من اردائه ، ويقايا القات بين اسنانه ، فيسال او لا عن دواء للصداع ، ثم يقرأ بنداً واحداً من المعاهدة واذا جار على نفسه يقرأ بدين ، فتدق اذ ذلك الطبول مبشرة بمدفع الافطار ، فينهض السيد مسرعاً الى فروضه ، ولا زناه بعدئذ الا بعد ان تتعدد منا اليه الرسل والرسائل ، وفيها من قسطنطين القوافي المحجلة ومعنى المحجلة . اجل قد عثرت وانا اراجع مذكراتي على ما يلي :

في ١٦ رمضان الكريم

لقد هيَّج في القسطنطين نهضة الى الشعر كانت راقدة . لقد طالما تأقت النفس وتشوقت العين الى شيء يخصني من ذلك العنوان الجليل في الدواوين : وقال يندح فلاناً . ولكني بدأت في التنظيم وفي الهجاء معاً ، فقلت وانا في صغاه اهجو سيدي وصديقي السيد احمد بن يحيى الكبسي ، قدوة السادات الكرام ، واحداً اركان مولانا الامام .

صبرت على بقاء ومطل من الكبسي . وقلت هو الصوم المطيل لذا الجرس ولكن خفي قام يشكو جهاتي وبكشفت عما في الوعود من اللبس فقلت له : مهلاً . فقال : وكيف ذا . وخرنوبه لا شيء فيه من اللبس

(١١) ومثاه في اصطلاحهم المصت : قال هي ثمرية اهل الميت . ثقلت ؟

الفصل العاشر

الحجج المنصور

تأثير الدين في الاخلاق - البروتستانتيون والكاثوليكيون - الزيد - امام الزيد
- الضيافة العربية - رسم الامار - الخير المنصور - الامار في الخير - نبات في
العمل - حسن الادارة - كتاب الخير - الاخلاصيون - الامار الباهر - قصيدة
قسطنطين في حور القات - حيايى الشعراء في صنعاء - قصيدة الامار في مدح القات .

ان للمدين تأثيراً في الاخلاق يفوق تأثيره في العقول . فانك لتلقى امرؤاً
إذا فكرة وقادة ، ونظرة نقادة ، سليم الذوق والعقل ، كبير النفس والخلق
في كل اعماله واقواله الا ما كان له علاقة منها بدينه ومذهبه . فتلقاه اذذاك
سخيف الفكر وان ضن به ، سقيم الذوق وان عاجله بالاعذار وحلو الكلام ،
عقيم العقل وان اغرق في الاجتهاد ، قليل الثقة بالناس وان عظم ايمانه بالله .
وقد تتفاوت هذه العيوب في الناس تفاوتهم في شدة العقيدة ، وتختلف عرضاً
لا جوهرأ اختلاف المذاهب وضماً وعملاً .

خذ البروتستانتين مثلاً . فانهم يوجه الاجمال اسلم عقيدة ووسع حرية
في العقليات من الكاثوليكين . ولصكن في البروتستانتية مذاهب تضيق
عندها جادة الحياة وتو بد آفاق الطرب والسرور . فلا يجب لذلك تقبها ،
ولا يؤوب في مجلس عالمها ، ولما يطاق قبيلها اذا كان من الطراز القديم .
بينما ان رؤساء الكنيسة الكاثوليكية ، وان ضيقوا على العقل وقيدوه ، لا
يطلقون انوار اللهو والسرور في جادات الحياة .

ان الزيد مثل بعض البروتستانتين عقيدة وعملاً . وان امامهم الاكبر في
ساوكة الديني واحكامه المذهبية ليذكرني بذاك القسيس المحترم الذي يحل
الانجيل في حبيبه والعالم على منكبيه ، فيسمى ، والغم يحم فوق حاجبيه ، في

شعر كلمة الرب في الناس. الا ان الامام يختلف عنه في انه شرقي عربي يحسن الضيافة والمؤانسة ولا يحزن اذا ظنك في ضلال عليك ، ولا يقف مبشراً بين يديك .

انك لا تجد في ملوك العرب اليوم من هو اعلم من الامام يحيى في الاصول الثلاثة اي الدين والفقه واللغة ولا من هو اكبر اجتهاداً واغزر مادة منه . وهو اوسع نظراً من بعض ساداته العلماء الذين لا يزالون يعتقدون بسطحية الارض وله ذوق في الشعر والادب فيقضي بعض وقته في المطالعة . بل هو الشاعر الوحيد في حكام العرب كلهم . قد اشرت الى قصيدته المشهورة التي يدعو فيها الى الوحدة الاسلامية وسيطلم القارى . على شي . من رقيق شعره ايضاً ولكنني الان مشيت ما قلته في تأثير الدين اذ بالحري المذهب في الاخلاق .

ليسبح لي حضرة الامام اذاً ، وان كنت موضوع اكرامه وضيافته ، بالاشارة الى ما بعد نقصا في الضيافة والاكرام . لم اكن لألمس هذا الموضوع بكلمة واحدة لولا انني احسب نفسي من العرب وانتسب مثله الى قحطان ، فاغار عليه وعلى شريف تقاليد العرب من انتقاد القرباء جنساً وديناً في مثل هذه الاحوال . فهل يخجل بقاعدة من قواعد الزيدية اذا آكل صيفه الاجنبي ولو مرة واحدة ؟ أو ليس « الحنظل والملح » من شروط الضيافة عندنا ؟ وهل يقصر العربي في الضيافة او يخجل بشروطها ؟ واذا كان الضيف عالماً تليذ له مطالعة الكتب ، وخصوصاً المخطوطات القديمة فهل يهدم حضرة الامام مكاناً من اركان الدين اذا اطلعه على بعض ما عنده منها ؟

اما اذا استأذنه الضيف باخذ رسمه فيأبى ، ثم يأذن بتصوير الحنود وهم زيود ، فلا اقلنه على طول باعه في الاجتهاد يستطيع ان يوفق بين الامرين . الزيدي في يدي جندياً كان او اماماً . واذا كان من تحريم في المذهب او في الدين يختص بتصوير الهيئة البشرية فالتحريم يشمل طبقات الناس كلها . على

ان آلة التصوير لم تنجح في ما اباح فلم تصح وأسفاه من صور الجيش صورة واحدة . وقد كنت في ما منع مصرأ لاني كرهت ان اعود من صنعاء ، وليس لدي من طلبة الامام الشريفة غير الذكوري والحيال . فاستعنت بالقليل مما عندي من فن التصوير واغتنتم الفرصة ذات ليلة كنا في ديوانه وكان هو يشتغل فدرست وجهه وسمعت عندما عدت الى المنزل ما حفظت منه فكان الرسم الذي تراه صادقاً بشهادة من عرف الامام .

الفو يا مولاي . اننا في زمن ادبي فني يحل الرسم فيه غالباً محل الكلام ، وله في احوال شتى المقام الاول . فضلاً عن ان الناس غربيين كانوا او شرقيين يرغبون في مشاهدة عظام الناس . فاذا حرموا ذلك فلا يحرمون ، بفضل الزمانيين والمصورين ، رؤيتهم في الكتب والمجلات .

وان كاتباً يشرف بمشاهدة احد كبار ملوك العرب ليقصر في واجب التصوير ، كلمة ورمياً ، اذا كان لا يصفه في ديوانه . وديوان الامام يسمى « الخيم المنصور » وهو يشتغل فيه كل يوم كأحد كتابه بل اكثر من كل كتابه . ها هو جالس على الفراش الاسود فراش الملك وفراش الادارة ، في فمه « تجزينة » مضمة من القات ، وعلى رأسه عرقية نسيجها اسود تتخلله خيوط صفراء ، وقد نزع سيفه وبردته وعمامته كما يتزع احد الغربيين القبعة و« الساكوه » فجرداً للعمل . كأنني به اميركي كبير يفوز في كل اعماله وهو جالس الى منضدته على كاتب سره .

اجل ، ان الامام يحيى هو الملك العربي العامل بثبات ونشاط وادارة قلما تجدها في زملائه . ديوانه بسيط ، قريب من الارض ، لا رفعة ولا ترفع فيه . يجلس متربعاً وامامه منضدة صغيرة وحبر وورق واقلام . ويجلس الى يمينه كاتبه الاول القاضي عبدالله العمري ، وإلى يمين القاضي عبدالله ثلاثة من الكتاب رؤوسهم فوق ايديهم ، وايديهم على رعاياهم يكتبون ،

وقبالتهم من زملائهم ثلاثة اخرون - وفي وسط الديوان جنديان جالسان امام الامام ، بيد احدهما الحُتم الامامي والمحبة الحمراء . يختم الرسائل والخطوط والاوراق التي تدفع اليه ، ويبد الثاني رزمة من القات يفتض منها اوراقاً يقدمها لسيده الاكبر .

يفتح الديوان في شهر رمضان مثلاً الساعة الثامنة مساءً . فيجيء جندي بعريذ اليوم ، بعرائضه ورسائله وتقاريره ، ويضعها امام القاضي عبدالله موزع الاعمال ومديرها . فيفتضها فضيلته ، وهي كلها لغافات كالسواكير صغيرة وكبيرة ، ويقرأها واحدة واحدة ، ويأمر هذا الكاتب او ذاك بال جواب على ما يستطيع البت فيه دون الامام . ثم يقدم له ما يستوجب النظر الامامي فيأمر بما يجب في شأنها ، وهو يطلع على ما يكتب في الديوان ويعاق عليه بحرف ه اثباتاً ، او بكلمة سلام ، وغالباً يؤرخه بخطه ، ويدفعه اذ ذاك الى مأمور الحُتم فيختمه ويرثله ، ثم الى من يلقه لفاقه ويكتب عليها اسم صاحبها .

الديوان الامامي او الخيم المنصور مفتوح دائماً لبعض السادة يدخلونه دون استئذان فيجلسون ويحسون ويسكنون ، اما الرجل الوحيد المباح له الكلام والصياح فهو احاجب في الباب ، وكثيراً ما كنا نسمع صوته ولا نرى وجهه - الوجد بكبكك قلت لك الامام مشغول ذا الحين . . . ناهي ، ناهي . . . جوابك تحت الحُتم . . . البلا بروحك ظل مكانك . . . اسكت يا يهوده ، البرص يمسك . . . اسكت . . . « أه ذر له البندق يا آسي . . . على رأسي . حسن الحرازي يا سيدي - لينتظر . - هو يشتهي السفر ذا الحين . - لينتظر . - يقول ان العامل . . . فيخدم الامام غيظاً ويصبح مثل حاجيه وبه - ضربك الله بروحك اسكت . اخرج !

وعند الامام يجي اخصائون يستشيرون ويستعين بهم . هذا السيد احمد الكبيسي المقدم الاول ، العالم بشؤون العشائر واطلاع رؤسائها وطفليانهم ، قد

اقرب من الامام وفي فمه « تحريئة » عامرة ليحسر كلمة في اذنه . وهذا السيد محمد زبارة امير القصر ، قصر خندان ، ومدير السكة والسجن فيه ، يطالع استدعاء طوله ذراعان . لصوقه اوراقه بعضها ببعض . وهذا « جرجي » ابو الخراطوش يعيد النظر في رسوم قتابل رسمها ولا يستطيع صمها في صنعاء قد جثا امام فراش الملك ورائحة الخمر تفوح من فيه . - وكم يلزمنا من هذه ؟ فيجيبه الامام : الف . - ومن هذه ؟ القان . - ومن هذه لمدفع الهاون ؟ - خمسة فقط . ثم يكتب الامام القلاب بيده ويدفعه الى راعي الحتم فيختمه ويرميه .

وهو ذا شيخ الاسلام يدخل محني الرأس فلا ينظر الى احد ولا احد ينظر اليه ، فيلبسوا مجلسه في الزاوية ويأخذ كتاباً مخطوطاً يقلب في صفحاته ، فلا يتجمع برأي او يتلطف بكلمة الا نادراً . وهذا - قد انتصف الليل - احد الموظفين في دائرة انسك « التلفزيون » جا . برزمة من ثمار سلكه فيفضها القاضي عبدالله ويقدمها بعد ان يطالعها الامام . هكذا يستمر العمل الى ما بعد نصف الليل والامام ثابت فيه جالس لا يتحرك ، الا انه يقف عنيفة من حين الى حين فيضع القلم جانباً ويتناول غصناً من القات بيده او يشرب جرعة من الماء ويتلطف هاتفاً : والحمد لله .

بين الساعة الواحدة والثانية بعد نصف الليل تدق الطبول ثم يطلق مدفع السجور فينهض الكتاب واحداً بعد الآخر ويخرجون متسللين دون استئذان . اما الامام وحكايبه الاول فيتاخران على العمل حتى الساعة الثانية وبعدها . ذلك لان من مبادئه ان لا يؤجل الى الغد ما يستطيع ايجازه في يومه . بل من قوانين الديوان ان لا يؤجل الى الغد شيء من امور اليوم ، فيجب ان ينظر في كل ما يرفع اليه في اليوم الواحد لذلك ترى الامام وكاتبه الاول والاخير ين غالباً في الخروج من الديوان :

والامام يحيى ، على ما هو فيه دائماً من اشغال الملك وهموم الامامة ،
يستطيع حتى في رمضان ان ينظم الشعر . اجل ، قد نظم قصيدة يدافع فيها
عن القات ، وكان الداعي الى ذلك ما أوحى ذات يوم بواسطتي تحت شجرة
الجوز الى الرفيق قسطنطين . قلت : يا قسطنطين ، قد طففت صغارا بنظم
قصائدك ، وكلها مديح وتباريح . فأنجا احد ، حتى ولا ولد الساقية ولا
مدفع رمضان ، من قوافيك العسلية . فلماذا لا تغير النغمة والحنان ، وتستبدل
القيثارة بالسندان ؟ اني مشتاق الى قصيدة هجو منك . فاجاب الرفيق : أتريد
ان اهجوك ؟ فقلت : انك تفعل كل يوم وقد اصبح هجوك اياي مثل مدحك
الامام مبتذلاً . فقال : أتريد ان اهجو الامام ونحن ضيوفه ؟ فقلت : اشتهي
ان اصحك هاجياً . اهج - اهج - ولم ادر اذ ذاك ما يستحق في تلك البلاد
التخصيص والتفضيل . ولكنني سمعت صوتاً في الجوزة يقول : لينظم قصيدة
يهجو فيها القات .

فنهض الزعيم الشاعر في الحال وبادر الى القلم والسيكارة ، وجلس في
البستان ، ثم قام يتشقى حول الشاذروان ، ومنه وثباً الى الديوان وبعد
ساعة في الزاوية والعرق يتصبب من جبينه الملهب ، قام والقصيدة بيده
يكرمني ، يجربها في على عادته :

القات فيه عجاب	كما يقول الصحاب
درت به الشاة لما	ان طاردها الذئاب
ذاقته فاستعذبه	وسال منها اللعاب

الى ان قص القصة التي يروونها في اليمن . اضاع الراعي شاة من غنمه
فراح يبحث عنها فراها نائمة في في. صخرة وورق القات في فيها . فجربه مثلها
فاستعذبه

و امسى يجمع منه حتى تلى الجراب

منى يحدث عنه وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوه - مُمثله واستطابوا

وبعد ان يصف كيفية استعماله في اليمن ويعدد الفضائل التي يرونها فيه
يضع القيثارة جانباً ويرفع المطرقة فوق السندان :

ما نفمه انبثني هل عند شخص جواب؟
جوابه واخبرني يجدي به الاسباب
تقارب جسم الفتى قشعريرة والتهاب
وفيه يفعل ما لا يقوى عليه الشراب
والصدر فيه من الوخز والعذاب خراب
والنمل يضعه منه ما في كلامي ارتياب
لا تقع في القات لكن فيه الشقا والعذاب
وترهق النفس منه والقلب والاعصاب
والجن يزيل حتى يفتش العيون سحاب
وسؤ هضم وقبض منه يغيب الصواب
والراس يتقل وطناً وبالدار يصاب
ويعتري بعد هذا المفاصل الاضطراب

ثم التاريخ ولا بد منه في قصائد القسطنطين ، لانه اشد من عرفت من
الشراء شغفاً به ، واسرع في نظمه وقد اقترن المعنى بالصناعة في تاريخ هذه
القصيدة اقتراناً طبيعياً ، وفيه الضربة القاضية :

لم يبق ارحمت ربياً القات للقتل باب

في ٣ رمضان سنة ١٣١٠

اما النبعة الثانية من جنان الوحي فهي اننا رفعنا القصيدة الى حضرة

الأمم مشفوعة بكتاب نقول فيه إذا كان أحد من شعراء صنعاء يعني
المعارضة والدفاع فلا يسرع قبل أن يحل الشاعر . وكان أسبوع في عاصمة
خمير والأدواء أضمرت فيه نار التوافي فوردت علينا المحروقات منها المهلكات .
اجل ، قد جاء أحد الشعراء وقصيدته في خنجره يشتهي دم الشاعر الكافر
الذي تجاسر أن يلطم القات وما ذمه ، وهذا ذنبه الأكبر ، يقع المتبدلات
الشعرية والمراكات ، فوقفه لحسن الخط الحارس ولم يأذن له بالدخول . وبعد
بضعة أيام جاءنا من الخيم المنصور ، من الإمام نفسه ، كتاب في غلاف مختوم ،
على غير العادة الباتية ، فضضناه فإذا فيه قصيدة من نظمه وبخطه الشريف
وفي القصيدة خلال الدفاع عن القات من الغزل والدمامة والاتضاع — تلك
روح الشاعر الحقيقي — ما يزيد الناظم رفعة ومجداً ، ويزيد المعجيين به حياءً
واعجاباً . وما أجل العذر والتواضع في الكلمة التي ذيل القصيدة بها .

الرقيم قسطنطين .

صدر ما يشبه الجواب ، ومهما رأيتم قصوراً فلا تهاب ، مع كثرة
الاشغال وتبليبل البال .

قال في مطلع القصيدة ، نفعنا الله بزايه الحميدة ، إن القات مزايلا يحصيهما
الاسهاب فيذكر عشراً منها فقط :

للعميون جلال	للضعف منه ذهاب
وللشغور صباغ	زموذي ينداب
أحسن يتغر مليح	له المذاب وضاب
يا ما احيلاه ظلما	تشقى به الاحباب
وللنفوس مريب	وللنشاط انحذاب

ويشجذ الفكر حتى يخاف منه الشهاب

ويطرد النوم عن من له المجلس كتاب

في البيت هذا يظهر حضرة الاديب العالم في الامام فيقرئه من كل من
أثر الكتاب جليلاً . الى ان قال :

اما الذي قاله قسطنطين فهو سراب
ليس من جاوز الحد اشكله والشراب
يكون عرضة خسر ويعتبه اكتاب
والاكل والشرب ما لا به الكرام تعاب
وانما العيب انراف منه يبدو العجاف
هذا الملفق يا قسطنطين مشا جواب
يهدى اليك عليه من الخياء نقاب
لانه ليس مكفوفاً للدر وهو تراب
فالستر ملفق يحيى فالستر فيه ثواب

ان في الابيات الاخيرة من الدائمة والحفة والنواضع ما يستحب في اصغر
الشعراء واكبرهم . فكيف به في احد كبار الحكماء والامراء ؟

الفصل الحادي عشر

الزئود واليهود

مترلفا بيت الصلاة - الوفد الافرنسي - ماء الزئود - الصلوات والبصل -
المتدافون - الخنازير النصاري - الحارس احمد يهتدي - السيد والهجري -
ظلم السادة - حزام واليهودي - فاء اليهود - السيد محمد محمد الواجبات -
وكلمها من اجل اليهود وسعادتهم - يدفعون الجزية راضين - الزئدي واليهودي
في حب المال واحد - رسائل اهل اليمن - لا يستعملون الغلاقات - حسابات
وزر المالية - الضراحة والايجاز - الاسلوب التركي والاسلوب العربي .

هيو على الصلاة ! هيو على الفلاح ! وكان المؤمنون يجيئون الى مقلي
يصلون . الحاجب والحارس والسيد والحادم والعشي والبستاني وولد الساقية
الذي يغني جملته من الشروق الى الغروب : صدر البنية بستان وانا زرعته ، كانوا
كلهم يجيئون خاشعين فيتوضئون في بركة الشاذروان ، ويفرشون حولها في
ظل شجرة الجوز بردة او احراما ، ويصلون صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة
العصر وصلاة المغرب وصلاة المساء . ما عرفت ولا رأيت اناسا يصلون مثل
هؤلاء الزئود . وما سمعت ولا قرأت في التاريخ عن اناس كانوا يصلون مثل
هؤلاء الزئود . ولا اظن ان صلاة تصعد من فم بشر فتذهب كاهلياء المنثور
مثل صلوات هؤلاء الزئود

كان في البيت ازا . بيتنا الوفد الافرنسي الذي وصل الى صنعاء يوم كنا
هناك ، وكان احد الخدم يجي . ياخذ لهم ماء من الشاذروان ، فسالته مرة :
لمن الماء ؟ فقال : للخنازير النصاري . فقلت : اليس في بيتهم ماء للفسل ؟
فقال : هم يشربون الماء للشرب . فقلت : انفقونهم من هذا الماء ، من ماء
الشاذروان ؟ فراح يحمل الجرة ويقول : خنازير نصاري لا يستحقون احسن منه .
ويجي . هذا الزئدي فيتوضاء في البركة ثم يفرش برده تحت اغصان الجوز

ويتجاسر ان يخاطب « الرحمن الرحيم » . . رب العالمين » ويضرع اليه ليهديه « الاصراط المستقيم » . ويجيى البستاني كل يوم فيفتح بركة الشاذروان ليفرغها فتجري مياهها في بستان مهمل ، ارضه طيبة ، لم يزرع فيها الا شي . من البصل والبوينا والهرسم . كنت دائماً عندما ارى البستاني في عمله وفي صلاته آسف على الماء الغزير الذي يكفي ليروي حقلاً وسيماً ولا يستخدم الا لوي نلم من البصل ، وعلى الصلوات الفائضة التي لا تروي في قلب الزيردي غير حقن زرعه البغض والتعصب .

اي اخي الزيردي ، ما الفائدة من الصلاة وليس في قلبك غير البغض ؟ بغض العالم خارج البين ، وبغض الحنازير النصارى ، وبغض اليهود في بلادك ، حتى وبغض الشرافع اخوانك الاسلام . ان صاواتك وماء الشاذروان سواء . وان في الاثنين بركة وبركات لو نشطت ، وعقلت ، وكنت كروباً . فلا تضع اذ ذاك ماء . بلادك في الارض البور ، ولا تقس ما . وضوءك الناس ، ولا تسمع ربك كلمات التجديف في معرض الخشوع والابتهاال .

جاءني ذات يوم الحارس احمد وفي عنقه ورم والتهاب . فدهنته بصيغة اليهود مرتين فشفي وعاد يشكرني . فقلت يجب ان نشكر الحنازير النصارى لان هذا الدواء اختراعهم ، صنع في بلادهم . فقال : جزاهم الله خيراً . والله يا امين - ورفع يده ورأسه الى السماء - عينه ترى كل شي . ورحمته تسع كل الناس . ثم جاء آخر وثالث ورابع يحملون اليّ الآلام من جرح او قرح او التهاب . وكنت كل مرة اعالجهم اذكروهم بان شفاهم من الله ثم من اولئك الحنازير النصارى الذين اكتشفوا الادوية والحدرات - بعد ان تعلموا الطب من اجدادكم يا اجهل العرب - ليزيلوا الامراض ويخففوا الآلام البشرية . وكانوا ، وقد جاؤوني زيوداً ، يرحمون مسلمين الى الديانة السحابة التي يقول صاحبها : الانسان اخو الانسان احب او كره .

ولما عاد خادم الافرنسيين ليأخذ الماء من الشاذرون انتهزه الحارس احمد
وهزله العصا . - والله بالله اذا سقيتهم من الشاذرون اشكرك الى الامام
ما سررت والله بشيء . في صنعاء سروري بعضا احمد وكلماته . فقد برهن
الانقلاب السريع في نفسيته ونفسية اخوانه في الزيدية وفي الاوجاع على ان
بذرة اصلاح التي زرعها الله في قلب كل انسان لا تزال طيبة في قلوبهم ، ولا
تحتاج الا الى عمل او كلمة او اشارة تحرك فيها الحياة ، وترويبها بآه المكرومات .
اما التبعة في رقاد تلك البذرة ونموها فعلى السادة الذين لا يرغبون في تعليم
عامة الناس . واذا علموهم شيئا فزيججه الاكبر التعصب والطاعة للرؤساء .

لا يزال للساداة في اليمن حقوق في الارض وفي الرجال شبيهة بحقوق ذري
الاقطاع Feudal Lords في اوربا الا ان لا عبودية فيها . هم يقولون :
هؤلاء قوم فلان . او القبيلة الفلانية هجرتنا^(١) اي في حايتنا ، وهذا الرجل

(١) جاء في الحديث : من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها وامرأة يزوجها فهجرته الى من هاجر اليه
حاشية ثانية : جاء في حاشية الطبعة الاولى ان هذه الكلمة من القرآن ، فكتب
صليح الخطأ علان فاضلان الواحد افرنجي ياريسي والثاني عربي غني . ولكنت وقت
تد شجر العالمين لو لم يكن ادلوت كلها في القيد يستحق بل يستوجب هذا التعليق
كتب العلامة المسقشوق لويس مارتينيون كلمة عن « ملوك العرب » في مجلة
العالم الاسلامي الافرنسية ، وادفعا بهذه الحاشية : في الصفحة ١٦٨ من الجزء الاول
اقول المؤلف كلمة قال انها من القرآن فيجب اصلاحها .

وكتب العالم النحفي مقالاً طويلاً بليغاً في حمود كامل من الجريدة فوجني قوبغا ،
وشتمني شتماً . وهذه لا باق من مثله مثلي لاني غاطت بين القرآن والحديث ولم
اعبر بينهما

الى مذنب يا حضرة الجليل النقيس . ولكني اتعزى بان لي في الذنب شريكاً
كثيراً من كبار العرب المسلمين فقد قال العلامة ماسينيون في حاشيته : ان الملك
حسيناً نفسه يخط احياناً في الآيات ويخط بين القرآن والحديث . داجع العدد ١٤٥
من جريدة القبلة والعدد ٤٧ صفحة ١١ من مجلة العالم الاسلامي .

هجرى فتي كانوا كذلك فالعلم من وجهة سادتهم قلما يفيد . اذكر كلمة قالها لي احد الجنود في الطريق وكان رفيقنا سيد يلبس حذاءً ضفط على رجله فترعه ومشى خافياً . دنا الجندي من مطيقي وقال بصوت خافت : كل الناس في الين ما عدا السادة فقراء . والسيد طماع كسلان متكبر . هذا المثل - وأشار الى السيد قدامنا - وهذه اعالمهم - وأشار الى حذاء السيد الذي كان يحمله - يحملني حذاءه .

وليس النصارى في مذهب الزيرد وفي جهلهم احق من اليهود بانصره والاعتقار . سكان الجندي حزام ، احد من مشى معي في المدينة حراسة واكراماً من قبل الامام ، يضرب بقبضة بندقيته كل يهودي يره . - ابعد يا يهوده ضربك الله بروحك ! زادك الله عاوة يا يهوده ، اخل السبل ! وقد لا يكون المسكين في الطريق . ولكن حزاماً وهو شغف بحب اليهودي يراه على مسافة قادماً نحونا ماشياً بعيداً عنا فيبادر الى ملاقاته بالبندقية والاعانات ، وهو يظن انه يرضيني بذلك . ثم يصدق عليه ويهتف قائلاً : اولا الامام . بلى ، لولا عدل الامام لكان يذبحه ذبحاً . فهددته مرة ، وكان قد نفذ صبري عليه ، اني اشكوه الى حضرة الامام اذا استمر يفعل هذه الفعلات . فصار بعدئذ اذا رأى ذا السوالم قادماً في جهة من الطريق يسير هو في الجهة الأخرى . واذا مر به اتفاقاً يميل بوجهه ساكتاً صابراً كأنه لم يره .

وكان السيد محمد ، رفيقنا من ذمار الى صنعاء ، احد الاماخذ الذين لا يتجاوز عددهم الستة المأذونين بزيارتنا ، الحائزين على ذا الانعام من حضرة الامام . فاستصحبته مرة الى قاع اليهود اي حبيهم وهو مدينة معتلة بينها وبين بحر العرب ساحة كبيرة مثل ميدان الثمرارة السكان بين صنعاء وبيهر العرب . فزادني بذوي السوالم علماً وبالامام محبي اعجاباً .

حدثني السيد محمد قال : يجب على اليهود يا امين ان يوساوا السوالم كي

لا نظنهم منا اذا شبت الحرب بيننا نحن العرب فنذبحهم خطأ. ويجب عليهم ان يركبوا الحمار فقط لانهم لم يتعودوا ركوب الخيل . والسلامة يا امين قبل القنامة . ويجب عليهم ان يرفعوا الأخارف^(١) من المراحض ويجوز لهم المتاجرة بها فيزيد ما لهم . ويجب عليهم في بناء بيوتهم ان لا يتجاوزوا الطابقين علواً فيسلم اليهودي اذا وقع عن سطحه . ويجب عليهم دفع الجزية كي لا ينسوا اصلهم وجنسياتهم يا امين فيذكروا دائماً شريعة النبي السعفاء وفضله عليهم . ويجب عليهم اذا شتمهم المسلم ويصق عليهم ان يشكوه حالاً الى الامام فيأمر المدعي ببيع فدان . فاذا ثبت الذنب دفع المسلم ثمن الفدان واخذ اليهودي نصفه . وكثيراً ما يتسنى لليهودي الشتيبة طعماً بنصف الفدان . ولا تجيز لليهودي التملك . الارض لنا والبيت له مدة من السنين محدودة ، تسعاً وتسعين سنة . ولا يخفى عليك ما في هذه الشريعة من التساهل والرحمة ، ونجيز لهم ان يصنعوا التبيد فيشربوا . ولا يبيعوا غيرهم فيخرفوا . ونجيز لهم كذلك ان يعرضوا علينا بناتهم فيستخدمن في بيوتنا ، وندخلهن حريمنا وننج من يستحق منهن نعمة الاسلام .

اما اليهود فهم راضون بهذه الحال . هم راضون شاكرين ما دامت الحرية وهي تافهة تخلصهم من التجنيد . وهم لا يزالون منذ عهد نجران الزاهر على عاداتهم وتقاليدهم ودينهم الذي يلقنونه اولادهم باللغة العبرانية القديمة . فلم يدخل عليهم من جديد ، او بالحري من غريب ، غير لقب حاخامهم الاسكندر الذي منحه اياه الترك ، فهو لا يزال يدعى حاخام باشا .

قلت انه لم يكن احد ليدخل منزلنا الا باذن من الامام . ولكن يهودياً كنت قد اشتريت منه في السوق بعض النقود الحرة وأوصيته على غيرها

(١) هو من باب تسمية الشيء بضمه . واليهود في صنعاء يرفعون « الأخارف » ويبيعونها من اصحاب الحمامات ، فيستخدمونها في الوقود .

ندھشي ذات يوم بوقوفه فجأة امامي في الديوان . فظننت ان الحارس حزاماً
 فأنتم او غائب ، والا فكيف بأذن له بالدخول . سألت اليهودي فقال : هو
 في الباب . فقلت : ألم يك داخل ؟ فاجاب بالاجاب وسكت . فاستريت
 منه ما استريت ودفعت المال فزال اذ ذلك العجب . مشى اليهودي مسروراً
 والمال في جيبه حتى وصل الى الباب فأوقف هناك ، فرأيت اذ ذلك حزاماً
 ويده على تلاييمه والبندق مرفوع باليد الأخرى ، ورأيت اليهودي ويده في
 جيبه يخرجها ويقاسم الزئودي ما قبضه مني من المال . الا اني لم اتحقق مصدر
 الفساد والخلل . ولولا علمي بتفوق الزئود واحتقارهم اليهود لقلت ان ذا
 السرانف رشى ابا النيل ليأذن له بالدخول والمتاجرة ، وقد يكون ذلك ، ثم
 رفض ان يدفع ما وعد به ، فقبض ابو النيل على عنقه وابتر منه ايس نصف
 الربيع بل نصف المال كله . وقد يصكون الزئودي في قفازيه عندما دخل
 اليهودي ، نصب له الشرك الذي وقع بعدئذ فيه . كأنه قال لنفسه : القنص
 للقناص . ليربح من ضيف الامام وانا اربح منه . ان بيت الاول من زجاج
 مصبوغ ، وبيت الثاني من زجاج بسيط . الواحد يحب المال ، والثاني يشتهي
 « الظل » وهل في حب المال ما يستذكر ومولانا سيد المحبين ؟ وهل في
 الاقتصاد ما يستقبح وهو في علم الاقتصاد الاستاذ الاكبر ؟

اظن ان الامام يحترم اليهود ويحسبهم ويقيم فيهم العدل فيأمر ببيع
 القدان اذا اهيئوا ، لانهم المثال الحي لما هو عنده من قواعد الحياة في مقام
 الايمان . المال ، المال ، والاقتصاد بالمال . فاذا كان اليهود في عهده آمنين
 مطمئنين وفي تجارتهم ناجحين ، فالزئود وقد حرمهم « الظل » امسوا من امهر
 الاقتصاديين والناس على دين ماو كهم .

ان اول ما شاهدت من مظاهر الاقتصاد المدهشة في اليمن هي طريقتهم
 في المراسلة ورفع المرائض . فلم ادر ما تلك القصصات المسكودة التي

رأيتها لأول مرة امام منضدة امير الجيش في مأويه الا بعد ان وصلنا منه ، ونحن في اب ، برقية مكتوبة في ادارة السلك على شقة من «كايون» الدولة العلية . ثم وصلنا ونحن في زمار من عامل اب برقية اخرى مكتوبة على قصاصة من معروض بالتركية مرفوع الى جناب قانقماية حواز العالي . فالامام يحيى الذي غم من الفكر المدافع والسلاح احتفظ بنا تركوه من الاوراق والدفاتر والكايونات والمعارض ولم يأمر بتعطيلها وباستخدامها في ادارة السلك فقط بل في دوائر الحكومة كلها حتى وفي الخيم المنصور .

انه ليندر استعمال الغلاف في اليمن الا في المراسلات الرسمية الخارجية . اما في البلاد وبين اهل الغلاف هو الرسالة والرسالة هي الغلاف . يخيلك الرسول بلقافة صغيرة مثل السيكاره فتفكها فاذا هي رسالة من حضرة الامام وقد تصكون بحطه الشريف ، فتقرأها ثم تنظر في ما لها من هامش فتعلمه وتجاوب عليه ، وتلف الجواب سيكاره وتعيدها مع الرسول . واذا اسرفت في الورق واضعت مقدار ختم منه دون ان تسوده توخي على ذلك ، وقد تغزل اذا كنت موظفاً في الحكومة . اما اذا جاءك كتاب في غلاف فتشقه وتستعمل ظهره للرسالة . واذا كانت الرسالة من صنو وهي على قدر بطاقة الزيارة تعيدها اليه والجواب في المكان الابيض منها ، سطرأ كنزلة الفرس او سطرين كخط المابين .

ومن المستغرب المستعجب ان بعض الناس يرفعون شكاياتهم نظماً في بيت او بيتين من الشعر . وما قرأته من هذه الشكايات سطران من انسان يشكو حمار جاره في شهر رمضان المبارك . فهو يلبط وينعق كثيراً في الليل . فصدر الامر الى صاحب الحمار ان يقيد ويشكه بين مدفعي السحور والافطار .

جاء السيد علي زياره يزورنا ذات يوم ربيعاً وقد كان يزورنا كل يوم كذير الثمور والضيافة . فاعتم فرحة وجوده عندنا ليراجع ما تكررس

على رأسه - ومكتبه ايها القارىء على رأسه - من الرسائل والحسابات .
فترع عمامته البيضاء وشرع يخرج من طياتها القصاصات المشهورة ، فيقطع
القسم الابيض منها ويميده الى مكانه ثم يمزق الباقي . ومن الرسائل التي
اطلعنا عليها ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

علاء الدين قد وافيت ارجو رايالاً في ريال في ريال
فسنن والجوب وما سواها لشهر الصوم فالمصروف غالي

ثم اطلعنا على قصاصة من حضرة الامام يأمره بدفع مئتي ريال الى احد
العمال . فقلت له : أتزق هذه ايضاً ؟ فكان جوابه ان مزقها وهو يقول :
اذا دفعت الفري ريال لا أسأل عنها . فقلت : وقد ينسى الامام فيسألك ان
تبرز الامر فاجاب قائلاً : لا ينسى ولا يسأل . فعجبت لهذه الصلة ، صلة
الثقة والامانة ، النادرة في حكومات المستعدين ، بين الحاكم وناظر ماليته .

تلك اللغات وفيها الشكايات نفاهاً ونزراً ، اني لا ازال اذكر منها
رسالة جاءني يوم سفرنا من احد الحراس يقول فيها ، بعد ان رفعني الى الجوزاء
وتركني هناك ، ان القات في شهر الصوم غالى جداً وان الله لا يحب امله
« يا محمد الحسين العزيز امين » وما اغرب ما ترويه هذه الرسائل واحزن ما
تغشيه ، وفيها شكوى البارح وراء شكوى اليوم ، وبين الاثنين او على
عامشها بياض يسوده الغد بما قد يكون ابعد غرابة واشد حزناً .

ان الاقتصاد فضيلة . ولفضيلة الاقتصاد بالورق في اليمن شقيقة اجل
منها ، الا وهي الاقتصاد بالكلام . انعم بتلك الصراحة والايجاز ، وما
يوجب الايجاز من اهمال الالفاظ وعبارات التبجيل . او ليست الصراحة
والايجاز والخطابة البتراء من مزايا العرب المشهورة ؟ ولكنهم في ما دخل

من بلادهم في حكم الاتراك كالحجاز مثلاً وبعض نواحي اليمن وعسبر ،
امسوا اتراكاً في ما يكتبون ، وفي الكثير مما يقولون ويفعلون .

اما في اليمن الاعلى ، في غير الرسائل الرسمية ، فلا يزالون من العرب
العرباء . الا انهم اذا كتبوا الى امير او حاكم او سيد خارج اليمن فلا الترك
عندئذ ولا العجم يفوقونهم في فخامة الالفاظ وضخامة الاقواب . وهالك مثلاً
من تباهيلهم . اذا كان المخاطب اميراً فالى : قدوة الامراء الكرام ، وخدمة
النبياء الفخام ، عالي المجد والمقام ، فخر العرب والاسلام واذا كان
اماماً فالى : خلاصة الاطهار الاجداد ، وروضة المجد الرفيع العباد ، قرة العين
والكمال ، عنوان الاعتبار والجلال ، الزكن الاستد والسند المستند
واذا كان سيداً بسيطاً فالى : ذي الاخلاق الزكية ، والشمائل المرضية ،
الهام المقدم ، الرفيع المقام ، التقي النقي . .

على انه يسر كل من يكتب في العرب شمائل الاجداد ان يرى في خطوط
الامام الى رعاياه وفي عرائضهم اليه تلك الصراحة وذاك الانحياز الذين امتازت
بهما قديماً خطب الامراء ورسائل الادباء . وعندى فوق ما اشرت اليه فودج
باهر في رسالة من صديقي السيد احمد الكبسي على قصاصة من الورق صغيرة .
قال حبيب الله عليه : لا عتب على صديقكم فالليلة هذه تم الامور والسفر
يوم الاثنين ان شاء الله . وسأحضر اليكم الساعة السابعة غداً .

لكن الامور لم تتم تلك الليلة ، ولا السفر كان يوم الاثنين ، ولا شرف
الصديق في الساعة السابعة او العاشرة من ذاك الند . الا انه جاءنا في اليوم
التالي والطيب ينتشر من اردائه ، « والتخزين » بين اسنانه ، « وظاهر
وماشي » تتشى في بيانه ، فقال : انا مسرور لان حضرة الامام اذن بان
تتمشوا عندي . فالى مساء الغد يا امين الى مساء الغد يا قسطنطين . وراح
يشكو الصداق ويداويه بالقات وبالايات .

الفصل الثاني عشر

المشكلة السياسية الكلدانية

كلبوس الحديدة - وعد من وعود الحرب - الترك والامام - الترك والعرب - بند الهدنة - تسليح الترك في لواء - اخراجهم من الحديدة - احتلالها - احتجاز الامام - جواب الانكليز ووعدهم - تسليم الحديدة للادرسي - سياسة الانكليز العربية - المفاوضات - بعثة الكركل جاكوب - عرب الصحراء يوقفونها في باجل - الانكليز في الاسر - الامام يسعى في التفاوض - رجوع البعثة وقتلها - الامام يجعل على النواحي الحماية - احتلال الشام وفوزها مما في حماية الانكليز - المفاوضات - الهدايا - الدنانير - الخزيف والمحاكمة - شروط الامام - مقاصد الانكليز .

الحديدة كلبوس الانكليز في عدن وكلبوس الامام في صنعاء . هذا يعنيها ولا يفتك يطالب بها ، واولئك ، وقد وهبوها صديقهم الادرسي ، يودون لو كان بإمكانهم ان يهبوها كذلك الامام . وهناك وعد من وعود الحرب وبعدها يزيد العقدة شدة في دار الاعتماد بـعدن . وما العمل ؟ ايكننا ان نقسم المدينة بين الاماميين ، الامام الزبيدي في اليمن والامام الشافعي في عدن ، فننتج من الكلبوس . أو يستطيع الامام الاكبر ان يضغط على الانكليز في جنوبي اليمن بفيلق من زيوده فيضطروهم ان يسلموا ما يطلبه منهم في تمامه ؟ انما هي مشكلة المسائل .

الحديدة من المدن العربية المشهورة . كانت في عهد الاتراك وقبله ميناء اليمن الاكبر ، مدينة تجارتها واسعة ، وملاحتها عسرة ، وعدد سكانها يتجاوز المئة الفا . وكان الترك يتولون فيها العساكر لاخضاع اهل اليمن فذوا منها الاسلاك الهقية الى اعالي الجبال ومنحوا شركة افريقية امتيازاً بسكة حديد قد من الحديدة الى مباحه صنعاء ، فباشرت الشركة العمل بما ارسلته من مواد البناء ، فنشبت نار الحرب في اوروبا فقضت على المشروع وذهبت

تلك المواد نهب العربان .

وقد كانت الحديدية اثنا الحرب العظمى لا تزال في يد الاتراك الذين حاربهم اليونانيون اربعين سنة ، فانزعوا منهم القسم الاكبر مما احتلوه من البلاد . واكنهم في تلك الفترة والوا اعداءهم وهم اخوانهم في الاسلام ، فحافظ الامام على المعاهدة التي عقدها معه عزت باشا والتي تقدم الكلام عليها في الفصل السادس وظل معتزلاً السياسة والحكم مقبلاً في جبال شهاره . كان يومئذ محمود نديم بك والي اليمن ، وعلي سعيد باشا قائد الجيوش المحتلة ، وفي حوزتها البلاد كلها من لحج حتى صنعاء . ومن اللجئة على الساحل حتى الحما . اما العرب من شوافع وزيد فقد كانوا على الجملة قانعين بتلك الحال ، راضين عن الترك وسلطانهم يومئذ المال .

ولما أعلنت الهدنة سعت بريطانيا العظمى باسم الاحلاف في اخراج الاتراك من النواحي التي كانت لا تزال في حكمهم في اليمن الاسفل غرباً وجنوباً . فسلموا في بعضها كالحج دون قتال ، وابوا في الحديدية وملحقاتها الا الدفاع . فجاءت اولاً الاوراس من عدن بالتسليم ثم المدرعات لتنفيذها ، فضربت الحديدية البلد الآمن غير المحصن . فدمرت قسماً منها وقتلت مئات من اهليها ، فهرب اكثر الباقين لاجئين الى الجبال .

سلمت الطامة واحتل عساكر الانكليز المدينة . وكان قد دخل الامام يحيى وقتئذ الى صنعاء . وسلمه الوالي محمود بك نديم^(١) زمام الاحكام في اليمن كله . او بالحري في ما كان في حكم الترك والحديدية طبعاً منها . فكتب الى المعتد الانكليزي في عدن محتج على ذلك الاحتلال فجاءه الجواب يقول :

(١) لم يكن في صنعاء يومئذ غير ثلاثة طواوير ، وكانوا هناك وقد قطع الادريسي وملك الحجاز سلطان نجد الاتصال بينهم وبين الشام ، في شبه حصار ازدادت شدته في اواخر الحرب .

اننا دخلنا المدينة لنحفظ فيها الامن والنظام وسنعيدا قريبا اليكم وهذا الوعد هو حجة الامام السياسية في المسئلة . اما حجته الشرعية فهي في انتزاعه الحكم من الاتراك وكل ما كان تحت ذلك الحكم من البلاد أضف الى ذلك حججاً اخرى تاريخية وتقليدية وجغرافية تثبت حقه وتؤيد دعواه .

ولكن الانكليز رغم وعدهم المذكور سلموا المدينة بعدئذ الى صديقهم الادريسي الذي كانوا يدونه وهو حليفهم بالمال والسلاح ليحارب الاتراك ، عملاً بمعاهدة بينه وبينهم شبيهة اساساً بمعاهداتهم الاخرى وامراء العرب الذين نصرروا الاحلاف . اننا في استقراؤنا الحقيقة نسجلها كلها بعد ان نثبتها ولا نخفي جزءاً واحداً منها والحقيقة كلها هي ان ملوكنا وامرانا الذين نصرروا يومئذ الاحلاف نصرروهم لاغراض خاصة ، اقتسموا تلك الفرصة لتحقيقها . فكان الواحد منهم اذا ضرب الاتراك ضربة يذخر من قواه وعدته ليضرب اخاه العربي بعدئذ ضربتين وثلاثاً . اجل ، قد استخدم الملك حسين مال الانكليز وسلاحهم على خصمه ابن سعود فكان من الخاسرين . وحمل ابن سعود على ابن الرشيد فكان من الفائزين . وظل السيد الادريسي بعد الهدنة وبمعاونة الانكليز يحارب خصمه الامام دون قصد يشكر او نتيجة تذكر .

لا نلوم الانكليز اذا آثروا في سياستهم وصدقاتهم من ساعد الخلفاء في تلك البقعة من الارض على من ظل معتزلاً . ولا نلومهم في تفضيل الادريسي على الامام ، وابن سعود على الادريسي ، والملك حسين على ابن سعود . فقد كانت المساعدة درجات وكان التفضيل كذلك . ولكننا نلومهم لانهم استمروا بعد الهدنة في تلك السياسة المشؤومة التي كان من نتيجتها ان اتسعت الشتم بين امراء العرب المتخاصمين . وظلوا بالرغم عن معاهدات هي وضماً تختص بالحرب العظمى ، يدون الادريسي بالمال والسلاح ليحارب الامام^(١)

(١) كان الكرنل جاكوب معاون الاول في دار الاعداد بمدن عندما عقدت

فاذا تساعلنا في تفسير هذه السياسة وتأويلها واتصلنا لهم الاعذار ، فاننا لا نستطيع الدفاع عن سياستهم الخرقاء في قضية الحديدية .
قد أبروا بجزء صغير من وعدهم فخرجوا عسكرياً من تلك المدينة ولكنهم سلموها الى الادريسي واقاموا فيها من قبلهم وكيلاً سياسياً . فضلاً عن انهم في هذا العمل الذي قيدوا انفسهم به وجعلوا الحديدية كابوساً عليهم قد ظلموا اهل اليمن الاعلى اذ سددوا عليهم منافذ البحر وسلبوا صنعا الماشحة ميناءها الطبيعي التاريخي الشرعي فامست في شبه حصار لا اتصال لها بالعالم لا عن طريق الانكليز الثانية في عدن .

لم تنقطع المفاوضات اثناء تلك الحوادث بين عدن وصنعا . وقد اقرت ثمة استحداث بعدئذ حنظلاً . ذلك ان الكرنيل جاكوب ، وكان لا يزال معاون الاول في دار الاعتماد ، سعى لدى حكومته ان تبعث بعثة سياسية الى الامام يحيى وحين الامر لحضرته فقبل به . وكان الكرنيل رئيس تلك البعثة التي دعت باسمه ، وسافرت من الحديدية في ١٩ آب سنة ١٩١٩ لتصل الى صنعا . بعثة انكليزية سياسية مؤلفة من مندوبين وطبيين وتراجمين وكاتب يصحبها خمسة وعشرون من الجنود وعدد من الخدم والمكاريين تسير

المعاهدة بين الحكومة البريطانية والسيد الادريسي بل هو الذي عقد تلك المعاهدة . السيد في جيزان . وقد ذكر ذلك في كتابه ردافع عن حكومته معقدها بالمادة الرابعة منها التي تقول : ان حكومة بريطانيا العظمى تعتمد بان تحمي سواحل بلاد الادريسي وجزرها من التمديات الخارجية كلها دون ان تدخل في شؤونه واستقلاله . وقد قرر الكرنيل جاكوب مادته بان لا ذكر للامام فيها وانه لم يكن للادريسي من عدو على السواحل يومئذ غير الترك . هذه حجة في ان الحكومة لم تساعد الادريسي على الامام . وحجتنا في ما يغد حجة هي واقعة الحال بالذات التي يثبتها هو نفسه في كتابه . فقد جاء في صفحة ١٧٨ في كلامه على الادريسي والحديدية ما يلي : قد استنجد (الادريسي) بعائد وبكيل وسألنا ان نقدم المال لتجنيدهم . ثم يقول بان الادريسي جند بعض اولئك العرب فاعتدوا ماله (وهل هو غير مال الانكليز ؟) وحاربوا قليلاً ثم عادوا الى بلادهم .

من الحديدة سكانها قافلة تجارة دون ان تستعلم وتثبت احوال البلاد التي
ستمر بها . وقد تكون استعلمت ولكنها اخذت .

ان في تمامة بين الحديدة و اجبال قبيلة من قبائل العرب المشهورة هناك
بباسها وسطوتها وغزة جانبها . هي قبيلة القحراء التي تحكم فعلاً في تلك
الناحية ، عربيا من السنين الشوافع لا يملون الى الامام ولا يحبون الانكليز
بل كانوا يكرهونهم يومئذ لانهم ضربوا الحديدة ودمروها وقتلوا مئات من
اهلها ، وقطعوا فوق ذلك موارد المعيشة مدة عنهم . وكان الفصل الانكليزي
في الحديدة يدرك ذلك ، ولكنه بشهادة العرب والانكليز انفسهم رجل
احق متصرف عنيد ظن انه يستطيع تأديب القحراء اذا تعرضوا لبعثة بنا
يستعين به من العساكر الادريسية . فشجعها على السير وطأتها .

خرجت البعثة من الحديدة فجر اذياها وهي تحمل كما قيل كتاباً خاصاً
من جلالة الملك جورج الخامس الى حضرة الامام . وكانت الحجة ومعها الهدايا
التيينة تقدمتها لتجس الارض حتى اذا عبرت الحدود آمنة يتبعها اعضاء البعثة
مطسطين آمنين ، فمرت بباجل دون ان يعترضها احد واجتازت عشرين ميلاً
منها الى اجبال فباتت تلك الليلة هناك ، فتقدمت البعثة تتبعها ودخلت في
الشرك الذي نصب لها .

وصل الكرنل جاكوب ورجاله الى باجل فرحب عرب القحراء بهم
وازلوهم ضيقاً عليهم في بيت كان الامر فيه بعدئذ في ما يتعلق بالسفر لا
للانكليز ولا للامام ولا للسيد الادريسي ، بل لسادات القحراء ومشايخها .
وقد روى الكرنل في كتابه^(١) خبر ذاك الاسر بما يجدر بشهم انكليزي من
الصراحة والصدق . الا انه وقف في بعض الاحايين عند حد توجيه السياسة .

(١) Kings of Arabia : Chapter XI . My Mission to the Court of the

Imam of San'a . الفصل الحادي عشر : رسالي الى الامام في صنعاء .

وقد يكون احسن الظن في غير محل الاحسان واساء فهم امور قد تغض على انقب الناس فكراً من العرب انفسهم . كان الشيخ ابو هادي مثلاً ، وهو شيخ مشايخ القهراء ، عامل الامام يحيى يومئذ في باجل ، على ان لم يكن له في قبيلته تلك السيادة التي توهمها الكرنل وتوهمها الامام . او ان ابا هادي خدع الخصمين ، الزيود والانكليز ، ومكن عشائره من الفوز عليهما .

قد جاء في كتاب الكرنل جاكوب ان الامام يحيى ارسل الى باجل حرساً مؤلفاً من مئة جندي وثلاثة عشر خيلاً ليلاتي البعثة ويرافقها الى صنعاء . ثم ارسل محمود بك نديم ومعه اربعة الاف ليرة عثمانية لينقذ البعثة ويصحبها من استئناف السير اليه . « وجاء مندوب سياسي الى الحديدية يعرض باسم حكومة بريطانيا العظمى خمسين الف ليرة انكليزية على مشايخ الفجواء ليطلقوا سراح المأسورين » . ثم تداخل السيد الاذربسي في الامر فبعث احد رجاله الى باجل فلم يفز بغير ما فاز به من تقدمه من رسل الامام والانكليز . ثم طارت طائرة من عدن الى باجل قصد الارهاب والقرويع وعادت دون نتيجة تذكر .

لم يان عود الفجواء ولم يزغزع ذهب الامام وذهب الحكومة البريطانية عزمها . فهي كما علمنا لم تأسر الانكليز لتذهب وتنتقم منهم ولا كما تبين طمعاً بالمال ، بل لتمنعهم عن السفر الى صنعاء لانها كانت تحشى اتفاقاً يتم بينهم وبين الامام . ولو قبلوا ان يرجعوا الى الحديدية في الاسبوع الثاني من الاسر لأذنت بذلك .

استمر الاسر اربعة اشهر ، فادركت اذ ذاك الوزارة الخارجية بلندن عشاشها واحدثت الامر برجوع البعثة . ولكنها لم ترجع الا بعد فترة دُبرت لحفظ كرامة الحكومة البريطانية^(١) وعندما تم الاتفاق في الحديدية بين

(١) أطلق سراحنا بموجب اتفاق عقد في الحديدية ، بعد فترة دبرت بين عقلاء

الوكيل السياسي ووفد القحراء أطلق سراح الانكليز في باجل وأعيدت اليهم الامتعة والسلاح المحجوزة كلها^(١) واصبحتهم القحراء بالقي من رجالها المساجين يشيعونهم الى الحديدة .

اما الامام يحيى والسادة في صنعاء ففقدوا العجب من هذه السياسة والانقلاب . أتطلب قبيلة عربية حكومة بريطانيا العظمى ؟ بل الأرجح انها انقلبت علينا فأنها واهم الحق تستطيع ان تبيد القحراء ، ولو شئت ان يصل الوفد الى صنعاء لما ترددت في الوسائل ولا ادخرت من القوة في ذا السبيل .

وكانت النتيجة ان الامام ، وقد رجح الانقلاب الانكليزي ، يادرعهم الى المعاملة بالمثل ، بل سبقهم الى ذلك ، فلجأ بعد ان نفذ ذرع السياسة الى السيف اذ صدر امره الى جيش الجنوب بالزحف على النواحي التسع المحمية ، تلك النواحي التي هي جزء من اليمن كما يشهد التاريخ ، جزء لا ينفصل عنه كما يقول السادة وامراء الجيش . وكان الامام في هذه السياسة او الحطة الحربية يقتدي بالانكليز . فقد ضربهم في ناحية هي قريبة منه ليخرجهم من بلاد لا يصل سيفه اليها ضربهم في نواحيهم المحمية ليخرجهم من الحديدة او يضطرهم ان يسلموها اليه

زحفت الجنود وكتب لها النصر في اربع من تلك النواحي^(٢) فتورد

القحراء ومشايقها فالحقلاء تقصوا على المشايخ لانهم اسرونا . . . ونقصوا عليهم . . . فاضطروهم ان يرسلوا وفداً الى الحديدة للمفاوضة مع الوكيل السياسي الانكليزي هناك . هارولد جاكوب في كتابه ملوك العرب صفحة ٢٢٣

(١) قبل صلاة الظهر سلمنا المشايخ لاعتنتا المحجوزة كلها ولم ينقص منها شيء . قالوا : اعطنا وصلاً كما لان الصلاة لا تحمل لنا قبل ان نرى ذمتنا فاعطينهم الرسل حالا . فقالوا : ولكنك لم تمد الصناديق . فقلت : ولا اتم عدد قوما حين يحجز قوما . هارولد جاكوب في كتابه ملوك العرب صفحة ٢٢٥

(٢) هي الصالح والسعيد والاحمود والقطبي .

صداه في اليمن الأسفل والاعلى وصاح الزيد المتصرون : الى عدن ! وقد كان اصدى الصدى في دوائر لندن السياسية وقع سي . فاستبدلت الحكومة بمسدها في عدن واذنت بتغيير خطتها تجاه الامام .

استؤنفت بعدئذ المفاوضات الولاية ، وتبادل الانكليز والامام الهدايا عملاً بالكلمة العربية المأثورة : تهادوا وتحابوا . حملت الجبال اجزاء سيارة الى صنعاء وسافر معها من يركبها هناك ويعلم احد الناس سياقتها ، وارسل حضرة الامام حدة من البن والحليل ، ثم عين القاضي عبدالله العرشي معتمداً له في عدن .

كان قد مر سنة على هذه الحال عندما سكنا في صنعاء . ولم تأت المفاوضات المتوالية بنتيجة تذكر . والى اذكر كلام احد رجال الامام في هذا الصدد ، قول : ما كنا نبتدي في رسائل المعتمد المتسلسلة تسريفاً وايهاً الى الصريح الثابت من مقاصد الانكليز . وهم لا يزالون حتى اثناء المفاوضات السلمية يساعدون الادريسي علينا . لذلك ارسل حضرة الامام الى المعتمد كتاباً شديد اللهجة فيه صراحة وحق . وقد يؤمر معتمداً بالرجوع الى ان تصدر المراجع الانكليزية العالية النبأ الثابت القاطع في الامر . . . النواحي التسع لنا هي حقاً . والحديدة كذلك لنا . ولا بد من احد امرين ، اما البر بالوعد من قبل اصحابنا الانكليز واما الحرب . اما اذا قالوا ان حمايتهم في النواحي التسع مبنية على اتفاق بينهم وبين الترك فالجواب بسيط . قد عقد ذلك الاتفاق مع دولة كانت متغلبة علينا فحاربناها وغلبناها واخرجناها من البلاد ، ولا قسمة عندنا لاية معاهدة بينها وبين الانكليز بهذا الشأن . وكما اخرجنا الاتراك من ارض اجدادنا بالحرب والجهاد نستطيع بعون الله ان نخرج منها كل من يشتهي اقتفاء اثارهم .

على ان الاتراك بذلوا في اليمن الاموال ودفعوا المشاهرات للكثيرين من السادة ومشايخ المشائر فلا بأس اذا اقتضى سواهم هذا الاثر الحميد . والسيد

احمد الكبيسي نفسه ، الواقف بالمرصاد للانكليز ، والناشط بلسان السادة الاعاير ، يردد اقوال الناس ولهفاتهم ، ويتأسف على عهد كانت « الفلظ » بحال فيه كالبر وتبذل بلا حساب .

قد كنت اظن ان اليمن على ما في امله وفي تقاليدهم وعاداتهم من اسباب التقهر والحول ، اشرف الاقطار العربية اصحاء ، وانزهها خطية ، وامنعها جانياً ، لانه وحده اليوم مستقل مالياً عن الاجانب ، اي عن الانكليز ، وبأبي التقيد بشي . من ملهم . وقد طالما سمعت من افواه العرب المتأدين المخلصين في وطنيتهم الجاهلين اشياء من احوال الجزيرة السياسية والاجتماعية ، ان اليمن هو تلك البقية الباقية ، البقية الصالحة التي لا تنقاد بالسلاسل الذهبية الى العبودية الاقتصادية . وقد طالما قلت قبل اطلاعي على الحقيقة كلها ان هذا اليمن بفضل الامام الابر ، والاقتصادي الاكبر ، غني مستغن . وهي واجم الحق حسنة تشفع بكثير من السيئات . ولكني ، عندما وصلنا الى « بيت القصيدة » قضية الحديد ، قلت في نفسي اسفاً : علمت شيئاً وقد فاتتكم اشياء .

تلك نكبة نكبت بها امالي العربية يوم علمت بان السادة الكرام ومشايخ حاشد وبكيل وكل من كان يقبض مشاهرة من الترك ينتظر مثلها بل ضعفها من الانكليز اذا تم الاتفاق بينهم وبين حضرة الامام . وقد قبلت في ما تعهدت به ان اذكر المشاهرات لدى اولياء الامر في عدن على شريطة ان ابدي لهم رأيي الخاص بها . اما الرأي الذي صرحت به في دار المعتد فهو ان الذهب مفسد لاخلاق العرب ، مفقرهم فوق ما هم فيه من فقر ، لانه يزيدهم كسلًا وخولًا واتسكالا . ولا يجوز للانكليز ، وهم مدركون ذلك ، ان يشعروا في بذله مشاهرات ومسانبات ، لا استغواء ، ولا استرضاء ، ولا استيلاء .

ان الحطة المثل التي تستقيم فيها مصلحتهم ومصاحبة العرب هي ان يعتقدوا والامراء عهداً ولائمة تجارية ، بدون مادة الحماة ، مبنية على الثقة المتبادلة والمصالح المشتركة ، وان لا يكون للسياسة ولا لادارة الاستعلامات دخل فيها . لا بأس مثلاً بقناصل انكليز في جدة والحديدة وجيزان والحسا وغيرها من البلدان ، فيقومون بوظائفهم ضمن دائرتها المحدودة . ولكن الامراء وعقلاء العرب لا يستحسنون بل يستنكرون وجود الوكيل السياسي في بلادهم . اني ارى القاء هذه الوظيفة امرأ لازماً ، الماهم اذا كنا نبغي تحسين العلائق وتثبيتها بين الحكومة البريطانية وملوك العرب ، لاني عالم بما يؤسف له من اعمالها .

اجل ، انما هي الجاسوسية بعينها . هي هي سلاح السياسة الانكليزية في البلاد العربية ، هي خادمة الوكيل السياسي في تقاريره السرية التي تتناول كل موضوع ، وتحيط بكل حال ، وتجتاز حتى الحدود التي تقدها التقاليد الى ما وراءها من الاسرار الاجتماعية والبيتية . مثلاً واحداً يخرجنا من التمسح . اذا كان اوليا . الامر واحد ملوك العرب في مأرق من المفاوضات او العلائق ضاقت فيه عليهم الايواب ، وكانوا عالمين بان لذلك الملك او الامير عدواً من اهله او من رعيته في بلاده ، فيهم يسعون اليه بواسطة الوكيل السياسي فيستغورونه بلقب او يذهب او بالاثنين معاً ، ويستخدمونه على خصصهم لتحقيق مقاصدهم فيه .

ولا تخلو مفاوضاتهم مع الامام يحيى من شوائب هذه السياسة . فانك تراهم ، اذا حدثتهم في الموضوع ، يبادرون الى السؤال عن حاشد وبكيل . هوذا موطن الضعف في حكم الامام ، لان عرب هاتين القبيلتين في اليمن الاعلى نافرون من الحكومة مشردون عليها . وليس الى استرضائهم بواسطة مشايخهم غير المأل سبيل . ان حاشداً على الخصوص مقببة بالقرب من حدود

الأدرسي، والأدرسي صديق الانكليز وحليفهم، والانكليز عنده وكيل سياسي، وكفى. افلا تراهم ولسان حالهم يقول: اذا كان الامام يحمل علينا في النواحي التسع المحمية فنحن نحمل عليه في حاشد وبكيل^(١). ولكن الامام يحاربهم علناً في الغلاة وهم يحاربونه بالنجس والاغراء.

اما الخلاف بين الفريقين فمحوره كما ذكرت الحديده. ولكن مطالب الامام يحيى تجاوزتها الى حدود رفضت في دار الاعتماد. ان موقفه تجاه النواحي التسع، اذا كان مجرداً عن الغرض السياسي الخاص، لموقف وطني شريف. ولكنني اظن ان السياسة تتغلب فيه على الوطنية العربية القومية. فقد قبل الامام ان تخرج جنوده وعماله من الضالع والشعيب والاجعود وبلاد القطيف التي احتلها، على شرط ان تكون ادارتها وادارة البافع والعوالق وخيخ وحضرموت بيد اموائها وليس لحكومة انكلترا ولا لحضرة الامام حق التدخل في شؤونها، وعلى شرط اخر، هو الاول طبعاً، وهو ان يحل الانكليز والأدرسي الحديده واللحية والصليف وان تسلم هذه الاساكل البحرية وجميع ما كان بيد الترك في اثناء الحرب الى الامام تسليماً مطلقاً لا قيد ولا شروط فيه.

اما الانكليز فالتصد الاول والأهم في تقريرهم من الامام وابتغائهم عقد معاهدة معه هو على ما ارى ان يبقوه بعيداً عنهم وعن عدن ويكون مع ذلك صديقاً لهم. ليست عدن كما هي ظاهراً مستودع فحم فقط، ولا هي اسكّة تجارية بين الشرق والغرب كما يودها بعض الانكليز المتهزين عن السياسة الاستعمارية، والكرنل جاكوب منهم، بل هي في نظر الحكومة البريطانية أولاً واخراً مدينة حصون بحرية ومركز حربي خطير. فاذا كانت كذلك فتأمينها اهم ما ترغب الحكومة فيه. واذا استطاعت ان تأمنها الى حد تستغني

(١) راجع النرج في صفحة ١٩٥.

فيه عما تظن ان تقيم هناك من التخصيصات الحديثة والجنود فلا تقصر في ذلك السبيل سعياً .

غني عن البيان اذن ان الحكومة البريطانية ، وهذا قصدها الاكبر ، لا تتنازل عن مفاوضات عُقدت بينها وبين امراء النواحي التسع المحمية . وانما تبني توسيع نطاق الحماية ، وقد ترضى بالولاء فقط ، ليتناول كذلك قسماً من السن الاعلى . اما الحديثة فامرها من هذه الوجهة ثانوي^(١) . ولكن افلح الانكليز لو اتخذوا مع الامام خطة فيها على الاقل عزم وصرامة . لكنهم يسلكون الى محبتهم السبيل الذي تقدم ذكره ، فيأطلون ويسوفون ويحاولون اضعاف الامام وافساد امره بواسطة بعض رعاياه غير الراضين بحكمه ، وفيهم الخائن الطامع بلال والمكابر الطامع بالسيادة .

ها قد بسطت مطالب الفريقين في اعلى درجة من درجات الوطنية والسياسة . اما ما قد يتناول كل فريق منه الى درجة تقرن فيها المصلحة بالعدل والانصاف ، والوطنية - الانكليزية او اليابانية - بالمعقول ، فهو لا يزال تحت البحث ورهين المفاوضات .

(١) ثبت هذا القول ان الحكومة البريطانية لم تعرض للامام عندما احتلت جنوده في نيسان ١٩٢٥ الحديثة والامساك الاخرى التي كان يطالب بها اي اللجينة والصليف

الفصل الثالث عشر

تتمة المفاوضات

الوفد الافرنسي - المناقصات السياسية - الامتيازات - المعاهدات - الفريسيين
والانكليز في افغانستان وفي اليمن - غريب على غريب - الامام يستفيد -
احتكار تجارة البن - ميناء المغا - السلام - الدخيل في عسير - الخطأ في سياسة
الامام - المئات الزوايا في قضية الجديدة - الانكليز بين السيد والامام - الشوافع
حاليون - الامر لناصر السامر - المومتم - بريقة وكتاب الى صنعاء - الجواب -

لو كان الافرنسيون الذين غشوا صنعاء يوم كنا فيها يعرفون بعض الشيء
من اصول الاسلام وعادات المسلمين لما جازوا في شهر رمضان ينفون من
الامام امتيازاً ، ولما جازوا في رمضان ومعهم من الخمر انواع يحترقونها في
الطريق وامام الخدم في عاصمة الزيد . فان تمسكهم ببعض عاداتهم التي كان
ينبغي ان يتنازلوا عنها احتراماً لاهل البلاد ، ولجبر انفسهم لو عقلوا ، اثار
عليهم ولا شك تعصب الخدم الزيد فسرقهم ورا ، الخمر ما ، الوضوء من بركة
الشاذرون

قد لا يهم الافرنسيين ذلك وهم كما ادعوا تجار ينشدون المصلحة . لكن
بعض العارفين قالوا انهم سياسيون جازوا يبارون الانكليز في خطاب ود
الامام . لذلك لم تأمر الحضرة الامامية باستقبالهم رحباً ، وعندما وصلوا الى
بوابة صنعاء اوقفهم الخرس هناك ليعلموا الامام ، فاذن لهم بالدخول . ثم بعد
ثلاثة ايام حازوا شرف المشول بين يديه .

ولكنهم منجوا ما حرمناه وهو الاذن بزيارة « جرجي » مدير معمل
الخراطوش . كان الكل ما يأذن او يأمر به الامام معنى خاص ينحى احياناً
على ضيقه اصحاب الانعام ان في اجتماع الافرنسيين بجرجي برهاناً واحداً
على ان مهبتهم تتجاوز حدود التجارة . هوذا معمل الامام ، وهوذا احد

رجالكم ايها الافرنج في خدمته ، فهو يستغني اليوم عنكم في الذخيرة وسيستغني عنكم غداً في السلاح . فاذا عاهدكم فكأقران يتبادلون المنفعة .

اما الافرنسيون فيتأرون كما هو معاروم من الانكليز . ويقتفون اثرهم حيثما ضربوا وحاولوا . عقد الانكليز امس معاهدة مع امير افغانستان فتقاعهم الافرنسيون واثبتوا امرهم سياسياً وفنياً هناك . احس الافرنسيون ان الانكليز يبنون عقد معاهدة مع امام صنعاء فسارعوا الى منافستهم في اليمن ، والامام مطلق الارادة بنجح امتيازاته من يشاء ، ويمقد المعاهدات مع من يشاء .

على ان الافرنسيين سباقون في اليمن وفي تجارة البن . فقد تقدم ذكر البعثة التي جاءت عن طريق الحجاز في العقد الاول من القرن الثامن عشر وعقدت معاهدة تجارية مع الامام المهدي لدين الله تدل شروطها على حكمة قلنسع عندها لمصلحة البلاد حدود للدين ، وتنفكك من اجلها قيود المذاهب . والامام يحيى اليوم يقتفي اثر اجداده الكرام ، ويستعين كذلك في سياسته بحكومة افرنجية على اخرى . هي خطة في السياسة تجوز ، وقد تفيد اذا وقف صاحبها عند حد . يوجب الايضاح والتفضيل .

اما اذا عاهد امير عربي دولتين من دول الافرنج واذن لها بشي . من النفوذ داخل بلاده فتكون الاقتتان بلية عليه وعلى بلاده . تقتتلان في سبيل المصلحة فتقتلانهما ، فضلاً عن الدسائس والتعزيب . فاذا كان الامير محبوباً الى رعيته جماعاً ، لا يلبث ان يصير له فيها حناوئون واعداً . واذا كان له عدو واحد في رعيته لا يلبث ان يصير للعدو حزب سياسي . واذا كان في البلاد حزب واحد على الامير يصير فيهم حزبان وثلاثة .

اننا نعلم حق العلم ان كل وكيل سياسي في بلاد سيادتها الوطنية ناقصة يتخذ له حزباً من اهل تلك البلاد الناقين لاعتراض خاصة على حكومتها ، فيستخدمه لمصلحة حكومته وبلاده .

اجل ، اذا كان ثمت خير في مفاوضة اثنين باسم واحد فان ذلك الخير يزول اذا اشرك به الاثنان . وحضرة الامام يحيى يدرك ذلك ، فهو يستخدم الافرنسيين اليوم كما يستخدم الملك حسين الايطاليين اينال من الانكليز كل او جل ما ينبغي واول بغياته وامهما الان ميناء اليمن الاعلى على البحر الاحمر . جاءت البعثة الافرنسية تطلب امتيازاً باعادة بناء ميناء الحما المهذوم ، وميناء اخر في الخوخه ، واحتكار تجارة البن ولكن الامام ، اذا استعاد الحديد ، فقلما يهتم للحما والخوخه . ولا سر هناك في تفضيله . الا انه يريد ان يفهم الانكليز انه يستطيع ان يستغني عن الحديد اذا اقتضى الامر وان يستغني عنهم كل الاستغناء في جميع الامور .

قد قال لنا الامام ان هؤلاء الافرنسيين تجار جاؤوا يبحثون عن احوال التجارة عندهم ويطلبون امتيازاً في المتاجرة عن طريق الحما . وقد علمنا انهم لم ينالوا الامتياز الكبير الذي طالبوه وهو احتكار تجارة البن . فالامام لا يسلم بذلك ، ولكنه يعاهدهم على بيع حصته او بالحري الاعشار من البن التي تبلغ عشرة الاف كبر في السنة ، ويشترى منهم ما يوافقهم من السلاح . السلاح الاثني . في البلاد العربية اكثر من السلاح ، ولا رغبة لامراء العرب اشد من رغبتهم في السلاح . فما الداعي الى هذا الطلب الدائم وخصوصاً في اليمن ؟ تذكر ايها القارى . جواب الامام عندما سألناهكم بحكمكم من بلاد اليمن واهله . فقال : اليسير . اليسير . وهو يطمع ببسط حكمه وسيادته على اليمن كله - اليمن القديم من حضرموت بل من عمان حتى اخر بلاد عسير . وقد طالما سمعت في صنعاء ان الامام في احترابه والادريسي لا يريد ان يوقف عدوه عند حدوده المعلومة فقط بل يريد ان يخرججه من بلاد اليمن وعسير كلها ، لانه كما يدعون دخیل فيها . كنت اسمع هذا الكلام - اكنث لاني لم اكن اعلم يومئذ غير اليسير من امر السيد الادريسي وبلاده .

والسكنى بعد رحلتي في عسير، وزيارتي السيد في جيزان، ومهادثتي الناس من سادة وعامة في تهامة، بأن لي الخطأ في سياسة حضرة الامام، وأناكدت انه لا يستطيع بتلك السياسة ان يستولي على الحديدة. وأنى له ذلك والانكليز لا يزالون اصدقاء الادريسي وهم اصحاب السيادة في البحر الاحمر؟ فهم اذا استحسنوا عقد معاهدة بين السيد في جيزان والملك حسين لا يستحسنون على ما اظن شئنا بين الملك حسين والامام، وقد يقبلون بعقد معاهدة او اتفاق بين الثلاثة اذا كان ذلك برأيهم وموازرتهم.

ان القضية في اجلي بيان تتحلل اذن الى ثلاثة اجزاء. الاول والاهم هو وجود الانكليز بين الامام والادريسي. هذه حقيقة لا يمكننا ان ننكرها او نغضي عنها او نفر منها. الثاني هو وجود الشوافع عوناً للانكليز اليوم كما كانوا بالامس عوناً للترك في سياستهم اليابسة. الثالث هو وجود الحديدة، وهي محور النزاع، بين الشوافع والزويد والانكليز. وقد امتست بفضل السياسة والغوضى اليفة الحراب والبلاء.

قد كان الادريسي يومئذ يميل الى السلم اذا حددت حدوده على حال مرضية. وكان الانكليز قد قطعوا عنه المشاهرات والسلاح وبدأوا يشعرون بتفوق منه بل بنفور فيه. فاستحسنوا سبيل المسالمة والمفاوضة رغبة في صداقته وصداقة الامام يحيى. اما الشوافع فكانوا قد قاسوا من الاحتراب الدائم عذاباً واهوالاً، فكروهوا لذلك الامامين، وغدوا في حال تحجب اليهم اصغر الشرين.

اذا كانت الحديدة باب النزاع اذن فهي كذلك باب السلم. وكان الامر كما بدا يومئذ لذي عينين ناضجاً للسلم، فلم يبق غير الوسيلة الى ذلك. ووسيلة السلم المؤتمر. فارسلت الى صنعاء برقية اعرض فيها ففكرة مؤتمر يعقد في الحديدة او في عدن، يحضره وفود المتحاربين واصحاب المصالح

المشتركة في البلاد . فجاءني الجواب وليس فيه غير ما طالما سمعته هناك : —
لا حق للأدريسي في جميع اليمن ، لا حق للإنكليز لا قبل ولا بعد الدور
العثماني في الحديدة ، لا ثمرة في المؤتمر ، الدواء كله في عدن .

ولكن عدن تستحسن المؤتمر وكان قد ارسل المعتد الجبال سكوت
لاسلطياً يهتني برجوعي من صنعاء ويقول انه راغب في مقاضتي . ولكنتي
لسوء الحظ تأخرت في الحديدة وفي جيزان وكان وصولي الى عدن يوم سافر
المعتد الى لندن . فقابات معاونه الاول والحاكم بالوكالة يومئذ المايجر بارت
وبعد ان تحدثنا ملياً في الموضوع ارسلت الى صنعاء بواسطة مندوب الامام في
عدن التفاراف الآتي :

اني متفائل مستبشر لاني وجدت ارتياحاً الى المسالمة ورغبة في تحقيق
مطالبكم بشروط لا بد منها . اي انهم يرغبون في ان يسلموا الحديدة
الى الامام ولكنهم متماهدون مع الادريسي ولا يرون لانفسهم مخرجاً
في غير التسوية السلمية بين الطرفين اي بينكم وبينه . فهل تقبلون
بذلك ؟ هل يقبل حضرة الامام بعقد مؤتمر في عدن يحضره ممثلون من
قبلة وممثلون من قبل الادريسي وممثل من دار الاعتماد اذا وعده المعتد
رسمياً بتسليم الحديدة على شرط ان يتم الاتفاق والسلم بينه وبين الادريسي ؟
قد قابلت السيد في جيزان فوجدته قريباً من المسالمة وميلاً الى
الاتحاد بشرط ان يُعترف به حاكماً في لواء عسير . واطن ان عقد الصلح
يمكن بينكم وبينه على شرط تسليمكم الحديدة وارضائه في الحدود
الشرقية او الشمالية . ولا يتم الصلح الا بحسن النية وبالاجماع والمداولة .
عرفوني حالا اذا كنتم تقبلون لاطلب لكم كلمة رسمية من الحكومة
الانكليزية بخصوص الحديدة .

عدن في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ الموافق ٨ غوز سنة ١٩٢٢

بعد اسبوعين من هذا التاريخ وانا انتظر في عدن واقالم من حرها وسوء هوائها جأ بخدمة البلاد العربية خدمة صافية لوجه الله ، جامي من صنعاء بالسلك الى القاضي عبدالله العرشي في تغر ، ومنه مع شهاب الى طحج ، ومنها مع رسول الى عدن ، الجواب التالي . وكان السلك كما اخبرني العرشي مقطوعاً من شدة الامطار « فتخير » اي تأخر وصول الجواب .

كانت المراجعة وصاحبنا . قد عرفتم حسن نيته ومحبة لكم . ليكن الادريسي لا حق له في اليسن باي صورة من الصور المشروعة . وصاحبنا حقوقه واضحة ، ماثمة عند الجميع . ونحن لا نجح الانجاح معاك ونحب صون بقية بلادنا عن الذهاب . لا لزوم للمؤقر معها كانت الحكومة الانكليزية تريد ذلك . فانتم تقومون بكمال هذا الامر . وكل الصلح بيد الحكومة الانكليزية . وسنجد على صاحبنا بقبول ما اشترط اليه من حاكمية الادريسي على عسير وتسليم الحديد وما كان بيد الاتراك عند تسليمهم الى الامام . وضجروا المشير اليه الحقائق . واقبلوا فائق الاحترام .

ما الحيلة بهؤلاء العرب سادتنا أبناء عمنا ، اخواننا ؟ تريد لهم الخير الصافي الثابت الدائم وهم لا يرغبون في غير مزيج من الخير الوقتي . اني على يقين ان لو قبل حضرة الامام بعقد المؤقر لكان السلم اليوم تحياً على البلدين والولا . والتجارة صلتا العمران بينهما . ولكن النجاح في هذا السبيل لا يكون الا بثلاثة : الصحة والثبات والتفقات . وكيف لا والمواصلات في البلاد العربية قليلة الاسباب كثيرة المشقات ، فلا يستطيع من يتجرع بخدمة امرائها واهلها ، اذا لم يكون غنياً ومتمتعاً بالصحة والواقية ، ان يقضي بضع سنين جائلاً فيها ، رسول التعارف والتفاهم والائتلاف .

قبل ان سافرت من عدن بعثت بكتاب اخر الى صنعاء لاممكن هناك

الفكرة التي بدأت تحمل في سياسة الامام محل الاستثارة ، انقل منه ما يلي :

الامر ميسر على شرط ان يتم العلم بينكم وبين الادريسي . ومن
العبث ان تحاولوا اخراج الرجل من البلاد ان حجتكم في قضية الحديد
ظاهرة ثابتة ، ينصركم فيها كل من اطلع على الحقائق . ولكن حجتكم
في اخراج الادريسي على وجه انه دخیل لا يوافقهكم عليها الناس .
واذا قسكم بها تضرون بصالحكم وتضعفون حجتكم في طلب
الحديد^(١) .

(١) قد شكك الامام من اجلال الحديد كما تقدم في حاشية الفصل السابق .
ولكنه لم يتسكن من اخراج الادريسي من عسير ولا اظنه يطمع الان بذلك وقد
صبح صاحب عسير حليفاً لملك نجد والحجاز الملك عبدالعزيز ابن سعود وفي حمايته .

الفصل الرابع عشر

المعاهدة

الامارات العربية القديمة - توحيد الكلمة الدينية - توحيد السياسة - المداخلة
الاجنبية - ملك العرب وملك الحجاز - المعاهدات مع الحكومات الاجنبية -
الدفاع والهجوم - تهامة جز' من اليمن - تعهد المعاملة بالنقود القضية - ممثل
للبلاط - مندوب للامارات في مكة - مندوب الملك في صنعاء - صندوق توفيق
من مال الزكاة - الائتلاف العمومية - خطاب الى جلالة الملك حسين بخصوص
المعاهدة - الختام .

لا بد من معاهدة تعقد في المستقبل بين اليمن وقطر آخر من البلاد العربية .
وما ان المساعي التي تقدمت سعينا والتي ستبته هي ذات شأن في تاريخ القضية
العربية ادى من الواجب ان اشر صورة المعاهدة التي تم الاتفاق عليها مع
حضرة الامام وما هي بكاملها وبالخرف الواحد :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان المقصد الوحيد من هذا الائتلاف والاتفاق هو الانتظام في ملك
وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وبه يكون التعاون والتماضد
على انفاذ احكام الله كما يجب في جميع البلاد لعمرائها واصلاح شؤونها
وكف ايدي المعارضين عن التدخل فيها والاخلال بمصالحها وراحة اهليها
وتأمين معاش سكانها ورفعة صناعاتها وتجارتها . فلذلك عقدت هذه
المعاهدة بين حضرة الامام المتوكل على الله يحيى ابن المنصور بالله محمد بن
يحيى حميد الدين وبين جلالة الملك الشريف حسين بن علي بن عون على
ما تنوويه المواد الاتية لتكون دستوراً للعمل بعد تقدم اصلاح النية
وجعل الاعمال مدارة على الشريعة الاحمدية في الاقدام والاحكام والنقص
والايرام .

أولاً - البلاد العربية اقصاها وادناها بلاد اسلامية لا تقبل التفرقة والتجوئة وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد اللسان . وايس المراد من عدم قبولها التفرقة تغيير اشكال اماراتها القديمة وتحويل امرائها المشهورين المعلومين الذين يحجرون ادارة شؤونها واعمالها وسياسة داخلتها منذ قرون . وانما المطلوب اجتماع الكلمة الدينية^(١) وتوحيد السياسة على وجه يرضاه الله وتصلح به احوال البلاد من غير مداخله اجنبية خارجية من اية الجهات تحل باستقلال البلاد العربية ووحدةها^(٢) .

ثانياً - يعترف حضرة الامام جلالة الملك بالملك ويعترف جلالة الملك لحضرة الامام بالامامة^(٣) .

ثالثاً - يختص حضرة الامام بادارة اليمن وسياسته الداخلية والخارجية كما كان بيد اسلافه ويختص جلالة الملك بسياسة ما تحت ادارته في الحجاز

(١) « المطلوب اجتماع الكلمة القومية والدينية » هي الاصل الذي وضمانه فابده الامام بما تراء في البند وسألنا بعد المناقشة « باجتماع الكلمة الدينية » وقبل حضرته ان يضاف اليها « وتوحيد السياسة » .

(٢) كان قد وقف الامام ضد « المداخله الاجنبية الخارجية » اطلاقاً . فاضفنا اليها الكلمات : « تحل باستقلال البلاد العربية ووحدةها » كي لا تنفي المادة المداخلات التجارية والاقتصادية والتهذيبية . ولا يخفى ما في مثل هذه المداخله المجردة عن العوامل السياسية من الخير للبلاد العربية . ان حضرة الامام مثل سائر امراء العرب مقتنع بذلك .

(٣) كانت هذه المادة في النسخة الاولى من المهادنة ان حضرة الامام يعترف بالملك حسين ملك العرب . وقضينا اسبوعاً في المفاوضات بهذا الشأن . فجاء في السيد احمد ذات ليلة بعد نصف الليل فابطلني من نومي وقال : سلم عليك حضرة الامام ويسالك خصوصاً ان تساعد في النظر بهذا البند . لا يمكننا ان نعترف بما هو غير الواقع وبأى الامام ان يمس شعور جلالة الملك . فكيف العمل ؟ هل عندك حل لهذا المشكل ؟ بعينه حضرة الامام منك فعلنا وبدلنا وتناقشنا ساعتين وانا احاول الدفاع عن قضية ضعيف جانها . وقد رأيت فوق ذلك بعد السباحة في اليمن ان ملك الامام خمسة

وغيره داخلية وخارجية . فليس لاحدهما احداث مقاوله اجنبية في ما يتعلق بتاتحت ادارة الثاني من البلاد ولا بغير شيئاً محمولاً من طرف صاحب ادارتها ولا يتدخل في ادارة داخليتها لا خاصة ولا عامة الا ان يكون بعد المشاورة بينهما^(١) والاتفاق لمصلحة تطابق مراد الله سبحانه . واذا فعل احدهما شيئاً من ذلك او عقد مقاوله اجنبية في ما يتعلق بملكته الآخر منفرداً فلا يعتبر . افعله ولا يصكون معتمداً . وليس لاحدهما نقض مقاوله سابقة لتاريخ هذا الاتفاق من الطرف الاخر في ما يتعلق بخاصة عاقدها وملكته ولا تعتبر نافذة في ما يتعلق بملكته الثاني اذا اشتملت على شيء من خصوصياتها ولا يعد هذا الاتفاق ناقضاً لما تقدمه من المعاهدات بين حضرة الامام والحكومة الدثانية او بين الملك واحدى الحكومات

رابعاً - بعد امضاء هذه المعاهدة يكون كل من حضرة الامام وجلالة الملك ومن تجري عليهم اوامرها الشريفة من الامراء والتبعية عوناً للآخر ونصيراً له في دفع كل عدو صائل من الخارج او معارض من الداخل . وهذا التعاون والتناصر يكون موقوفاً على الطالب من اي الجانبين عند

اضفاف ملك الحجاز مساحة وعدداً وقوة . فقبل السيد احمد اخيراً بما اقترحه جلاً لهذا الشكل وهو النص الحالي . وقد اضيفت في المادة الثالثة بعد « ويختص جلالة الملك بسياسة ماتحت ادارته في الحجاز » كلمة « وغيره »

قد يكون قبل الامام في المفاوضات السابقة ان يعترف بالملك حسين ملك العرب ولكن سياسة الملك بعد الحرب وخسارة الحجاز في وقعة تربه حملت الامام على تغيير رايه في الموضوع .

(١) كان الامام مصرأ عن رضاه عقد المعاهدات مع الحكومات الاجنبية وخصوصاً في ما يتعلق بالامور الخارجية . فقبل بالجملة الشريفة « الا ان يكون بعد المشاورة بينهما » وبكلمة « منفرداً » في الجملة التالية : اذا فعل احدهما شيئاً من ذلك . . . منفرداً »

الاجتياح والازوم وفي دائرة النصوص الشرعية

خامساً - عند ظهور عدد مشاق للطرفين اذا لزم لاحدهما امداد من الثاني فعلى من تطلب منه الاعانة اعانة الطالب بمقدار ما يدخل تحت امكانه من مال او رجال او سلاح او معدات حربية . وعلى الطالب الالامداد بالرجال لوازم المطلوبين مع التامينات اللازمة .

سادساً - بان المقدم قبل كل شيء تأييد طرق المواصلات والمراسلة بين الحجاز واليمن من الطريق الاسهل والاقرّب لاسكان المفاوضة والمواصلات بسرعة في شكل ما يترجم ، ومن المعلوم وجود الحائل في تهيئة التي هي جزء من اجزاء اليمن ، فاللازم تقديم التعاون الحائل المانع من الحديدة ونحوها باي وجه كان اما بسياسة يتفق عليها او بقوة يكون سوقها من الجانبين بعد تقديم المذاكرات اللازمة في كلا الامرين وصفة المعاملات والحرركات من الجانبين^(١)

سابعاً - السكة الفضية الحالية من الفس و انواع الرنى التي تضرب في الحجاز باسم صاحبها معينة قيسة تداولها تكون مقبولة ومعتبرة في التداول في المملكتين بقيمتها المعينة بعد الاعلان كتابية من الجانب الذي يكون ضربها باسمه بكيفية التداول وكية القيسة والصفة المميزة للسكة .

(١) سلنا هذه المادة ونحن عالمون بان المراد بها السيد الادريسي ولكننا لم نوافق عليها الا بعد ان اضفنا اليها الجملة الاحتياطية وهي « اما بسياسة يتفق عليها » بعد الكلمات « باي وجه كان » وقد كنا نعمل ان يمدد بعد ذلك معاهدة بين الادريسي والملك حسين . فيكون جلالة اذ ذاك صلة الوصل او الواسطة السامية بين السيد والاعام حليفه فيسكن « بسياسة يتفق عليها » من اصلاح ذات البين في تحديد حدود ترضي الفريقين . انظر المعاهدة التي عقدت مع السيد الادريسي وكتاني الى جلالة الملك حسين بخصوصها في الفصل الحادي عشر والفصل الرابع عشر من القسم الثالث في هذا الجزء .

ثامناً - يتعين مندوب من لدن جلالة الملك في صنعاء ومندوب من لدن حضرة
الامام في مكة المكرمة لمداولة الافكار والتوسط في تعاملتي المفاوضات
والمذاكرات

تاسعاً - معلوم احتياج الملاكين لانواع الاسلحة والمهمات الحربية وسائر
انواع التوقيات الفنية واحتياجها الى ايجاد معامل وآلات لعل الاسلحة
وغيرها تقوم بالمقاصد . وبعد انضاء هذه المعاهدة من الجانبين تكون
الراجعة وتقرير ما يلزم من الاسباب والوسائل والمقدمات والاستعدادات
لايجاد المحتاج اليه من المعامل ومحل لتأسيسها واستعمالها مناسب جامع
للمقاصد الطرفين وكيفية الاعمال وكل ما يلزم لذلك من المضاريف
والمأمورين والمفاظين والعملة وغير ذلك .

عاشراً - يكون تعيين مبالغ من الاموال معلومة مخصصة لكل سنة بتقدير
يكون الاتفاق عليه تصرف في ما ذكر في المادة التاسعة من الاعمال
الضرورية او ما يتفق عليه من الانشاءات والاستعدادات العمومية المهمة .
وهذه المبالغ تحفظ من ككل جانب ما يتعين عليه في خزينته الى وقت
اللزوم وتنفذ تأمينات يتفق عليها بين الطرفين ويتعاطاها الطرفان لتأمين
تأدية كل ما يلزم منها في وقته وزمانه بحيث لا يتضرر احد الجانبين
ولا يكون من احد تأخر بحصول المقاصد^(١) .

احدى عشر - هذه المواد الاساسية يستمر حكمها الى عشرين سنة واذا
كان الاتفاق في خلال المدة على تعديل شيء منها او تبديله او طيه

(١) ان المقصود من هذه المادة انشاء صندوق توفير من مال الزكاة في كل امانة
وملكة مربية ليدخل في المشاريع العمومية المتحركة مصالحها بين الجميع لذ السكك
الحديدية والاسلاك البرقية وتب يد الطرقات وغيرها وهي احدى الفكر التي كنت
ايشا وابشر بها هناك والتي صادفت استحسان جميع فلولك وادراء العرب . وعقدوا
النية على العمل بها اما تضامنا واما افراداً .

بحسب ما تقتضيه المصالح وتداول الافكار فكل ما يستجبه بعد تقريره
فحكمه حكم هذه المعاهدة . وبعد ايام العشرين سنة يكون تجديدها
كأهي او تبديل ما يتفق على تبديله ان شاء الله تعالى .

حرر في صنعاء في ١٨ شهر رمضان سنة ١٣٤٠

وقد ارسلت المعاهدة مع صديقي قسطنطين بنى مصعوبة بكتاب الى
الملك من حضرة الامام وكتاب مني اقول منه ما يلي :

قد تفاوضنا في الامر الذي جعلت احدى غايات رحلتي في البلاد
العربية الاهتمام به والسعي في بسطه لدى امراء العرب وتقريب من العقول
في شكل عملي معقول . فلقد اتينا في الامام يحيى اعزاه الله اذنأ صاغية ، وهمة
للمعمل داعية . وهو في موقف الولاء ولا شك ثابت القدم لمخلص القصد
والنية . الا انه لا يجب ان يكبر في البدء خطواته ، ولا ان يوسع كثيراً
صراطه . وان التمتع باليسر الان ، خير من العمل بالكثير . قد كانت
لنا جلسات طويلة ومباحثات ومناقشات ، يسمعكم الصديق قسطنطين
خبرها ، ويعلمكم بما بذلته في سبيل المعاهدة المرغوب فيها وفي توسيع
بنودها بقدر الامكان نعم ما ننشده من الوحدة العربية . وقد قرنا
بجل المرغوب وسامنا ببعض الجزئيات التي لا تقدر روح القضية او تمس
بجوهرها .

ومن الحقائق التاريخية يا مولاي ان النهضة الخطيرة في الامم لا
تتشأ نشأة واحدة تامة كاملة ، فلا بد لها من خطوات الى ذاك الكمال
وتطورات في ما يوجب فيه من وحدة الكلمة والخال . اما المعاهدة في
صورتها الحالية فهي خطوة اولى مهمة الى الامام . فمضى ان تستحسنوا
عملنا وتروا ، وانتم مصدر الحكمة ، صواب رأينا . وفي المستقبل القريب ،
بعد ان يتم توقيع المعاهدة ، تتوقفون ولا شك الى اضافة بنود بخصوص

توحيد الامور الأجنبية ، والنقود ، والتمثيل الواحد في الخارج وغيرها .
 اذ حين تتم وسائل المواصلات بين جلالتهكم وحضرة الامام فيكون له
 مندوب عندكم ولكم مندوب في صنعاء تتبادلون مباشرة الاراء
 وتتوقفون ان شاء الله الى ما فيه تمام تعزيز المصلحة العربية والاسم العربي
 داخل البلاد وخارجها .

انتهى القسم الثاني



حضرة الميرزا محمد بن علي الادرسي

الضم الثالث

السيد الإدريسي

(١١) بلاد السيد

سنة ١٩٢٢ م . ١٣٤٠ هـ .

او ما يحكمه الادريسي من عسير

حدودها : غرباً البحر الاحمر . شمالاً ابو مشته على البحر . جنوباً الحديدة . شرقاً جبال الينس (وقد كانت الحدود الشرقية في رمضان ١٣٤٠ كما يلي : آخر جبل ريمه جنوباً للامام محبي ، وجبل براع المجاور لريمه للسيد الادريسي . وآخر جبل صغاف شمالاً للامام ، واول جبال بني سعد المجاورة لصغاف للسيد) .

سكانها : نحو مليون نفس .

مساحتها : تقدر ثلاثمائة وخمسين ميلاً شمالاً بجنوب . ومعدل عرضها غرباً بشرق سبعون ميلاً . السهل الذي يتصل بالعقبة وراء ميدي وجيزان عرضه اربعون ميلاً .

اهم قبائلها : رجال المع والمسارة وبنو مروان والنجرا . وبنو هلال وبنو عيس .

اهم بلادها : صيا وجيزان وميدي والحيّة والحديدة وابو عريش وباجل .

مذاهبها : السنيون : شوافع ، والشيعة : جعفريون و اسماعيليون ، والفرس واليهود والمندوس .

(١١) بعد وفاة كبير الادارة الامير محمد في نيسان ١٩٢٣ اضطربت شؤون عسير الداخلية والخارجية ، فضغت شوكتها ، ونقصت حدودها ، التي تكاد تنحصر اليوم في جوار جيزان وصيا الى الجنوب والى الشمال ، وفي سفح الجبال الى الشرق .

الفصل الاول

سطح اليمن

الموظف الانكليزي في بلاده وخارجها - بلاد العدو - الاخطار - ثلاث لثائف -
الرخيل - السيد علي يوسف احد المكارين - جيل قصير - طريق النربات -
ودلو صنعاء - النبي شعيب - شبام - مثنى - عساكر الدولة - « لربهم ساعات
الى صنعاء » بلاد شاهر خورق وشا « - حمدان النعمان - ثلاثة فصول في وقت
واحد - سطح اليمن - بوزجان ولبنان - العقينة - حصونها الشاهقة وبساتينها
- سوق الطميس - مجلس القات - الصيد والسعادين - منحنى قبر اليمن -
السامريّة - القيس - القبة الذي قتل شبيبته - حديث الجمال - وجه الله الدولة .

الكريم من لا يعطيك اذا عجز عن الاكرام والمساعدة . واذا اكرمك
فلا يتق عليك . والصكريم اذا كان متوظفاً لا يقول : لا ، بعد ان يقول :
نعم ، ولا يقول : نعم ، بعد ان يقول : لا . اما اذا قال : نعم ، فيشفع
الاجازة مثلاً بالصنيعة والصنيعة بالبشاشة . ان الانكليزي في بلاده وفي حكومة
بلاده هذا الرجل . ولكنه خارج انكلترا ، ولا سيما في الشرق ، مثل الواحة
في الصحراء . لذلك هو اكبر قدراً ، وان لم يكن ارفع مقاماً ، من زميله
في انكلترا .

قد كان خطي في رحلتي اني مررت ببعض الواحات ، منها واحة في دار
الاعتماد بعدن استأنست بظلمها وانتعشت . اقول « بعدن » على الرغم مما اقيت
فيها من العقبات . فقد كانت خطي في السفر ان ازور الامام يحيى في صنعاء
ثم اسافر منها الى الحديدة لازور السيد الادريسي في عسبر . ولكن الامام
والسيد اعداء والبلادين في احتواب . اما الانكليز ، فاذا كان لا حق لهم
في اليمن الاعلى ، فهم يستطيعون ان يمنعوني من الدخول الى بلاد صاحبها
حليفهم ومدينتها الكبرى الحديدة هي فعلاً في يدهم . سألت معاون الفاضل

في دار الاعتماد، بعد ان صدرت الاجازة بالسفر الى صنعاء، ان يعطيني كتابه تعريف الى وكيلهم السياسي في الحديدة، فاجاب: هو اليوم في عدن وسأقول له ان يزورك. وكان كذلك. فاجتمعت بواسطة المعارف بفاضل من افاضل الهند، روحه شرقية، وعقله شرقي غربي. هو الدكتور محمد فضل الدين الوكيل السياسي في الحديدة لدولة بريطانيا العظمى.

وكنت، وانا في طريقي الى صنعاء، اشكر الاثنين دافاً لاني كرهت ان اعود من حيث اتيت لا لما قاسينا من المشقات فقط بل لرغبنا في ان نحيط علماً بالبلاد واهلها. ولكني وانا في صنعاء ظننت مرة ان الامام لا يأذن بالسفر الى بلاد العدو، فتشلت امامي تلك الطريق الى عدن، وآفاق الحياة فيها مريرة كلها. ثم جاءنا احد السادة يزيدنا كرباً وغماً في ما صورته من الاخطار في منطقة الحدود بين الحبيلة وابلج - اذا سلمت فيها فلا تسلمون من الاسر - الادريسي لا يركن الى احد قادم من عند الامام.

ولكن حضرة الامام عندما فاوضناه في الامر حقق لنا املاً في ارساله كتاباً مني الى الدكتور فضل الدين بواسطة عامل جراز في مناخة وامير الجيوش الادريسية في ابلج. وقال تهديئة لبائنا: اذا جاء الجواب بالاجاب فلا بأس بسفركم.

ان المسافر في البلاد العربية ليتعلم قبل كل شي. الصبر والتجمل. صبرنا عشرة ايام وقطعنا الامل، فتجندنا على القضاء في تكرار مشقات عرفناها فازدادت في التصور شدة وبلاء. ولكننا وجدنا شيئاً من التعزية في الآية: وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. فلا تحلوا الطريق بين بلدين متجارين من الاخطار. وبيننا انا افكر ذات يوم في ما اقول للمولاي الامير في ماويه وقد سألتني: احسني انت ام حسيني، وعرف بعدئذ اني مسيحي، وكيف اجيب في يوم ذاك الشيخ الفقيه الذي جمع اولاد مدرسته صفاً وانشد وياشم:

نصر الله المسلمين ، ورسول الخير امين ، بينما انا في هذه الورطة دخل الحاجب
ويده ثلاث لفائف قدمها لي قائلاً : من الامام . ففضت الاولى فاذا هي :

بسم الله

مولاي القاضي العلامة عبدالله بن الحسن العمري حفظه الله وتولاه
وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله وسلم على محمد
وآل هدايته والله يحفظ ولي النعمة ويدوم بقاء آمين .

وصلت الى هذا الحد وكنت من القبط اشتعل فصحت بالحاجب : يا رجل
هذه الرسائل ليست لي . فاجاب وهو يحلف براس الامام ان قد جاء بيا رسول
من الديوان يقول : هي لامين ريحاني فاستأنفت القراءة حيث وقفت مضياً :

صدر السلام وصدر جواب البوسطة المرسول اليها . العنوان : انسا
والكتاب الريحاني كما تطلعون والله يحفظكم

عامل حراز

في ١٠ رمضان سنة ١٣٤٠

ثم في حاشية : والله يجعلنا من عتقاء هذا الشهر الكريم ونعوذ بالله من النار .

اللفافة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاجل المحترم الشهم امين الريحاني سلمه الله

بعد السلام والاكرام . ورد كتابكم مع كتاب الى حضرة الحكيم
محمد فضل الدين وبوقته ارسلناه تالفاً اليه وورد جوابه وها هو مقدم اليكم .
اذا اشعرتونا من مناخة يوصلكم نلزم القائم من طرفنا في السجيلة ليرافقكم
الى باجل .

قائد الجيوش الادريسية

محمد طاهر

في ٧ رمضان سنة ١٣٤٠

رضوان

المقابلة الثالثة

حديقة ٨٣٣ ٧ - ٨ سنة ١٠

الى صديقنا امين الريحاني

حياتكم الله وعافاكم . سرنا عزمكم لطرفنا . أهلاً وسهلاً بكم . حين وصول تلفرافكم اشعرنا حضرة القائد الشيخ الهرم محمد طاهر رضوان قائد الجيوش الأدرسية بباجل ما يلزم . وقريباً نراكم ان شاء الله باحسن حال .
في ٧ رمضان سنة ١٣٤٠

محمد فضل الدين

والحمد لله ! قد اطمأن بالنا وحسن حالتنا . لا تظن ايها القاري . ان اجتماعنا يشل هذا الامر واشراكك بل اشغالك به هو ضرب من السخافة . فانك اذا رافقتنا في السفر وادركت بعض مقاصدنا واحسست ببعض ما كنا نقاسيه في سبلها تتأكد ان صفار الامور تحول احياناً دون كبارها . فالحمد لله اذن على ساعة في ١٠ رمضان سعيدة ، بددت غمات ماوية ويوم من مماننا ، وفتحت لنا طريق الجديدة ، فصفا الذهن للمفاوضات السياسية ، التي استمرت بعد ذلك عشرة ايام . ثم استأذنا حضرة الامام بالرحيل فكان في توديمه لطيفاً كريماً : - ما كنا ونحن في رمضان ان نقوم بالواجب ونود ان تبقوا عندنا الى شهر العنب^(١) قد تعود اليها يا قسطنطين ، اما الاستاذ امين فسيصبح في البلاد العربية ويرى غيرنا . فلا تظلمنا يا امين بالمقابلة بيننا وبينهم .

ثم امر لنا بالركاب وكان الموصل بتسييرنا السيد علي زباره فيوراً على راحتنا ، فلم يدع شيئاً من مريجات السفر وحاجاته الا وفره لنا . مثال واحد

(١) عنب صناء مشهور بجموده وانواعه وهو يسوي هناك في اخر حزيران

من غيوته وعزمه . عندما جاءت للطايب صباح يوم الوحيل رأى ان سرج احداها بلا ركاب . فسأل صاحبها عنه فاعتذر وتبسم ، فضرب السيد علي يده على وسط الوحيل واخذ الجنبية^(١) منه قائلاً : رح هات الركاب . فراح المكاري الى المدينة راكضاً وعاد ملياً . ولم يرجع السيد علي الجنبية اليه الا بعد ان تشفعنا به . — اذا كان هذا اسماله وهو لا يزال تحت عيني فكيف يكون في الطريق ورأس الامام !

واشفع القم بخطبة وجهها اليه والى رفاقه كلها وعيد تهديد . شيعنا السيد علي والسيد احمد الكبسي من قبل الامام الى خارج السور فودعناهما هناك شاكرين متأسفين ، اذ كنا نجتمع بهذين الفاضلين اكثر من سواهما وكان السيد احمد خصوصاً اقرب الجلوس الينا واكبر المؤمنين .

سرنا من صنعاء غرباً نبعي البحر . وما كنا نتصور ما دونه من الجبال وما دون جبل واخر من هول المسافات حتى وصلنا ذاك اليوم الى رأس يوعان . ولكننا ايها القاري العزيز لم نصل اياك اليه . اننا لا تزال بين صنعاء وجبل عصر في سهل واسع فيه بقع صفية مزروعة تلوح بين فسحاته السراء البور « كباقي الوشم في ظاهر اليد » اذا آثرنا استعارة من شعراء الجاهلية . او كالكلمات في وجوه البدويات اذا شئت النشيب . او كبيض الاوراق الخضراء . — وهذا اقرب الى ما كنا نشعر به ونحن نجتاز تلك الارض المهلة — في شجرة عراها الحريف . ولكن للشجرة ربباً يعود اليها . وهذه البلاد في مكان من الارض شامت الطبيعة ان يكون ربيعه دائماً ، وما شاء الانسان غير الكسل والجهل والحوول .

(١) الجنبية اي المتجر مندم قيمتان ، قبعة حافية في ما تصابع له ، وقبعة عرضية اجتنبية اي في ما توجه المرء والباقة . فهي اذا اعز ما يحصله الياني ، وفي اقتراءها منه اشد تأديب له واكبر اعانة .

ان الهواء والدماء والماء تبسم حكايا لارض اليمن . ولكن الباني لا يستخدمها الا في ما يحتاج مباشرة اليه . فما لا ريب فيه ان في السهول حول صنعاء ماء حبيبا يجث ، لان في قديم الزمان ، كما يقول بعض العلماء ، كان يجري نهر هناك . ولا تزال المياه تتدفق من جبل أقم في قني المدينة . ولكن الصنعائي يقني طيلة نهاره لجلل الساقية . او يقضي نصف نهاره في « مخزن » القات ولا يسعى في احياء ارض فيها قيد عشرة اذرع واقل الماء والثراء اجل ، ان هناك بين اقم وعصر وما يدعى في الشمال الارحاب من المياه ما يكفي لاشغال مئات من السواني والجمال . فلو استخدمت لكائنات تلك السهول بساطا واحداً اخضر ناضراً . شي مخزن .

وهذه هي . طريق العربات التي بناها الترك انه ليحزنك كذلك مرآها وذكراها . بدأنا نصعد فيها الى جبل عصر فحدثنا خرابها بفشل الدولة وشكا الينا افعال الامام . هي طريق الحديد الى عاصمة الاذواء ، الى قلاع الزويد ، بُنيت لرسل الخراب لا لرسل العمران . بُنيت لجر المدافع ولتقل الجيوش ، لا لتجارة والمواصلات المشرة خيراً . تلفتنا من آخر منعطف فيها فاذا بصنعاء وقد احتجبت بحجاب ذهبي شفاف فسجته لها الشمس الشارقة فوق أقم العاري العقيم .

وما اجل ما لاح لنا في سفحه خلال الحجاب . مدينة عجيبة كان لها من اسباب المجد والشهرة والعمران ما لا أكبر مدن العالم المتسدين اليوم . لها تاريخ غابر مجيد ، لها مدنية قامت بين شمس المجوس وكواكب الاوثان ، وتعددت فيها الاسرار والكهان ، وعزت عندها آمال الانسان ، فكانت ملكة سباء ، وكان حمير ، وكان قسطنطين . ثم التوحيد وشوكة قريش وعدنان . وما تقدمه وتبعه من علماء وشعراء ، ونوابغ في فن البناء . فاهيك بنا نخصتها الطبيعة بما لا يزول ابداً ولا يحول . فهي على ماوها لا تعرف الثلج ، وهي على دنوها

من خط الاستواء لا تعرف من قبضه غير تروات واهنات . وفيها من الماء القراح وغزارته ما تقدم ذكره تكراراً . فلو عبرت إليها الطرق الصالحة للعربات من الغرب ومن الشمال . واتصلت بها عدن والحديدة بملك الحديد لتقاطر إليها الناس صيف شتاء من كل النواحي حولها ، ومن البلدان العربية والأفريقية الشرقية كلها ، ولقدت في أقل من عشرين سنة باريس البحر الأحمر .

أي صنعاء ، عاصمة الزيد والحمود ، أننا نغار عليك من الاثنين ، ونود أن يعاد اليك مجد الأجداد مشغراً بشي . من العلوم الحديثة التي من شأنها أن تصلح أحوال الإنسان فتوقيه في جسمه وعقله وروحه ، وفي بيته ومدينته وبلاذه . وما سواها من العلوم لا ينبغي لك ولا لسواك من مدن الشرق والغرب .

أي صنعاء ، عاصمة الأذواء ، أننا في حبنا ايناثك وهم مثلنا من الناس ونحن وإياهم من سلبية واحدة ، نفاذي حتى بشي . من الوطنية من أجلهم ، فتصح أجسامهم إذا اتقوا الأمواض ، وتنجلي عقولهم إذا فتحوا المدارس ، وتصفو روحيتهم إذا ادركوا من الدين حقيقته الأولى وسره الأعلى . أما الذين ادركوا بعض تلك الحقيقة وبعض ذلك السر فهم يشاركونك في صلاتك ، في فاتحة كتابك وختمته ، ويودون أن تشاركهم في حياتهم . نظرة أخرى يا صنعاء ، ونستودعك الله . . . قد اكفنا من ثمارك ، وشربنا من مائك ، وعنا تحت حماك ، وانتعشنا بعليل هوائك ، وكنا قبل ذلك نحبك ، فكيف بنا بعد ذلك ؟ فإذا جاء بعدنا من يصلي صلاتنا وصلاتك ، من يحبك حبنا ويغار عليك غيرتنا ، ورأى فيك بعض ما تأقت إليه النفس منا وما اشتهاه العقل والفؤاد — بعض العلم ، بعض الفنون ، بعض الطرب ، بعض الصرايح — سنغبطه ونحن بعض السر الأكبر في الفضاء ، في اللامهية ، وستغبطه منا اللرب والمظام .

وهذه اقبحرانة في الطريق واقاحر في الحقل بيضاء صفراء تبشر بالربيع . واكنه ربيع أبدي نخيل يسكاد يظا الغرى فتظهر منقطعة آثاره الناعمة . ومثل

لا يجيأ في مثل هذا الملو بارض الشمال : انما نحن على الف قدم فوق صنعاء .
وتسعة آلاف فوق البحر . وقد احتجبت عنا المدينة المحجوبة احتجاباً - ايدياً
الله اعلم .

وتلفتت عيني ومذ خفيت عني الطلول تلفت القلب

وهوذا النبي شبيب قريب بعيد . هنالك على الافق امامنا بلوح كالطيف
اسمهم راقماً هو اعلى الجبال في شمال اليمن بعد شبام ، فبرافقتنا اليوم وغداً
ولا يحتجب ما دمنا منجدين .

سرنا اربع ساعات فوصلنا الى مَته ، وهي للقادم من مناخه او من الحديدة
آخر مرحلة الى صنعاء . مَته : سكّانت في ايام الترك مريعاً لعرائس الجبور
ولوسل السلامة والسرور . فكم من ابنا الدولة المجاهدين - المسوقين الى
الجهاد في اليمن - كانوا يخرجون من تهامة فيسوتون في قيط السبخاء ، وفي
الشعاب ، وفي « النقيب » وفي مضائق الجبال ، وفي مكامن الاودية ، فيهتف
من يصلون منهم الى هذا المكان سالمين : اربع ساعات الى صنعاء ، بادشاعم
جوق باشا او كانوا يقضون يوماً او يومين هاهنا ينتظرون المتخلفين من اخوانهم
فيعيدون ، ويهللون ، ويبذلون من « الظلطة » ما لا يزال صاحب « المسيرة »
يتلظ بذكره . فيهر رأسه اليوم آسفاً محزوناً ويريك البيت الذي كان قصرأ
في تلك الايام وكم من يهوديات صنعاء خفن فيه من كرب المجاهدين وعظمهم !

الطلول الدوارس هجرتها الاوانس

وقفتا في مَته اكراماً اساكركنا وقد اشتهوا القهوة ، قهوة القشر .
وكاهم مسرورون لانهم مسافرون في رمضان - ومن كان مريضاً او على
سفر فعدة من ايام آخر - كاهم الا واحداً ، هو رئيس القافلة ، الى التمتع
بتحليل النبي ، وكان الجائع الثعسان على الدوام . فناديناه مرة الا وكان

ينس فوق حمارة وهو يثني الهوبنا مشية البقر ولا يلذ له الا مؤخر القافلة .
اسمه - الدليل لا الحمار - حمدان ، فسيناه نسان فزاد ذلك في الطين بلة .
وصكان الاهانة خلقت به وبجواره فصار لا يُرى لا في مقدم القافلة ولا في
مؤخرها . - يا حمدان النسمان انت الدليل ، وما نحن بفقهاء لتدلنا الى النوراء .
رح يا حسن فلتش عن النسمان . فيعثر الجندي به وهو يقصصك في منطف
الطريق فينتهره ويسوق بالبندق حمارة . فيجئنا التقى التقى ، الصائم النائم ،
وهو يتسم : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

وعليك السلام يا حمدان ، وصلنا الى بوعان . وهي بضعة اكواخ عند
جسر لطريق العربات جميل الهندسة ، متين البناء ، حجارته سوداء وحمرها
وبيضاء . احسن ما في هذه الطريق جسورها . في بوعان اسطبل يدعى
مقهاية^(١) دخل « القراش » اي الدواب والمساكر اليه ورحنا انا وقسطنطين
تبني ظلاً تحت الجسر فبسطنا غذاءنا الى جنب الماء هناك . وبعد ان اكلمنا
واسترحنا قليلاً استأنفنا السير ، فردعنا طريق العربات التي تمر في سفح جبل
بوعان وتلف في الاودية لتصل الى مفتق ومنها الى مناخه . صعدنا في الجبل
في طريق وعرة زلاء ، وقلعة بوعان الى شمالنا تنطح السحاب ، حتى وصلنا الى
اعاليه ، فصغرت فيه الرياح واعلمتنا بظهور من مظاهر الطقس مدهش غريب .
انما الشمس شمس الصيف ، شمس اليمن المحرقة ، وانما الزهور زهور الربيع ،
اما الهواء فلا ربيع فيه ولا شيء من الصيف . كنت اذا اغمضت عيني اظن
نفسي في اعالي لبنان في الشتاء . هذه ثلاثة فصول في وقت واحد .

ان رأس بوعان لسطح اليمن . وعلى السطح صخور هي في شكلها
وروضها شبيهة ببيكل عظيم له بابان ، الشرقي اي باب صنعاء والغربي اي باب
(١) في الطريق من عدن الى صنعاء يدعى الحان سسرة ، وفي الطريق من صنعاء
الى الحديدة يسونه مقهاية او قهوة

مناخة . دخلنا الهيكل من باب صنعاء ، فورنا برواقه بين انصاب جديلة ،
وعبد رائعة ، وصخور هي كالحياكل الضخمة في الهيكل الاكبر . وما هي
الا بضع دكانتي حتى وقفنا في الباب الغربي ، باب المخاوف والاهوال . ان
المسافر ليجد نفسه في غير ما افه من الارض فيص هنيهة ان دورة الدم فيه
قد وقفت قامة ، فيشهي ولا يتنفس ، ويهتف ولا يتكلم . هناك مشهد من
الخيال والادوية رائع ، مدهش مخوف ، يهس ربه في اذن الانسان ، لا تكن
مكابراً ، ولا تكن فضولاً .

لا اخفن ان في بلاد سويسرة مثل المشهد الذي يتبسط بل يتراكم امامك
في اليمن عندما تقف على ذروة بوغان فتشرف منها على بحر تجمد تحتك ،
وؤوس امواجه قن الخيال ، وسطحة الاودية المتشعبة المتلفة بعضها على بعض .
وهناك دون الفن الشاهقة ، والصخور الشائعة المسننة ، والهضاب الهرمية ،
والاودية المدهمة ، والمنحدرات الهائلة ، هناك فوق شبه الغيوم التي هي
الخيال يلوح في الغرب حراز وفي الشمال سريخ وكوكبان ، هناك القبة
التي هي مناخة وشكلها كسرج الفرس ، دائي عليها حزام ، فا صدقت ان
سكنون فيها مسا . الغد . وما هول المسافات والشواهي شي . عند هول
الرهاد والاعماق . لبنان ! نعم ذكرت لبنان . ولكنه وان فاق بوغان وشبام
علواً ، فهو يضيع في جبال اليمن واوديته المزامية الاطراف . مناخه اسكنون
غداً هناك . انك اذا وقفت في بوغان لا تصدق ان بشراً يستطيع ان يقطع
تلك المسافات في اقل من اسبوع .

وان الطير نفسه ليعثر بسنام الصخور والفن ، فلا نظن ان ما خلقه
الانسان على شكل الطير يستطيع ان يجتاز هذا الفضاء القاتمة فيه الخيال
كالجيايرة ، الكائنات رؤوسها كون العدو في السحاب . اما اذا حطت الطيارة
فوقها فهي ولا شك تضل السيل في ما يشبه تحتها امواج البحار .

من سطح اليمن في يوعان شرعنا نتقل الى قبوه في مفتح وبين الاثنين درجات لا تعد ، ووهاد لا قعر لها ولا حد ، ومنحدرات لا وليد فيها غير حضور تظلل الجادات ، وتسد فيها المنعطفات ، فيزل عندها حتى الانسان ، فكيف بالحيوان . مشينا والعين تبغي من المشهد الزيادة ، والرجل تبغي السلامة ، فكنا نضطر ان نقف لنحقق البقيتين . وكما وقفنا لاح لنا في المشهد شي . جديد جليل ، في شعب هناك او في نقيط . ان جبال اليمن كجبال سويسرة في وهادها واكبر منها في اتساعها ولكونها غير مأهولة ، وتقل فيها الاشجار والمياه .

في الطريق من صنعاء الى مناخه لم نر بمدينة واحدة . واكبر قرية شاهدنا هي الحبيبة . قرية عجيبة في وضعها ومركزها ، تراها الى اليمن في الطريق من يوعان الى سوق الخميس ، وبيننا اودية مثشبة عميقة ، وعلى كنف احداهما ارض بدكات في شكل نصف دائرة ذكرتنا بلبنان . وما اكثر ما يذكر لك في اليمن بلبنان . ارض الحبيبة كلها مزروعة وفيها العودان ، البن والقات . وفوق تلك الدكات البلدة وهي عدة اقسام ، عدة احياء . كل حي قرية بذاته ، بيوته عالية ومتصلة مازودة كبيوت المدن بعضها ببعض . وبين كل حي وحي مسافة يتظللها شعب او نقيط . اما السبب في هذا التقسيم والتباعد في قرية واحدة فهو يتصل كما اخبرت بثارات توارثها الاهالي وهم من عشائر مختلفة ، فانخذ كل قوم حياً منفرداً بعيداً عن الآخر ، وشادوا فيه بيوتهم بل حصونهم ليكونوا في مأمن من رصاص البنادق اذا شبت الحرب بينهم . انك لتراهم مع ذلك يحرقون الارض ويستثمرونها . اجل ، ليس في الطريق من صنعاء الى مناخه اخصب واجمل من بساتين الحبيبة القضة ودكاتها المستديرة الخضراء .

وصلنا عند الغروب الى سوق الخميس وهي قرية صغيرة قائمة في وسط المنحدر بين يوعان ومفتح ، فتحته الوهاد وفوقها الجبال ، وفيها مركز للسلك

الذي يصل متأخرة بصنفاً . استقبلتنا العامل ورجاله فأتزلونا في دار الحكومة ، واستأذنونا بعد العشاء . بأن يعقدوا عندنا جلسة القات ، فقبلناهم مصكروهم ضيوفاً ، لاننا في مرحلة استمرت احدى عشرة ساعة وفي اواخر طوق اليمن التي اجتازناها كنا قد اشرفنا من شدة التعب على الهلاك . جازوا برزم القات وبلداعات ، فاقفلوا النوافذ ، وتزعوا عن رؤوسهم العمامات ، وطفقوا يدخنون « ويخزنون » دون انقطاع حتى امست القاعة بعد نصف ساعة مثل مخفق الفيلالج . خرجت الى القلاء لانهجو من الاختناق ولما عدت القيت القطططين ، زاده الله قوة وعافية ، يفكه الجلوس باخبار الطيارات . وقد تأسف عندما نهضوا بعد نصف الليل يودعون ليستأنفوا الجلسة في غرفة اخرى . فتجنا النوافذ لنظهر البيت ، وما كدنا ننام حتى استيقنا على صوت الطبل طبل السمور قنا ، و « لا حول ولا » على الالسة نشد المرحيل . فاستأنفنا السير في نور القصر الضليل ، نازلين من جبل الى جبل ، ومن واد الى واد - نازلين الى جميع اليمن ، الى القمر الذي لا قعر دونه في تلك الارض ، الى مفجع وما مفجع غير اسم لشعب ضيق مدغم شاهداً فيه لأول مرة الرياح وهو سعدان كبير وشاهدنا من الطير ما يشبه المدهد ، ومن النباتات الشوكية وانواع الصبير ما لا نعرف له امماً غير الصبير وصبر ايوب .

من سطح اليمن في يوعان الى قبوه في مفجع مسيرة ست ساعات ، فيها منتهى الوحشة والوعورة . ثم من مفجع عدنا الى التصيد ، ثم الغزول مراراً ، فررنا بجمالية تدعى العيجر استقبلتنا فيها امرأة ذات وجه بشوش فتك الجدرمي بحاسنه ، فلم يبق على غير الشكل والعيون . سقت « القراش » بقربة ملائها من البذر بيدها ، وسكنت في عملها وحديثها سامرية بلاد الزيد . قد شاهدنا غيرها من اخواتها لايسات السراويل المعقودة فوق الخلخال يشتغلن في الحقول ، واكثرهن يحملن في وجوههن نبأ حسن ذهب فريسة الجهل والوباء . وكان الناس هناك الفوا هذا التشويه فلا ينفرون منه ولا يخزنون .

وصلنا بعد الظهر الى سفح جبل حراز فجلسنا هناك في مقهى تحت خيمة من العرف لتسريح قبل تصعيدنا الاخير الى مناخة ، ففككتنا احد الرفاق بقصة السلطان بعض انعاب الطريق . كان الحديث في النساء والحديث رجل خفيف الظل ، حسن النكتة ، رافقنا من منته ورجلين آخرين احدهما شيخ شائب والاخر جمال خطاب . قدم لي الحديث تزييش المدامة قائلا : لا يسهم الجدي ما دام الفقيه نجير . لهذا الرجل - اشار الى الشيخ الذي كان نائما - امرأة مثل من رأيت وجه حسن ولسان حلو . وله فتاة استتبت الام ان تطها القرامه فاستحضرت الفقيه الى البيت . فقرأت المسكينة اسبوعاً فقط ثم - وضرب كفه الايمن على قبضة اليسرى - وقعة في الشرك . طلبها الفقيه من امها فأبته فافترغ البندق في بطنها . ورأس الامام ا فقلت : قتل الام ؟ فاجاب : قتل الفتاة ! وهؤلاء الذين في السجن بصنعاء . وهذا الشائب - مسكين يجب ان يحمل كنفه معه في السفر - هو زوج الام وابو الفتاة . راح يطلب من الامام دم الفقيه واهل الفقيه يشتهون دفع الدية .

- وهل تقبل الدية ؟

فاجاب وعينه تغمر وتلمز : اذا كان الفقيه علم الام كذلك فلا خوف على حياته . تقبل الام الدية . ورأس الامام ، وتسترجه لتكمل القرامه : وما قولك وهذا زوجها ، وهي كمن رأيت ، الا تظنها تقبل ؟

- واذا ابت ؟

- المأمور يا افندي يوكي برطل زيب .

فهز الجمال رأسه اثباتاً وقال : في ايام الدولة كنا نرشهم بالظلط . الترك يأكلون الزيب .

فقال القصاص : خير الجود الموجود . كانت الظلط في تلك الايام مثل الزيب اليوم . وكان يحملها الترك من مناخة الى بوغان ثم الى صنعاء . في

مركب عظيم . انا مشيت مرة فيه ونجوت والحمد لله . مركب عظيم يا افندي .
هذا الضابط حامل الظلط ، وهذا الجيش قدامه ووراءه والى يمينه ويساره ،
وهو في الوسط مثل العروس يحرسها القان من النظام ^(١) . وهناك وراء يوعان
الثاترون يكسبون للترك فيسلبون الظلط ويدبحون النظام .

فهز الجمل رأسه اثباتاً وقال : وحككت انا اشتغل للترك ، انقل لهم
الخطب . مجيدين اجرة الجمل . وكان ابي واخي وعمي يجاريونهم هناك ،
عند يوعان . كنا كلنا نأخذ الظلط من الترك .

رحمة الله عليهم . ما افادتهم المدافع والحصون وطرق العربات . ولا
نظن ان عسكرياً من عساكر الدول الفاتحة في الماضي او في الحاضر يقوى
على حصون الطبيعة واهل الحصون في هذه الجبال .

بعد ان سعدنا في تقيل مناخة واستويننا الى رأسه نظرنا الى المسافات
الهائلة التي قطعناها فكان طيف يوعان وغيبة النبي شعيب في الافاق البعيدة
شرقاً وشمالاً يشبان ما نقول . انك اذا قطعت تلك المسافات راسكياً ، خفيف
التياب ، لأسير هزلها ووحشتها ، فكيف بك اذا كنت جندياً تحمل عشرة
ارحال على ظهرك ، وقنطاراً من الهم في صدرك ؟ اجل ، ان اليمن ضريح
الدولة ، ولا يزال اهل اليمن يترحلون عليها .

الفصل الثاني

الى الحدود

مناخة - الحصن الحصين - عامل لا يحسن غير الواجب عليه - لا يفلح العرب
الا اذا بددوا عن بلاد العرب - المشهد من سطح البيت - مناخة واب - الفرق
بين العاملين - قرية الهجرة - جبل وسل - العترة الاسماعيلية والفرق الباطنية
- الداودية - مقهاية وسل - خفيش النور - القراء في لندن وتيولوك -
نواعد الصحة والطب الخرافية - السعدين ترمينا بالحجارة - قاء صفان - الجفود
- النعيم حمود - « على الرأس امر السيد وعلى العين امر الاعامر » - شبيخة
الحبيطة - « كلنا نشتقي السامر » - الصبية من الله - وله شريكان في اليمن .

ان مناخة قائمة على قنة جبل حراز التي تشبه صهوة الفرس . وهي قنان
قسم في الصهوة ، وقسم خارجها على ربوة في الجهة الشمالية . ولكنها في الحالين
حصينة منيعة . فهي في علوها ، ٥٠٠ قدم فوق صنعاء . وليف عن ثمانية الاف
قدم فوق البحر ، مسرح للغيوم وموطي . للنسور والعقبان . وقد كانت
بالاس موطي . قدم الدولة في الدين الاعلى ومركز جندھا الاعلى . فيها ثكنة ،
هي في مقدم الصهوة عند ستامها ، ثكنة كبيرة لا نسبة بينها وبين البلدة
الصغيرة الحديثة البناء ، التي لا يتجاوز عمرها خمسين سنة ، ولا يربو سكانها
على خمسة الاف منهم الفان يحملون البنادق .

وفي مناخة اليوم مركز قضا . حراز ، ودائرة للسلك والبريد ، ومفرزة
من الجنود . وهي محطة للتجارة بين الحديدة وصنعاء . اما الحصون فلا حاجة
اليها ، لانك اذا وقفت على سطح من سطوح البلد تشرف من الجهات الاربع
على المائل البعيد القور من الاودية والوهاد والشعاب . لا اظن ان عسكرياً
من عساكر العالم يستطيع الاستيلاء عليها من الغرب ، قادماً من الحديدة ،
او من الشرق ، قادماً من صنعاء ، الا اذا نفذت الذخيرة فيها . وعندئذ
يتخذ المحاصرون سلاحاً آخر من الحجارة يقذفون بها على العدو ، فتغل ما لا

تفعل البنادق كما تيقن الترك في شهره . لا عجب اذا كانت الرهائن ، وقد عرفنا شيئاً من طباع اهل اليمن ، اساس حكم الامام وحصنه الحصين الاحصن . اذ لو اعلن عامل حراز استقلاله مثلاً ، او الى ان يرسل اموال الزكاة ، او تصرف بقسم منها ، هو وجنوده في هذا الحصن الطبيعي الحصين ، فلا اظن ان امام صنعاء . يستطيع تأديبه والتسكيل به بغير ما عنده رهينة من حلم ذاك العامل ودمه .

أتولنا في بيت كبير هندسته اوروية بناه احد ولاة الترك . ووكل امرئنا الى خادم عنده بخدمة المتعلمين بعض العلم والدق ، اقتبسها ولا شك من سادته السابقين ، فاقنا يوماً هناك نستريح تما كابدناه من المشقات في مرحلتين لا مثيل لها في رحلتنا اليازية .

زرت العامل الشيخ علي الاكوع ايلاً في مجلسه فالتقطني وهو في قبض النوم وامرني بتداعة ورزمة من القات . واجتمعت عنده بعض الملأ . وفيهم سيد معجب بعزب الاندلس وباعد ادبائها الشهيدين ابن زيدون صاحب الوزارتين . أعجبنى حديث الرجل ، وما قاله : لا يفتح العرب الا اذا بعدوا عن بلاد العرب .

تفضل حضرة العامل فأرسل مع نقيب علماء يوصلنا مكتبته بيدي الى قائد الجيوش الادريسية في باجل . وكان قد اعلم بذلك ولي الامر في الحدود ، وأعد لنا اكياس البن التي اسريها الامام - هدية امامية . ولم يبلغ الشيخ الاكوع علينا بالاقامة مثل سواه . ولا تحرك خارج بيته او ديوانه ليقوم بغير ما وجب عليه من الاكرام كعامل الامام ، لا . لم يكلف نفسه زيارتنا ، ولا تذرع برمضان او اعتذر . أعجبنى الرجل في سلوكه الفريد في باب . هو حرشاة الطباع لا يعمل غير الواجب عليه ، بل يعمل بما يأمر الامام عملاً تاماً لا نقص فيه ولا زيادة .

اقتنا يوماً في مناخه نمتع بمناخها ونستريح . صعدنا الى السطح قبل ان
 احاطت بها الغيوم فكان ادھش ما شاهدناه قريباً منا صخرة قائمة كسلة فرعون
 وراء الفشلات ، وحولها بعض البيوت من لونها ، تدور اليها جادة ضيقة زلا .
 نتصل الى قرية وراء الصخرة تدعى كاهل . ودونها على مسافة منها قرية
 الحجرة المنصبة بقنة اخرى من جبل حراز . ثم سرحنا النظر بالافاق البعيدة
 من حراز فاذا بوادي مرسية منبسطة امامنا شحلاً بغرب ودونها جبال جفاف
 وقلعان ، وبالأودية الشرقية التي اجترناها امس ودونها النبي شيب وتحت
 بوعان . وهناك قن عديدة شيد فوقها ابن اليمن حصونه . فهو من هذا
 القبيل النحلي ينسب بئته بقاء على الصخرة . وقد الفينا في هذه الجهة القريبة
 اكبر همة واكثر نشاطاً من سواه في النواحي الاخرى . دليل ذلك الارض
 المحروثة والدكات والمخدرات الخضراء .

سررنا بيومنا في مناخه سرورنا بيوم في اب ، فحملنا ذلك ، ونحن
 شاكرون في الحالين ، على المقابلة بين العاملين . ان عامل مناخه عربي ذو
 فضل ، وعامل اب عربي ذو فضل وفوافل . هذا حال التماثل دمت الاخلاق ،
 وذلك على شي . من طباع البدو الذين لا يثبتك منهم لا الكلام ولا السكوت .
 لم يفاخرنا الشيخ الاكوع بحكم الامام ، ولا تبجح مثل امراء الجيش وبعض
 السادة في مأوية وفمار . انها لمن حسنة التي تسر ولاسيا من كان مثلنا قادماً
 من تلك النواحي الشرقية .

في صباح اليوم الثاني جأنا من قبله عدد من المساكين ، ضعف ما صحبنا
 من صعاء ، ليرافقونا الى حدود الامام . فاستأنفنا باسم الله السير وشرعنا
 نزل ثانية من سطح اليمن ، من اعلى سطوحه ، الى اوطأ ارض فيه ، الى
 وادي حجام في سفح جبل ورسل . وهي اوطأ من وادي مفتح وبينها وبيننا
 عقبات صخوريات ، فيها التزول اصعب جداً من التصعيد . اما ورسل فيينا

وبينه جبال وقرى نمدد منها ولا نعددها . هذا جبل الطويلة وهو خط طول
مستقيم على الافق الشمالي يتصل ظله شرقاً بالحيه . وهذه قنة شبام التي تظلل
مناخة بعد الظهر وهي اعلى قنة اليمن على الاطلاق . وهناك عندما تخرج من
ظل شبام يتراءى لنا مجاه مغرب الشمس جبل ريمه واعلى قنة فيه براع . وهذه
على احدى قن مسار قرية تشاركه في الاسم وبينها وبين شبام الهجرة .
تلك القرية العجيبة الرائعة ، المزدخمة بيوتها في ورم برأس الجبل ، المتركة
بعضها فوق بعض كأنها في لزها وشكلها وبناها قطعة شاهقة من مدينة
نيويورك .

عندما نجتاز الهجرة نطل على وادي ونسل ، وهضابها كالدريج تحتنا ،
واحدة تلو الاخرى ، كلها زاعية بانواع النبات والزهر ، خصبة غضة . وقد
امتاز بين مزارعها شجر البن الذي يزرعه اليابانيون في الدكاك ، في اماكن
تظللها الصغور والهضاب ، اي في الشحاب والمنحدرات التي لا يصل اليها نور
نصف يوم ، كل ما تحتاج اليد ، من الشمس .

انك لتعجب من تلك البيوت بل الحصون القاعة فوق الصخور كأنها جزء
منها ، في اماكن يكاد يستحيل على الانسان والحيوان الوصول اليها .

وما مررنا به حصن هو قرية بنفسه . بل القرية هي حصن تعصم به
فرقة من الباطنية الذين ابادهم الزيود بالسيف كما اخبرنا السيد محمد . ولكن
الابادة لم تكن على ما يظهر قامة فاقام من نجاة منهم في هذا الحصن الذي
يدعى العتارة وفي ضواحيه .

انهم فرع من فروع الاسماعيلية^(١) العديدة بدعى الداودية ورئيسهم

(١) الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر اخو زيد امام
الزيود . من فرقها المهمة الترابية وهم ينتسبون الى المنز الناطقي بقبسبون في بني
بلخند وعندما نحو مشي اليهم اكثروا تجار ذوو يسار ، وامامهم الاكبر اغا خان .

داوودي مكرمي بلدي اي انه داوودي المذهب ، مكرمي النسب بلدي الاصل . والداوودية اشداء حاربوا الاثراك ثم حاربوا الامام واستعانوا بالاثراك عليه . وهو اليوم يعاملهم في بلاده كما يعامل اليهود ، فيأخذ منهم الزكاة ويسميها الجزية او انه يفرض عليهم الجزية ويسميها الزكاة على انهم لا يدفعون باية حال الاكرها ، لان في مذهبهم لا يجوز ان يدفعوا الزكاة الى احد من ائمة او من امراء المسلمين .

نودع الداوودية في القارة ولا تزال وجهتنا مغرب الشمس ، فنطلى على اللسكنة ، قرية من قرى جبل مسار الذي يمتد شمالاً بغرب ، وتحتها العريف ووراءها جبل صفان وفيه حصن مشوح . اما ورائنا فقعة شبام لا تزال تالوح فوق كل الجبال ، تراقنا اربع ساعات الى ان نقرب من وسل .

وما وسل غير ميتين ومقهاية وبستان من القات . وهالك امرأة اخرى تبادر الى استقبائنا وخدمتنا . بدأنا نشعر بمدح ورجاء من صنعاء بوجود النساء في العالم ، النساء العاملات مثل الرجال . سقت المرأة « القرائن » وشربنا نحن والعساكر قهوة القشر ، « نقشرنا »^(١) وادركتنا هاهنا لروم الفتيان احاطوا

ومنها السليانية في اليمن ويسون ايضا المكازمة . ثم اسلة من عمران ، من قبيلة يام الكبيرة ، عديم هناك لا يتجاوز عشرة الاف وداعهم علي بن عثمان المقيم في بندر موالى الادريسي . في الهند من السليانية نحو الف اكثرهم متوظفون في الحكومة . ومن الاساجيلية الداوودية وهم من بني مرة اي مرة اليمن لا غنى يقعون في حلف والمدينة ويدت القبة وفي جبلي حراز ومندان . ويسون كذلك البهرة . عديم في اليمن لا يتجاوز عشرة الاف . ولكن البهرة في الهند مثل الترابية كثيرون ، يربو عددهم على الثلاثة الف ، اكثرهم من التجار ذوي البسار وداعهم اليوم طاهر بن محمد سيف المقيم في سودة . كل هذه الطوائف اساجيلية سكتا قلت لاحقا نقسب على اساجيل بن جعفر السادق ، وكالها باطنية لاحقا نطعن بعض اسرار الدين ولا نعلم ماها عامة الناس غير اليسير .

(١) نقشرنا على وزن نقورنا

التي يحمله السادة مع كيس النوم في اسفارهم اما الكيس ، اذا كان المسافر يضطر ان ينام في مثل هذه المقاهية ، فهو الزم ما يلزم . هو كثير الاستعمال في اليس خصوصاً في الجيش . الا انهم لا يوطونه حول العنق كما قد تظن ، ايها القارى ، بل فوق الرأس . ثم يجعلونه كبيراً لهذه الغاية فيمكن صاحبه وهو فيه من راحة وعقده بيده داخلًا فيسي اذ ذاك كله ، هو ورأسه ، في الكيس ، فيستشق ما دام نائمًا كل ما يتغصه من حامض الكربون ولا يختنق . ولا ينهض عباهاً ووجهه كالترغيف المحروق ، كأنه اكل نارا في نومه .

وهم فوق ذلك يقولون النوافذ كلها قبل ان يخلوا الكيس . فما قول ساداتنا الاطباء الذين يهددون بالموت اذا اقلنا النوافذ عند النوم . هل جربوا حامض الكربون في انفسهم ؟ او ليس من الحكمة اذا اضطر عدة اناس ان يناموا في غرفة واحدة صغيرة ان يعتدل كل من الاخر بهذه الطريقة ، ان يجبر كل على نفسه في الكيس ؟ اليس خيره ان يأكل هواه - حامض كربونه - من ان يأكل هواه غيره ؟

ان في احياء الفقراء بالمدن العظيمة كاللندن ونيويورك ، حيث تنام العائلة الواحدة في غرفة صغيرة مظلمة فاسدة الهواء ، كثيرين ممن يحسبون الكيس نعمة لو علموا به . فهو والحق يقال احسن دواء للقدارة ، ما لازمت القدارة الفقر والشقاء ، وما دام الاغنياء المالكون تلك البيوت اخذوا الحكومة التي لا توجب عليهم التحسين فيها . ادخل رأسك في الكيس ايها الفقير العزيز ، انت الساكن في الطرف الشرقي بلندن او في الحي الشرقي بنيويورك ، ادخل رأسك في الكيس تنج ايلاً في الاقل من انفس عيالك ومن اقدار بيتك .

اما الكيس الاعظم فهو هذا الفضاء . ولعمري ان من كان هواه الجبل ارثه لا يلقي رأسه تحت سقف ساعة واحدة . الا ان الياباني خصوصاً والعربي هوماً يخاف هواه المبل ويتأثر من البرد اكثر من سواه . فكان شدة الحر

تضعف الدم أو تغير في تركيبه فتتقوى السكريات الحمر، فيه فيأثر إذا ذلك البرد في حاجبه تأثيراً مضرًا. والذي يتقاون من الاقاليم الباردة ويقسبون زمناً في اقليم حار يسرون مثل اهل .

هذا الرقيب قسطنطين وهو مثلي من الشمال ، الا انه اقام بضع سنين في جند فصار يخشى الهواء في الليل كأنه سم زعاف . ولم تناقشنا في الموضوع وكنت في حبيتي وفي غيظي امي ، اليه افلح يسكننا وعدنا الى اجسامنا ، الى صحتنا تشكلم عنا ، لكنت ولا ريب مغلوباً . لان فيه من العافية ، وهو الذي يغفل النواخذ كلها ، ما لو وزع على خمسة مثلي ، انا الذي لا استطيع ان اقام دون ان افتح النواخذ كلها ، لأهلهم كلهم للجندية . وهذا مع صحة اهل اليمن اجمالاً ما حملي على الشك في بعض قواعد الصحة التي اصبحت في القرب ايات مزلت . وهي لا تخلو من الحرافات . ليس الهواء الطلق وفوائده موضوع بحثنا الآن . الا اني اقول ، قبل ان نترك مقايمة وسل وبستان القات ، قد تكون الرقة في الهواء المقعم بالاكسجين كالاسفنجية اذا امتلأت ماء . والاكتفاء حد الافادة في كل شيء . .

اما وقد اكتفيتنا من هواء الجبال زاداً فصرفنا نتوق الى هواء فيه رائحة الملح ، الى هواء البحر ، وهو لا يزال بعيداً . لولا ذلك لما كان اخر في وادي وجام شديد الرطوبة خصوصاً على من سكناوا يرتمشون في ظل شجاء منذ ست ساعات . جالسنا للقداء عند بقرة قدعية تحت شجرة من الأتوب وهي اصكوب اشجار اليمن ، فسمعنا اصوات السعادين في الخرج فوقنا واطلقنا عليهم الرصاص ، فبادلونا الاكترام ورجونا . نعم رجونا بالحجارة ، فكانت اشد علينا من الرصاص عليهم ، فارتحلنا من ذلك المكان ، تقهقرنا مغلوبين ولكن سالمين .

عبرنا الوادي ووصلنا بعد ساعتين الى حدود الامام في قاع صفان وهناك محطة التجارة بين تهامة واليمن . هناك ضابط الاتصال بين بلاد السيد وبلاد

الزيد ، بين السيد الادريسي والامام يحيى . هناك في تلك البيوت والحجج
مركز الشيخ حمزه ، حيث ينبغي ان نصرف عساكرنا لانهم غير مأذونين
باجتياز الحدود ، وفستصحب حراساً من رجاله .

ترجلنا خارج الحيام ومشينا الى بيت حفير بينها ، فاستقبلنا عند الباب
رجل صغير الجثة ، براق العين ، عريض الصوت ، ليس عليه من الثياب غير
القبوطة يقر بها والعمامة . فسألته عن الشيخ حمزه فاجاب : ها هو كله ، وقبل
ان دعانا الى الجالوس سلم وقال : قد تحيرتم - اي تأخرتم - نحن هنا وعساكر
السيد في ببال بانتظاركم منذ ايام . لكم الان الخيار في امرين تبتون عندنا
او تكسبون الى ببال . كل شيء حاضر هنا وهناك . من هو امين الويكاني
فيكم ؟ فاجبته كما اجاب سؤالي عنه : ها هو كله . فلم يضحك ، ولا غير
لهجته - نحن يا امين تحت امر من وهانا بكم . نحن قد امكم ووراءكم .
على الراس امر السيد وعلى الامين امر الامام . راحتكم علينا وسلامتكم
مطلوبة من الله ومنا . فاذا انتهيتم السفر الان كان السفر . واذا انتهيتم
الاقامة فاعلوا وسهلاً .

ادھتبا هذا العربي فاجبتنا . استقبلنا بقلب عار مثل جسمه ، فكان
صريحاً مليحاً . وكان شريفاً اكثر منه لطيفاً . فوددنا المبيت عنده لولا اننا
خفنا ان نشغل عليه . ولما اظناه بنا اختراقاً من الامرين اسفين قال : خذوا
القهوة اذن وامشوا اتصلوا قبل الغروب . فدخلنا البيت وجلسنا لاول مرة في
اليسن على مجالس مصنوعة من الجبال ، تستخدم كذلك للنوم ، كالمقريب
السرداني .

الشيخ حمزه تاجر كبير يسير القوافل بين تهامة واليمن الاعلى فتحصل
جماله وجمه الغاز والاقشة الى مناخه وتعود منها حاملة البن والجلود . وهو
كذلك الوكيل السياسي بين البلدين المتحاربين ومتدوب الامامين . رجل

السلم والتجارة والامن الشيخ حمزة . عنده لكل شيء حساب . وعنده حجر ورق وكاتب هو ابنه الذي . عندما صرفنا عساكرنا طالب كبيرهم كلمة من الشيخ الى العامل في مناخه يعلمه بوصولنا ، فراح الى الراوية في البيت حيث يجلس ابنه على صندوق من صناديق الغاز الى صندوق آخر هو المنضدة ، وامره ان يأخذ الورق ويكتب . فأخذ الكاتب طلحة وقسمها حسين ، فأشار الاب ان اقسها ثانياً ، ففعل . ثم تأكد ففعل حتى اصبح بيده ثمن منها فقال : اكتب الآن .

من حمزة خادم الامام اطال الله بعمره الى عامل مناخه حضرة الشيخ علي الاكوع . سلام . الجماعة وصلوا بخير وسواهم بخير الى جبال حمزة

أخذ الرسالة فلفها لفافة ودفعها الى العسكري ثم خاطبني قائلاً : هذا يقرأ ويكتب . هو فقيه . وابنتهم الشيخ فكانت اول ابتسامة أبرقت علينا من وجهه القاتم العروس . ثم ركب معنا وشيعنا الى خارج حدوده بإتسامة اخرى .

سكننا نفيس الاخطار في الطريق بعدد الحرس . من صنعاء الى مناخه اثنان فقط . ومن مناخه الى الشيخ حمزة اربعة . وها نحن نسير في مركب من رجال الشيخ راعنا عدده . فلم لم يكن الخطر قد ازداد لنا كان هذا الاعرابي ، وقد اطلعت على شيء من اقتصاده واختصاره في العمل ، يصحبنا بشجرة من رجاله ، ويوكل امرهم وامرنا الى شيخ الحبيطة بنفسه - شيخ الحبيطة العظيم في الامس . هو رجل صغير يابس مصغر الاديم ، ذو حلية محتاة ، وشارب مقضوب ، وعين غائرة . ركب حماره ، وبندقيته بين يديه مطروحة على السرج قدامه ، وسار معتزلاً الجنود العراة ، بعيداً كذلك عنا ، غير مكترث بنا .

دعا مني احد المكارمين وقال : هذا شيخ الحبيطة او كهن . وكان في

ذلك الحين اكبر قطاع الطرق في هذه النواحي . تحت امره مئة بندق ،
يقفون القوافل ويسلبونها ويأتون بالغنيمة اليه . من منا في اليمن وفي تهامة
كان نجراً ان يمر بهذه البلاد في ايام الدولة ؟ قلت : وهل كان يقطع الطريق
يوم كان شيخ الحبيلة ؟ فاجاب بالاجاب ثم قال : كان يأخذ من الترك ويأخذ
من العرب . كانوا يخافونه ولا احد يعترضه بشي .

سيحان الله اهر الان رسول الامن والسلام بين القطرين ، وصديق
الشيخ حمزه الذي يحسن ولا شك اختيار رجاله واصدقائه لقاصده التجارية
والسلمية المفيدة . اجتذبتني خبر الرجل اليه . فسقت بغلي نحو حمارة ، وسلمت
فرد السلام . ثم سألت لافتح الحديث سؤالاً اجابني عليه دون ان ينظر الي :
هذا قاع الحبيلة وقريباً نصل الى البلد .

كنا وقتئذ نجاز ارضاً لا سيادة فيها لا لادرسي ولا الامام ، يصح ان
تدعى بلاد الجن . ولولا تيقظ الشيخ حمزه وحزمه لما كان يأمن فيها انسان
او تسلم فيها قافلة . هي نقطة الحياد بين عبال اخر حدود السيد وبين مضارب
الشيخ حمزه ، آخر حدود الامام . اما المسافة بينها فلا تتجاوز العشرة الاميال ،
في وسطها الحبيلة ، وهي اليوم اثر من آثار الحرب المفجعة . شريط التلغراف
فيها مقطوع ، والعمد مكسرة ، وما تبقى من مظاهر الحكم التركي - مناضد
وكواسي ودواوين - رأيناها مبعثرة تحت سقوف متهدمة . اما اهل البلد
فلا يزالون مشتتين في تهامة وفي الجبال . لا عجب اذا كان العرب يفضلون
الحيام وبيوت القش على الحجارة والخشب . قد هيج هذا المشهد في الاشجان
واثار في الشيخ كلامن الغضب . وكنت لا ازال اترجعه الى الحديث فقال :
- ما الادرسي وما الامام ؟ عندهم كل شي . ما عدا الاخطار والفقر .

وعندهم السادة يستمعون لهم ويستشيرونهم . بعيد عن الحوب ، قريب
من السادة ، هذه بلية السيد وبلية الامام . وكان الله ينفرد ذنوبهم لو بعدوا

عن السادة وحاضروا المصعة مع الجيوش . عندئذ تنتهي الحرب كلنا والله نشتعي السلم . ولكن اين رجل السلم ؟ اين هو الرجل الذي يستطيع ان يصلح بين السيد وبين الامام . لا في عسير ولا في اليمن موجود . لا يتم الصلح الا بواسطة احد الكبار يجي . من وراء البحار . . . ثم تنهد وقال : مصيبتنا من الله . فقلت : من الله وحده ؟ ألا دخل الانسان فيها ؟ فقال مستحسناً سوالي : تلثها من الله . ولكنه لم يشأ مواصلة الحديث فساق حمارة ، فليقت به وسألته عن الثلثين الآخرين . فاجاب وهو يستحث حمارة ليمد عني : وثلاث من السادة . فسقت بغايي اليه وسألته معتذراً ان يعلمني بثلاث المصيبة الثالث . فاقف الرجل حمارة ونظر الي وقال : الثلث الاخير ، لا والله بل الاول ، هو منكم .

ظنني الشيخ معتمد الانكليز ، ولكنه لم يخطي . برأيه في قضية اليمن وعسير . انه اقرب رأي الى الصواب سمعته . وهو ينطبق على العرب كلهم وما يكابدون من السياسة الانكليزية ومن السادة — حيث لا سادة ولا اشراف فقل العلماء — ومن التقادير .

الفصل الثالث

لـ ا. تهامة

اشكال العرب - الشبان المخطبون - الشعور الطويلة والازلي - السفور -
 الرعايب - ناراة واحدة في باريس وفي عبال - العناء والكحل والكتيب - شبيخ
 عبال يذورا - خطبة البايقة - ابنه يعطينا ريلان - طريق عدن وطريق
 الجديدة الى صنعاء - الاسراء - المقي المتكرب - التضييس - المعسن المجهول
 - ابن شبيخ عبال - عساكر الاتريخي السود - «الخوانج» والعناء - العرب
 والترك - الإرنيطلة - عمن تهامة - باجل - موقها والسارحا - مودة عربية
 بلرسية - ضيافة الشوافر - الشبيخ محمد طاهر رضوان - القحرا - الرحائن
 - عساكر الزنود - اطياف الليل - القجر - البجر .

ان العرب على الرغم من البلاء الثلاث التي تقدم ذكرها في الفصل السابق
 لبدعون مدهشون في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية . وهم على ما بينهم من
 روابط الدين والجنس واللغة يختلفون بعضهم عن بعض ظاهراً ومعنى . فلا
 يختلط الياباني باين عسيرة ولا هذا باين الحجاز . يخاطبون ولا يخاطبون . حتى
 اذا جردتهم مناسك الحج مثلاً من الثياب فالاحرام لا يساوي بين ذي القرون
 - الجدائل - وذي الشعر الطويل السبط ، وذي الشعر الكث الجعد الذي
 يشبه شعر النساء الاوروبيات في هذا الزمان .

انك لتسافر في اميركا مثلاً من طرف البلاد الشرقي الى طرفها الغربي
 فلا ترى في اختلاف العادات والتقاليد والأزياء ما يستوقف النظر او يستحق
 الذكر . بل قلما ترى اختلافاً ظاهراً او معنوياً . اما في بلاد العرب فكلما
 انتقلت من جهة فيها الى اخرى تغيرت الثياب والأزياء والعادات ، وتغيرت
 كذلك المساكن . فلو اجتمع الحجازي والتهامي واليمني والحبيشي والحضرمي
 والنجدى والعراقي لكان في اجتماعهم معرض ازياء وثياب مدهش مفيد .
 من مناخة الى جهال ! كأنك انتقلت من سويسرة الى بلاد المكسيك .

وان جمال عبال في القاع الفسيح ساعة الشفق ليضاهي جمال مناخة في رأس
الخيال ساعة الغروب . جمال ، قرية ساكنة مطمئنة بيوتها الهرمية من القش
شبهة مخيام المنود في المكسيك . وابناؤها يشبهون العرب في سائر الاقطار
بأمريين ، يتكلمون ويتطيلون ، وفي ما سوى ذلك يختلفون . فالشبان في
شعورهم الطويلة الجعدة المصففة المزينة ، هم أشبه بالبنات لولا الشوارب
والفضلات . فهم يدهنون شعورهم بالدهان ، ويدهنون بشرائط من الحرير
او الجلد ، ويزينونه بالريش او الزهر او الياحين ، ويقصونه مثل البنات اليوم
ليساوي القذال ، ولا يقصرونه كالرجال . وهم يقدرون بالقوقلة مثل اهل
الحج ، وقد تكون طويلة مائنة مخططة ، فيشدونها على الحقوين ويلبسون
فوقها صدرية بيضاء بينها وبين القوقلة زنار من القطن او الجلد للخنجر دائماً ،
وعالياً للخنجر والخرطوش . ان اول ما يدهشك من اولئك الشبان شعورهم
المزينة كشعور النساء ، وارجلهم المخضبة بالحناء .

وفي عبال نعود الى السفور ، الى اول الاسلام . في عبال تعددت المدعشات
وكان اشدها واحبها اليها النساء ، وقد وقفن في ابواب الخيام يتفرجن على
العرباء . ولا نفلن انهن كنن اشد تسجياً منا ونحن نتفرج عليهن . الحال
الاحمر فشدناه في كل مكان فالتفتنا حتى وصلنا الى تهامة . والعرايب ، ها
هن ذا في عبال . وسيدعجك منهن ما ستراه غداً في باجل . نزلنا في بيت
اخوته لنا احدى النساء بامر من الشيخ ثم جاءت نخدمنا . فسالنا مستطمين
حالتها ، فقيل لنا انها مريضة ، مطلقة ، وقكره الرجال . اي نعم تككره
الرجال . فهل تختلف المرأة يا ترى في عبال عن اختها في عواصم التمدن والجمال ؟
اجتمع في الباب وخارجه الاولاد والرجال متفرجين مذهوشين . فباعت
العساكر تبدهم لتفتح الطريق لشيخ القرية الذي يادر الى زيارتنا . وهو رجل
طويل القامة ، مهيب الطلعة ، فخم اللباس ، متطيب متكحل حاقب ، الا ان

رجليه الخضبتين تعلمان بالحناء . دخل يحمل بيده السيف وبالأخرى انصافاً من الحلق قدمها لنا وهو يسلم ويتأهل بنا . عناناً بوصولنا الى بلاد السيد سالمين ، ثم قال مستندراً : لا يمكننا ونحن في رمضان ان نقوم بما يوجب علينا الشرف والناموس . انتم الآن في بيتكم وان كان لا يليق بكم . ولكنكم ستنامون والبال مطمئن . عندنا سلام وامان . ولكننا نرجو ان لا تحكموا علينا بما يظهر . نحن نفتخر والله بضيوفنا ونود ان نقرهم في بيوت من الرخام والمرمر . فاجهونا وانتم اهل الفضل من الدين واللسان .

بعد هذه الخطبة استأذن الشيخ وودع ولم يسعد برؤيته مرة اخرى لان سفرنا من عبال كان ليلاً . ولكننا ارسل الينا ابنه قائد الجيش فاجمعنا خطبة شبيهة بخطبة ابيه واعطانا ريتين قائلاً : رمضان يسود الوجه . انتم ضيوفنا استروا ما تشتهون . فقبلنا المال منه شاكرين لان رفضه رفض الضيافة واكبر الاهانات . وشرينا اللين الرائب تلك الليلة في ضوء النجوم ، فما رأيناه في غير كأس من اللجين ، وما رأينا فيه غير اللين الرائب . ولكننا ، على شدة شوقنا اليه ، لم نسر به سرورنا بلطف هؤلاء العرب وسداجتهم الطيبة . ان اهل عبال من عرب المسارحة المشهورين في تهامة بشدة بأسهم ومحاربتهم الاتراك في مواقع متعددة .

فما تلك الليلة على ما يشبه العنقريب من الاسرة ، فحت بماء تهامة الصافية الحارة ، فما احتجنا فراشاً غير جبل مشبوك ولا غطاء غير شبك النجوم . ان التعب في النهار مصدر النعم في الليل . فما كان في مراحلنا اليازية العديدة اطول من هذه الثلاث الاخيرة واوخر^(١) لان الطريق من عدن الى

(١) ذكرنا في المرحلة الاولى احدى عشرة ساعة ، وفي الثانية عشر ساعات ، وفي الثالثة من مناخة الى وصل اربع ساعات ونصف ، ومن وصل الى الشيخ حمزه ثلاث ساعات ونصف ، ومن الشيخ حمزه الى عبال ثلاث ساعات ، اي احدى عشرة ساعة كالمرحلة الاولى .

صنعا. وان كانت اطول فهي اسهل من طريق الحديدية. هذه تشبه من حدود الامام اليوم درجاً طويلاً عالي الدرجات لا انقطاع فيه وتلك تشبه درجاً منبسطة عريض الدرجات تتخللها سهول تريحك من التصعيد الدائم. وبكلمة هندسية: اذا مددت خطين واحداً من عدد وآخر من عبال الى صنعا تكون زاوية الاول حادة، وزاوية الثاني مستقيمة. والفرق بين الراويتين لا يقل عن الثلاثين درجة.

اسرنا في الساعة الثانية بعد نصف الليل وكان قر رمضان كنجل من فضة فوق قنة شبام. وكان قد نبض الهواء. كذلك فانعش فينا ما خدره الحر وازال ما تبقى في الاجقان من اثر النعاس. بيد انه لم يحرك في احده من الريمع اللسان، الا واحداً كانت عقيرته تذكرنا بمصر والشام في ما رددت من الاغاني القديمة، وقد ابحرت انعامها، ثم اتهمت، ثم المجدت، فافسدتا الاسفار، واكسبتا المسافات على ردايتها ذكراً من الاوطان عزيزاً. ولكنهما لم تكن عندي ساعة غناء، بل ساعة تأمل وصلاة.

ياذا الجلال الازلي الخفي بشيء من جلالك، ياذا النور الدائم امددني بقبس من نورك، ياذا القوة غير المتناهية ابعث منها في قواي.

فهل من حاجة ان اصف ما حل بي، وهذه حالتي الروحية، من مجرد الصدى بعد السكوت «يا راحة عالشام خذيني معاك» ٩. ما عرفت صاحب الصوت حتى رلى، لاننا لولا وطء الدواب كنا كالأخيلة الساكنة الساوية في الليل، فلم تباين في نور القمر الضئيل الوجوه. ولكنني سألت عند الفجر عن المظني فقيل لي انه راققنا ساعة اكراماً وعاد الى عبال. وشد ما كانت دهشتي واسفني عندما علمت انه الرجل الذي كسبني ^(١) مساء البارح فصرخ

(١) من المادرات المسيدة في تمامة والحجاز التكريس، هو علم عامم على ما اعلن من الهند. فيكسبون المرء من رأسه حتى قدعه. ويكون الاصاب دليلاً، ويفركون العضلات ويسدون بها بشفة غيباء. ان المائر في تلك البلاد لا يتأنس في آخر خار البشر بشي استثناءه بالتكريس. وحتى الصغار هناك يحنون هذا العلم.

الدم في العروق وأزال من المفاصل التيب ومن الأعصاب الالوجاع . ثم نهض
 وإيانا ورافقتنا أكراماً دون أن ينن وشاء فوق ذلك أن يسلينا بإغاني بلادنا .
 فيا أيها المحسن المجهول ، يا أيها العربي الكريم ، ما اخترت لأكرام
 الضيف أحسن من يد مرنة تسكن الآلام ، ومن صوت مرن ، معها شذ
 والتوى ، يذكر القريب بالوطن . وما كان أشبهك عندنا بمكرمة الفياض ،
 فلم نعرفك مؤاسياً منماً ، ولم نعرفك مشيعاً مكراً . جئتنا من النسق ،
 والعشنتنا في الليل ، وشيعتنا في ضرة القمر ، واختفيت دون أن تبوح بأهلك
 كالطيف في الظلام . ومها كان اسمك وإينا كنت فانت آخر الانسان ،
 وأمر الذوق والاحسان .

كشفت الفجر عن الوجوه فرأينا في الربيع بدل شيخ الحبيبة ابن شيخ
 عبال ، وبدل رجال الشيخ حمزة عساكر السيد ابن ادريس . وعم من العبيد
 صبيحو الأجسام ، خفيفو الأقدام ، قليلو الكلام . لا يختلف الواحد عن
 الآخر ، وكلهم سود ، بغير لون السواد . فهذا كقهوة البن ، وذلك
 كالشكولات ، والآخر كلابنوس المصقول . سألت « الابنومي » وهو يركض
 ويشير بحافريه الغبار : هل انت دنقلي او سوداني ؟ فأجاب : أي طلع من
 البحر وأنا ولدت في البر ، في هذا البر . لا اعرف غير ذلك . والمؤكد يا افندي
 اني اسود . قال ذلك وراح يضحك ويهز عطفه .

بعد ان اجترنا قاع عبال وصلنا الى الساعة الاولى من النهار الى الجحاح
 وهي قرية فيها مقهىة رجة نظيفة ، فدخلنا وكنا اول الزائرين ، فخرجت
 من البيت عربية حسنة ، مشوقة القوام ، في جلباب انيق الشكل فوق دثار
 ازرق طويل الذيل . كأنها من بنات المدن وقد تدثرت عند نهوضها فوق
 قميص النوم . هشت لنا وبشت واسرعت في عمل القهوة التي لا تزال حتى في
 نهاية من القشر الا انهم يضيغون اليها بعض الاباذير كالزنجبيل والحال - كثير

من الابدان - يسونها حوائج . وكان حسن العربية يتجاوز قوامها ووجهها الى الذوق والحلق ، فسألت وهي تشب النار : تبغونها بحوائج . فاجاب العبيد صوتاً واحداً بالاجاب . وشربوا هنيئاً وثلثوا . اما نحن ، انا والرفيق قسطنطين ، فكنا نستهوي قهوة البن . . . حوائج وهذه الحساء ؟ اركب يا امين .

وما زاد في كربة الرجال صباح ذاك اليوم ان لاحت لنا ونحن سائرون في القرية حسناً اخرى ، رعبية في شعار شفاف ، تنشر للشمس شعورها ، كأنها خرجت من الحمام ، از من مسرح الاحلام . فحسنا المطايا مسرعين الى القاع ، الى القلاة ، معصين بمحدث الشيخ علي بن شيخ عبال . قال وهو يحديثنا عن العرب والترك : ابن الين مثل الحجر صلب يابس . لا الشمس تحرق رأسه ، ولا الرمل يحرق رجله . والترك ، ما الترك ؟ هناك - اشار بيده وهو ينتفض اصابعه - هناك ، عند تلك القرية ، تحت ذاك الجبل ، حفونا الحنادق - كنا نسمين ، نسمين فقط - واطلقنا البنادق على عساكر الدولة ، على النظام ، وهم خمسة الاف ومعهم الاطواب . من الفجر الى ان صارت الشمس فوق رؤوسنا مثل كلة مدفع مشتعلة ، كلة نار ، ونحن نطمعهم الرصاص . وعند الظهر ، والله ، وفور هذا النهار ، خرجنا من الحنادق نسمين لا ننقص واحداً ، ومشينا الى القاع . كانت الارض مغطاة بالقتلى . مئات من الترك اكلوا رصاصنا وسكتوا . سكتوا الى آخر الدهر . والباقي تشتتوا هربوا فاقينا هم . واكننا لقينا من البنادق والذخائر والمدافع خيرات . ياله من يوم . كان الواحد من رجالي يأخذ البنادق ويخفيها وراء الحنادق ويعود يفتش على غيرها . . . ابن الين مثل الحجر صلب يابس ، لا الشمس تحرق رأسه ، ولا الرمل يحرق رجله . . . هؤلاء من رجالي . يشون بل يركضون كما تراهم الان ، اثنتي عشرة ساعة كل يوم ولا يتعبون ولا يتذمرون . ولا يشكون غير حلم السيد فهم يغابون الزيد ، ويأخذونهم اسرى والسيد

لا يأخذ بتذويجهم .

سنة ساعة في قاع المطحلة فتخرجنا من ظل الجبال ، ولاحت لنا على الأفق غيمة سوداء هي باجل . سكنا غر في طريقنا بنساء لابسات الهرايط وهن يشغلن مع الرجال في الحقول . ان الهريطة او الشبة لقديمة العهد في تهامة وبعض فواحي اليمن الاخرى ، وهي صنع اهلها ، يلبسها الرجال والنساء ، وكلهم عرب وكاهن مسالمون . لكن الشمس لا تعرف حدوداً في الجنس والدين ، والانسان في مقاومته العناصر الطبيعية لا يواصي التقاليد . هو يلبسها او ينساها او يغير فيها لتمكنه من دفع العدو والصائل ، بل من الدفاع عن الحياة .

وباي سلاح تحارب هذه الشمس تهمامة اذا اضطرك رزقك ان تشتغل او تسافر نهراً . أبالكوفية ، وهي اذا تلتبت بها قدفع ناز الغبار والرمال فقط ، قد بقي العيون من وهج الشمس ولصبتها لا تقي الرأس من سهام اشعتها الكاوية . اما العمامة فلا بأس بها لاصحاب التجلة والكرامة ، لسادة العلماء الذين لا يضطرون الى السعي في سبيل الرزق والرفاه . قد يرهن الباني التهامي في لبسه الشبة على ان الفرزة في الانسان ، شرقياً كان او غربياً ، مثلاً في الحيوان واحدة لا تتغير . ومن عوامها الاولى حفظ الحياة والدفاع عنها . وقد احسن ائمة احسان في صنع شبة من القش متراخية النسيج فلا تمنع الهواء ، واسعة الاطراف تظلل الوجه والقدال ، عالية القبع تحفظ الرأس من سهام الشمس .

وبالها من شمس لا تحجب ظلها ساعة من النهار . فكانت لا تزال في صهوة الأفق عندما دخلنا باجل فعرفناها من ساعتها وما وددنا الاقامة في بلد هي وحدها الحاككة بامرأها فيه . ولكن باجل تنسي السائح لاول وهلة حتى الشمس ، خصوصاً اذا دخلها مثلنا يوم سوقها . هي قرية كبيرة ، بيوتها من القش وبعضها من الاجر الاخر ، يقام فيها سوقان في الاسبوع ، فيؤمها العرب

من كل القرى والمضارب المجاورة لها ويتزلون ومواسيهم ودوابهم في الساحة العمومية فيبيعون ويشتررون طيلة ذلك النهار .

مشينا بين صناديق من الغاز وأتواب من الحام ، بين المواعين المصفوفة على الأرض والأكياس ، بين الأبايز والحبوب ، وإلى جنب كل « فرش » رجل أو ولد أو امرأة . والناس في الساحة رائحون جاؤون ، والنساء وبايديهن السلال اظهر ما هناك يكثرون البيع والشراء . ادعشنا من هذا المشهد مظهره النسائي لاننا لم نر في بلاد اليمن ، بل في البلاد العربية كلها خلا العراق ، من النساء بقدر ما كان في ساحة باجل ساعة دخولنا اليها .

وكلهن سافرات ، يلبسن الشبهات ، واكثرهن حسان الوجوه والقودود . اما البنات فما رأيت فيهن غير المشوقة الضعفاء ، وهي فلا لوتها شبه بالانكليزية قواماً ونحولاً ، وخفة ومشياً . لكن لبسها قد ينسب لولا السداجة والفقر الى التهاك . هي تلف ذراعاً من القماش حول وسطها فيصل الى الخياط ولا يحتمل ، وتلبس فوقه صدره ضيقة قصيرة لا يتصل طرفها بطرفه فيبدو شي . من الكشح بينها . ولها مشية تكشف بها الساق ، واذا ساعدها الهواء ، تكشف الركبة كذلك . ولها لسان لا اثر فيه لما في قدها ومشيتها من حسن وبراعة . سمعناها تشتم الصبيان فاستعذنا بالله . ورأيناها تمتشي الى السوق والسلة بيدها فاسفنا لبدانة تشيتها .

اما تلك العربية التي « قمتي الهويينا مشية البقر » فلم نجدتها في باجل . ها هنا حركة كأنها اوروبية . ها هنا نشاط اميركي . وتلك الشبهة على رؤوسهم ورؤوس رجالهم تريد بانهم وتبعدك في الانتقال . كنت اظني في بلد من بلاد المكسيك الجنوبية . واغرب من ذلك ان هذه الحركة في بلد عربية اسلامية وفي شهر رمضان . بل في بلد حرها^(١) حتى في شهر ايار لا (١) في ٢٤ ايار ساعة الظهر كانت الحرارة في الظل مئة درجة ودرجة في ميزان غارتميت .

يطاق نهراً. ولولا انه جاف لما كانت باجل^(١)، ولما كان في ذا القاع اهله. استقبلنا بعض رجال القائد العام فأتزلونا بيتاً رأس محاسنه النظافة ورأس الضيافة فيه ذوق جميل ظهر في الحديث وفي الحدة وكذلك في الطبخ. فاهيك بشي. في اخلاق الشوافع، بشي. من الساهل بل الاخاء والكياسة، يتأزون به عن سواهم. تركونا بعد الفطور وشأننا ثم جاءنا منهم صندوق من العنب الاسود وآخر من الموز، فادهشنا وابهجنا الاول لاننا لم نكن نتوقع العنب في هذا الشهر من السنة. ولكننا في تهاة، فلا عجب اذا نضج في ايار وهو لا يزال حامضاً في صمعا. وزهراً في لبنان.

وبعد الظهر جاء يزورنا الشيخ محمد طاهر رضوان عامل باجل وقائد العساكر الادريسية فيها، فسلم واعتذر. هو يشتغل في الليل ويصعد صباحاً الى ريوه خارج البلد لينام. سألنا عن السياسة الاوروبية، وعن الانكليز، وعن مصر واخذت سوالات دلت على عقل وعلم فيه لا يفتقران، بخلاف العادة العامة، الى شي. من الحكمة والذوق. فقد كان يسأل مستخيراً مستفيداً، دون رأي خاص له بيديه. ولكنه في ما يختص ببلاده كان مفيداً مفضلاً. فعلمنا من حديثه ان الفجراء يسكنون تلك الجبلات بين وادي سردود ووادي سهام، وانهم على العموم من افضل قبائل اليمن واشجعها ومن اشد الشوافع بأساً واکرمهم خلقاً. وعلينا كذلك ان السيد الادريسي يسير في بعض اموره على خطة الامام في الزهائن. فيها هم في البيت تحتنا، عشرون رجلاً، وفيهم العبيد، من الزرائق. سيحيي. الكلام على هذه القبيلة في الفصل التالي. سمعناهم في الليل يمجحون، ويتقرون الدف وينشدون. وما سمعنا من قم اسير اجل من سورة يوسف انشاداً. سمعنا كذلك «الزامل» في البلد فدهشنا لأول وهلة وسألنا عما اذا كان عسكر السيد ينشد اناشيد عسكر الامام.

(١) باجل هي على مسيرة ثلاثين ميلاً من البحر.

فقيل لنا بل هم عساكر الامم . فاصدقت حتى عاينت . وقد تأكدت ان بعض الزيد يمينون تهامة و«يتعسكرون» عند السيد لانه يحسن معاملتهم ويدفع راتباً اكثر من «ابن حميد الدين» ولكنه ساءني في رجال السيد انهم اذا ذكروا الامام يدعونه احتقاراً «ابن حميد الدين» وما سمعنا في صنعاء واحداً من رجال الامام يقول مرة في السيد ما يشتم منه المقت والتحقير .

اقتنا في باجل وسافرنا في مساء اليوم الثاني . لا سفر في تهامة نهاراً مثلنا في الاقل . وكانت ليلة ليلاً ، ما خفنا في طرق الجبال الوعرة الموحشة خوفنا فيها ، لان الراكب لم يكن يرى حتى رأس مطيته . وكنت كل مرة تظأ الدابة حجراً فتعثر ادى وهذه انفتحت امامي . واية الزهاد اشد هولاً من وهذه الظلام ؟ ومع ان اسرافاً كان في قاع بسيط فسيح ، بعيد عن الجبال والري ، فاطمان ولا يطن قلب الغريب اليه . فكانت تمر بنا القوافل كالاطياف فتسلم على اطراف قريها ، والامن والظلام رفيقان ملازمان . انه ليدهشك مثل هذا الامن نهاراً في اليمن وعسير فكيف به ليلاً ؟ وكيف به في بلدن متحاربين ؟ مها قبل في العرب ، انهم في حروبهم متسدنون ، يحترمون حقوق الناس ويحافظون على ارواح العباد . قد صحبتنا ايها القاري في طريق التجارة بين البلدين فتيقنت ولا شك ان في هذا الشعب الماجد الباسل من الشرف وكرم الاخلاق والحكمة والذوق ما لا يظن مثلها في مثله . وهي تخفى على كثيرين من الناس ، وتقل بين الناس في البلاد المتسندنة .

وصلنا الساعة الثانية بعد نصف الليل الى مقايمة الطم فاسترحنا فيها ساعة ثم استأنفنا السير ، وكان قد عمى الهلال فاستأنسنا حتى بنوره الضئيل . وبعد ساعة من سيرنا في ارض رملية تتخلها السبخة بين احراج من الشورى ، ذاك الشجر الذي لا ينبت الا بالقرب من البحر في تهامة ، اطلت علينا ربة النور والناار . وانكنا عندما دنونا من البحر شمنا رائحة الملح واحسنا

بالرطوبة في الهواء . فاستغذينا الاثنين .

البحر ! ذلك الخط الأزرق على الأفق امامنا ، ذاك العلم الأزرق على
ساحل الغزاة العربية ، تلك الطريق الى الاهل ، الى الاوطان ، الى المدنية ،
وفيهما الامل الكبير بالعود الى الحياة والجهاد . البحر ! ان الطف ما لقيناه
بعد صنعا . وتيامة وايهج ما شاهدته أثبت العين انما هو البحر .

الفصل الرابع

الحديشة

الاشيائيم - قصر الوكالة البريطانية - احتلالنا القصر - ضرب الحديشة من البحر -
خرائب العرب - الاتصال الانكليزي يعرب بيته طمعاً بالتعويض - قرية
العرب وقرية السياسة - الاستفتاء - لا تبغي التوك - لا تبغي الانضمام الى
حصر - دخول الادريسي - القرص المالي - تاديب للتجار - الزرائيق - التفرّد
والتمكك في الاحكام - بيت النقيب - بيت بخمسة بيوت وخمسة دواوين - من
من الامامين يستحق الحديشة .

هوذا شيخ الحرب ! من مدافن الآرغون ، من خرائب فرنسا في الشمال
جاء بلاقينا في الحديشة . هو اول من حياً صامتاً عند دخولنا البلد ، اول من
وقف في الطريق يلفت الى حاله نظر الغريب . ثم تبعنا كالظل ، وما توارى
عن الابصار الا في جوار السلطة والمدنية . فلا عجب ، ونحن ضيوف الاولى
وصبيان في بهجة العيد في فناء الثانية ، اذا نسيتاه كما ينسى الغابر شعاعاً في
الطريق . نسيتاه ساعة دخلنا القصر الذي يقيم فيه الدكتور محمد فضل الدين
وكيل بريطانيا العظمى السيامي في الحديشة وسفيرها الى السيد الادريسي .

صعدنا الى الطابق الاول فاذا فيه صناديق من حديد ، صناديق كبيرة
ذات اقفال ضخمة ، كانت تملوء في الماضي بالصكوك والاوراق ، وبالذهب
والفضة . هوذا شيخ آخر يحيدنا صامتاً ، شيخ القوة وراء العروش ، وفي
الحروب والجيوش ، شيخ المال . اننا نحن في دائرة البنك العثماني ، ولم يبق
منه غير هذه الصناديق الفارغة وبعض المواعين المكسرة .

صعدنا الى الطابق الاعلى ، الى مكتب الوكيل وبيته ، ففتح لنا باب
من خشب الهند فصح كبير ، نقشه يهز الابصار ، ويؤهله لاعلى مقام في دور
الآثار ، فدخلنا الى ردهة كبيرة مستطيلة تشرف على البحر مفروشة بالدواوين

الهندية والطنافس العجبية ، ومزينة جدرانها بالرسوم الهندسية والايات القرآنية . وفي سقفيها العالي من صناعة النقش بالدهان ما يدهش لونا ودقة غواة الفن واربابه . والى احد طرفيها ، بين السقف والارض ، ردهة خاصة تمنحجها شمعية من الخشب الهندي ، كانت مُعدة للحريم يطللن منها على القاعة تحتنن في ايام العيد وفي ليالي الانس والطرب . وهوذا شيخ آخر يستقبلنا صامتاً ، شيخ الثراء ، والجاه ، شيخ القصف والترف ، شيخ السرور والذات .

كان القصر الذي دخلناه لا كهد الاغنياء في الحديده ، بناء لعينه وقلبه وشهواته ، وبذل في سبيل ذلك نصف ثروته . فصار بعد موته اجاراً للمبتكث الهائي ، ثم بعد الحرب فتحاً للوكالة الانكليزية . وهانحن اقتداء بالانكليز فحتل قسماً منه . فان حضرة الوكيل الذي استقبلنا مرحباً خيراً في امرين اما ان نزل في البيت الذي اعد له لنا واما ان نقيم وايام في القصر . ومن ساح مثلنا في السين قلنا بـي ، الاختيار وقلما يستحي بذلك . قلنا نحدث انفسنا : من المؤكد ان ليس في الحديده ككلها مثل هذا القصر . ثم خاطبنا صاحبه قائلين : ما يصلح لحضرة الوكيل يصلح لنا . فرحب ثانية بنا واصبحتنا من تلك الساعة شركاءه بما يحسبه نعيماً ليس من جاء من الجبال فقط بل من يجيء من وراء البحار .

عجبنا لسهادة الوكيل وكرم اخلاقه عندما عدنا الى المرأة بعد غيبة طويلة . فاننا كنا ، بعد شهرين قطعنا الشعر عن المشط والمقراض ، كابناء عسير في رڤوسنا وكأبناء الروس البلشفيك في لحانا .

ولكنه ، اسر اولاً باعداد الحمام ، ثم استعصر المزين الهندي ابيد البنا شيئاً من الكرامة في الاقل .

وكانت باسم الله بدماء احتلال دام شهراً فقط ، وبداءة صداقة لا تقاس بتقياس السياسة ولا تقيد بموامل الاحتلال واسبابه ، اما الاشياح فكنا واسفاه

مخاطلين دائماً بها . شبح الحرب الذي لقيناه في الطريق شاهدناه من السطح في كل مكان . وشبح المال كنا نقر به كل مرة نخرج من القصر ونعود اليه . وشبح الذات كان يحف بنا ويرف فوق رؤوسنا ليل نهار ويؤلمنا في ساعات يسودنا فيها ما يسود الرجال . الا انه لم يكن يحزننا حزناً شديداً غير الاول . قد هربنا من دمار الحرب وويلاتها ، من ظلماتها في النفوس والعقول ، من فسادها في القلوب والاخلاق ، من محورها في الامم المتشددة . وها هو شبحها في الحديدة يذكرونا بها ويرينا شيئاً منها .

ضربت هذه البلدة مرقين من البحر ، المرة الاولى سنة ١٩١٢ في الحرب التركية الايطالية ، والمرة الثانية سنة ١٩١٨ في الحرب العظمى عندما عمل الجنرال آلبي على الترك في فلسطين فكان ضرب الحديدة جزءاً من الهجوم العام . وكان قنصل الانكليز يومئذ على ظهر البارجة التي كانت تصدر منها الاوامر باطلاق المدافع . وكانت دار القنصلية ، بامر القنصل نفسه ، الهدف الاول لقنابل الاسطول ، لان فيها حسب ادعاء حضرته اوراقاً سرية . ولكن الاشاعات لا تثبت الادعاء . قيل ان القنصل دمر بيته ، امر بتدميره لان فيه قروشاً شاء حرقه طمعاً بالتعويض . وقد دفعت له الحكومة بمئذنة اضعاف قيمته تعويضاً . هذا شبح الحرب واثراً من افسادها في الاخلاق .

وفي الحديدة واهلها غيره من الامل المخرقة مما كنا نشاهده ونسمع به كل يوم . ميل في الناس ولا حجة ، امل ولا يقين ، شكوى ولا عمل ، تحزب ولا قوة ، قرة ولا قصد ولا حسن نية . وبنائات في المدينة ولا سقف ، وسقوف ولا نوافذ ، ونوافذ ولا خشب ولا زجاج ، وجدران نصفها في الجو ونصفها ردم تحتها ، واخشاب تحت الردم وآمال ، وهجر في بيوت ذهبت القنابل بحياة اهلها ، وحزن تحت سقوف هجرها الناس اما خوفاً واما فقراً ، ووحشة في اسواق كانت يوماً عامرة بالتجارة . أضف الى ذلك كله ما قد

يكون السبب في ذلك كله اي شكل حكم او « لا حكم » لا فضاء لمولانا السيد ولا لاصحابنا الانكليز .

الحديدة التي كانت من اجل البلدان العربية على البحر واكبرها تجارة . هي اليوم مجردة عن الاثنين . فريسة الحرب هي وفريسة السياسة . ترى نفسها بين عوامل سياسية ودينية تتجاذبها وتتقاسم ما تبقى فيها من حياة ومن امل . اجل ، هي بين الانكليز والسيد والامام . مثل فتاة بين ثلاثة يخطبون ودعا ، ولكن احسد فيهم وبينهم يفوق الحب والاخلاص . فلا تركز الى احد منهم ، بل هي تتشى اذا ما اظهرت ميلها ان تفقد الثلاثة ، وهناك الطامة الكبرى ، هناك الزنايق .

اما الشواغل فيها فهم لا يميلون الى الامام ولكنهم لا يرون في حكم السيد ما يعيد الى البلد شيئاً من تجارتها وبهايتها . وحضرة السيد لا يقدم على عمل سياسي او اقتصادي يحسن فيها التجارة والحياة لانه لا يتأكد انها ستكون دائماً في حوزته . والانكليز لا يتدخلون في غير ما فيه حفظ الامن والنظام لان مرفقهم فيها اذا هو موقف المقامر . فهي بيدهم ورقة المجهولة في الصفقة الاخيرة ، وبكلمة اخرى هي الفكرة المكثورة في سياستهم مع الامامين .

وهناك فئة من التجار يبيعون امام الزيد . فهم لا يرضون بالسيد ولا بالانكليز ، لانهم لم ينالوا من احدهما غرثاً واحداً تعويض ما خربته مدافع الاسطول . وتراهم ، اذا ذكروا التعويضات ، يعودون دائماً الى قصة القنصل الذي هدم بيته جأبها . على ان الانكليز يتصلصون من دفعها الى الاهالي بقولهم ان ذلك متوجب على صاحب الحديدة ، وقد اهدوه المدينة ، جأباً به او زكاة بالامام على السواء . ولكن صاحب الحديدة يعني مع الهدية شيئاً من اسباب الحكم الاولى ، شيئاً من المال . فمن اين يجيء به ليدفع بعض التعويضات عن الانكليز ، وهو لا يجمع من اهلها زكاة ما يكفي لادارة شؤونها .

ان البلايا مثل المال يجذب بعضها بعضاً . فان ادارة الحديد في يد خمسة من الحكام اولهم اسماً عامل السيد واخرهم اسماً الوكيل السياسي ، وبين الاثنين مدير الجمر وك مدير الشرطة ورئيس المينا يشاركونها في المسؤولية ووجع الرأس . الا ان الوجع الاشد هو في العاجلة في جيزان . لذلك فوجئت الحديد ذات يوم بارادة ادريسية محورها قرض قبسته ثلاثون الف ابرة ، تعطى به صكوك على الجمر . فجلس العامل والوكيل نبض البد وأشار بنصف القصة . فتردد التجار وتأوهوا واعتذروا . وما كان السبب في ذلك غير الخوف وعدم الثقة . فانهم اذا اشتكروا بالقرض اليوم وانتقلت المدينة غداً من يد السيد الى يد الامام فن يدفع الدين يا ترى ؟ لا لوم عليهم اذا ولا لوم على حاكم البلاد . ولست شعري من الملام ؟ الحالة السياسية وحدها ؟ ومن المسؤول عن هذه الحالة السياسية ؟ لا ريب عندي ان وجع الرأس في دار الاعتماد بعدن اشد منه في الحديد وفي جيزان .

وبين جيزان وعدن وصنعاء قلب مدينة يحترق ركيس مدينة يثرب . قلت ان الحديد تحشى ان تظهر ميلها وهي في هذا المثلث الزوايا السياسي . فقد اقدمت على ذلك مرة وكانت منها الاولى والاخرة . عندما ضرب الانكليز البلد واتزلوا فيها عساكرهم الهندية ظن الناس انها بداية الاحتلال فسر التجار بذلك خصوصاً الهنود منهم . وبعد ذلك - بعد ان غيرت الحكومة الانكليزية في سنة واحدة ثلاثة قناصل في الحديد ومنهم صاحب التعويضات الذي مر ذكره ، وكلهم في الحق والتصلف واحد ، غير التجار والاهالي رأيتهم بالانكليز . فلما سئلوا رسمياً كما سئل السوريون مرة : من تريدون ان يحكمكم ؟ اجابوا بصوت واحد : الترك . فقال القنصل : هذا مستحيل ، فقالوا : نبغي اذا الحكومة العربية المصرية ، نبغي الانضمام الى مصر .

ثم جاء احد اغوان المعتد في عدن يمثل اخر فصل من رواية الاستفتاء .

فجلس في القصر ودعا اليه تجار المدينة واعيانها وسألهم ثانية فاجابوا كما اجابوا سابقاً . فأنهوا ان رجوع الترك الى الحديدة امر مستحيل ، وكذلك حكم المصريين فيها . في ذلك الاثناء اي قبل انتهاء الفصل الاخير دخل المدينة معتمد السيد علي رأس طابور من العساكر الادريسية ، ففتحت الرواية في الشهر الاول من سنة ١٩٢١ بالاحتلال الادريسي الذي استمر منذ ذلك الحين . ليست هذه بالنتيجة الواحدة الغريبة لذلك الاستفتاء . ان له نتيجة اخرى ظهرت خصوصاً في التجار الذين جهروا بنياهم الى الاتراك والى المصريين .

عندما تأسست الحكومة الادريسية في المدينة استدعى العامل اليه اولئك التجار وهم خمسة الذين تولوا الرعامة فشككوا باسم الاهالي ، وأشار عليهم ان يزوروا حضرة السيد في جيزان . فاعتذروا وترددوا . ثم استدعاهم ثانية ، وبينما هم ينتظرون في دار الحكومة احاطت بهم العساكر ، وكانت الركائب حاضرة ، فاركبهم وساقوهم امامهم الى العاصمة التي هي على مسيرة اربعة ايام من الحديدة ، فأزولوا في القلعة هناك وظلوا سبعة اشهر اسراء فيها . ثم اعملوا بذنبيهم وبالجزاء فدفع من يستطيع الجزاء . ألا وقدم الآخرون ابناً . هم رهائن « المحسوبة » والاخلاص ان مثل هذه الحوادث في حكومة فردية ابوية لا تستغرب ولا تستشكر اذا كان القصد منها منفعة البلاد واهلها . ولكن المرء لا يرى في هذا الحوادث وامثاله^(١) غير الاستفتاء والاستبداد . قد حان لامراء العرب ان يعدلوا في ما يس بكرامتهم فقط عدلهم في غيرها من الشؤون .

لا عجب اذا كانت الحديدة تخشى الاستفتاء اذن وتخشى اظهار ميلها الميامي الاسرأ وهمساً في بعض الاحايين . قلت انها اذا فعلت تقع في الشر الاكبر ، شر القرضي وما يتبعها من الغزوات ، من السلب والنهب والتدمير .

(١) راجع قصة الاسطول الانكليزي في صفحة ٥٥ من هذا الجزء

اما الانكليز فاعرب لا يبعونهم محتلين ، لا يبعونهم على الاطلاق . ولو لم يكن الوكيل السياسي مسلماً لما كانوا يقبضون به مهما كانت وظيفته وحدودها . اما اذا قاموا بطلبون الامام ، قبل ان يقرر الانكليز ان يمدوا الحديد اليه ، فيضربهم السيد ويسنفر عليهم القهواء ، وقد يغري بهم الزرائق . واذا قاموا يشترطون حكم السيد فيها ويعلنون رغبتهم رسمياً فقد يترك الامام عليهم اما زيوده واما من يستطيع استنفارهم واستفواهم كذلك من الزرائق . أيستغرب القارى ذكر الزرائق واحتمال نصرتهم في الامرين ؟ ان هؤلاء العربان لمن اغرب المستغربات في تهامة .

الزرائق اشد القبائل التهامية بأساً ، واكثرها عدواً واكبرها قوة ، واقلها صدقاً ووفاء . هم لا يطيعون الامام ، ولا يطيعون السيد ، ولا يطيعون بالانكليز . هم مستقاون من كل حكم ، وكل نظام ، وكل سيادة غير ما شيوخهم منها . بل هم ، مثل اشرف ذي الحسن في الحجاز ، قطاعو طرق وقرهان بحر ، يهربون السلاح ، ويتاجرون بالوقيق ، وبما عندهم من قوة حربية . بلادهم في سفح جبال اليمن بين الحديد وزييد في طرف تهامة الجنوبي ، وميناءهم الاولى الطائف في حور غليفة . انهم ينقسمون قسمين ، زرائق الشام اي القسم الشمالي وزرائق اليمن اي القسم الجنوبي . اما قوتهم الحربية فتدنو من عشرة الاف بندق ، ثلثها في زرائق اليمن .

كان الزرائق في ايام الترك كما هم اليوم عصاة عتاة يأخذون المشاهرات من الدولة ، ويقطعون مع ذلك اسلاك التلغراف ، ويهيمون في البر القوافل وفي البحر السناييك . اما شيوخهم فلا ينقصهم في السياسة ختل ودهاء . هم دائماً يثبون في رواية تهامة السياسة دورين وثلاثة ادوار في وقت واحد ، ثم يميلون في النهاية الى من يزيد في المال او في السلاح . كان احد شيوخهم يفاوض مرة الانكليز ليستنصرهم على الترك ويطلب سلاحاً منهم وذخيرة .

ثم قبل وضيعة من والي اليمن فصار فانتقام زبيد . ثم نصر قبيلة القحواء
عندما أسرت البعثة الانكليزية في باجل ، ثم ساعد من سعى في اخلاء سبيلها .
فلا عجب اذا مال قسم من الزرائيق الى الامام يحيى اليوم وقسم الى السيد
الادريسي .

انت تذكر ما قيل انا في باجل بخصوصهم ، وتذكر انهم ادونا الرهائن .
اما الحقيقة فغير ما سمعت . واليك الخبر اليقين . جاء عدد من الزرائيق ،
خمسة وعشرون ، الى الشيخ طاهر رضوان يقولون : للسيد القبيلة كلها ، ونحن
الساقلون ، بشرط واحد . فالتجذع القائد واعطاهم ما ينفون من المال . ثم
عادوا - الرسالة لا تتم الا بدفعة اخرى - فلم يتذرع القائد ثانية ، فقبض
عليهم واسرهم وقيدهم بالحديد ، وادعى لغرض سياسي ان الزرائيق كلهم
مع السيد - وهذه رهائنهم .

قلت ان في الزرائيق سياسيين ذهاء كما ان فيهم اصوصاً غداة . لما اسر
قائد باجل رجالهم قالوا : هؤلاء اصوص تتبرأ القبيلة منهم ، بل انكروا
انهم من الزرائيق ، ولو كان من مصالحتهم يومئذ ان يحاربوا الادريسي لكان
اولئك الرهائن من سرافة القبيلة ، فيثذرون بهم ويعانون من اجلهم الحرب
على امام حبيبا وجيران . ان عند الزرائيق شيئاً كذلك من الشرف ، شرف
الاصوص ، ولهم الجواسيس في الحديدة وفي باجل وفي بلاد الاعام يحيى مثل
ما للحكومات المستدنة . جاءهم اخبر ذات يوم ، كانوا ناقلين فيه على السيد
وعلى الانكليز ، ان سنبركين من السلاح اقلما من الحديدة ووجهتها جيزان ،
فاسرع قرصان الزرائيق شاعلاً ، فلحقوا بالسنبركين . قطروا عليها البحر ،
اطلقوا عليها وعلى عساكرها الرصاص ، فقتلوهم وعادوا بالسنبركين غنية
كبيرة . ولما افرغوها علموا ان احدهما ملك نويزي في الحديدة لا ملك الحكومة
فعاذوه اليه ان لهم حتى في اللصوصية قواعدا يحافظون عليها وحقوقاً يحترمونها .

واغرب من كل ذلك ما نراه في بلادهم من الادلة على ما في البلاد العربية من التفكك في عرى الاحكام والتفرد المضعف المهلك في السيادة .

ان في قلب تلك البقعة من تهامة مدينة كانت قديماً مشهورة بالعلم والصناعة ، هي بيت الفقيه الكائنة بين زرائيق الشام وزرائيق اليمن . وبيت الفقيه ايها القاري . حرة مستقلة ذات سيادة مطلقة ، لا تعترف باحد من الائمة ، ولا باحد من الاجانب ، ولا باحد من الزرائيق سيداً عليها . بل هي نفسها مقسومة خمسة اقسام خمسة احياء ، لا يزيد سكان الحي الواحد على الالف ، وكل حي هو مدينة حرة مستقلة ، يحكمه باسم الله وباسم الالف حراً مستقلاً شيخ لا صلة بينه وبين زملائه ، ولا يعترف لاحد منهم بشي . من السيادة ضمن حكمه . انه لا عجب ما كان وما يكون في الاحكام الحرة المستقلة . وبيت الفقيه مشهورة اليوم بتعصب ساداتها ، وبفسق نسائها ، ولبست في منسرجاتها كما كانت في الماضي .

لا عذر لخصرة الامام يحيى بهذا التفكك في حكمه الشريف . ولا يمكننا ان نعزو ذلك الى النفوذ الاجنبي والدسائس الخارجية ، اذ لا اثر لها يذكر في بيت الفقيه وفي الزرائيق . ان مثل هذه القبائل العاصية العاتية ، المتاجرة بعصبيتها وبقرتها ، ومثل هذه المدن المنحطة في حريتها واستقلالها لا كبر العقبات في سبيل القومية الناهضة والوحدة العربية . ان البلية لكل البلية في هذا الجبل المسلح ، هذا الاجرام باسم القومية ، هذه الخصوصية باسم الاستقلال . ليبدأ كل امير في بيته ، فيحكمه باسم الله حكماً قاسياً عادلاً . ليحكمه بعدل لا يعرف الرحمة والحنان . ليحكمه بيد من حديد وبقلب لا يرى غير الحق ، كما يفعل اليوم ابن سعود السلطان عبد العزيز . فلا يهم اذ ذاك من يستولي على الحديدية . وعندني ان من يستطيع من الامامين ، امام صناء وامام صبا وجيران ، ان يقلب الزرائيق ويؤدبهم ويدخلهم في حكمه يستحق ان يكون صاحب الحديدية .

الفصل الخامس

اديان واشجان

العبد - لتقبل المهشين - معروف من الشعوب - الترابي العتلق والنمل - لا
 حياة في الدين - لا دين في الترفيع - الهندوس - الفارسي - فليس - صواب -
 « الذين بكل الاديان » - الحركة الدينية لضمان الحياة الالهية - محاور في
 سر الوجود والخلود - محمد فضل الدين الصوفي - التنصير - العقل - سجن الروح
 - قصة العنكبوت الصيني والفراسة - رموز زائلة لثلاثي خالدة - صوفي يونس
 ملكا في تومة - الاولياء - القويعة - وصف حلقة الذكر - الكرامات والشعوذات .

العبد ! وحق لنا ان نعبد لاسنا استرسلنا في رمضان مع الزيد ومع
 الشواقع ، فقل نومنا واكلنا ، وحرمتا طيبات الحياة فقلت ذنوبنا ، وطأت
 مثل النساك شعورنا ، وكثرت تفشقاتنا واورساخنا . العبد ! نهضت صباح
 اليوم المبارك فارتدبت افخر ما عندي ، قيضاً حجازية بدوية ، و« وقدمية »
 مكينة ، وكرفية مزدكشة هندية ، وعقالاً مقصباً شريفياً ، ونزلت اهني .
 مضيبي وصديقي محمد فضل الدين .

في رعدة الاستقبال نافذة كبيرة واسعة عالية كسحرف على البحر فرشت
 بسجادة ووسائد فاصبحت ديوالاً يجلس فيه الوكيل المحترم . هو عرشه ساعة
 الاستقبال ، ومكتبه في غير الامر السياسية ، والمروءات الذي يرصد منه ما
 حار على الافق من المراكب والبواخر والقرصان ونجار الرقيق . وجدته
 صباح العيد جالساً على العرش معتماً بعمامة هندية وافرة ، طويلاً الذراية ، باهرة
 الألوان ، ويده سفر النكاري في الفطريات كان يترجمه الى اللغة الهندستانية .

سلمت وهنأته باسم الله ، فأعجب بقيافتي واشتركتني في عرشه . ثم دخلنا
 في موضوع لا صلة له ظاهراً بالعرش والعمائم او بمرضان المبارك والنوافل
 الروحية . واسكنه يتصل باطناً بها كلها . الدكتور محمد فضل الدين رجالان

مثل كل ذي فكر وعلم وحجى، رجل يعرف الناس وحكومة الانكليزية
وهو الملازم م. فضل الدين من اطباء الحكومة الهندية، ورجل لا يعرفه
غير الخاصة من الناس وهو محمد فضل الدين من الاغور في الهند ومن كل
مكان في الفلسفة الروحية.

اما الرجل الاول اي طبيب اليون ووكيل بريطانيا العظمى السياسي
فقد ذكره للناس. ليس فيه ما يتقنه عن زملائه الاطباء والوكلاء السياسيين،
واسكن الغريب الجليل هو في الرجل الثاني، الرجل الهندي الذي لم يفقد في
معاهد الغرب العلمية وفي الدوائر السياسية جمال ارثه الشرقي. ان فضل الدين
قلب شاعر، وروح صوفي. اضاف الى ذلك انه مثلي جبلي. هو من قرية
صغيرة في جبال الـ «بنجاب» التي تضاهي بحالها جبل لبنان.

دخلنا الموضوع الذي اشترت اليه، وفيه تشابه العمام والثيابان وتضاحل
اشكالها الضامرة، ووقفنا عند اول ابوابه لنستقبل اول معنى بالعيد السيد
محمد العربي ناول الجديدة ومنسوب الادريسي فيها. السيد محمد ابن عم حضرة
الامام والكنه مصري المولد والقيافة والحديث. جاور الشهابت دمت الاخلاق.
وقد كان في نسبي ان ازور المدينة ذاك اليوم مستظلاً حال اهلها فجات المدينة
آزوري في القصر لتهنئي وشريكي في العرش بالعيد. جاء الجديديون ذرافات
ووجدنا من موظفين وتجار، وسوقة وسادة، ونوتيين واعيان. وفيهم من
اجناس الشعوب العربي والسوري والمصري والسوداني والصومالي والهندي
والطاوي والايواني، وفيهم من انواع المذاهب والاديان الشافعي والمالكي
والحنفي والزيدى والجعفرى والاسماعيلي والماروني^(١) والقارسي عابد النار،
واونتي عابد البقرة، والبوذي عابد اللاشي، في اللانهاية السردية. وفيهم
من القيافات والازياء العبادة والبقال، والحلة والعمامة، والصدرة والسرويل،

(١) هو ترجمان فضل فرنا في الجديدة.

وقبض النوم والنمل ، والقوطة والعري الواناً واشكالاً . اجل ، قد عرض
امامنا صباح ذاك اليوم معرض شعوب ، ومعرض اديان ، ومعرض ازياء في
الملايس والعري قلما نشاهده في غير مكان .

تعددت الشعوب في الحديدية ، بل في تمامة ، وامتزج دم السوداني بدم
العربي ، ودم الصومالي بدم الهندي ، ودم الجاوي بدم الايراني ، فكانت
النتيجة مستهجنة مستنكرة . ان صفاء الدم في النسل لا عز ما في الامم .
وان حفظ الجنس والنسب مع الرقي العقلي والادي لا اجل ما في الشعوب .
أقلا تنفرد من هذا الشريف الفائر العين ، الضخم الشفة الذي يجري في عروقه
الدم السوداني وهو من ابناء بنت الرسول ؟ أو تروقك طاعة ذلك السيد
صاحب العين اللوزية « جاوية صينية » والانف المفلطح « تكروني دنقلي »
واليد العربية الجميلة ؟ وهل تسرك رؤية ذلك ، هندي الام ، صومالي الاب ،
عربي اللسان ، الاسلامي الدين ، ولا شي . فيه من صدق العقيدة ومن الفصاحة
والحسن والبراعة ؟ فلا هو مسلم ، ولا هو عربي ، ولا هو صومالي ، ولا هو
هندي ، لا في اخلاقه ، ولا في وجهه ، ولا في ملايسه ،

ان من يعتقد من العلماء بان امتزاج الشعوب بالتزاوج يحسن النسل لا يغير
عقيدته ، لينبذها اذا جاء الحديدية . ولو كان ذا الامتزاج يقرب اصحاب
الاديان والمذاهب بعضها من بعض لكانت تشفع هذه الفضيلة الواحدة ،
خصوصاً في الشرق ، بسيناته كلها . ولكن الهندي يظل هندياً ، والفارسي
يظل فارسياً ، والمسلم يظل مسلماً ، ولو امتزجت في سائلة كل واحد منهم
دماء الشعوب كلها .

كنت جالساً انا وفضل الدين نـشـرب الشاي ذات يوم فجاءه زائر احد
الهندوس ، اصحاب السراويل الشفافة التي تهف حول الجنبين وتبوح بكل
اسرارها ، فسألني ان اقدم له بيدي فنجاناً من الشاي . ففعلت ، فرفض .

ثم قدمه له فضل الدين فرفضه كذلك بامتناع ، والسبب في رفضه فتنجان الشاي ؟
ان هذا الهندوس يتنجس منا من المسيحي ومن المسلم ، بل من كل من لا
يغيد البقرة مثله ، ولا يجبل في فعلته ولا حياء .

وهناك من يلبس دينه كما يلبس ثيابه ، وهي قدينة ولكنها نظيفة ،
باليد اليسرى دون اعتناء . ان للمعلم الكبير اذدرشت رعية في الحديدية لا
يتجاوز عددها الواحد الفرد . وقد كان يزورنا كل يوم فيزينا علماً بدينه
الجميل وبجأله . هو خان باهادور الفارسي اصلاً ، الهندي بلداً ، الازدرشتي
ديناً ، الانكليزي لساناً . خان باهادور ، وحديثه كزقزقة العصفور ، فيه
تكبير وفيه تنغم ، على رأسه عمارة ابناء جنسه ، شارة مذهبه ، وعلى قامته
الطويلة « فراك » الاسلامبولي مزورراً تحت الذقن ، وتحت باطالون افرنجي
ايض عريض ، وعندما يجلس يظهر خلال « فراك » طرف قميص بيضاء .
تدعى في دينهم « سدر » Sudra اي الصراط المستقيم ، وفيها جيب صغير
يدعى « كليس صواب » اي كليس الافكار والاعمال الصالحة .

— ولكن الكليس فارغ يا مستر امين . لا شيء . في كليس صواب —
السبب لا شيء . تسألني ؟ تراني وحدي في هذه المدينة . منذ عشرين سنة
انا وحدي في الحديدية مقيم بين اقل لا يعرفون شيئاً من ديننا . يظنون اني
اعبد الشمس . ومن يعبد الشمس في الحديدية ، هذه الشمس الظالمة المحرقة ،
من يعبدها ؟ وكيف لا يعرفون الحقيقة ، وكلهم مثلي بشر ، ابناء الله واحد ؟
بدأت اشك في هذا الدين ، في ديني . لو كان الاله العظيم يهتم بالحقيقة لما
تركها وحدها في ادارة القهوجي ^(١) وقد يكون يهتم يا مستر امين . وقد لا
تكون الحقيقة كلها محصورة بالـ « سدر » . كنت اشغل فكري كثيراً

(١) خان باهادور هو في الحديدية وكيل شركة بواجر القهوجي بعدن .

بالآخرة ، فإني أدفن مثلاً وليس في هذا البلد برج من أبراج السكينة ^(١) في الهند نضطرب ان نلبس مثل الهنود ، ونشكلم لغة الهنود ، ونظهر « نعتد » ابناؤنا ببول بقر الهنود . الفارسي يا مستر امين يقتبس كل شي . ها هنا في الحديثة ترى المسلم والبيان ^(٢) والمسيحي وكان فيها اليهود ، وتراي انا خان باهادور الفارسي الوحيد فيها اقتبس كل شي . ادن بكل الأديان . انا مسلم ويهودي ومسيحي وهندوس وفارسي ساقط لا ينفع . الصلاة ؟ اصلي قليلاً . فلو كنت اصلي مع الجميع لما بقي لدي وقت للتقوجي وبوآخره . اعرف يا مستر امين ان اليهود والمسلمين والنصارى اخوان انا ، هم منا ، بيننا وبينهم قرابة متصل بازدشت و ابراهيم الخليل . من هو ابراهيم الخليل ؟ الا تعرف وانت العالم المطلع على كل شي . ؟ ابراهيم الخليل هو ازدشت بنفسه ^(٣) هو نبينا ونبيكم . اضلهد في ايران فساو الى فلسطين ازدشت هو خليل الله و خليل الله ابراهيم الخليل هو ازدشت . لا تتعجب اذن من قولي اني مع الكل نعم يا مستر امين انا مع الكل . ولكني لا الخاف لاني متمسك بال« سُدرا » . البسها كما ترى دائماً ، و« كيس حواب » لا يخل فارغاً دائماً ان شاء الله . عندي خادم مسلم لا يعرف من دينه غير الله كريم . اسمه يردد دائماً . فصرت ارددها مثله : الله كريم . اذا كان سراط خادمي السراط المستقيم فانا معه ، واذا كان في ضلال فهذه « سدرتي » يا مستر امين وهذه كذلك الـ « كُنتي » حياتي مضونة في الآخرة وان كانت في هذه الدنيا لا تماوي مبارأ في باخرة من بواخر التقهوجي . الشريعة الدينية ، اضاء الحياة

(١) برج السكينة Tower of Silence عند الفرس هو برج عال يضعون فيه موتاهم لياكلها العقيان .

(٢) هم الهندوس او بالبري التجار ديم .

(٣) هذا رأي في ابراهيم الخليل غريب . وقد سمعت في الهند اقرب منه اخبرني احد العلماء هناك أن بوذا هو التجسد العاشر لخليل الله .

الابدية ، مؤسسها خان باهادور ، هي شركة قوية يا مستر امين . واحسن من الشركة التي تضمن البواخر للقهوجي . الا تريد ان تشترك فيها ؟

الفرس يفسلون اولادهم بيول البقر^(١) والعادة عندية التبعوها في الهند خوفاً من الاضطهاد . لكنهم يربطون على وسطهم اثناء الغسل الـ « كستي » اي زمار الايمان ، وهو شريطة بيضاء من صوف الغنم تفرلها نساء الكهان ، ويرددون هذه الكلمات : الافكار الصالحة ، الاقوال الصالحة ، الاعمال الصالحة . وكل ما يجريز الفارسي منها يضعه في « كيس صواب » ايوم الحساب . كان صديقنا خان باهادور يربنا الكيس ، وهو شارة قدر طابع البريد على قيضه ، ويقول : الكيس كبير يا مستر امين ولكنه فارغ . . . الله كريم . خان باهادور يموت في الجديدة وتناكله العقبان وهو مرمي على شاطئ البحر . ولكن سيصلي من اجله المسلم والمندوس والمسيحي . وكل واحد منهم يضع شيئاً في كيس صواب . الله كريم . الشركة الدينية لـ « خان الحياة الابدية » الله رئيسها يا مستر امين

كنا انا وفضل الدين نقضي ساعات في المساء على السطح تحت النجوم وحديثاً الحياة والآخرة وسر الوجود والخلود . وما احلاها ساعة الستة السياسات والاديان كلها . ان في شخصية فضل الدين الروحية العقلية من الادب الشرقي ما هو مزيج من الاسلام والصوفية . بل في عقيدته الاسلامية شي . من الاسرار البوذية والقوامض الهندية . ولا عجب اذا ظل هذا الاساس الهندي وهذا التلألؤ الآري في عقيدة الهندي المسلم السنيز . كنت اشعر وهو يتكلم عما يفهمه بالاسلام ، دين التوحيد ، اني مثله مسلم . وكنا عندما نصل الى ذروة الوحدة الكلية نشعر بما حولها من الفروضات الكونية الالهية

(١) عجبت لكسرى وانشاءه . وغسل الوجوه بيول البقر .

ابو العلاء المعري

فتأكد اذ ذاك اننا واحد في الشك وفي اليقين .

٣ - اتعتقد يا فضل الدين بالتجسد ثانية وتكراراً ؟

— لا احب ان اعود الى هذا العالم وهذه الحياة . اما اذا كان في تلك النجوم حياة اخرى بشرية او روحية محضة فلا شك انها تكون اسمى من الحياة التي نحن فيها .

— يورعي التأمل بحدود الادراك في الانسان ، بل يلاقي حزناً وغماً .
خذ العقل واركن اليه فيخونك في النور احياناً وفي الظلام . وراه ذاك الافق يجرك او تحت هذه المياه . أو ليس من المحزلات ان يضجل هذا العقل بالرغم عن حدوده وشذوذه ؟ وهو الذي يقيس المسافات بين تلك الكواكب وبيننا ويعرف اجزاها والوانها وسرعة دوراتها .

لا يدهشني ذلك ولا يحزني . في اضلال العقل على ما اظن تتحرر الروح . العقل للروح مثل السجن للجسد . واطن ان الحياة مجردة عن الحيولية ، الروح مجردة عن العقل البشري المحدود بل عن الادراك البشري الذي يدور على محوره ولا يعرف غير « انا » فيه ، هذه الروح خالدة وتحيا ما وراء الحدود التي تحزنك . واطن كذلك انها تكون مقرونة بادراك يوافق طبيعتها ، وعقل يوازي قوتها ، فتكشف حقائق في الكون جديدة ، وتغلب تدريجاً على العناصر المادية كلها . وقد تندرج في التجسد الى ادراك درجات التجسد كلها ، وادواره البشرية والروحية كلها . نعم يا عزيزي الريحاني ان العقل في هذه الحياة سجن الروح . وكثيراً ما اشعر بظلمه واقلّم من قيوده .

— وما برهانك ان الروح تحيا حياة مستقلة مجردة خالدة بالرغم عن انفصالها عن العقل الذي تدعوه سجيناً ؟

— انها تحيا بسبب هذا الانفصال وليس بالرغم عنه . برهاني ؟ لا برهان عندي غير تلك الانوار ، انوار النجوم والكواكب . ان فيها ، في اشعتها

وفي فلسفتها عقلاً يديوها ، وقد يكون ذلك العقل مكوّناً من ارواح من تقدمنا من الناس . وهي منفصلة كلها من روح الله ومتصلة بها ، منفصلة في الفردية متصلة في الجوهر الكلي . قد تكون تلك الارواح كنه الجاذبية في الافلاك .

— ارواحنا اذن تحوم حول تلك الانوار كالفراشة ولا تحترق ؟

— فراشة النفس ، نعم ، وهي من نور ، فتجذبها نار الحب نار الانوذية اليها ولا تحرقها . وعلى ذكر الفراشة ، قرأت مرة قصة حكيم صيني حلم في نومه انه فراشة في بستان الجبور تنتقل من زهرة ذكية الى اخرى . وعندما استفاق عزن جداً لما شاهد من حقيقة حاله فآل نفسه حائراً باناً : هل انا رجل يحلم بانه فراشة ام فراشة تحلم بانها رجل ؟

— جميل ، جميل . ومن يزيل الحيرة من قلب الحكيم ؟ يخيل الي يا فضل الدين اننا في هذا العالم رموز زائلة لحقائق خالدة . وكل حقيقة تتكون تكوناً روحياً جديداً كلما طوي رمزها . وفي كل تكون ترداد انتشاراً وقوة وجباً . فيكون رمزها في هذا العالم شبيهاً بها ، مثلاً لها ، عظيماً في الناس . ويستمر هذا الطي والنشر ، هذا التجسد في الرمز والنو في الحقيقة ، الى ان نجتمع ، وها هنا معنى جمع الجمع في نظري ، بالفيض الاولي الاكبر ، الفيض الالهي . فيكون في ذلك اوج مجدها ، النهاية في اللانهاية ، ويكون اخر التجسّدات لرمزها المادي البشري . هذا ما تراه عين البداة في التجسد والخلود ، وهذا ما افهمه بجمع الجمع في اصطلاح الصوفي .

— ولكن عقلك لا يثبت ذلك ، العقل عدو البداة . العقل — اعدو الى ما قلت — سجين الروح .

— وما دمنا في السجن لا ارى اصلح من البداة غذاء وهواء . وفي البداة كذلك شي ، من الخيال هو خير التغذية اذا نكسب البرهان .

- وما الفرق بين الحيال والالوهام الدينية ؟
- الفرق بين اعتقادك بالخلود واعتقاد خادمتك العبد بالجنة .
- وهل تسميها جنة العبيد - عبيد الالوهام ؟
- قد سماها من هو اكبر منا ^(١) بجنة البله .
- اني افضل ان اكون فراشة .
- فراشة من النور تجذبها اليها نار الانوهمية ولا تحرقها ؟ اني اشاركك في التفضيل .

في صباح اليوم التالي اهداني صديقي كتاباً صغيراً ما عرفت من عنوانه شيئاً من اغراضه . ولكن مؤلفه السيد احمد بن ادريس مؤسس الحكم الادريسي في عسير هو من اولئك الروحانيين الذين يرفعهم محمد فضل الدين الى مقام ابن العربي وجلال الدين الرومي . امر عجيب يتلوه في تهامة امر اعجب . كيف لا وهذا الصوفي يؤسس فيها ملكاً عالمياً ، الطريقة فيه اساس الحكم ، والحكم اساس الطريقة . ولكن الطرق تفسد التصوف فكيف بها في الاحكام ؟

لعمري ان اجل المشكلات التي نشأها محققة في الحياة هي تلك التي تقترن فيها روحية الصوفي الحقيقي بالاهمال الاجتماعية والسياسية والادبية كلها . فتصرف مجاري العقل في مواردها ، وقدرت خيوط النفس في منسوجها ، يتقل الجشع والحداع والوهم في فروع الحياة الثلاثة المذكورة . ولكن والصوف اجتهد شخصي ، ونعمة فردية ، لا تورث ولا تعلم ولا تُنشر بالاجازات . ومن الاسف انه لا يبقى منها ، بعد موت صاحبها ، غير الطريقة او الحلقة وخزعاتها ، والمشايع وجبرياتهم .

قال فضل الدين عندما اهداني الكتاب : الجبل الخيم في هذه البلاد

(١) ابو حامد غزالي .

يفسد اغراض هذا الرجل الكبير ، تحيي المرأة الي وهي تشكو من مرض
او ألم فاعالجها فتشفى بفضل « الشيخ احمد » . يحيي العربي وهو يصرخ من
اوجاعه ويصيح : جري يا شيخ احمد يا شيخ احمد لا تنساني ا يفيظني هذا
الاشراك بل هذا الكفر ، اكاذ اجن منه . قلت مرة لاحد المرضى : رح
الي الشيخ احمد يداويك . ورفضت مرة ان اعالج امرأة حتى انتقلت في
استغاثتها من الشيخ احمد الي النبي . فصحت بها : لا احمد ولا محمد يا كافرة .
استغثي بالله ، اتكلي على الله وحده اما حلقة الذكر فسقشاعدها
باذن الله في الحديدة

وكان قد توفي فيها يومئذ شيخ الطريقة المرغنية^(١) فاستقرت الطرق
كلها في حلقة ذكر من اجله ضمت اربعمئة من المصلين واستمرت خمس
ساعات . صحبتني تلك الليلة الي مسجد الشجرة خارج المدينة مدير الشرطة
وكاتب العامل وأحد اصحاب فضل الدين . فجلسنا في منصة في صحن المسجد
اشرفنا منها على الحلقة كلها . وكان الناس جالسين على الارض في الفلاة
وعلى الحصر في الأيوان ، وقف في الايواب وحول الجدران جمع من المتفرجين ،
وجلس في الصدور في حلقة خاصة ابنا . الشيخ المتوفى ومشايخ الطرق الاخرى ،
وبينهم سراج منير وقاري . كان يقرأ ساعة وصولنا المذاقب التي تفتتح بها
حلقات الذكر .

ان المناقب شبيهة بسير القديسين في الكنيسة الكاثوليكية ، فهم يمددون
فيها فضائل القديس ، فيجسسون بفكرة من سيرة حياته ، ويذكرون بعض
كرماته . استمرت مناقب الشيخ المرغني ساعة ، وعندما وقف القاري .
الوقفه الاخيرة فيها هتف المصلون : آمين . ثم ارتفع صوت شجي بنشد قصيدة
يروي فيها القديس الامير فكانت مثل المناقب طويلة ، وما كنت وحدي
(١) الطريقة المرغنية لاهد المرغني الذي اخذ عن احمد بن ادريس هي إحدى الطرق
الاحدية الاذربية في عسير وعدن والسودان .

عَضَجراً . قال مدير الشرطة وهو يسبح العرق عن جبينه : طوبلة ، والله طوبلة . الشيخ يحتاج الى الصلاة لا الى الاشعار .

ولكن الشعراء لا يملون استماع قوافيهم . هوذا اخر لا حسنة حتى في صوته . ولا حق جعلنا نقرهم على السابق . ثم عتفنا مع المصلين : آمين ، آمين . وكان الحر شديداً ، والهواء ساكناً عنيداً ، لا يحرك منه لساناً ، فيعيش قوائنا ، والطوبلة انقل ما فيه ، والزوجة افجع قوافيه فاستجرونا منه بروح الشيخ الطاهرة ، ورفعنا الادعية والطلبات الى سدتها الجليلة الباهرة : يا لطيفة ، يا شريفة ، يا كريمة اني حنيفة ، يا مسكنة الشعراء ، ومنطقة الاولياء ، يا مسكنة التهفات ، ومحركة الحلقات ، اسمعنا ، ارحمنا ، آمين .

استجيب في الحال طلبتنا ، فوقفت الحلقة اربعة صفوف الواحد وراء الآخر ، ووقف الشيخ احد ابناء الفقيد في وسطها فحركها باسم الله . بدأ بصوت هادئ . وشارة لطيفة ، بدأ بـ « لا اله الا الله » . قالت الحلقات الى الامام ، ومالت الى الورا ، وراحت تكررها وتردد الشهادة . وكان صوت الاربعمئة مصلياً ، وكأنه صوت واحد ، وحركة الاربعمئة مجلياً ، وكأنها حركة واحدة ، يتدرجان سرعة وهياجاً ، عملاً بليغة الشيخ وبشارة يثابه ، وهو يقول في الحلقة مستحسناً محرصاً .

ألا الله ! وضرب كفاً على كف فرددت الحلقة : ألا الله ! بسرعة لمع البصر ثم امست كأنها تصيح : لله لله لله ، وسكتت فجاءه كمن أغشى عليه . ثم عادت تدريجاً الى الميزان الاول في الصوت والحركة : لا اله الا الله . وجلس الشيخ . فقام آخر يشب وثياً ويقول : حَيِّمٌ قَيِّمٌ ^(١) . شرعنا نتقدم هياجاً . دخلنا في دور الزبد والرغا . حَيِّمٌ قَيِّمٌ ! وتحركة الحلقة حركة سريعة شديدة كأنها تدق رأسها في الارض ثم نطحا في الجو ، واستمرت في

حُمُ قِيمُ نصف ساعة والشيخ يشب في وسطها ويحلج ، ويصق كفاً على كف كل مرة ينقلها من درجة في السرعة الى اخرى . وما كادت تنتهي حتى بدأ يسقط صريعاً من فاز بنعمة في « الحال » .

ثم نهض ولد لا يتجاوز الثانية عشرة سنأ ، وهو اصغر اولاد الفقيد ، فبدأ حيث انتهى اخوه . وكان يتلوى كالسكران ، ويرقص رقصة ويثب طوراً كالجنون . مثل الولد دوره تمثيلاً ادهش حتى الذين الفوا الحلقات ومدهشات واضحكهم كذلك . كتهرب الولد الحلقة . اضرم فيها النار . قبض على ما تبقى من رشدها ورماه خارجاً . صاح بها فرددت الصيحات ولم نعد نفهم ما يراد . الا انها اشبه بالانين . كأن الاربعسة رجلاً اصيبوا بالمد شديد فأثروا انة واحدة . وبدأت تظهر كرامات الشيخ . هوذا عبد اعصى حماداً ، فرفعه اثنان فوق رؤوسهم واخرجوه . وذلك وقد خرج من الحلقة فراح يدق رأسه بالحائط فسقط صريعاً مضى عليه . وهاك من ينبغي الاجتماع بالله بواسطة عمود من اعمدة المسجد فامسكه رفيقاه فتفلت منهما وضربها ، ووثب وثبة هائلة كان العمود ورأسه خاتمها المفجعة . حملوه مضرجاً بدمه الى خارج المسجد .

بدأت تظهر كرامات الشيخ الفقيد . سقط امام الولد الزعيم في وسط الحلقة شيخ لحته بيضا . طويلة والزبد يسيل من فيه عليها ، فوثب فوقه ولم يأبه له . وهذا آخر يخلع ثيابه .

« خلعت عذارى واعتذاري لابس الـ خلاعة مسروراً بخلعتي وخلعتي » رمى بهامته ومجسته وبدلاره الى الارض . فاوقفوه عند هذا الحد واخرجوه في شعاره من الحضرة الروحانية . استجرتنا من ذا المشهد بروح الشيخ الطاهرة : يا لطيفة ، يا شريفة ، يا كريمة ابي حنيفة ، يا مسكنة العباد ، ومنطقة الجداد ، يا ربة الحلال ، وسراج الترحال ، قفي ، والطافي . لا تقتلينا بالكرامات ، ولا تسكريتنا بالشعروذات ، ولا تؤاخذني شيوخ الطرق والحلقات ، امين ، امين .

الفصل السادس

احمد بن ادريس والتصوف

قلبا الصوفية في العالم الاسلامي - مؤلف السيد احمد - يدرس ويدرس في فاس - اجتماعه بالشيخ عبد الرحاب التازي - العالم بالقبيل - وما يدعى عند الأفرنج Clairvoyance - اجتماع التازي بالشيخ عبد العزيز الدباء - اجتماع الدباء بالخضر الي العباس - الطريقة الاحمدية - O. اميرنا خالد جد . مع يُعطي الجهد يُعطي الجهد - السيد احمد في مكة - رحلت في تهامة - انتظار الدعوة - وقال في صيبا - تلميذ الشيخ ابراهيم الرشيد - الطريقة الرشيدية وترخاتها - آيات صوفية - فلسفة الزهد والفقر - الامام علي وقلب الجان القناني - المجيدري يأخذ عن قلب الجان والسيد احمد عن المجيدري - معاهد وصلوات وتجات - استعارات صوفية - السالكون والمعدون .

كتبت عند وصولي الى الحديدة كتاباً الى السيد محمد امام صيا وجيزان استأذنه بزيارته ، وبث انتظار الجواب . وانتظر كذلك سيارة استشرت في الشرق فصارت تعمل يوماً في الاسبوع وتعيد ستة ايام لميمنت منها وكان سروري مزدوجاً لاني اجتمعت ايام العيد بقطب دائرة التقديس ، السيد احمد ابن ادريس ، كبير بيت الادارسة ومؤسس ملكهم في عسير . وفزت بطارفة من ترجمة حياته ، وبنفحات من قدسياته ، فجلست امشع القارى . بها علم اذا كان مادياً يستفيد ، واذا كان روحياً يستريد .

ان في العالم الاسلامي قطبين تصوفية ومورخين هما ايران وبلاد المغرب . والسيد احمد ، نور من انوار الثاني . فقد كان شروقه ينعكس السكواكب من الغرب وغروبه الفاھري في الشرق في بلاد الغرب . ولد في بلدة العرائش على ساحل البحر من اعمال فاس في السنة الثانية والسبعين واثنتي بعد الالف (١٧٥٨ م) وهو شريف عتي من السادات الادارسة المشهورين في بلاد المغرب . درس العلوم في مدينة فاس ثم شرع يعلم هناك في « ما شاء الله » اي

في المواضيع التي شامت العزة السرمدية تلقينه آياها بانوساطة وبدونها .

كان السيد احمد وهو في الدور الاول من استقراءه على الاسرار الالهية والكونية يكثر التردد على المشايخ المارفين الابرار الذين اصبح قطبهم بعدئذ في العاوم والسلوك .

اما الشيخ عبد الوهاب التازي الذي كان يحضر دروس السيد احمد في فاس فقد صار بعدئذ شيخه الاكبر ونور طريقه الانور . ولا اهمية للنسب في المرحيات ولا للشيخوخة في الربانيات . فمن جمال هذه الارواح القدسية وكالاتها ان المعلم الطالب الحقيقة لا يأنف ان يأخذها ، وهو شيخ طاعن في السن ، عن تلميذه بل عن احقر الناس واصغرهم لديه .

قد اجتمع السيد احمد بشيخه التازي بواسطة عالم من علماء شقيط يدعى المجيدري ، وكانت في الاجتماع الاول فاتحة الاطراف والاشراف . ولا عجب اذا كان الصوفي يهتم اكمل حادث في حياته يفتيح له بابا او يشرح الى باب من ابواب الحقيقة الكلية الازلية . اني اتصور المجيدري يقول للتازي : هذا الشاب الادريسي مجد مجتهد ، وهو على سنه طويل الياع في علوم اسرار الكتاب والسنة . فيقول التازي : قد غلت بذلك قلبك . سمعته في يادي . امره يدرس فقلت في نفسي : لا بد ان يشرق على كتاباته نور الاذن الرباني . وها دنت الساعة يا مجيدري ، ابنتني به فاجعه برسول الله .

وكذلك كان . ذهب السيد احمد مع المجيدري الى الشيخ عبد الوهاب واحس من اول لحظة ان ها هنا الباب الاول ، ها هنا سراج الطريق . فلزمه وانقطع اليه بكلية . وقد صكان للتازي في ساعات احوال نظرات تحترق استرة الغيب فبوي ما لا يؤى ويشعربا يحدث بعيدا عنه على الطريقة التي يدعوها علماء اليوم Clairvoyance منها انه عرف وهو في فاس يموت المجيدري ساعة وفاته في شقيط . وقد علل الشيخ التازي للسيد احمد هذا العلم بالغيب

تعليلاً لطيفاً جديراً بالذكر ، ان المري او الواسطة الاولى بين النفس والمصادر الروحانية اذا اتجه في ساعات الخال الى احد تلاميذه يراه بعين الغيب ويراه ما دام حياً في حالات شتى ، « تارة انور وتارة اظلم بحسب سلوكه وطاعته ، وتارة اقرب الى الله وتارة ابعد » . اما اذا رآه على حال واحدة في المسكان الذي يعمده فيه فيستنتج من ذلك انه مات . أفلا ينطبق هذا الكلام اللطيف على الانسان اطلاقاً ؟ هو ما دام حياً متقلب ، او بالحري يتنازعه دائماً عاملاً ، عامل الخير فيقر به من الله وعامل الشر فيعمده عنه تعالى . ولا يوجد العالمين او يزيلهما الا الموت .

والشيخ التازي على كرامته لم يكن للسيد احمد غير الواسطة الاولى . اما الثانية وهي بشرية كذلك ، فتجسمه بالحضر ابي العباس . الا انه قبل ان نصل الى الحذر لابد من الدخول في الباب الثاني اي شيخ الشيخ التازي . نعم قد كان للتازي كذلك شيخ هو عبد العزيز بن مسعود الدباغ من فاس . وما كان لعبد العزيز من الحياة الدنيا غير ستة وثلاثين سنة لزمه التازي مدة سبع عشر سنة منها .

قد اخبرتك كيف اجتمع الادريسي بالتازي ، فاخبرك الان كيف اهتدى التازي بالشيخ الشاب عبد العزيز الدباغ . يظهر ان شيخ سيدي احمد كان تاجراً في اول امره ، او انه كان يتجر في بعض الاحايين ارتفاقاً . فر يوماً بالدباغ وهو يريد ان يتجر في الحنطة فدنا الدباغ منه وهمس في اذنه : لا تتجر في الحب والتجر في السن . اشتره من يوم كذا وبعه في يوم كذا ولا تبقه بعده . فعمل التازي بما قال فربح ربحاً كثيراً . فجاه اليه شاكراً . فقال الدباغ : ليس المقصود هذا ، وانما المقصود ان تتجر تجارة ان تبور ابداً . فقال التازي : كيف ذلك ؟ فاجاب الدباغ : اخرج مما ملكك يدك فتصدق به . فعزل يامره ولزمه منذ ذلك الحين واطلع على اسرار في العلوم والتفسير فلقنها

بواسطته من المحضر ابي العباس . وقد عاش التازي ستين سنة بعد وفاة شيخه
الدباغ وكان هو وتلميذه الادريسي يزوران ضريحه وينشدان هناك الاشعار .
لقد نبئت في القلب منكم محبة كما نبئت في الراحتين الاصاب

.....

تسقتكم طفلاً ولم امر ما الهوى فشاب عذاري والهوى فيكم طفلاً

من كروامات التازي انه غاب عن بلده مرة يذكر اخوانه في الله فأت
ولده فأخبر بذلك فارساً الى اهل يقول : لا تدفنوه حتى احضر . فحضر
بعد ثلاثة ايام فخطب ابنه قائلاً : من قال لك موت ؟ ثم باذن الله فقام
الولد حياً . ان كاتب الترجمة التي اعتد عليها يذكر هذه الكرامة كأنها
حادث عادي مألوف . والي ناقل الخبر حياً بنشر ما اظنه ظلاً الهياً حقيقة كلية
لا بد في مستقبل الانسان والايان ان تصبح قوة من القوى البشرية العامة
يستخدمها صاحبها خير الناس . يستخدمها في الشفاء من الامراض على الاقل .
فاذا مرض احد في بيتك تقول له : من قال لك ترض . اشف باذن الله تعالى
فيشفى في الحال . وكان التازي يهذر احياناً بين اصحابه اعتقاداً لهم ، فيقول
مثلاً : وددنا لو جانا احد بشر من القوقاس ، او بعنب من البحر . فيقول
بعض اصحابه : كبر سن الشيخ . ولكن السيد احمد ، وقد كان اطلع له
من بنانه ، كان ينهض فيتهماً ويتروك للسفر ويحيي . الى شيخه فيقبل يده
مردعاً ويقول : ساجني . لك بعنب من البحر . فيقول له التازي سرأ في اذنه :
يا احمد امرنا كله جد ، من يُعطِ الجد يُعطِ الجد .

ما اكبرها وما اجملها كلمة . اخذها السيد احمد عن شيخه التازي وجاء
بها الى مصر . من يُعطِ الجد يُعطِ الجد . كان يومئذ في العقد الرابع من
العمر ، فاقام في ارض السككانة قليلاً ثم سافر الى مصكة فاقام فيها ثلاثين
سنة يجادل ويناقش العلماء ، ويشرح ويعلم العلوم الروحية . وكان يقول دائماً :

لكل نبي دعوة مجابة ، ولكل ولي عند نبيه طلبه مقبولة . هذه هي نقطة الخلاف بين السالكين من سنيين وشيعيين وبين اهل التوحيد الوهابيين الذين كانوا قد استولوا في ذلك الحين على الحرمين .

اما اذا قبلت قاعدة السيد احمد فيخفي لك ان تقبل كذلك نتائجها . فتقول ، والمنطق اساس المقول : ولكن شيخ طريقة عند وليه طلبه مقبولة ، ولكل سالك عند شيخه شفاعة ، ولكن امرى . عند السالك مثلها الخ . هذا نظام في العقيدة والايان يفسد غالباً الغرض السامي منها . قد رأينا مثلاً امته في حلقة الذكر . وهناك امثلة اخرى عديدة في من يلجأون الى الاولياء . والى المشايخ ، بل الى الاشجار والاحجار عند ضريح من كان من الابرار . ليس المقام مقام جدال في الدين وتفضيل بين السالكين والموحدين . ولكني اقول ان السالك الحقيقي يصل في نهاية امره اللهم اذا كان مجداً مخلصاً الى اسمى درجات التوحيد .

هذا السيد احمد ابن ادريس الذي لم ينقطع قط عن صحبت المشايخ العلماء . يأخذ عنهم وعن المتقدمين من السالكين حتى قيل له من الحضرة الالهية : لم يبق على وجه الارض احد تنتفع منه الا القرآن . ففنى بعد ذلك سنياً عديدة لا يشتغل بغير الكتاب وتفسير آياته ودرس حقائق معانيه . واظن انه قال أثناء ذلك كلمته المأثورة : طريقتي سُم السعادة . ثم تدرج منها الى كلمة اكبر واجمل : طريقتي ما فيها كرم^(١) التقدم الاول ها هنا والثاني عند الله . هوذا الصوفي في اسمى درجات التوحيد .

قد تدرج السيد احمد في الوسائط كذلك . فقد كان بينه وبين النبي كما تبين واسطتان بشريتان هما التاذي والدياغ واسطة روحية هي الحضرة

(١) يريد بالكرم الوجود بعد العدم والعدم بعد الوجود . اي لا عدم في طريقته سابقاً ولا حقاً .

أبو العباس، والحضر الذي كان يجتمع بالنبي في حياته هو الواسطة بينه «ص» وبين الدباغ عبد العزيز الذي كان يجتمع به ويأخذ عنه في اليقظة وفي المنام. وكذلك السيد أحمد، فقد استغنى رويداً رويداً عن الوسائط كلها، كما استغنى بالقرآن عن العلماء أجمعين، وصار في آخر أمره - ويصح أن نقول في بداءته - يجتمع بالنبي مباشرة مثل الدباغ في اليقظة وفي المنام.

قال السيد أحمد: اجتمعت بالنبي اجتماعاً سورياً ومعه الحضر فأمره النبي أن يلقني أورد الطريقة الشاذلية^(١) فتلقتها بحضرة «ص» ثم لقتني بأمر من النبي أيضاً سائر الأذكار والصلوات. ثم رفع النبي السيد أحمد إلى مقام الحضر وصار يكلمه بدون واسطة: يا أحمد قد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي التهليل الخصوص^(٢) والصلوة العظيمة^(٣) والاستغفار الكبير^(٤) المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة. وقد قال له بمختصر الاستغفار الكبير: خزنتها لك يا أحمد. ما سبقك إليها أحد - عليها أصحابك يسبقوا

(١) قد سمي السيد أحمد طريقته إجمدية نسبة إلى اسمه وهي تدعى كذلك في خامسة وعسير أما عنوانها فنسوان الطريقة الشاذلية لأن أنبياءها يسلكون بالهليل والادمية سلك الشاذلين. وقد كانت طريقة التازي شاذلية تامة تتصل بواسطة شيخ بني قاصر في المغرب بالشاذلي. وطريقته بني قاصر هي في نظر الدارين أشرف الطرق الشاذلية هناك ولا يسجدون بها إلا للعلماء.

(٢) أي لا إله إلا الله في كل لحظة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

(٣) منها: اللهم إني أسألك... أن تصلي على مولانا محمد ذي القدر العظيم... صلاة دائمة بدوام الله العظيم، واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس طاهراً وباطناً، غبطة ومناجاة، واحمله يا رب روحاً لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم - كتاب الأحزاب والأوراد صفحة ١٨٢

(٤) منه: استغفر الله العظيم... واتوب إليه من جميع المعاصي كلها والذنوب والآثام... من الذنب الذي أعلم ومن الذي لا أعلم عدد ما أحاط به العلم وأحصاه الكتاب وخفيه القلم... كما بيدي لجلال وجه ربنا وجلاله... - كتاب الأحزاب

بها الاوائل .

لعسري ان من يتجه بكل قواه العقلية والروحية والفنية الى كتاب او الى امر او الى عقيدة او الى طريقة صوفية كانت او تجارية يرى منها ومن نفسه العجب . فكيف لا يجتمع بالنبي من قضى ستين سنة يفكر بالنبي ، ويقرأ ويردد كلمات النبي ، ويتوسل « بالصلاة العظيمة » الى النبي في النقطة وفي المنام ؟ ان صورة اصولها في قلبي كل يوم لتعكس امامي من حين الى حين فاراها بالعين المجردة كما اراها بعين الخلق والروح ، وان شئت فقل بعين الخيال ، واصمها كذلك تنطبق بما طالما حلفت به ورددته مراراً وتكراراً ، نقطة ومناماً . فضلاً عن ان السيد احمد الذي ابتدأ بالتأزي معلماً وانتهى بتجسد اصبح والنبي شيخه الاكبر ونوره الانور . وهو اي السيد احمد القائل : الاستفادة من شيخك اكثرها يكون بالتوجيه القلبي . اسأله بقلبك فيحيبك بقلبه^(١) هوذا الصوفي السطحي يتكلم . وهذه فيه صورة من صور الطمع القديسة .

اما من وجهة علمية عرفية فقد كان السيد احمد سيد العارفين وقطب المحققين ، جامعاً بين علمي الظاهر والباطن . وله فيها الباع الطويل على الاخص في علمي القرآن والحديث « رواية ودراية » كما يقول صاحب الترجمة « وكشفاً وتحقيقاً » وهو يريد بذلك المفعول والمنقول ، الحقائق الوضعية والتقاليد ، ما روي منها وما ادركته البدهاة وأقره العقل . واني ازيدك من كلام كاتب الترجمة ما لا غلوف فيه ولا مبالغة : « قد خضه الله بالمواهب

(١) واسألك يا الهي ان تشقني بشهود ذاك اذا الجلال تحقفاً كلياً وشهوداً حياً يستغرق جميع ذاتي وصناتي وجملة اجزائي وكلياتي ويخرجني من شهود كل شيء . سواك واسألك باستاك العظيم ان تشقني في شهود تجليات ذاك بالعين التي لا يحجب عنها شيء في الارض ولا في السماوات وأفض على جميع ذاتي لذة ذلك الشهود حتى اكون كلي لذة ذاتية الحية دائمة في نفسي من نفسي لنفسي . - كتاب الاحزاب

المحمدية والعلوم الدينية^(١) والاجتماعية السورية . كل هذا صحيح شريف .
واسرف من الاثنين الآخرين الاول اي تخلقه باخلاق النبي او ببعضها .

على ان هناك امرأ يختص بعلوم السيد احمد قد يظن في ظاهره الشعوذة
التي اجده عنها . ولكنه استحال علي فهم السر في يده . فقد كانت كما قيل
لوح العلم المكنون ، ينظر اليها فيرى ويسمع ما وراء المحسوس والمظنون .
بل كان اذا سئل عن شي . في القرآن ينظر الى باطن كفه ثم يشرع يفسر بما
شاء من العلوم الدينية . واذا سئل عن حديث شريف ينظر الى ظاهر كفه
ثم يتكلم بما يبهه العقول . فإلا الصلة ياترى بين كفه وبين تلك العلوم والاسرار ؟
حبذا لو اذن للشيخ السنوسي بشرح « احزابه واوراده » . فقد يكون تمكن
من امادة النقاب عن هذا السر في طريقة السيد احمد وفي يده . ولكنه لم
يأذن للسنوسي بشرح الاحزاب خوفاً من ان تفسدها الشروح . فقد قال له :
لا تخريباً يا ولد السنوسي ، انما شرحها في جنة عدن .

اما السيد محمد السنوسي الذي اجتمع عندما جاء مكة للحجج ، السيد احمد
الادريسي فهو من علماء المغرب الكبار . وقد أعجب جداً بالسيد احمد ولزمه
عدة اقامته في مكة ، فآخذ عنه واذعن له الاذعان التام . لذلك ترى الطريقة
السنوسية في كفرة اليرم جامعة بين الادريسية والشاذلية . ولكنها تدعى
محمدية لاتصالها بواسطة الادريسي فالتازي فالديباغ فالحضر بالنبي . وقد عادت
الى الغرب بواسطة السنوسي ، وسارت الى افريقيا بواسطة محمد المجذوبي
السواكني ، احد اولياء السودان « الشهير في وقته بين الحلائق » ، بالكشف
الصادق ، والكرامات الخوارق . فقد صاحب السيد احمد عدة عديدة واخذ
الطريق عنه .

(١) العلوم الدينية التي هي من لدنه تعالى اما رأساً بالوحي وبالهداية واما بواسطة
بشربة او روحية .

ثم اتجه القلب الى اليمن ، فبعث الله منها احد السادة ، جاء مثل السنوسي
 للاجح . وليس خجراً من مكة لمن يروم الصيد ، صيد القلوب . كلها تحوم
 هناك . جاء السيد عبدالرحمن بن سليمان الاهدل^(١) مفتي زبيد في عصره فالفى
 السيد احمد فيها « كالمافية للمقيم وكالشفاء للجرح الاليم » ولما عاد الى وطنه
 حدث في زبيد عن شيخه الادريسي وانني عليه كثيراً . ثم كتب ترجمته في
 كتاب دعاء النفس الياني والروح الريثاني . وبين هر وبعض العلماء يوماً في
 ذكر كراماته - بذكر الصالحين تنزل الرحات - هزهم الشوق اليه ، ومثلهم
 التوجد بين يديه ، فقال السيد الاهدل : هذه ساعة الاجابة ان شاء الله .
 ارفعوا ايديكم بالدعاء ان ياتي الله به اليانا . فلما تم المجلس قال : آرتخوا
 اليوم وهذه الساعة . وصكان في مكة يومئذ ان حرك الله داعي السفر في
 قلب السيد احمد ثم امر به فخرج يبقي مريديه يوم هاجهم الشوق اليه .
 وعندها وصل الى تهامة كان اول نزوله في زبيد عند السيد الاهدل عبدالرحمن .

جاء الادريسي اليمن مبشراً بعقيدته ، داعياً الى طريقته ، فاشراً ما منحه
 الله من علوم اسرار الكتاب والسنة . وكان حريصاً زلي محققاً مجتهداً ، فنظمت
 في مدحه القصائد وتبارى في ذي الحلية شعراء زبيد وبنت الفقيه وتبرز
 ووصاب ، وتهاافت عليه الناس خاصة وعامة يستشيرون بشكائهم ويتفتنون
 ببحر كانه^(٢) بل كان العلماء والمشايع له سامعين ، ومنه اخذين ، وكانت زبيد
 نقطة دائرة اماله اقام اول مرة فيها عشرين يوماً ، وعاد بعد ان ضاف في
 تهامة اليها ، فاقام فيها بضعة اشهر ، فاخذ الناس يتسابقون الى اقتبال دعوته

(١) السيد عبد القادر الاهدل في مراوغه اليوم هو سني السيد عبد الرحمن واحد
 افاضل العلماء هناك

(٢) ولقد املى عاقله الله من تلك الرقائق والحقائق ما استنارت منه قلوب سليمة ،
 وتداولت من جراحات غلظها قلوب أبلسة . - من كتاب النفس الياني والروح
 الريثاني .

ونشر طريقته ، التي اجازها للسيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل هو واولاده
اجازة عامة « في جميع العلوم المقربة من الله تعالى » . ولا تزال زعامتها في
بيت الاهدل الى اليوم .

ما يحزن في اخبار رحلة السيد في اليمن ان تلك البلاد كانت منذ سنة
سنة ارقى مما هي اليوم . فقد كان اهلها متيقظين ، وفي العلم راغبين . فكان
الشعراء والعلماء يومئذ في المدن والقرى ، واليوم لا تجد في تامة كلها
شاعراً واحداً ينظم باللغة الفصحى . اتلوم لذلك الذين حكموا بعدئذ البلاد ،
ام تلوم التصوف الذي ينفع الفرد ولا ينفع عامة الناس . اني متيقن ان لا
تصوف في الجماعات ، وقد استحال عندهم طرقات وحلقات .

عاد السيد احمد شمالاً في رحلته فزار الحديدة ومزارعه وباجل ثم صيبا
البلدة المشهورة القريبة من ابى عريش ، فاستقر فيها واستوطنها ، فكانت
هناك خاتمة الرسالة الصوفية ، وفاتحة الطريقة الاحمدية .

شرفت صيبا بكم فقدت مورداً للمسلم والنزل
ليت شعري ما الذي فعلت فعلت قدراً على رجل

ان اخر من اخذ عنه ابناء اقامته هناك هو الشيخ ابراهيم الرشيد صاحب
الطريقة الرشيدية . فقد صحبه في صيبا مدة السبع السنوات الاخيرة من حياته
فاغتم فيوض بركاته حتى النعمة الاخيرة منها التي فاضت من نفس السيد احمد
ورأسه الشريف على ركبة تلميذه ، وذلك في تسعة بقين من رجب في السنة
الثالثة والخمسين والمئتين والالف (١٨٣٧ م)

قد قيل ان الرشيد كان اقرب الناس الى شيخ صيبا ووليها ، وارضعهم
قديماً في علومه واسرارهم . ولكننا سمعنا وشاهدنا في طريقته ما ينفي ذلك .
حلقة حضرها في عدن فيها الولدان ينغمون ، ورجال بطييون ويتصايون ،

وصغوف من الحسن والشوق قبيل بعضها الى بعض ، وعيون تنو الى القمر في السماء ثم الى الافار امامها ، وشيخ حلقة جالس على منصة يراقب منها العمل بل التشيل . انه في تعليم الولدان ، لاستاذ بارع يعلمهم الغناء والجداء والسجود ، فيستصي في اذكارتهم الجلود ، ويفرض في الحلقة سر الوجود - خاتمة الخاعد والورود . ان مثل هذا التطور في التصوف ليحزن جداً . واني اجل السيد احمد عما يجري باسمه اليوم في تهامة وعسير وفي السودان ، واعتصم بروحه الشريفة الطاهرة منها .

حققتي يا الهي بانسانيتي حتى اصكون انسان العين السكلية الالهية التي لا يحصرها شيء . ولا يقدر قدرها سواك .

واسمعي غاية لذيذ خطابك ومحدثتك في شكل حال من احوالي بجميع كلياتي حتى لا تفارق ذرة من ذوات اجزاء ذاتي من ذاك السماع الالهي لحظة ولا اقل من ذلك .

واجعلني يا الهي لك عبداً محضاً عبودية خالصة لا رائحة ربوبية فيها على احد من خلقك .

وتجلى لي يا الهي بمقام الاستواء الجامع لمراتب الخفية الالهية شكلها حتى اعطي كل مرتبة الهية حقها من نفسي .
وتجلى لي يا الهي بسر توحيد الذات المطلسم في آية الانانية الموسومة :
انا الله لا اله الا انا فاعبدني .

وتجلى لي يا الهي ياذا الجلال والاکرام فاجد لذة الرحي الالهي مني الي دائماً ابداً سرمد متزهة ان يلحق بها او يقرب منها لذة في جميع الوجود بحيث لو وضع منها قدر رأس شعرة على جميع العالم لنام بعضه ببعض ، من غير ان تفارقني تلك اللذة لحظة ولا اقل منها حتى اصكون

حقاً الهياً في نفسي ^(١)

من أين للعامة الذين يصيرون في الحلقات ويرقصون ان يتفهموا مثل هذه الروحانيات ، ويتذوقوا مثل هذه الالهيات ؟ بل من أين لمشايخ الطرق والسادات المتصوفين ان يدركوا معنى شيخهم الاكبر في « الاستواء الجامع لمراتب الحقيقة الالهية » وفي « آية الانانية الموسوية » و « بسر توحيد الذات » و « بانسان العين الكلية الالهية » ؟ انهم لو ادركوا مقدار ذرة من مقاصده ومعانيه في هذه الحلقات والتشوقات لفروا من الحلقات هاربين ، وراحوا افراداً ساكنين قانتين ساكنين . ان بشراً يصبو الى قباب الالهيات بل الى ذروتها وينتقي ان يكون انسان عين الله لتستوي عنده مراتب الحق كلها ، فيجوز في كل مرتبة ، في كل دين ، في كل مذهب ، صلة الهية فيعطىها حقها من نفسه ، ان مثل هذا البشر العظيم لينفع في حياته الناس ، ولا ينفع بعد موته غير افراد من الناس بل يضر كثيراً في ما يقام له من التكريات وما يسود باسمه من الجبريات .

اجل ، وقد يضر اشد الضرر بفلسفه في الزهد والفقر تصالح الزاهدين ولا تصالح الامم والشعوب الا اذا عمتهم اجمعين . وامسوي انها حتى في كرامتها وشرفها تخالف الناموس الطبيعي الذي جعل في العمل خلاصاً للانسان ونعمةً وبناً . بعرق جبينك تأكل خبزك انها حقيقة اقتصادية واهية معاً . ولكني انا الكسلاان اتفلسف في الزهد وقد اصكون صادقاً في زهدى مقتدياً بالنبي القائل : لكل نبي حرفة وحرفتي الفقر والجهاد . وقد اكون كذلك فصيحاً بليغاً ، فاكتب رسالة اسمها « كيمياه اليقين » كما فعل سيدي الابراهيم بن ادريس ، فاقرهن فيها ان طلب الرزق حرام ، واجبي . بالشواهد الدينية ، والاحاديث النبوية ، والثرادر والملح اثبت ما اقول واستقوي به الناس ،

فاظلم امة كاملة بحديث من الاساطير النبوية : - لو ركب الانسان الريح
وهرب من رزقه لركب الرزق الهوى وادركه حتى يدخل فيه .

ما اجله والطفه حديثاً ، وما اقرب الموت من حقيقته . قد ينجو بها
امرؤ وتهلك بها امة جماء . اني اذا اختوت لنفسي الفقر والزهد اخطىء اذا
استخلصت منها قاعدة يسلك بموجبها الناس او مثلاً يشعلون به فكيف في
اذا قصصت تعزيزاً لطريقتي مثل هذه القصص النطيفة . كان امرؤ يصلي في
المسجد ويلزمه دائماً ليل نهار . فسأله الامام : من اين تأكل ؟ فقال له :
من ملك السماوات . فقال : وهل يدلي لك بالقفة ؟ فاجاب : نعم . فاخذه
الامام الى بيته ودلاه في البئر وذهب الى السوق . وكانت امرأة الامام
وخادماتها وامامها اكلة حلبيه مما باكلها ، فطرق الباب طارق فضأت الاكل
في البئر . دنته بسلة فوقعت على الزاهد فتناولها واكل هنيئاً . دلى له الاكل
ملك السماوات . اجل ، وزقك يديك كالظلل . كثر المؤمن ربه . قد وعد
الله العباد برزقهم والله صادق بوعده . . . ان الاهتمام بالرزق اذن تكذيب
لله . ها هنا قلب الجود في ما التوى من الاسلام ، وموكل الضعف والحمول
في مقام المسلمين .

ولكن في هذا الكتاب الصغير الكبير ، كتاب الاغزاب والاوراد ،
غير رسالة « كيمياة اليقين » العجيبة التي يستوقف عنونها المبشكر الانتظار ،
وريفك غيوها الامرار والتجار ، ويساعد كذلك من يعني في الصوفية والزهد
مسلكاً صالحاً قريباً ان فيه كذلك « اغزب السيفي » وقصته اغرب ما فيه .
قد عرفتك اميا القارىء . تعريفاً سطحياً بالحيدري العالم الشقيطي الذي
جمع « سيدنا احمد بنولانا عبد الوهاب التازي » . وازيدك الان به علماً . يظهر
ان روحية الحيدري كانت مزدوجة اي مركبة من روحيتي الانس والجن .
ويظهر انه كان يباري الدباغ بالاسفار في عالم الغيب بقطعة ومناماً . فاجتمع

هناك بكبير من كبار الجن الذي كان رفيقاً لسيدنا علي رضي الله عنه . من
المعلوم في التاريخ ان علياً حارب الجن وغلبهم ثم اصطحب بعض المؤمنين منهم
في جهاده اخوانهم الكفار . ومن اولئك الصحابة قطب الجن القفائي الذي
كان علي كالحضر اني العباس ثاني . هو القفائي الشهير بعينه الذي اجتمع به
المجيدري فلقيه « الحزب السيفي » من الامام علي . ثم تلقاه السيد احمد عن
المجيدري بروايته التامة وحرفه الواحد . اللهم المتج لنا .

ان الفرق بين هذا الحزب وبين غيره من الاحزاب يحسبنا على تفضيل
الحضر في الرواية والحديث . بل فيه ما يحيط من قدر الانس والجن واسطة
ولا يزيد الامام علياً والسيد الادريسي رفعة وفضلاً ، فيه من مرادفات
الادعية والحمد ، والطبقات والاستغاثات ، ما نجد في غيره من الصلوات ،
وفيه من التسلط والغضب على الاعداء والاستغاثة بالله عليهم ما يروعك
ويزعزع فيك لأول وهلة الايمان بالصالحين الابرار . ولكنك اذا تبصرت
قليلاً بطبق بالك وترى في دعوات السيد الساخط عين الصواب . خذنا بحكمك
في ما ستسمع . ان من يستحسن شيئاً يرغب فيه . فلو كان السياسي او
التاجر او الخندي او الكاهن او الطبيب او المحامي يدعو على اعدائه دعوات
سيدي احمد اقلت : كفر بالله . ولكن المحنون بالحقيقة الكلية ، المجذوب
اليها بجميعه ، ومن صح ايمانه ، وصدق يقينه ، وكرمت اخلاقه ، وصحت
اشواقه ، وتفرغت عن الاثم والجشع والانانية والكبرياء والفتاى اعماله ،
وكان مجاهداً في سبيل الفضائل الروحانية والحلقة كلها ، ان هذا الرجل
يشتهي ان يطور العالم والناس من اضرارها .

وان اعداء مثل هذا الرجل لاعداء الحقيقة والصدق والامانة والايمان
والشرف والقراءة وكرم الاخلاق . فيحق له ان يستجير منهم بالله وان يسأله
تعالى - وصاحب هذه الرحلة كذلك من المستجيرين السائلين - ان يباعد

بينه وبينهم كما باعد بين المشرق والمغرب . وفوق ذلك ، نعم ، وأكثر من ذلك : اخطف اللههم ابصارهم بنور قدسك ، واضرب رقابهم بجلال مجدك ، واقطع اعناقهم بسطوات قهرك ، واهلكهم ودمرهم تدميراً ، كما دفعت كيد الحساد عن انبيائك ، وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك ، وخطفت ابصار الاعداء عن اوليائك ، وقطعت اعناق الاسكسرة لانتقيائك واهلكت الفراعة ودمرت الدجاجة خوفاً من القربين وعبادك الصالحين . . . اللهم بك نصول على الاعداء ، واياك نرجو ولاية الاحياء والاولياء والقرباء امين .^(١)

هذا في كتاب الاحزاب ، ويتلو من الحمد ما لا تضاهي ورعاً وإنسانية ما جاء في أوله اخص منها المحمودة الثانية وهي جامعة مستوفية ، وجيزة بليغة ، هي روح الحمد كلها .

الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم اعلم ، عدد خلقه كلها ما علمت منهم وما لم اعلم . ولكن السيد احمد بشر كريم صادق الالهجة في حالاته كلها فقد كانت له فترات من الحياة فيها الظلام اكثر من النور ، والبؤس اشد من الطور ، فخرج لذلك من التعميم الى التخصيص ، ومن الحمد على ما لا يعلم الى الشكوى بما هو معلوم محسوس . اجل ، وقف مرة في « كنف الله وجواره » يمدد مثل ايوب الصديق المصائب والافات والأمراض والمفاسد كلها ، ولم ينس الفالج والياسور ، ولا استثنى وحشة القبور .

هذا ما في « الحرب السيفي » الذي تلقاه الأذرعي عن السيد الهيدري عن خطب الجان القباقي عن الامام الاسكندر رضي الله عنهم اجمعين .

واكنت وقفت ها هنا في التعريف لولا حاشية « بعض الراجدين من اهل العمل المحققين » التي تذكرنا بالمتنطعين والمشعوذين . قال المذكور في

صلاحه عن حزب آخر^(١) : ان المثابرة على الدعاء السيفي معه مؤثر بالضرورة
والغنى ، وهو بدوره لا يخلو من الرحمة والفقير - اي اذك اذا قرأت الحزب
المعني وحده تفتقر واذا قرأت الحزبين تفتي . فما شبه هذه الشروط بل هذه
الرشوات في الاوراد والحزب بالمفقرات والاجور عند المسيحيين . انما
والحق يقال لا فائدت التقوى وسينات الصلوات .

اسألك اللهم بنور عظمة ذاتك الذي لا يحتمل ظهوره احد غيرك .

لولا لطفك بحبيبك النورانية لاحترقت صور الكون كلها .

ان دون الله عز وجل سبعين حجاباً من نور وظلمة وما تسمع نفس

شيئاً من حس تلك الحجب الا زهقت .

ما قرأت في الاستعارات الصوفية ، وما سمعت من انغامها ، وما شاهدت

في صورها ، اجهل من « حس تلك الحجب » وقد حركتها النسيم الربانية

فهمست اسرارها هماً في الاكوان .

واسألك بسر ذاتك الذي اصبحت فيه حقائق انبيائك والمرسلين

وطاشت بجباله ابواب ملائكتك الكرويين ، وانعدمت فيه معارف

اوليائك واصفيائك المقربين ، حتى تاه الكل في الكل ، وتحيى الكل

في الكل . . . ان تخرجني من شهود كل شيء . سواك . . . فتفتجر

ارض طبعي كلها ميوناً عشقية . . . هنا وهناك . . . ورا . وراء . بلا

ورا . ودون الدون بلا دون .

وهذه في نظري اجمال الازهار الروحية في روضة الصلوات الصوفية ، اذا

فاز بها السالك ، المالك هنا وهناك . كلمة اخرى قبل ان اختم هذا الفصل .

لو ارتقى شكل السالكين الى هذه الدرجة من الادراك الروحي والتذوق

الالهي لبطلت حلقة الذكر . واذا لم يرتقوا فحلقات الذكر كلها لا تفيد .

(١) الحزب المعني لسبدي أويس القرني . ولم يذكر شيئاً من مصادره الانسية او

الروحية او الجنية .

الفصل السابع

الادارة في عسير

الرسالة الروحية - الحكم في عسير في ايام ابن عيسى بن علي المصري - التشار
الوعائية - ثورة الاماني على الحكم المصري الحجازي - التشار الطريقة الاحمدية
- خروج المصريين من البلاد - حكم الشريف حسن - رجوع الاتراك سنة
1869 - ايام ضمها والاساطيل البحرية - الادارة واشرف الي عرش -
زيارة الامام في صيدا - الادارة في مصر والسودان - التزوج بالجواري العبيد
- فساد الاسر والملك - السيد محمد الكبير - اخلاقه - مصادر قوته - معاهدته
مع الانكليز - احتراجه واعتدائه - الترك والزيوت - ما عساه بعد الحرب -
الصوفي والسباسي ومصدر القوة والضعف فيهما - علي بن محمد الامام الحالي -
شجرة بيت ادريس *

واجعلني يا الهي لك عبداً محضاً عبودية خالصة

لا رائحة ربوبية فيها على احد من خلقك .

احمد بن ادريس

ان الرجل الذي توفي سنة ١٨٣٧ م في صيدا . فكأن يكفن التقديس
وشيع الى القبر وياً ، لم يبلغ السيادة على احد من الناس . ولم يحلم على ما
اظن واعتقد تلك عالمي ادريسي في البلاد العربية او خارجها . ولكن من
ضريحه ، وقد اصبى مقاماً ومزواً ، مدت يد السيادة وهي تحمل رسالة طالما
صحبها العرب ، خصوصاً البدو منهم ، واذعنوا لها . ولا غرو والدين عندهم
اساس الملك في الدنيا ، والسبب الاول في خرابه لو انهم يفتنون . يوت
الرجل الصالح الامر الذي لم يرغب في غير العبودية لله الخالصة ، المجردة من
الربوبية على احد من خلق الله ، فيرفع الى مقام الاولياء ، ويؤخذ من ضريحه
حجر الزاوية للملك عربي جديد .

كانت تامة وعسير يوم توفي السيد احمد بن ادريس في حكم مضطرب

لا تركياً يُعرف ولا مصرياً. ومع ان البلاد من القنفذة حتى الحاء كانت في حوزة ابراهيم باشا ابن محمد علي الكبير الذي احتلها بجنوده سنة ١٨٢٦م باسم الباب العالي . فالاهالي على الرغم من الاحدى عشرة حملة التي حملها عليهم من الطائف ومن البحر ظالوا نافرين منه لاثرت عليه .

ومن اسباب تورطهم على المصريين والحجازيين ان كثيرين منهم ، اقتداء برعيصهم الي نقطة ، انتحلوا المذهب الوهابي وكانوا من انصار الامير سعود الكبير الذي استولى على الاقطار العربية كلها . وقد كان انتشار الوهابية في تهامة احد الاسباب في نجاح الطريقة الاحمدية . بالمقاومة تظهر القوى الكامنة في المذاهب وفي الجماعات . واسكن السيادة الروحية العربية فازت نهائياً على السيادة الوهابية ، لان « توحيد » الناس يمتثل في تهامة لم يكن غالباً عن اعتقاد بل كرهًا للحكم الشريف الذي كان يوماً تركياً ، ويوماً مصرياً ، ويوماً عربياً ، ودائماً حاكماً ظالماً جائراً .

استمرت هذه الحال عشرين سنة . وعندما قورت الدولة ان تنسحب جنودها من تهامة وعسير سنة ١٨٤٠م ^(١) كان يطمع بالسيادة فيها ثلاثة من امراء العرب ، هم الشريف محمد بن عون في مكة الذي كان يساعد المصريين في حملاتهم على تلك البلاد ، والشريف حسين بن علي بن حيدر من اشراف ابني عريش الذين كانوا يحكمونها ، والامام الزبيدي في صنعاء الذي كانت تهامة سابقاً في حوزته وجزءاً من بلاده . فاتفق محمد علي باشا يومئذ مع اقدرد الثلاثة وادهاغم وهو الشريف حسين فسلمه زمام الحكم في تهامة ، على ان يدفع سنوياً الى الدولة قيمة من المال .

كان الشريف حسين في حكمه ظالماً ، وفي سياسته مراوفاً مستبداً ، يطمع بالاستيلاء على اليمن كله وبإخراج الانكليز من عدن . فنشبت بينه

(١) في الفصل الثاني من القسم الرابع في هذا الجزء . بيان الاسباب في الجلاء .

وبين امام صنعاء حرب استمرت بضع سنين تناوبته فيها الهزيمة والنصر ،
فوقع مرة في يد الزيد اسيراً ، وبسط بعدئذ سيادته على اساك كل تهامة كلها
حتى الحظ ، فأثرت من جورده ومظالمه الناس .

ثم عادت الدولة سنة ١٨٨٩ تحارب الاسيلاء على اليمن وعسير ، فزلت
جيوشها بقيادة توفيق باشا في الحديدة واستولجت الحكم من الشريف حسين
الذي عاد الى مقره في ابى عريش .

ومن غريب ما يعيده التاريخ من حوادثه ان امام صنعاء كان يحارب
يوشع اسفجج الحديدة من الأدرسي . وكان الانكليزي يومئذ كما هم اليوم
متذبذبين بين الاثنين اي بين حاكم الاساكل وحاكم الحبال .

تزل توفيق باشا في الحديدة ، ويسط شيئاً من حكمه في تهامة ، وتقدم
بجيوشه الى صنعاء كما اسلفت القول في الفصل السادس من القسم الثاني من
هذا الكتاب . وقد كان اليمن الاعلى اهم ما ينبغي في خطة الاستيلاء ،
فعدت تهامة الى ما كانت فيه من الاضطراب لا يحكمها فعلاً لا الاتراك
ولا اشراف ابى عريش . فجاء ابن ادريس يشيد بين ظلال الساداتين
المتداعيتين حكماً روحياً بل حكماً حقيقياً ، انتشرت كلمته وتمددت رساله
شمالاً وجنوباً في البلاد .

جاء الناس من اليمن ومن تهامة وعسير يزورون المقام في حباً وبتبركون .
وكان السيد محمد بن الولي الجديد مقياً هناك لتنازعه عوامل الدنيا ونوافل
الدين . ولكن المقام صار عرشاً ، وصار سيد المقام تدريجاً سيد الاقوام ،
فسرت في مجاري القديسات السياسة ، وشرع أبناء ادريس يناهضون سرّاً
وعناً اشراف ابى عريش حتى تقلبوا عليهم . ثم حاولوا بواسطة العشائر
ابناء الطويقة الاحدية الجديدة ، ان يتغلبوا على الاتراك فلم يفلحوا في بادىء
الامر . ولكنهم استمروا يستثمرون تلك السيادة الارثية التي اصبحوا

بسيما اثبت قدماً ، وابعد نفوذاً ، واوسع جاهاً من صائر اعدائهم في البلاد .
وقد تجاوز ذلك اجلاء عسيراً فوصل بالمهاجرة الى مصر وبلاد المغرب .

جا . ابن ادريس مهاجراً من الغرب ، وراح ابن ادريس مهاجراً من بلاد
العرب ، ولد للسيد محمد ولد دعاه عبد المتعال فلما شب سافر الى مصر وتزوج
واقام هناك في قرية الزينية قرب الاقصر . وولد للسيد عبد المتعال عدة اولاد
سافر بعضهم الى المغرب فتزوجوا من بيت السنوسي هناك واقاموا في
القيروان . ان لهم كذلك بيوتاً في الزينية وفي ارجو بالسودان . اما في عسير
فمنهم اليوم ثلاثة هم السيد مصحافي والسيد السنوسي والسيد العربي ابنا
عبد المتعال . وقد حافظ هذا الفرع من بيت السيد الاكبر على مقامهم
وسيلتهم فلم يتزوجوا من غير بيوت الاكفاء والاقربان .

اما جد هم السيد محمد فقد استرسل الى اعرائه فاساء الى شريف ارنه .
بل ان فعلته التي اضررت ولا شك بسيلته لتجاوز الاساءة لانها حدثت وهو
لا يزال في ظل ابيه الابر ، قريباً من اثاره القلبية . قلت في فصل سابق
كلمة في اختلاط الشعوب جنساً ولوناً بالزوجة ، وقدمت شهوداً احياء على
بعض نتائجها . ان من يحب بيت ادريس ويغار على خيره واسمه ليأسف جداً
لما بدا من السيد محمد الاول رحمه الله وما كان عمله ليسترقف الانظار ،
ويحزن الانصار ، لولا مقامه الديني والمدني ، لان من يقتنون الجواني في
الحجاز وعسير ويتزوجون بهن حتى من الاشراف كثيرين . الا ان من كان
بعيد النظر حكماً يدرك ان البيت الشريف الطالب للسيادة والملك لا يسلم
بين شريفين كبيرين ، شريف مكة وشريف صنعاء ، اذا كان لا يحافظ
على شرفه في دمه ونسله .

اقتدى السيد محمد بالسادة زملائه فتزوج بجارية سودانية ولدت له ابناً
دعاه طياً ، فكانت بدانة الدم الاسود في سيلة بني ادريس بعسير . ثم

تزوج السيد علي بقتة هندية هي ام السيد محمد الثاني فلم يصلح في خطأ ابيه شيئاً ظاهراً . ومع ان هذا الولد الهندي الام ، السوداني الاب الحجب ونسب في بيته ، فلا النجاسة ولا النبوغ يصلحان ما تفسده السياسة بسبب النجاسة في ملكه .

ولد السيد محمد الذي يستحق ان يدعى الكبير في صيا سنة ١٨٢٦^(١) وحي . به شاباً الى مصر فدخل كلية الازهر وتخرج فيها . ثم سافر الى كفرة بالغرب فقرأ هناك على السيد السنوسي ، وجاء منها الى السودان فاقام في ارجو بدنتقه ، وتزوج بابنة الشيخ هرون الطويل شيخ الطريقة الاحدية هناك . رسا وتزوج في بلاد السود ، بلاد ابيه وجدته ، لانه لم يكن في دمه وهياته ما يوقه الى غير ذلك . ولكن نفسه الكبيرة الشريفة ابت عليه الحول والاستعداد . وكانت الاسفار قد زادت بطومه ومداركه ، فكبرت معها المطامع واستيقظت قواه فشد الرخيل .

عاد السيد محمد من دنقله الى عسير ، الى مسقط رأسه ، الى قاعدة ملك جلّه في ذاك الحين صوري او متزعزع ، فكانت الفوضى ضاربة في البلاد اطنابها ، وكان الترك جنوباً يحكمون حيثما يستطيعون ، ويستغزون رؤوساء العشائر بمشاهرات لا بدفعون غير السيد منها . فانقلبت عليهم اصحاب الديون واستألفهم الادريسي اليه . وقد شاهد غيرهم من المشايخ يتشاغبون ويتفانون فاستفاد بما هم فيه ، واستعان بزعيم على اخيه . حتى ساد اكثرهم فثبت كل كبير في قومه ، واقتدى بامام صنعاء فأخذ منهم الرهائن ليأمن منهم الردة والحيانة . ثم مد سيادته شمالاً وشرقاً الى الجبال فجمع عدة افخاذ وبطون من العشائر تحت لوائه الذي رفع برهة عند حصن أبيها وعلى حدود حاشد ويكيل .

ولكن نجم السيد محمد لم يملُ ويتلألأ في سما آل ادريس الا خلال حروب بين الدولة العثمانية ودول الافرنج ، اي حروبها سنة ١٩١٢ مع ايطاليا

(١) توفي في نيسان سنة ١٩٢٣

ثم اشتراكها في الحرب العظمى على الاحلاف . فقد كان في الحربين خصم
الترك اللدود ، والحلف الذي لا ينقض العهود . اخذ من الايطاليين سلاحاً
فاستخدمها ناراً وسياسة على عدوها وعدوه . واخذ من الانكليز مالاً وسلاحاً
فخدم الاحلاف في الجزيرة خدمة ، وان صغرت ، لا تشوبها الاطماع ، ولا
يفسدها الخداع . وقد كان لا يزال له غير الاتراك عدواً . فحارب هذا العدو
كذلك باجاء من الحليتين . ولكن انتصاره على الزيد في ذاك الحين كان
يمد انتصاراً على الاتراك .

ان من فضائل السيد محمد تباقة منذ بدائة امره على مبدأ واحد . فقد
كان عربياً صمياً ، جسوراً في سبيل ما يضيئه ، يخاف اية دولة كانت على
اعدائه الترك ومن كان حلفهم من امراء العرب عليه . فأتذبذب في مبدئه ،
ولا تحول عن عزمه . حارب الاتراك وحليفهم الشريف وصديقه الامام
فكان في الغالب منتصراً ودائماً عزيزاً . لا انكر ان الاحوال كانت حليفته ،
ولكنه سلجها من لدنه بالعزم والمضاء .

وبما يجمل الافرنج والعرب ان السيد محمداً كان اول من انضم الى
الاحلاف من امراء العرب ، واول من حمل في البلاد العربية على دولة الترك
حليفة الالمان . فقد عقد معه الانكليز بواسطة حكومتهم في عدن المعاهدة
الاولى في نيسان سنة ١٩١٥ التي بوجها تعهدوا ان يقدموا له السلاح والمال ،
ويحموا اساكل بلاده من التعديات الخارجية . فباشر في الشهر التالي القتال .
خرج ابن عمه السيد مصطفى في اثني عشر الف مقاتل على الاتراك فذحروهم
دحرات متواليات ، ووصلت جنوده شرقاً الى قرب صنعده وشمالاً في تامة الى
القفزة . واسكن الادريسي بعد ان استولى عليها في ١٠ تموز سنة ١٩١٦
اخلاها للملك حسين اسكراً لاصدقائه الانكليز الذين عقدوا معه معاهدة
ثانية في كانون الثاني سنة ١٩١٧ تتعلق بجزيرة كرسان وكان قد اخرج الحامية

التركية منها واستولى عليها .

كان السيد محمد حصيفاً ذكياً ذا حنكة ودهاء ، يستعين على عدوه بكل ما حوله من زعامات وشعقات ، بالزرائق مثلاً على الاتراك ، وبالشوافع على الزيد ، وبالعشائر على الاشراف ، وبالانكليز على الجميع . وكان له عون كبير في ارثه الروحي ضاعف نفوذه الشخصي وزاد ذكاه الفطري لمعانا .

ان مثل هذه السياسة الروحية المدنية المتوكلية في معظم شأنها على الانكليز لا تستغرب من امير يُبعد في البلاد دخيلاً ، وهو في تجهيز المساكن والدفاع عن نفسه يحتاج دائماً الى المال والسلاح اما خراج سير فلا يتجاوز المئة الف ريال اي اثنا عشر الف جنيه شهرياً ، منها ثلاثون الف ريال من الحديد^(١) بيد ان جنده لا يتجاوز في ايام السلم الخمسة نفراً وهو يقوم اذ ذاك مقام الشرطة في البلاد .

ولكن الادريسي يستغفر في الحرب القبائل بواسطة المشايخ والمقدمين فيلبية ثلاثون الف مقاتل وي زيد ، وهم يجاربون على الطريقة الاولى حرب البدو . يحيي رجال كل قبيلة او بطن او فخذ برادهم وركائبهم وما عندهم من السلاح ، فيعطيههم الادريسي ما يحتاجون اليه زيادة ، ويمدحهم بالذخيرة ، ويدفع فوق ذلك رواتب مرضية . ولكن الغنائم هي الجاذب الاكبر في حروب العرب كلها . لولاها لما كان جند في ذلك البلاد يذكر . اما الامير الكريم الذي يفتقد على المشايخ والزعماء فهو الفاتر على ذملائه في السياسة ، والمتصر على أعدائه في الحروب . ولم يكن في سلاح السيد محمد الادريسي وقواته في حروبه كلها امضى من هذا السلاح اي الكرم . فقد كان يمنح كذلك الى الكثيرين من السباهلة والمشايخ الذين يؤمنون صلباً من بلاد المغرب ومن مصر .

(١) اي ان خراجه السنوي نحو مئة وخمسين الف جنيه ، منها ١٥ في المئة عنود اي حبوب وغيره و ٨٥ في المئة ذهب وفضة .

دعوته بالكبر ، وهو لا مشاحة اكبر من حكم في مصر من بني ادريس ، بل هو مدنياً سيدهم الاكبر كما ان جده السيد احمد اعظم الاكبر روحياً . وفي الاثنين ، الصوفي والسياسي ، مصدر القوة والضعف في الحكم الادريسي . قد تكون العبارة مبهمة ، فيفهم منها ان مصدر القوة في واحدة من تلك القوتين ومصدر الضعف في الاخرى . ليس هذا ما اريد . ان في الاساس الديني لهذا الحكم قوة تعززه في البداية وتضعفه في النهاية ، تعززه في دور التأسيس والنشز ، وتخلّذه في دور التوسع والاستيلاء . ولا بد في الدورين من التطور ، ولا بد في التطور من التفكك في العناصر المذهبية . اي ان حكماً مثل حكم الادريسي يضمف في التوسع ، يوق في الامتداد ، لان اساس المذهب واساس المذهب الطريقة . والطريقة لها مقام قد تصفو في جوارها ولكنها تفسد وتعمق كلما بعدت عنه . وهذا ما يجري فشل الصوفي .

اما السياسي لمصدر الضعف فيه ، وقد ذكرت مصادر القوة في السيد محمد ، انما هو في الدم الذي تخلل صفاء النسل وسلامة النسب في بيته . وليس نبوغه وكبر اخلاقه بحاجة على ما اقول . فلو كان المرء شاعراً او صوفياً او فلاحاً او تاجراً لما عم لونه وشكله ولما اثر الدم في حياته ومقاصدها . ولكن في الملك وفي السياسة ترى ذلك في يد اعدائه من الطبع الناطقة عليه . خدمت الحروب الاجنبية مقاصد السيد محمد فاقسم ملكه وما ازدادت شوكته . فقد كانت قبل الحرب حدوده جنوباً بين ميدي والحيّة عند سبل يدعى وادي العين ، قامت بعد الحرب الى ما دون الجديدة فدخلت هذه المدينة ومعها اللجة والصليف وابل وجمال والزبدية في ملكه . ولكني لم اشاهد عندما كنت هناك ، لا في الحكم المدني ولا في السيادة الروحية ، ما يساعد على عمرانها ويثبت قدم السيد فيها .

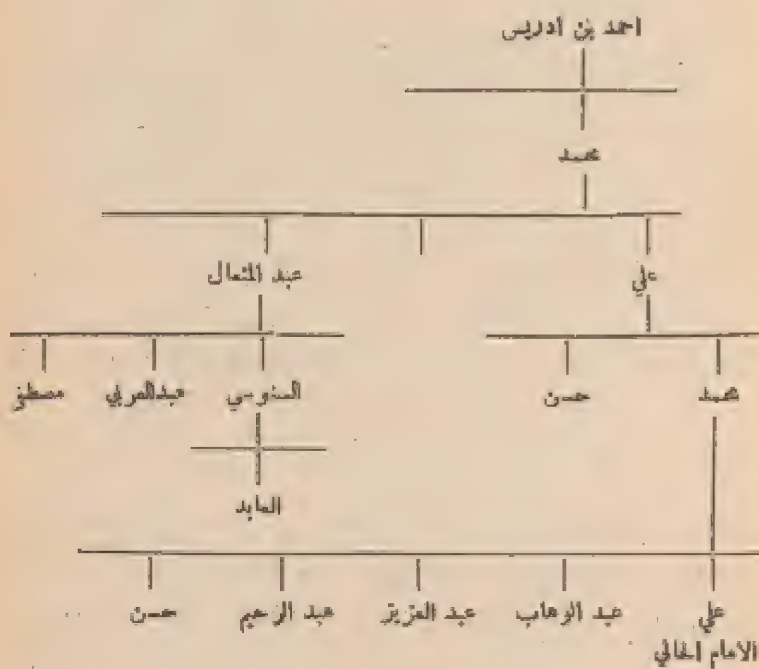
فهل تتغير الاحوال فتخدم خلفه في ما ضنت به عليه ؟ ان ابنه البكر

علياً في التاسعة عشرة من سنه . وقد بايحه الناس بعد ان عرضوا البيعة على
 عمه السيد حسن شقيق المرحوم السيد محمد فرفضها متملاً بصحته وعزلته .
 والسيد حسن في العقد الرابع من العمر وهو يتجدى في ساوكة وزهده جده
 السيد الاكبر .

ولد السيد علي الامام ايطالي في دنقله سنة ١٩٠٥ من ام سودانية هي
 كما تقدم ابنة الشيخ هرون الطويل . وهي اول حرم الادريسي ولا تزال حية
 ومقيمة في جيزان . وكانت قد اقامت وابنها علي سبع سنوات في دنقله بعد
 رجوع السيد محمد منها ، ثم جاء بها السيد مصطفى سنة ١٩١٢ الى صيا ،
 فقرأ السيد علي فيها الكتاب والحديث واللغة ، ونشأ في ظل ابيه مشرباً
 بآدبه في السياسة والوطنية . ان العارفين هناك وفيهم سلطان خليج بشتون
 عليه ويقولون انه على جانب كبير من النباهة والهمة . اما المقربون اليه
 ففهم رفيق صباه وصديقه الحميم السيد العابد السنوسي الادريسي المولود في
 مصر المقيم في جيزان . والسيد العابد الشاب اديب ، عثماني الروح ، ذكي
 الفؤاد ، له آراء حديثة صائبة في عمران البلاد سيتوفى ان شاء الله في قربه
 وقرب ابيه من حضرة الامام الى تحقيقها . وللسيد علي اربعة اشقاء هم
 عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الرحيم . هؤلاء الثلاثة من امهات حبشيات
 متوفيات . ثم حسن الصغير واهمه كذلك حبشية ولا تزال في قيد الحياة .

(١١) لم يتوفى السيد العابد ولا ابوه ولا هم السيد مصطفى ولا الامام الشاب ومن نبي
 معه من النصارى في دفع اقاواته اليهود في ربيع سنة ١٩٢٥ . فاستولوا باسم الامام
 يحيى بن حميد الدين على المدينة كما تقدم وعلى الاساكن البحرية الاخرى . واستمر
 بعد ذلك الحكم الادريسي مضطرباً متزعزعا الى ان تنازل الامام علي عن الامارة لعنه
 الامير حسن الذي عقد وجمالة ملك نجد والحجاز الملك عبدالعزيز ابن سعود معاهدة
 بكة في سنة ١٩٢٧ نبذة بالمعاهدات التي كان ينفذها بعض امراء العرب والانكليز
 اي ان لها هو ما معناه : منحنيك بشرط ان تسلم وتذعن .

هاك شجرة هذا البيت الحاكم في عسير



الفصل الثامن

على ظهر الباخرة

ثياني المنصورة - رفيقي المحزون - الرداء - الرفيق الجديد - البحر والليل
والامواج ساكنة - بويخرة التهجوي - بحث المسافرين - شي - يمشي - اصوات
تلهج الغمر - البحر الضام - لا خوف على من ينأى بين العك والغارقة - زيان
الكنيزي كرايم - يهدينا الباخرة - يحيى - ذك المائدة ملثنا في غياهه الرسمية -
« دخلت لعل اكراما لكبر ايها الاناضل » - شاطي - تهامة - جزيرة قمران -
البحاري - السيد الحضري - ضجيج بعد نصف الليل - الرمان - يساور العبيد
ويؤذيهم - التربة الشرقية والتربة الانكليزية .

جاء الجواب من حضرة الامام مرحباً بنا ، ورست في مياه الحديد ذاك
اليوم باخرة وجهتها جيزان ، فأثرناها على السيارة التي استمرت معبدة وقتنا
نتأهب للسفر بجراً الى العاصمة . لكن التأهب لا يشغل كثيراً من اصبح في
ملابسه وحاجاته اخف من الجندي في تهامة . ان قصة ثياني قصة محزنة .
نأثرت في الطريق برأ وبجراً . تركت الرسمية منها في مصر - ومن غير الانكليز
من عباد الله يحمل ثوبه الرسمي الى البادية ؟ ثم تركت الشوية منها في جده ،
والصيفية في عدن ، وها انا في الحديد اخائر الدراويش والسالكين بما
ارقت اليه من الفناعة والبساطة والحكمة . اجل ، وما فضل المسافر اذا
كان لا يتنفع بشي . من عادات البلاد واهلها ؟ خرجت من القصر في قيافتي
الحجازية احمل عصاي وفوطه فيها ما لا يستطيع حتى السالك ان يستغني عنه .
اما رفيقي الجديد - وقد يسأل القاري . عن الرفيق الاول ، عن
القسطنطين . فالجواب واجب قبل ان نستأنف السفر . ففجعت في الحديد
بفراق القسطنطين . فقد وصله كتاب من جده فيه ان الوزير الشاعر في
الديوان الهاشمي لم ينظم بيتاً في غيابه ، وان القارس الفيلسوف في القشلاق لم
يسحب السيف مرة من نصابه ، وان نظارة الطعان مكسرة الاجنحة ،

والطيارين يائسون ، وان مدير الميناء هجر الشراع وراح يوعى الابل ، وان الشريف الايطالي الذي استودعه ماله فرهارباً ، وان «توتو» كلبته المعبودة ، وقد اضناها الشوق والنوى ، مشرقة على الموت ، فلو لم يكن من نكبة جدة في غيابه غير ما حل بتوتو لكفى بها نكبة تستوجب رجوع الرفيق الزعيم في الحال .

جامي صباح يومر والكتاب بيده ، والدعوة تتفرق في زاوية عينه ، وهو يقول : اعذرني يا امين ، اود ان ارافقك في الرحلة كلها . ولكن توتو - اقرا - اقرا ما يقوله الطبيب . توتو في حال الخطر . ولا عزيز في الدنيا كما تعلم اعز عندي منها - هوذا المركب في الميناء . ساركب اليوم فاراها بعد يومين اعذرني يا امين .

ثم نادى خادمه وبدأ يجمع ثيابه . فقلت لولا يبقى المدني ممي ؟ فقال الولد وهو يشب من رأس الدرج الى اسفله وثبة واحدة : وأمي ، انا مشتاق الى امي ' مبألاً على عاداته في الضم والتشديد . اطال الله بمرامك يا مدني ، وحرس الله توتوك يا قسطنطين ، يا من لا يبالي بما يفعل ويقول يا عدو نفسه في بعض ما يراه ويهواه . رأيتك ذات يوم عائداً من الباخرة تحمل رزمة كبيرة ، كل ما وجدت في خزانة القيم من الدخان ، ما قد يكفي عشرة رجال شهراً . فظننت انك تنوي المتاجرة في الحديد بالسكاير ولكني صمتك تقول : قد لا يرسو في الميناء باخرة اخرى في هذا الاسبوع .

كنت اشفق عليك منها ، ايها الرفيق العزيز ، وكنت اري لك الخير الجلم في نجد ، اجل ، كنت ابغي تأديبك هناك ، وفطمتك عن هواك . فبالتك دمت رفيقاً لأراك «تُبَسِّط» في بلاد الوهابيين اذا داومت التدخين . فما شأرك الان وتلك الالفائف التي كانت تثلل الواحدة الاخرى في فك ؟ وكنت تدخن في اول الرحلة المصطوفة الذهبية الفم ، فصرت تدخن ، لهفي

عليك ، ما لو شئت رائحتها «توتو» لأغني عليها . واثت الشاعر الذي لا يسر
 بنيد الجليل من منظور وملوس ومشروب ومشوم . فاسأل الله ان يعصك
 دائماً من كل مكروه ، ومن كل هوس يشوه النفس ، وان يمسكك دائماً من
 تلك المعطرة الذهبية الفم ، ويعلمك فوق ذلك الحكمة والاعتدال ، دعت
 محروساً في كل حال ، رفيق الحقيقة شقيق الخيال .

اما الرفيق الجديد فيحمل في اسفاره بدل الدخان سجادة الصلاة ولا
 يقتدي ظاهراً بالسالكين في سواها . فقد كان معه كذلك من الامتعة
 والحقائب ما لا يليق بالفلاسفة ، وخادم هو من السادة ، ليقرب له السجادة .
 وكنت انا في ذي الابهة جزءاً منها افتش عن رفيقي الصوفي فلا اجد غير
 الوكيل السياسي ، واغرب ما في حاجاته ومواعينه سجادة الصلاة .

خرجنا من القصر فاذا بثلة من الجنود العارية في الباب وافقتنا الى
 الرصيف . وكان هناك وجهاء المدينة والمتوظفون في انتظارنا للوداع ، لوداع
 الوكيل المحترم ، وانا في معيته عبادة وعقال ليس غير . فاسرني ذلك لان
 البشرية آتت تغلبت في علي الصوفية . ثم سمعت فضل الدين يزجر العساكر
 والمودعين . لم يشأ ان يرافقه في السفوك الى الباخرة ، فاستأنست بذلك
 وحمدت الله . لا بد ان يظهر التصرف في صاحبه ، في شكلته او اشارته ،
 ولو في الدقيقة الاخيرة من ساعة الرحيمات والزهات .

وكان الهواء اساكناً ، والحر من شمس النهار كامناً فيه ، والبحر رهواً ،
 وضر القمر عليه كالسكن ينكفن الاواج فاشغل التوتيون المجاذيف ،
 ووصلنا بعد ساعة الى جانب بومجرة لا صوت فيها ولا حركة ، ولا نور غير
 ذاك الاحمر الضئيل في رأس الدقل . فنادى احد رجالنا الربان فلم يجبه ، ثم
 نادى وكرر النداء . فنهض احد التوتيين بفرك عينيه ، ثم نهض آخرون وباددوا
 الينا يسبون ويذجرون . « لستنا بلصوص يا كلاب اتزلوا السلم لحضرة

الوكيل « فأتولوا السلم واعتذروا ، فصعدنا الى ما هو اشبه بمركب فحم منه بياخرة .

مشينا بين جثث بشرية غارية هامة قضى الحمر والليل اللزج عليها فلصقت بعضها ببعض ، وثامت نوم الاموات بين البضائع وفوقها ، تحت الالغام وعلى الصناديق ، في الاقدار ، في كل مكان . صعدنا سلماً اخر الى ما يسمى الدرجة الاولى فرأينا في الغرف المفتوحة ابوابها اناساً نائمون نوم الاطفال . ما ايقظ نداءنا احداً منهم . ثم قول الريان وهو انكليزي حليق في ثوب النوم فسلم على الوكيل واعتذر . فاستأذنت بصوته المومى الى ما في نفسه من التهذيب والكماسة . ثم نادى احد الخدم فكفر عن هماله بان امر لنا برجاجة من السودا باردة وبكأس من الوسكي . فشربنا وشكرناه ، ورغب في الحديث فحدثنا . فكان انتقالنا في ساعة الى شي . من المدينة مستحب ، وادبر في ريان باخرة مستغرب .

وكأنه احس بما تسال الى الاجفان فنهض يتقدمنا الى ظهر الباخرة ، الى كنفه الخاص ، حيث الاسرة العسكرية ، فمنا كلنا تحت القبة الزرقاء . وليس بيننا وبينها غير حجاب واحد هو الشراع . ساعة فقط . ثم ضجبات وقرقات ، واصوات ترعج الاموات ، وسلاسل تشد ، وابواب تكد ، وحبال تنف ، وجرس يطن ، وصوت الريان فوقها يحرك الحديد والحديد . سررت الباخرة ، وهدأت الاصوات والضجبات ، فعدنا الى ما يشبه النوم واتبلج بعد قليل النجم على وجوه صفراء ، وعيون فيها الذبول والعباء .

اول ما شاهدته قربي دولاب الريان ، ووراءه ولد في ثوب الزرق على صدره نيشان ، يقرأ الحلك ويدبر الدفة . وكان الريان واقفاً قبالة وراء طاولة عليها الخريطة البحرية . فقلت في نفسي : لا خوف على من ينام بين الخريطة والحلك . اما الولد صاحب الثوب الازرق والزئار الاحمر والنيشان

فهم من الذين ورثوا الحرفة عن اجدادهم ، هو من سلبلة اولئك البرتغاليين الذين فتحوا الهند قبل الانكليز ، ولكنهم لم يشبثوا فيها اذراء . فقد كان الجزويت في استشارتهم عوناً للانكليز عليهم . اذ ابتازهم اليوم ، وقد اختلط بهم بدم الهنود وسلم شي . من دينهم الكاثوليكي ، فهم يقيمون على شواطئ البحر الهندي ويدعون Goa ويستخدمهم الانكليز في كل الوظائف الزمنية ما سوى العالية منها . ذكرت النيشان ، وما هو الا تطريز باخيط الاحمر والاصفر يطرزون به قصائهم ، كل لنفسه في ساعات الراحة من العمل . ما رأيت في الثوبين انظف ثوباً ، واخف حركة ، والطف شكلاً ، من ولد الـ « غوا » ابن الهند والبرتغال .

كشفت الفجر عن البويرة وركبها فكان فضاءً ، هالك رهطاً كرهط الحجاج في اشكالهم واثوابهم واجناسهم وقيافاتهم وعدم اكترائهم بآهم فيه من ضيق وحريق وقذارة . كل يهتم لأمره ، لما يلزم المومن ويتحتم عليه ساعة الفجر . هذا يصلي ، وذاك يدق البعن . هنا امرأة تنغم بالنار ، وهناك شيخ يفصل فناجين القهوة ، وآخر يدخن المداعة هذا يعد اكياسه ، وذاك يلبس ثيابه . وهناك فوق زنايل التمر شاب احكم بين رجله امرأة صغيرة وهو يلف عمامته على رأسه لفاً هندياً بتأني الفتاة التي تجلس الى المرأة ترمي شعرها . والى جانبي سابر القور يرمي بجديدته الى القمر ويسبحها منادياً بالانكليزية : سبعة ، ثمانية ، عشرة ونصف ا فلا تزال هريبين من الشاطي ، شاطي . تهامة الموحش العقيم ، ولا يزال رفاقي نائين ، ألا فضل الدين . فقد كان تلك الساعة من المصلين .

ان الباخرة التي نحن فيها مسافرون ، وقد صنعت في بلاد الانكليز ، هي من يواخر القهوجي المشهور في عدن والبحر الاحمر ، صاحب صديقنا خان يهادور الفيلسوف الحديدي ، والقهوجي اسم لشركة من « عبدة النار »

نوتيوها كما ذكرت من الـ «غوا» نصف المسيحيين ، وربانها معاونه والمهندس من القطار التي صنعت الباخرة في بلادهم . هذه شركة ملاحه شرقية هندية ، والسككها لا تستغني عن الانكليز مديرين لبواخرها . وهذا الانكليزي ، وقد اعتاد ان يأمر في الشرق ، لا يتمتع من حال توجب عليه الاثثار باوامر الهنود سادته .

قال الربان هاي : كنت قبل الحرب استير باخرة في البحر الانكليزي محمولا خمسة وعشرون الف طن . وتواني الان على رأس هذا المركب العجيب احدم القهوجي الفارسي بنجس ما كنت اتقاضاه من شركة انكليزية . وما العمل ؟ حامض القهوجي احسن من سر البطالة في بلادني ولكنني احب العرب واحترمهم . ما رأيت شعباً هادئاً في السفر كترناً ، على ما تراهم فيه ، مخلداً الى السكينة ، جليداً قنوعاً سكوتاً مثل العرب .

ترانا الى المائدة في ثيابنا الرسمية ، انا في قميص البدوية واردا في مريوطه حول وسطني ، وفضل الدين في سرواله الهندي وتكتمه تصل الى ركبته . وجاءنا الربان هاي ، بارك الله فيه وفي ذوقه ، حافياً يلبس «البعلا» اي ثوب النوم . جلسنا الى المائدة وهو يقول : خلعت نعلي اكراماً لكم ايها الافاضل ، اهلاً وسهلاً بكم الى بيت القهوجي ، بل الى بيتكم . الباخرة لكم ، تأمرون فيها بما تشاؤون .

كذلك كنا نلتجئ الى المائدة ورئيسها هذا الانكليزي المذهب الفاضل الذي رأته عيناه احسن من «افريقيا»^(١) باخرة واحسن منا ركباً . وهو دوماً لا يرى غير الحسن في الناس . وما كان في حديثه مرة مستهجن ، بل دائماً مفكهاً مفيداً . الرسميات ؟ ربطنا في عنقها صخوراً ورميناها في البحر ، فبدت لذلك الباخرة الصغيرة وبفضل الربان هاي ، ونحن في كنفه على الظاهر

(١) اسم الباخرة .

في عزلة الاماجد وعزهم ، بدت كبريتنا الخاص ، لا تشكف فيه شيئاً يزعج
 اربدي ، ولا نضطر الى اجهاد النفس حتى في لبس النعال . بدو متحضرين ،
 برايرة متمدون ؟ اي وايبك . انما هذه هي الذة الصافية الحقيقية في الاسفار
 البحرية .

صكنا نسير في مضائق خفية وظاهرة قرب الشاطي . بين جزر صغيرة لا
 اصحاء لها ، الا قرآن وهي اكبرها . ولها في جنوبي البحر الاخر من الامة
 ما للطور في الشمال ، لان فيها محجراً صعباً للحجاج القادمين بجراً من الشرق ،
 من الهند وجاوة ومن العراق وايران ، فيخرجون عليها للتطهر في رواحهم
 ومحبتهم ، قبل الحج وبعد ، فتتقاضى السلطنة الانكليزية ربحاً مدة الثلاثة
 الايام التي يقيمون فيها . وجلالة الملك حسين يحتج على الرسم ، وعلى الثلاثة
 الايام ، وعلى محجر قرآن ، وعلى الجزيرة كلها بحدافيرها . لا لزوم لها وعندما
 جزيرة ابي سعد . هذا صحيح . ولكن في قرآن مركزاً لاسكياً افادنا ،
 ومعمل تلج انعشنا ونحن في الحديدة . وهما يفيدان وينعشان كثيرين غيرنا ،
 فلا نشارك جلالة الملك اذن الا في قسم من احتجاجة . لا تظفوا الحجاج
 بدفع الرسوم .

وها هي الجزيرة الى شمالنا ونحن نسير بينها وبين الشاطي . وها هي
 الخريطة على منضدة الران تني . بالاعماق المختلفة تحتنا وحولنا . من هو ياترى
 اول من سهر هذا البحر العربي ، البحر الاخر ، وغيره من بحار الشرق ؟ من
 ذا الذي ركب الامواج والاهوال ومد يده الى مكانن اليم يستطلع اسرارها ،
 ويكشف للنوتي اخطاره ؟ من ذا الذي قاس المد فيه والجزر وحدد الطرق
 بين الصنور الكامنة تحت المياه ؟ من ذا الذي فتح سبل البواخر وامنها في
 الليل بالانوار ؟ هو الانكليزي ابن البحار وسيدها . ليعترف بفضل كل من
 سبّر باخرة في البحر الشرقية ولجأ الى علومه ليسلم من الاخطار .

اجل ، قد تستغني شركة بواخر شرقية عن الران الانكليزي . ولكنها

لا تستفي منها كانت عظيمة عن خرائط الانسكليز البحرية . هب ان دولة
بريطانيا العظمى تفككت غداً وتقسمت ، وعادت انكلترا كما كانت في
عهد السكون الاولين ، حكومة صغيرة وامة مثل جزائرها حقيقة ، فهي
تظل غنية بعلومها وبرجالها . ولا خوف وامم الله على امة عندها العلم وعندها
الرجال . لا ترتب ايها القاري العزيز بما اقول ان الانسكليزي الحقيقي هو
مثل هذا الربان الذي يسقط من عرشه ويظل ملكاً باخلاقه في احط الحالات
الاجتماعية واحقرها ، ملكاً يعمل ليومه ، ولا يأثف ولا يشخ ولا يكابر .
بل يعمل العمل المفروض عليه مجدداً مخلصاً تزيهاً .

كان معنا في الدرجة الاولى رجل من حضرموت ينام في الغرفة لا على
الظهر ولا بزاكنا . رجل طويل القامة ، حسن الطلعة ، قوي البنية ، مفتول
الساق . وهو من سادات صيرتون ، مدينة العلم في ذلك القطر ، ومن ادبائها ،
حاد الذهن ، فضيح اللسان . حدثته فحدثني متنازلاً متكلفاً ، وما كان في
ما باح به ليخرج من دائرة التكم والتأدب . الا اني علمت من تلميحاته انه
هالم من العلماء وخطيب من خطباء حضرموت المشهورين . وهو ينظم كذلك
الشعر ، قرأ شوقي وحافظ ابراهيم والمنفلوطي والبستاني وغيرهما من شعراء
وادباء مصر وسوريا ، ولم يسمع بالريحاني الا مؤخراً في عدن .

— سمعت ان الامتاذ جاسوس للانسكليز .

— قد يكون ذلك .

— وكيف يفخذ به امرؤنا يا ترى ؟

— العصبة لله .

— صحيح . ولكني سمعت كذلك انه رسول الملك حسين وفي خدمته

وانه مع ذلك يحسن اللغة العربية .

— كثيرون حتى في الحجاز من لا يحسنون اللغة العربية .

— صحيح . وفي حضرموت كذلك :

— وهل انت مسافر الى جيزان ؟

— ان وفق الله .

وكان قد اخبرنا الريان ان السيد من تجار حضرموت ، حسب ادعائه ،
وانه مسافر الى ميدي . ولكن رقيقاً من عدن اخبرني انه رآه في دار الاعتماد
هناك يعني مقابلة المطاون . ثم علمت انه من زعماء الحزب الشيوعي في
حضرموت القائم على الحزب الثوري وسلطانه ، وانه جاء ليرفع قضيته الى
الانكليز في عدن والى السيد في جيزان . اما فضل الدين الذي يعرف السادة
من راصتهم فقال اذ رأى الرجل : هوذا سيد شحاذ . كثيرون مثله يجيئون
الى جيزان ليلدحوا الامام ويستجدوه . وعندما تول مساء ذلك اليوم في ميدي
ظننت فضل الدين متعاملاً فقلت : بل هو تاجر كما قال الريان . فاجابني هو
شحاذ كما اقول . وسيرجع رستى . قد قدر الله ان يكون الرجل رفيقنا
الى جيزان ومنها ، فليسسم القاري عنه ومنه في ما بعد .

ميدي بنت الحرب ، اي انها نشأت في اثنائها وهي اكبر مدينة تجارية
اليوم بين الحديدة وجيزان . بيد انه لا وكالة لشركة القهوجي فيها فيضطر
الريان ان يقول المهمل الذين يجيئون لنقل البضاعة من الباخرة الى البلد ويدفع
اجورهم ، واكثر هؤلاء من المبيد والمولدين . هذه كلمة تهديد لما اقض
عليك . ثم تلك الليلة على عادي فاستفقت نصف الليل لاصوات تليج وتضج
وقد اختلط اللسان فيها ، الانكليزي والعربي ، وتناكرا .

— يا اولاد الزنى يجيئون في هذه الساعة من الليل قساوموني ؟

عرفت من الصوت ان الريان يتكلم . ثم — وهي الكلمة العربية الوحيدة
التي يحسنها — امش ، امش .

وكان الريان الثاني وهو رجل ضخم الجثة عريض الصوت قد استفاق مثلي

وسمع زميله يتسخط ويسب . فضاطبه بصوت عريض ناعس مطاط .
 دعهم يا قبطان وعد الى سريرك . اولاد الزنى غدارون . ثم الربان :
 يا ثنانة العبيد ، يحبسكم رزقكم فلا تقبلونه الا بشروط . امش ، امش !
 والا اكثير رؤوسكم . اذا كان القهوجي يعبد النار فهل يحق لـكم ان
 تسرقوه ، يا ثنانة العبيد يا اولاد الزنى ! اذا كنتم لا تشتغلون بروبية واحدة
 مثل العادة - امش .

ثم الربان الثاني وهو يقرب في سريره من جنب الى جنب ويقل : دعهم
 يا قبطان وعد الى سريرك . اولاد الزنى ، انا اعرفهم ، غدارون .
 الربان : ما في شغل لكم . امش . الباخرة تسافر هذه الساعة . امش .
 زعيم العمال - على ما ظننت - باللسان الانكليزي المفعج : يشتغلون
 يا قبطان كما تريد . يشتغلون بروبية واحدة . انا التكفيل .
 ثم سمعت الربان وهو عائد الى سريره يقول : اذا كان الانسان يعبد النار
 فهل يحق لهؤلاء العبيد ان يسرقوه .

ولكن العبيد قبلوا ، شكرأ لفضله وامانه ، ان يشتغلوا بروبية واحدة
 بهاراً ، فباشروا عملهم في الليل واتوه قبل الفجر . هذه هي الحادثة التي
 ايقظتني تلك الليلة فسلمني العبيد بعد ذلك ، في ضجيج العمل والقرقرة ،
 الراحة والنوم . ومع ذلك قد كنت مسروراً بما علمت . لا اظن ان شركة
 القهوجي التي لا يزعج يقظتها الدائمة شي . في البحر والبحر تعرف ان ربان احدي
 بواخرها يدافع عن مصلحتها هذا الدفاع . ولا اظن ان الربان هاي ، وانا
 اعرف شيئاً من طباع امثاله الانكليز ، ينجدها ويمن عليها . فهو يعمل ما
 يعتقد وجباً عليه ويسكت .

في صباح اليوم التالي جاءني فضل الدين يقول : قد عاد السيد . هر سيد
 شحاذ كما قلت لك .

فقلت : هل علمت بمحادث الليل البارح - هل سمعت الربان ينسخط على

المسيد ؟

فقال : سمعته وشكرته باسم القهوجي . لو كان السيد ربان هذه

الباخرة لما كان يترجح من سريره في تلك الساعة اكراماً لاحد من الناس .

- ولكن تربية السيد شرعية وتربية الربان انكليزية .

- نعم ، والشرق كله في حاجة الى التربية التي تقدر الفصل وتغرس

في العامل مبادئ الجد والامانة والنزاهة والاخلاص .

الفصل التاسع

جيزان

القائمة - المدينة - اللعب والفتنة - جيزان في أيام الحرب - المتاجرة - الزوار
 - إلى المدينة الأثرية - الاستقبال العسكري - والسياسي - في مجلس الامام
 - « جيزان رجالة العرب » - « هل ملكك أميركا اليوم من الهنود ؟ » - « هل
 للاميركيين دين ؟ » - الاقتناء والانتخاب - قصة جورج واشنطن - استحسان
 السيد محمد واعتزازه - سؤا ل في الجغرافية - قصة لمر تقص - محاسن السيد
 محمد - اجتماعنا به في الليل - العر في جيزان .

وصلنا إلى جيزان بعد الظهر ساعة الجزر ، فانكشفت امامنا ونحن في
 السفن بكعة من الارض سوداء بين الشاطيء والماء لا يمكن المرء اجتيازها
 الا حافياً مشراً . فلاقانا إلى حد الجزر رجال يحملون الكراسي او بالحري
 الامرة التي تشبه المقرب ، فانزلونا واجلسونا فيها ، وحملونا على مناكبهم
 إلى البر في شبه السبعة التي كانوا يفرقون فيها إلى الركبة . وهناك استقبلنا
 بعض الجنود والمتوظفين يتقدمهم السيد العابد ابن السيد السنوسي الادريسي
 الذي رحب بنا امام حضرة الامام ومضى وايانا إلى القلعة القائمة على دوة خارج
 البلدة قريبة منها ومن البحر . والبلعة هذه نصفها قديم هندسته يمانية ، اي
 انه ضمن البناء رفيعه حفر النوافذ قلهاها ، والنصف الآخر جديد بناه السيد
 مصطفى الادريسي ، واعده للضيافة التي يليق بها . فهو يشتمل على عدة غرف
 كبيرة ترقص فيها الشمس ويلعب فيها الهواء والغبار ، وعلى حوشين الواحد
 ضمن الآخر ، وحمام ومائدة افريقية ، وسطح مسور جميل .

كذت ما سمعته عن جيزان امثل لنفسي بيتاً من القش نقيم فيه ، وجواري
 حبشيات يخدمنا ، ولدانا يقفون فوق رؤوسنا وبايديهم المراوح يروحون .
 اما الجواري فارائنا غير اثر من آثار ايليين في الدواوين البيضاء الشريفة ،

والوسائد الوثيرة المطيعة ، وغطية الفرش النظيفة ، واما الولدان فكانوا واقفين في الحوش يحملون بدل المراوح البنادق والجنبيات .

جيزان بلدة قديمة في تهامة تكاد تبعد عن ابي عريش شرقا بعدها عن صبيا شمالا . فهي من البلدتين رأس المثلث الزوايا على البحر الذي يحيطها كلال من ثلاث جهات . بلدة صغيرة لا يتجاوز سكانها الستة الاف نفساً ولكنها كانت في الماضي على ما يقال اكبر مما هي اليوم ووسع عمراناً . بناها احد المحسنين الى الانسانية ليقرّب ابناء الجبال من البحر والرزق ، احد المحسنين المدفونة اسمائهم في الارض . على انه لم يبق من مؤسس جيزان واثاره غير اسم البلد الذي يحتله العارفون الى كلتين جا وزان اي جاء الزمان ، من اسس المدينة وزيّنها بخلق الله . ولكننا لا نعرف من هو ولا نيقن ان ما شيده وزينه كان في مكان جيزان اليوم او في غيره من سبحات تهامة .

نظرنا اليها وهي من القلعة شمالا فاذا هناك مجموعة اكواخ من القش هرمية الشكل يتخللها بيوت من الحجارة شبيهة بعمائد الاقدمين ، مربع سطحها اصفر من مربع اساسها . وبينها مقدرات وثرثبات من النخيل ، وحولها ذاك الخط الذي يحيط بها كسلة الفرس ، وهو ازرق ماعة المد ، اسود ساعة الخمر ، اصفر في ساعات الشفق والغروب . وفي الساحة الكبيرة بينها وبيننا قصص من القش ياوي اليه احد الخرس في النهار . وفي الجهة الغربية من الساحة المسجد الجامع ، وهو بناء صغير ذو مأذنة متواضعة واموان تحتله الشمس طوال النهار . ووراء القلعة ، او بالحري القصر شرقاً بجنوب ، قلعة اخرى تكسرف على البلد والبحر ، فيها بعض المدافع وحولها المتاريس .

سورقا بيننا الجديد ، وهو احسن ما في جيزان مركزاً وبناءً ، واستأنسنا بشاهد من نوافذه لا ابيه فيها ولا جلال . ولكنها ترمي . كلها الى حياة بشرية بسيطة ، اجمال ما فيها ، من وجهة فلسفية ، القناعة والصبر والسكينة

والأطشنان . على اني من وجهة اجتماعية اقتصادية ، حرت في امر اصحاب هذه الفضائل القدسية . حرت في امر اهل هذه البلدة وموارث رزقيهم .

عندما رسونا في مياه جيزان كان اول ما دنا من الباخرة سنبرك نحصل حاجبه بعض الرسائل واكياساً صغيرة ثقيلة ، اكياساً عديدة فيها الذهب والفضة . فسألت الزبان هاي عما اذا كان لمصرف عدن فرع في جيزان . فضحك ثم قال : اني اعجب لهذا الامر . من اين يجيء الذهب الى هذا البلد ؟ وفي كل سفرة نحمل منه اكياساً الى عدن .

اجل ، ان في جيزان ذهباً وفضة ، وان كنت لا ترى فيها سوقاً او اثراً ظاهراً للتجارة . وان في جيزان ستة الاف نفس تحيا وتحمد الله ، وان كنت لا ترى حولها بقعة ارض خضراء . فن اين يجيئهم الرزق وكيف يتاجرون ويثرون ويتمكنون من تخزين اموالهم ذهباً وفضة في المصارف ، مدن ؟ سؤال بديه حري بالجواب .

كانت جيزان في سنتي الحرب الاولين المدينة الوحيدة في تهامة المفتوحة للتجارة . وكان القمم الغربي من شبه الجزيرة ارجله يستقي من مواردها . فكان مينائها ميناء البلاد كلها . ثم انتقلت التجارة الى ميدي . اما اليوم فجيزان هي احدى عاصمتي الادريسي ، وهذا اول مصادر الخير فيها . هي نقطة دائرة خضبة المخازم ، غضة حراشها . يؤمها الناس من المغرب الاقصى ومن مصر ومن اعالي عسير ومن المدن جنوباً وشمالاً في تهامة ، فيجيئ معهم الرزق ، التجارة والسكب والحيرات . يحمل الخنطة اليها تجار ميدي وابناء الجبال ، ويحملون من معادنها الملح ومن شواطئها البضاعة التي تجيء بها بواخر القهوجي والسنايك . جيزان مركز استيراد وتوزيع . جيزان مورد تجري اليه الاموال من هذه الجهة ومن تلك ، فتتوزع منه الى الجهات كلها . وهكذا تعيش جيزان من لا شيء . يوى ، وتضيف فوق ذلك السادات والعربان ،

وتعقد على كل محترم كسلان . اما سيد هذه الحركة الحفية ، وقطب تلك الاريجية ، فهو السيد الادريسي .

جاء رسوله بعد ساعتين من وصولنا يدعونا اليه ، فركبنا الدابة وخرجنا في السيارة وسرنا في اسواق البلدة الضيقة والصبيان يركضون وراءنا ويصيحون حتى وصلنا في المنعنى العربي منها الى رهوة كسرف على البحر يحيط بها سور كبير . استقبلنا خارج السور فرقة من الجنود الادريسية اصحاب الشهور المنفرشة ، والصدور المكشوفة ، والبنادق المشوكة . لاضباط من الترك ها هنا ولا صوت الزامل ولا الهزان^(١) تولنا من السيارة ومشينا بين صفين من الجنود الى بوابة حارسها مؤند عمليق سأم ويده على رأسه وادخلنا آمنين ، فاذا نحن في حوش كبير وبين الآخرين من الجنود مشى فريق منهم الى باب دخلناه فاذا بقم مولانا واعوانه يسمون ويوحون . حلوا محل الجنود فتقدموا الى حوش ثالث واستقبلنا عند بابه وزيراً حضرة الامام وحاشيتها فدخلنا وايامهم الى رواق صغير ، وقفنا فيه عند باب كبير ، فطلعنا نعالنا هناك ودخلنا الى المقام الشريف المنيف ، الى قدس الاقداس والتقدس ، الى مجلس مولانا الامام ابن ادريس .

وما المكان غير بضعة ابواب اخرى من ارض الله وسقفة القبة الزرقاء . وهو محاط باربعة جدران عالية في احدها باب يفضي الى بيت الخريم ، وفي الثاني باب اخر يدخل الامام ويخرج منه ، وفي الثالث ثالث هو باب المسجد الخاص . اما الساحة ففي وسطها منصة تملأ قداماً واحداً عن حاشيتها مفروشة بالسجاد والدراوين المرتفعة والمساند . هوذا المجلس الشريف والمقام المنيف ، وفي صدره حضرة الامام جالساً ، ووراءه عبد يروح له بمروحة كبيرة من الخوص .

وقف لنا ورحب بنا ترحيباً جميلاً . فسلم على الدكتور فضل الدين سلام
الامامة على أحد المقربين منها ، قبله في وجهه ، وسلم علي مصافحاً ، ثم اسر
لنا بالجلوس على ديوان قربه . وكان في المجلس ساعته السيد السنوسي
والمفتي وقاضي القضاة وغيرهم من اصحاب الوجاهة والعلم .

رأيتني لأول مرة امام سيد من السود ، امام عبد يسود مليوناً من العرب ،
وفيهم الوف من السليطة النبوية . وقر التقرز لأول وهلة في نفسي ولكنت لم
يكذبك مسترسلاً حتى ارتحت الى حديثه ومات اليه ، فرأيتني رويداً
رويداً مكبراً الرجل معجباً به . كان السيد محمد بن علي بن محمد بن احمد ابن
ادريس ، رحمه الله اجمعين ، جاحظ العين صغيرها ، رفيع الجبين ، دقيق
الانف ، ضخم الشفة والرقبة ، مستدير الوجه ، نحيف اليدين ، عريض
المنكبين ، طويل القامة ، شديد البأس والاهجة والغضب . لم يكن فيه من
ملاحج العبيد البارزة غير فقه ، وشكل وجهه ، ولونه شديد السواد . وكان
فيه من اثر المجلس السامي الآري - اسلفت القول ان امه هندية - ما ذكرت ،
اي الانف والجبين واليدين . وكان يلبس النظارات المصبوغة الضعف في
عينيه ، ويجلس متربعا على الديوان ، ويتكلم بصوت عال فيه بعض الغنة ،
وله في الوقفات اشارة تكبير خاصة به كأنه يحجر الالف والهاء . ثم الهاء
والالف ليثبت ما يقول .

شكرته على ما لقيناه في الطريق منذ دخولنا بلادنا من اخفاوة والضيافة
والاكرام ، فقال : هذا ما ينبغي ، وهو قليل في جانب ما تسعون اليه . انتم
تسيحون في البلاد العربية طيورها وخير اهلها ، وتقاسون المشقات من اجلهم
ومن اجلنا نحن حكامها . فنتستحقون اضافة الاكرام الذي تشكرونا
عليه . ولا شكرا يا حضرة الاديب على الواجب .

فقلت : وانا كذلك اقوم في رحلتى بما اعتقده واجباً علي . اني اشعر

يا مولاي بان في عروقي من الدم الذي يجري في عروق العرب . اظن ذلك ، بل اعتقد به . نعم ، وان كثيرين في بر الشام من قحطان ، من بني غسان ، مثلي . فقال السيد وهو يرفع النظارات عن عينيه : ونعم النسب . غسان ربحانة العرب . ونحن نختم كل عربي حميم يعرف الواجب عليه ويقوم به من قحطان كان او من عدنان . نحن يا حضرة الاديب عرب قبل كل شيء . ونغار على اصغر صفائر الامور الوطنية من المطامع الاجنبية والسياسة الاوروبية ثم انتقل فوراً الى اميركا . كأنه لم يشأ ان يكون الحديث ساعته في الموضوع الذي لمس حاشية من حواشيه . وكانت سؤالاته تدل على انه عالم ببعض شؤون تلك البلاد الا انه لم يطالع تاريخها . قصصت عليه قصة نيويورك واصحابها الهندو الاولين ويقيمهم المدينة الى الاوروبيين بشيء من الودع لا تتجاوز قيمته الخمسة وعشرين ريالاً . فسر جداً بها وسألني قائلاً : وهل ملك اميركا اليوم من الهندو ؟

قلت كلمة في الجمهورية الاميركية ورئيسها . فقال : وهل للاميركيين دين ؟ فاجبته قائلاً : شيء من الدين ، نعم . ثم سألتني وكأنه كان يستدرجني الى امر اراده ، لانه كان عالماً بما في اميركا من الاديان .

- وهل الكاثوليك هناك اكثر من البروتستانت ؟ - ولم عددهم اذن ؟

- لا يقل عن عشرة ملايين ،

- كثير . وما تأثيرهم في السياسة ؟

- يزداد نفوذهم يوماً فيوماً .

- وهل يكون رئيس البلاد منهم ؟

- ليس ما يمنع ذلك شرعاً او في القانون الاساسي . ولكن الحكم

في البلاد للاكثرية وبالاقتراع .

فاسترداني ايضاحاً في طريقة الاقتراع والانتخاب وكان يعني الكلام

ويتأمله ويهز برأسه من حين الى حين استعساناً .

— ولكنهم يبذلون اموالاً كثيرة في انتخاب الرئيس . افما كان خيراً ان يعطوه رتباً وقيسوه ملكاً عليهم ؟ فيوفروا ملايين من الريالات .

— كان جورج واشنطون يا مولاي رئيساً اولاً وثانياً — هي القصة التي كنت اقصها على امراء العرب وفي مجالسهم ، وصرت اخجل ان ارددها . « ما هربنا من الملوك لنقيم ملكاً علينا » كلمة قالها جورج واشنطون الاول والاخير ، ابو الجمهورية ، اعجب بها كل من سمعها في الجزيرة . اما السيد محمد فقال : امرنا نحن العرب غير اسر الاميريين . اذا رفض اميرنا الامارة ففسرون حونه في الميدان يطلبونها وينازعونها ويحرقون من اجلها . على الامير الحاكم اذن وهذه حالنا ، مهراً تعددت تكاليف الملك واشتدت صعوباته ، ان يقف مكانه كالجندي ويقوم بواجبه دفعاً للفوضى ، وحققاً للهدوء .

ثم انتقل مرة اخرى فوراً . وما كان اسرعه انتقالاً وابعداً ، فسألني سؤالا جغرافياً : وهل اميركا بعيدة عن خط الاستواء ؟

— اميركا الشمالية من حدودها الجنوبية تبعد عن خط الاستواء يا مولاي خمسة عشر يوماً في البحر . واميركا كلها ، اي قارة العالم الجديد ، هي شطران ، الشطر الاسمى شمالاً والشطر الاصغر جنوباً من خط الاستواء .

وهل يمكن الوصول الى روسيا عن طريق اميركا ؟

— بجزراً من سان فرنسيسكو الى اليابان ثم الى سيبيريا وروسيا ، نعم .

— نعلم هذا ولكن هناك طريق اقصر . بين اخر بر اميركا واخر بر

روسيا مضيق ، اترك اسمهُ ؟

— مضيق بيرنغ .

— نعم ، مضيق بيرنغ ما هي المسافة فيه بين البرين ؟

وها هنا رأيت نفسي في مضيق من البحث . ما جال قط في ذهني اني سأسأل مسائل جغرافية في مجلس الامام لا استطيع الجواب عليها . ولا تأعبت لمثل هذه المبادأة المزعجة . فقلت : لا ادري . ولكنني اظن وكان ظني بعيداً عن الحقيقة . ولا عجب . ان اخر عهدي بمضيق يورغ يوم كنت ادرس الجغرافية في مدرسة لينية بنيويورك ، وكان استاذنا يقول بين المرح والجد : من يجيد السباحة يسكنه ان يسبح من اميركا الى روسيا .

لكني لم اتذكر القصة الا بعد خروجنا من مجلس الامام ، فتأسفت جداً . ولست ذاكرتي ووجدتها لانها لا تلبيني ساعة يلزم ويليق وتميدها الى الذهن ساعة لا تفيد . وتنبيني قصة افككه حضرة الامام بها ثم قلت في نفسي : سأقصها في المقابلة الثانية ان شاء الله . ولكن الامام لم يدن بعد ذلك من الموضوع . ولا انا ، والحق يقال ، تذكرت القصة الا مرة واحدة وذلك لما كنا نتباحث في المعاهدة بينه وبين الملك حسين فكيف يجوز ان اوقف البحث لأقص قصة معها كانت مضحكة ؟ هل اقول له : على ذكر بني عائض يا مولاي ، او على ذكر القنفذة اقص عليك قصة مضيق يورغ ؟ حالت السياسة والذاكرة دون القصة ورغبتي الشديدة في قصها فلم يسمعها السيد محمد .

خرجت من مجلسه وفي من الرجل تذكارات كلها حب واعجاب ، وهي اليوم ، وانا بعد سنتين اعيد ذكرها ، لا تحرك في غير الاعجاب والحب . فيصبح اذن ان انقل الى القارى . كلمة من مذكراتي في جازان .

اول ما يروقك ويطربك من السيد محمد لسانه العربي الفصيح المجرد عن الاصطلاحات والاهجات المحلية . ثم وقفاته في الحديث وكفافته - إهاً - في التمكن والتشيت . واول نظرة في مواهبه واخلاقه تريك انه ذكي القواد شديد العارضة ، حريف حكيم ، وهو ساذج ، كريم الاخلاق . لا اثر للروحانيات في وجهه . ولكن قياس القراصة الذي

يصبح في البيض قلما يصح في السود . ان في الولايات المتحدة عبداً يسرقون الدجاج ويبدأ لا يحبون بغير الكتاب المقدس والسيد المسيح — جاء في المزمور الواحد والحسين : طهرني بالزوفى فاضهر . اغسلني فابيض اكثر من الثلج . وعم يؤمنون بكل الانبياء وبكل شي . اذا خيرت احداً منهم في رئاسة الجمهورية وقبشارة داوود بفضل القبشارة ولا غرو قد تكون روحانية السيد محمد اذن كاملة لا تظهرها كلمات اللغة وسياها الوجوه ، لا تظهرها غير الاعمال . والى متيقن انه لو كان في الولايات المتحدة اساد الملايين من السود هناك .

نظرة ثانية : اضف الى ما تقدم ان السيد محمد الادريسي صريح في حديثه ، صادق في ما يقول ، ساذج في ما هو دون معقوله ومعلومه . كبير الحقائق والقلب . ميل الى السلم والائتلاف . . . احسن ما في العبد قلبه اذا حسنت اخلاقه . واكبر ما في السيد محمد قلبه ولا غرو . . .

تعددت الجلسات والاحاديث التي كان قطب دائرتها اولاً الملك حسين والوحدة العربية وثانياً الامام نجبي والصلح . وكان اجتماعنا دائماً ليلاً لان الحر في جيزان لا يأذن ابداً بالتجوال او باقل الاعمال نهائياً . فكنا بحكم الشمس والبحر ، والميزان دائماً فوق المنة « فارنيت » في الظل ، نستسلم الى ما تبطل فيه الحركات كلها ، الا حركة التنفس . وهذه تضعف فنقف احياناً نستغيث . ولكننا كنا نحمد الله مرتين في النهار على حمامين باردتين بركرة واصيلاً ونكفر ليلاً عما نعلمه عمداً او في حال الانهماج من الحماد .

خرجت الحر في اماكن كثيرة ، من المكسيك الى عدن والعراق ، فما وجدت حرأ جامعاً محاسن الحر كلها وفي اعلى درجة منها مثل حر جيزان . ان الشمس ها هنا قريبة جداً منك . كأنها على الارض تشتعل فتُرسل اشعتها مكسراً الى كبد السماء . بل كأنها جيلتك تشاركك في الحياة فتجلس على

ركبتك تقبلك في فاك قبلة تدوم اثنتي عشرة ساعة ولا تنقطع . واذا نظرت اليها وانت تلجأ الى الماء منها تراها ترقص في هواء كأنه حجاب من الشاش الهندى الأبيض فتبدو اشعة الشمس فيه كخيوط الفضة ساعة الظهر ، وكالوهج الاصفر ساعة الاصيل فتزفع يديك الى عنقك لتقيها سهامها الذهبية .

اما الزاوية ، وها هنا يشترك البحر والشمس عليك ، فلها لون يحيتها من يندى المد والجزر ، ولها جسم من صكرم العناصر في تمامة ، ولها رائحة هي بخت الطحاب والسبخة والملح ، ولها فوق ذلك خاصية في الهيام تلصقها بك اذا دنت منك . فهي كورق الغراء الحلو تجذب الذبابة اليها فتعلق بها . بل هي كشوب يلبسه البحر وقد رآك تفرع كل ثيابك من اجل معبودتك الشمس ، فتلبسه كرهاً وانت تشتتهي فوقه ثوباً من الامواج . فله موجة تعيد اليك الحياة . واسكنك في القنعة ، في القصر ، ضيف محترم . والامواج تحتك للفتيان والفتيات يلاعبونها ، فلا يلقى بك في ذي البلاد العربية التي يرم فيها الاحترام فيؤلم ، ما يجوز للصبيان .

الفصل العاشر

بين الامامين

ساعة الاحول ، والرأس المقطوع - ساعة الاستقبال ، والمهيل والليل - السيد
والملك حسين - « المشقة بيننا وبين الشريف قريبة ميسرة » - ابن سعد -
الحائفة الرباعية - الازراك - « حارثا مهر واخر جملهم من البلاد » - الامام
عجى - « ضنا وايام متعاهدين » - قصاصة من ورق - خطاب من الامام الى
الادريسي - « وهذا اليك كتابك الى اخيه » - كتاب من الادريسي الى الامام
- « وقد انكشف الحال عن برائتنا من كل ذميرة » - الفرق بين الامامين .

كنا في القاعة نحوم على الظل حوم القراش على النور ، فننتقل من غرفة
الى غرفة ، ومن رواق الى رواق ، انقلا وجه الشمس . وما كنا نحشى مثل
ساعة الظهور خطبا ، ساعة يجي ، الخدم من بيت السيد السنوسي وعلى رؤوسهم
الاطباق ، وفي مقدمتهم طبق عليه غطاء ، وتحت الغطاء الرأس المقطوع .
فنجلس الى مائدة شيخها هذا الذي كان منذ ساعة حيا وقد حشي بالارز
والبيض والزبيب ، وفي الوسط الرأس ينظر عطاء اليك . اخجاني والله وجيب
اليّ الشخص في مذهب الهندوس .

والحق يقال انني ملئت الماحم ، خصوصا في مثل ذلك الفيظ ، وكنت
اشتهي بعد سف شي . من الارز بقعة خضراء ارعى فيها . واشتهي قبل
كل شي . الماء . فاجده في البارة فاترا ، فاصبه في الكأس فاذا هو اصفر اللون ،
فانمض عيني واشرب باسم الله . اما كرم الادارسة فاكان ليضل قطعا بقاعدة
الضيافة عندهم - قوزة كل يوم . اغدق الله عليكم ايها الافاضل ، وبارك
الله فيك يا جيزان ، برصكة تشمل من اجل سادتنا بني ادريس آلة لتصفية
الماء . ومعملا للتلحج .

- هات المروحة يا أبكو .

يدخل السيد ابكر ويديه عدة مراوح وعلى لسانه خير ما سر فضل الدين .

- قل له الحكيم ناعم . ليحطني نصف الليل .

ثم يدخل الحاجب . الشيخ الشنقيطي ينبغي التسليم على الاستاذ .

- صل على النبي . هات القيص والعبادة يا ابكر .

وكان فضل الدين يدفع عني احياناً مؤونة المقابلات في النهار .

- قل للشيخ ان الاستاذ لا يستقبل الا ليلاً - بعد نصف الليل .

كذلك تنعكس الحياة في تمامة . نعدنا الشمس ، تهكنا ، فيجئنا الليل فرعاً ويوقظنا القمر . ساعة من الفرج - . الا اننا والحق يقال لم تكن انسر بشي . سرورنا بكلمة الحاجب : جاءت الحيل والحيل من حضرة الامام ومعا رسول بدعوا اليه . فتصكب ونسير في ضوء القمر فنتمش ، ونحضر مجلس الامام فلستانس ، ونواصل السعي في سبيل السلام ، فاللفة ، فالتضامن ، بين ثلاثة من ملوك العرب .

- المسئلة بيننا وبين الشريف^(١) - الكلام لحضرة الامام - قريبة مبصرة . نحن اولاده ، نحترمه ونحبه . ولكننا نطلب منه ان يبادلنا الاحترام . قال تعالى : وشاورهم في الامر ، اها ، ليسألنا ، ايشاورنا نعم ، هولاء بمثابة الاب ونحن ابناؤه الراشدون . عندنا حكمة ، اها ، حكمة في الدين وفي السياسة . وعندنا قوة . القبايل في يدنا . . . وافقه لا تمر اربعة اشهر على المعاهدة الا نكون اصلحنا الامر بينه وبين ابن سعود فتسير القوافل آمنة الى مكة والمدينة . . . ان عند الشريف الحرمين ، ونحن نبذل انفسنا من اجل حب الحرمين . لا خير في حياة المسلم اذا كان لا يفار على الحرمين ويسعى دائماً في المحافظة عليها .

اغتصمت الفرصة عند ذكره ابن سعود فقلت : اذا اصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو ولا شك يسهي ليصلح بين سيادتكم وبين الامام يحيى . فيتم اذ ذاك الاتفاق الرباعي ، او المحالفة الرباعية ، وهي كما اخن حجر الراوية في الوحدة العربية .

فقال سيادته : هذا كلام حق . ولكن الامر بيننا وبين ذاك الرجل ^(١) بعيد .

— وليس على الله يا مولانا امر عسير .

— نعم صدقت . وما نحن يا حضرة الاديب بعبيدين بنا تروم . ولكن ذاك الرجل اضر بنا ، اضر بنا واقفه ضرراً جسيماً . ونحن نفعناه . وكان نفعنا مجرداً من كل ضرر ونش . اما نحن والملك حسين فقد كان الضرر والضرع بيننا ومنه . لذلك ترى الامر قريباً بيننا . . . العرب خداعون غدارون .

كان يردد رحمه الله هذه الكلمة كل مرة يحيى . على ذكر هذا الرجل ، اي الامام يحيى ، في المقابلات الاولى ، ولكنه عندما تحقق مقاصدي فغير لهجته .

— نحن اول من حمل على الاتراك في الحرب السكبري ، اول من انضم الى الاحلاف . اما هو فاتفق والترك وانسحب الى شباره واقام هناك بعيداً عن مساحة القتال . اي خير جاءنا نحن العرب من الترك ؟ اية منفعة نفعونا بها ؟ نحن حاربناهم قبل الحرب ، وحاربناهم اثنا الحرب ، وسنحاربهم اذا عادوا الى بلادنا . نحن كئنا نحاربهم في تهامة لندفعهم عن ابن حميد الدين . اوقفناهم مراراً في زحفهم عليه . دفنناهم عنه فراح يعقد وايامهم صالحاً وراء ظهرنا هذا في اثنا الحرب . اما قبلها فكنا وايام متعاهدين . عقدنا محالفة لمحاربة الاتراك وطردهم من اليمن . ولما جاؤوا يرون في بلادنا ليزريه من جهة الشمال اوقفناهم وقانا لهم : كيف نقبل وبيننا وبينه عهد الله . وصل الترك بعدئذ

الى صنعاء فماتوا بضربنا من وراء ، من الجبال ، فلم ينعمهم ابن حميد الدين ،
حليفنا صنو عهدنا . كان العهد عنده قصاصة من ورق .

وفي كتابين اطلعت عليهما الواحد من الامام يحيى الى السيد والثاني
جوابه ما يزيد سياسة الرجلين بياناً ، وعقليتها جلاء .^(١)

في كتاب الامام الى « الصنو السيد العلامة » بعد السلام مقدمات ادارية
في تاريخ المفاوضات ووسايلها^(٢) ثم انه يرحب بسمي كل من يرجو الله في
دفع الدسائس الاجنبية ، وصوت هذه القطعة العربية اي اليمن من تدخل
الاجانب ، وعدوان يحدث من اي جانب .

واعلموا يقيناً ان ليس لنا غرض ولا مقصد في غير القيام بخدمة الله
بالقلب واليد واللسان . والله لولا ان رى تحتم القيام علينا بالدفاع عن
عادة الكافرين على هذه الاصقاع لما حركنا ساكننا ، ولما اظهرنا كامننا .
ونصرح لكم بانه مما بينكم وبين الدول من الروابط والسلم بنا لهم
من المقاصد الضارة بالاسلام والمسلمين وما يروجون من تسلط الطام
والسيطرة الشاملة على كل من قعد وقام ، وبانهم لا يدفعون الاموال
والذخائر الا مقابل غرض عظيم يعدون الاستفادة منه لدولتهم ومثلهم .
ولم يحملهم على اظهار عدواننا الا عدم المساعدة منا لهم في بعض البلاد
اليمنية . ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون . قد
انصقم بنا اوضح حشوه لشرفي من القيام بالعدل والنحر والتشهير لدفاعهم

(١) بعد دخول الاتكثير الجديدة وخروجهم منها واستلام الادريسي زعمائها .
بعض رجال الامامين في عقد السلم بينهما . وقد ذكر الامام يحيى ابناء ثلاثة من رسل
السلم ذلوقت .

(٢) تاريخ الكتاب ٣٥ جمادي الثاني سنة ١١٣٩ والاشارة الادارية فيه هي : بعد
وصول نقيب حسن بن مغل وانفاقه (اجتماعه) بالقاضي عبدالله الفخري واطلاقها
على ما يريد شرعي والعرض علينا .

ومنههم وجوبهم في البر والبحر^(١) وذلك هو الغرض المقصود . ولكن بقي امر وهو هل لهم من حجة يحتجون بها ويحاجونها ذريعة لهم الى مقصدهم الخبيث من ادعاء الحق في اي جانب لهم من الدين . وهل لكم من فكاك من تلك الابطلة يزول به كل وسيلة لهم الى اي تجاوز . المأمل من صداقتكم مع كتابنا هذا ان لا تكتفونا شيئاً . فانه لا يخفى بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، وانتم اعرف بسياسة الدول ومساكنها الى الوصول الى اغراضها بما تجرمه من متاولات الخيل . وهذا اليكم كتاب اخ الى اخيه فانظر في ما يعز الاسلام والمسلمين ويدفع كيد وضرر الكافرين .

وختم الكتاب انتخاب محمد السلام الغابر ، واستنهاض المسلمين على جهاد الكفار الذين « تسلطوا بالواجب التسلطات الخبيثة على المسلمين فصاروا لا يكونون مستقلين قياد انفسهم . ولكنها الاهول . تمت فاعمت ، ولو عقل المسلمون وعملوا بما امر الله به الخ . »

اما جواب السيد محمد بن ادريس الى « الجنب الشريف والمقام المنيف » الصنو العلامة الامام محيي بن حميد الدين فيبعد حمد الله والسلام يعلمه يوصل كتابه مع التقرب الشرفي ويؤكد له ان بغيته المقصودة وضاوته المنشودة « ان نرى انفسنا على محكم الاخاء والوفاق مع جميع الامة فرداً فرداً . فضلاً عن هو مثلكم ممن ضلنا وضمه رحم العلم والنسب »^(٢)

(١) اي الانكليز . وفي هذه الحجة اختلاف على ما قبل في وقصد سي . لان شرفي لم ينطق بهذا الكلام او بانه ولا السيد الادريسي ولا احد خاصته . ومن ابن الادريسي ان يمارس الانكليز براً وبحراً . فضلاً عن انه كان يومئذ سديهم وحليفهم . اما القصد منها فظاهر . وقد كان الادريسي يفتقر تقرب الانكليز من الامام كما كان يسعى الامام ليعود بين السيد والانكليز .

(٢) « من ضلنا وضمه رحم العلم والنسب » . اما العلم فلا مشاحة ان السيد محمد

ولو نظرنا الى ما جرى من الحوادث حتى كاد لم يكن هناك رحم
توصل ، ونفوس بين يدي الله مما تفعل وتُستل ، فدعا الاخ اخاه الى
حكم السيف والسمان ، بل كثر عليه بما هو انكم من وخزات القلم
واللسان ، لطال الشرح وقادى الحال . ولكن حيث اوجب تعالى على
الكافة ان يكونوا اخواناً ، وفي الحق اعرافاً ، فلا غلص لنا ولكم
لدى الباري من الحجة ، الا ان فسلك واضح طريق هذه الحجة .
اما ما اشرتم اليه في ما بيننا وبين الاجانب فلو راجعتم التاريخ بالنظر لما
قد مضى بيننا وبين الطليان وقد امددنا بما علمتم ثم وقع الصلح بينهم
وبين الترك فانتكشفت الحال عن براءتنا من كل دسيسة^(١) . بل ظهر
للسوم ما اجراه الله على يدنا من احبب المعلوم^(٢) لاتضمت لكم الحقيقة
الخاطرة وعرفتم المثل المماثل : ما اشبه الدلة بالبارحة . وفي الجملة ما
حالنا وحال اهل اليمن الا كما قال حجة الاسلام :

كان صنو حضرة الامام بالعلوم الاسلامية والفقه واللغة . واما النسب فقد طعن الزيدون
به ظمناً ثبت ما قلته في التشرّي واختلاط دم السود بدم الاشراف في فصل سابق .
(١) « انتكشفت الحال عن براءتنا من كل دسيسة » متدعا تبعاد واطاليا احم
بدسيسة يراد منها ادخال الاجانب الى البلاد العربية . قالوا : هذا اجني - والزيدون
يصوبون الادارة دخلاء في اليمن - ويواطأ والاجانب علينا فكان انه اخذ مال
الاجانب وسلاحهم واستخدمها في محاربة أعدائه الاثراك . اما الايطاليون ، وهم في
القسطنطينية الاقربقي من البحر الاحمر قبالة الادريسي ، فلم يبطأوا ارضي شامة ، ولا
اثر لنفوذهم هناك اليوم . ثم احم التهمة نفسها عندما دخل الانكليز الحديدة . وما
عنوا ان خرجوا منها .

(٢) « اجراه الله تعالى على يدنا » كل امرء العرب او من قام منهم . يسل خطير
نافع يقول هذا القول : سخرنا له الله ، وفيه تواضع وتوقى . الرجل الكبير
تواضع لانه لم يسب كبيره الى نفسه بل الى الله الذي اجراه على يد عبده . في
هذا الادعاء يقول ضياء الناس : لو لم اكن عطشكم وزعمكم لا غصي الله جديكم
واختارني آله لميركم .

غزلت لهم غزلاً دقيقاً فلم يجد لغزلي ناسجاً

ان الله تبارك وتعالى اذا فتح باباً للخير فلا راد لفضله . ولما ما طلبتم البيان فيه عن البسن وما ترمي اليه السياسة الاجنبية فنالنا ما قلنا . لما قامت الحرب الاوروبية اغلقت دولة بريطانيا مساعدة العرب اذا ارادوا الاستقلال دون ان تتدخل في شئ من شؤونهم . ولكن من الاسف انهم على اراء متفرقة واهواء مختلفة . ومرت هذه الفرصة وكادت تم ولم يرفعوا اليها رأياً . . . على ما نشهده الآن في الاختلاف وعدم الانتباه ، لما يرفع شأنهم دينياً وسياسة . اثبتوا على انفسهم عدم الرشد فاحقرتهم اذن العالم وصاروا عرضة لانهطاط قوميتهم من بين سائر الامم . فلا حول ولا . . . ومثلكم على وفور من العلم والسياسة ، وبجل من المال والرياسة ، فلا يخفى عليكم كيف يكون لم شئت هذه الامة ، وما هو الاقوم عند الله طريقة في زوال هذه الغمة ، وحسينا الله ونعم الوكيل . في ١٥ شعبان سنة ١٣٣٩

في هذين الكتابين يتضح امران ، الاول : ان دعوة الامام يحيى دينية ظاهراً وسياسية ضمناً ، ودعوة السيد الادريسي دينية اساساً وسياسية قومية عملاً . الثاني : في كتاب امام صنعا ، غرض مقصود وعموميات قلما تفيد ، وفي كتاب امام جيزان صراحة مجردة وتخصيص ليس فيه لبهام .

الفصل الحادي عشر

المعاهدة

العلاقة بين الضعيف والقوي - النفس السوي المتبادل - سياسة الانكسار بمرء
الحرب - السلالة والمال - السياسة الجديدة - لا متاعرات - ولا دسائس - ولا
تجسس - ولا ارهاب - الامتيازات الاقتصادية - البحث في المعاهدة - نتيجة
خلاف - تعاضد بالانكسار - حجة السيد وحجتي - رغبتي في خدمة الملك حسين -
نص المعاهدة وشرحه بعض بنودها .

من طبع الضعيف وان كان مستقلاً ان يوالي الغني ويستعصر في اموره
القوي . ومن مظاهر القوة ان الضعيف في مكانه ويبثته هو غالباً اقوى منها
في غير مكانه ويبثتها . فالقوة وفيها الحكمة تستعين بشئ هذا الضعيف فيقوى
بها وتنتفع به . وما دام الانتفاع متبادلاً متساوياً ، وهو لا يكون كذلك
الا اذا كان في الفريقين شئ . من الوجدان ، فالولا . بينهما امر طبيعي . اما
اذا اخلل التوازن في المنفعة ومالت كفة الميزان فهناك السيادة الفاسدة اجنبية
كانت ام وطنية ، من القوي كانت ام من الضعيف . هناك الاستيلاء
والانتصاب والظلم والاستبداد . وبكلمة اخرى ان القوي القليل الوجدان
يستخدم الضعيف لمنفعته الخاصة فقط ، يرضه اليه فيبتاعه او يستعبده .
والضعيف ، الضعيف الوجدان ، يتخادع القوي وينافق فيكسب بعض القوة
التي يبي . استخدامها ، فلا ينفع نفسه نفعاً يذكر ولا ينفع احداً من الناس .
هذه حقائق في الحياة تنطبق على ما يتألفها في السياسة وفي الملك .

كان السيد الادريسي يدرك امرين في حياته جوهريين ، اولهما انه قوي
في ذاته ، وثانيهما ان ملك الادريسي ضعيف بين اقوياء عم اعداؤه . بديهي
اذن انه ، وهو الطموح الحكيم ، اذا عرف قوياً يروم الولا . والاه واستعصره
على الاهداء . وكذلك كان . جاء القوي عدو الاتراك - ايطاليين ثم انكلترا -

والمرء في أيام الحرب أبعد عن المحاطة والحداد منه في أيام السلم ، فنفع
الإدريسي وانتفع به . ها هنا قوة وضعف فيها حكمة ووجدان ، وفي
اتحادهما نفع سوي متبادل .

أما بعد الحرب فانقلبت الحال ، وساءت الأعمال . أمست حليفة السيد
ولا قصد لها ظاهراً في بلاد العرب غير نفوذ عده الى مقامات السيادة ، تعرض
مجهول صكك المتكهنون به وقل المدركون ، دون ان تبدل شيئاً مما كانت
قبله أثناء الحرب . زد على ذلك انه كان لها في الحرب عدد حقيقي معروف ،
وليس لها الآن غير اعداء سياسيين ، فاستحوذت على سياسة القروض توالي هذا
الامير علناً وتفاوض عدوه سراً حتى ساء حالها ، وساءت اعمال رجالها .

ويؤدي ان يعود الفريقان ، الانكليز واصدقاؤهم العرب ، الى شيء
طبيعي عادل في العلائق السياسية والاثنية تكون الفائدة فيه متبادلة متساوية .
الا ان ذلك لا يكون الا بالسياسة القومية الصريحة من قبل الانكليز ،
وبالصدق والتزاهة والاقبال على الحسن من التمدن الادريسي من قبل العرب .
كانت انكلترا تقدم في الماضي السلاح والذخيرة وتدفع الاموال فتسيطر
بواسطتها على الرجال ، فانتمت منفعة عملية وقتية ، وما كسبت بوجه الاجمال
من العرب غير الوقت والاحتقار . ولمعري انها في ما كسبت غير مقاومة .
فقد افسدت باموالها الامراء واهلكت بسلاحها العشائر ، وهي لا تزال تسعى
في نفوذها وتثبيت سيادتها في البلاد العربية على تلك الطريقة القديمة . وهذا
لا يكون بعد كل ما تغير وساء من الاحوال . فالسيد الإدريسي نفسه لم
يؤمن لمثلها الاذعان التام حتى يوم كان يقبض مالها ويسلخ العشائر بسلاحها .
وكثيراً ما كان يدعم في ما يقترحون خائبين « لم يربط الانكليز احد مثلي .
انا رقصت الانكليز » . سمعته يردد هذه الكلمات مراراً في حضور وكيل
انكلترا السياسي صديقي محمد فضل الدين . ومهما كان من زعمه فلا احد

ينكر ان السيد كان عربياً حراً صلياً يأبى التسيطر الاجنبي كما يأباه غيره من
ملوك العرب الكبار، الا انه لا يرى الضرر والكفر في موالاته اجنبي يتفهم
به . اما الانتفاع اثناء الحرب فمرفاه . فاذا عسى ان يكون في ايام السلم ؟
جدا دوام العلاقات الولاية بين امراء العرب وبين انكليترا . ولكنها
لا تدوم كما قلت على الطريقة القديمة . لا ولاء متبادل ولا اكرام حقيقي
مع التذبذب والتنجس ، والدسائس والارهاب . ان الحكمة كل الحكمة
والخير كل الخير للفرقة في خطة جديدة مجردة عن السياسة وحب السيادة
التي لا طائل تحتها . واذا كان لا بد من السياسة الى حين فاجعلنا فيها تلك
الصراحة البعيدة عن ال « لا » وال « نعم » معاً ، وعن الختل والخداع .

اني لا ارى في هذا الزمان غير التجارة والاقتصاديات والعلم سبلاً قوية
الى الولاة الاكيد بين الامم وفيه النفع المتبادل الدائم . اننا نتاجر معكم ،
ونمنحكم الامتيازات ، ونأذن لكم ببناء المستشفيات مثلاً والمعاهد العلمية ،
ونؤمن لكم فوق ذلك طريق الهند من البحر الاحمر ومن الخليج ونحافظ
عليها ، فتدونا في مقابلة ذلك بالمساعدات الادبية والسياسية والمالية التي من
شأنها ترقية البلاد وتعميرها واحياء موارد الرزق والثروة فيها ، ونغفونا من
الوكيل السياسي والمعتد والمندوب لتبذلون الفناصل بهم ، فتمتق العلاقات
بيننا وتصفو موارد الثقة والوداد^(١) .

هذا ما اشرت به شفاهاً واشير به كتابة على الدوام ، وقد كان السيد
الادريسي من رأيي . فلما وصلنا ونحن نبحث ذات ليلة في المعاهدة بينه وبين
الملك حسين الى بند يحدد علاقة الامير العربي بدولة اجنبية قال : ولا بأس

(١) في معاهدة جدة التي عقدت في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٧ بين جلالة ملك بريطانيا
العظمى وجلالة ملك نجد والنجار برهان ساطع على ان الحكومة البريطانية بدأت
تعمل بهذه السياسة الجديدة للسيدة التي تشترك فيها المصالح العربية والانكليزية
وتساوى فيها الحقوق والواجبات .

من ذكر انكلترا في المعاهدة ، بل يجب ذكرها . فقلت : وان كنت من رأي سيادتكم في تفضيل انكلترا على سواها من الدول الأوروبية فلا استحسن ذكر اسمها في المعاهدة بينكم وبين جلالة الملك حسين . ولم اكن السبب وجله سياسي في ما دعاني الى مخالفته ، بل صرحت برأيي ، وكان فضل الدين حاضراً اجلسات كلها ، دفاعاً عن القضية العربية والقصد الاكبر فيها ، وهو تألف ملوك العرب ونجاعتهم في سبيلها . فقد كان الملك حسين ناعماً يومئذ على الانكليز ، وكان الامام يحيى حرباً عليهم ، وانا ابغى عقد معاهدة بينهما وبين الادريسي ، فكيف السبيل الى ذلك واحد الثلاثة بقيد نفسه بالكلترا ويسجل في بند من بنود المعاهدة تفضيله ايها على سواها من الدول الأوروبية . فقلت مصرأ :

خير لكم يا مولاي ولا انكلترا ان لا نذكرها في المعاهدة . والي لا ارى ما يوجب ذكرها هنا خصوصاً في معاهدة بينكم وبين امير عربي آخر . كنت افكر دائماً بالملك حسين الذي رغبت في خدمته خدمة حقيقية تقرب امراء العرب منه وتربطهم بالمعاهدات واياماً ، خدمة تقيده اصكراً من ارساله الوفود الى انكلترا وجنيف ، وكانت هذه الرغبة تشبه بما افعل واقول . ولم يكن الامام يحيى ولا الادريسي مغبوناً في عمل مجرد عن الأغراض السياسية والذاتية كلها . فظننت ان يفسده ذكر انكلترا ، فيرفض الملك ان يوقع المعاهدة بسببها وينكر الامام كذلك مساعي الملك في سبيل الصلح بينه وبين الادريسي . لذلك دافعت عن نظريتي بكل ما عندي من حجة وبرهان . ودافع السيد عن نظريته لا اعتقاداً فقط على ما اظن ، بل رغبة بالحفاظ على صداقة الانكليز . فلما خرجنا من المجلس تلك الليلة هنأني فضل الدين وقال : قد نلت من الامام ما لم ينله احد قبلك .

جاءت المعاهدة وليس فيها ذكر بريطانيا العظمى ولا كلمة تشبه اليها .

وكان الانكليز مع ذلك راضين بها . مما دل على ان انكلترا لا تقارض في عقد معاهدات ولائية اقتصادية - دفاعية كذلك - بين امراء العرب اذا وفق الامراء الى من يسعى في هذا السبيل سعيًا فيه نراة ووطنية حقة ، ثم شي . من الاعتدال والانصاف

وها في اثبت من هذه المعاهدة ما يختلف في موادها عن المعاهدة بين الملك حسين والامام يحيى .

التعهد واحد في المعاهدتين .

المادة الاولى : البلاد العربية اقصادا وادناها بلاد اسلامية لا تقبل التفرقة والتجزئة وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد اللسان . وليس المراد من عدم قبولها التفرقة تغيير اشكال اماراتها الموجودة وتحويل اماراتها وحكامها المشهورين المعروفين الذين يتولون ادارة شؤونها واعمالها وسياسة داخليتها . وانا المطلوب اجتماع الصلحة القومية^(١) وتوحيد السياسة على وجه يرضاه الله وتصلح به احوال البلاد من غير تدخل اجنبي يخل باستقلال البلاد العربية^(٢) على ما سيعرف من المواد الآتية .

المادة الثانية : يعترف جلالة الملك لسيادة الامام الادريسي بالامامة ويعترف سيادة الامام لجلالة الملك بالملك^(٣)

(١) قبل السيد محمد ياقص الذي قدمه وهو هذا : وانا المطلوب اجتماع الصلحة القومية راجع شرح هذه المادة في معاهدة الامام صفحة ١٩٧ من هذا الجزء .

(٢) راجع الشرح في معاهدة الامام صفحة ٣١١ من هذا الجزء .

(٣) كان قد اعترض الدكتور فضل الدين على هذه المادة لان المادة الثالثة تنفي بالعرض المطلوب . فقبل السيد اعترضه . ثم جاءني منه مع نسختين من المعاهدة الرسمية هذه الكلمة : بعد اعدائكم للتجبة الزامرة . صدرت نسختان احدهما بدون مادة الاعتراف بالامامة والملك حسبما اعترض جناب الحكيم البارحة لاننا نظرنا لذلك بعدئذ معنى صحيحاً . وفي الاخرى تلك المادة . فلكم الخيار في اية النسختين اردتم .

المادة الثالثة : يختص جلالة الملك بسياسة ما تحت ادارته في الحجاز وغيره داخلية وخارجية . ويختص سيادة الأمام الأديبي بإدارة بلاده الداخلية والخارجية . وليس لاحدهما ان يعقد معاهدة اجنبية في ما يتعلق بإدارة الثاني من البلاد ، ولا ان يغير شيئاً جارياً من طرف صاحب ادارتها ، ولا ان يتدخل بإدارة داخلية خاصة ولا عامة^(١) الا بعد المشاورة والاتفاق بينهما . وإذا فعل احدهما شيئاً من ذلك او عقد مقابلة اجنبية في ما يتعلق ببلاد الآخر منفرداً فلا يعتبر ما فعله ولا يعتمد عليه . وليس لاحدهما تقضى مقابلة سابقة التاريخ هذا الاتفاق من الطرف الآخر في ما يتعلق بحصية عاقدها وبلاده ، ولا تعتبر في بلاد الثاني الا اذا تم الاتفاق على ذلك . ويلزم على هذه المادة فصل الحدود بين الفريقين على الوجه المعتدل حتى يصلح كل فريق الجهة التي اليه وبعد بها المصداق اللازمة وقت الحاجة للطرفين^(٢) ولو كانت جرت المذاكرات باوفاق مثل ما جرت الآن قبل سنة تقريباً لتتمكن الجميع من احتساب الحدود المعتدلة وما يترتب عليها من الفوائد المشروحة اعلاه . حيث كان لا حائل بين الجوارين ولا منازع آخر بينهما . اما الآن بالنسبة للحدود فيسكنفي حصول الترام ثابت من جلالة الملك حين عدم الاعتراض في مسئلة لواء عسير على فرض ارتفاع المنازع الاخر منه بالكلية^(٣) او ارضائه

(١) كان قد اصر الامعان بالوقوف بعد هذا الحد فاقتهما باضافة الجملة التشرطية بعدها اي « بعد المشاورة والانتاق بينهما » الى اخر الجملة اي « فلا يعتبر ما فعله ولا يعتمد عليه » والغرض منها تفيد في ما يعود السبل الى الوحدة العربية .

(٢) ما يلي اي من « ولو كانت جرت المذاكرة » الى اخر المادة « اضافها السيد محمد . فارتأيت ان نضد في كتاب خصوصي الى جلالة الملك لانها حكم شرعية لا اساسية ، فلم يستحسن رأيي وامر ان تكون جزءاً من هذه المادة . وفي ذلك دليل اخر على سلامة نية السيد ونساعه وجهه الله .

(٣) يراد بهذا المازع ابن سعود سلطان نجد وهو عتلى مدينة اجا التي كانت قاعدة

يجز. لا يجوز بيننا وبين جلالة الملك حسين في الجوار . وهذا يقتضي
ان تقوم بمسعى الاصلاح بيننا وبين السلطان عبدالعزيز ابن سعود^(١) لاجل
تمييز حدود معتدلة بين الاطراف الثلاثة .

المادة الرابعة : الاتفاق على مدافعة من اراد الاعتداء على احد الطرفين .
وهذا حق المسلم على المسلم . والكل منا يبحث في تلك الحادثة والسعي
فيها بما امكن من الاصلاح سواء كان مما يرجع الى الخارج او المعارض
في الداخل . فاذا لم يكن الا مجرد الاعتداء . والبنفي فيلزم كل من
القريتين المناصرة صاحبه . ويلزم الامداد بقدر ما امكن من مال او
رجال او سلاح او معدات حربية وعلى طالب المدد ان يقوم بلازم
المطلوبين^(٢)

المادة الخامسة : اذا وقع تشاجر بين وعيا القريتين يرد الى حكم الشرع
فينصب قاضيان من الجهتين او قاض من احدهما حسب التراضي لفصل
المادة .

المادة السادسة : الاتفاق في العمل الذي يحفظ القطر من اي تدخل اجني .
فاذا حدثت مشكلة مهمة كالغزو والمعاذات يلزم كل من الطرفين اخذ
رأي الطرف الاخر حتى يؤمن الالتباس في الموضوع ويكون العمل بقوله
تعالى : وامرهم شورى بينهم . وقوله عز وجل : شاورهم في الامر .

المادة السابعة : تبادل المنافع التجارية من الطرفين مع تسهيل امور الصادر

لواء عدير في الماضي

(١) ولا شك ان السيد الادريسي كان قد فاد بسميه هذا الشريف لما كان بينه وبين
سلطان نجد من الثقة والولاء .

(٢) في هذه المادة الدفاعية تقضى عادة الهجوم اي المادة السادسة من معاهدة الاعام
والقصد منها كشف يد حكام الشطر الغربي من الجزيرة بضم عن بعض . راجع المادة
السادسة وشرحها صفحة ٣١٣ .

والوارد والمحافظة على اطلئانها .

المادة الثامنة : التي تختص بصندوق توفير من مال الرسالة هي مثل المادة العاشرة في معاهدة الامام ^(١) والمادة التاسعة التي تختص بتعيين مندوبين من قبل الفريقين هي مثل المادة الثامنة ^(٢) والمادة العاشرة اي الاخيرة هي مثل المادة الاخيرة كذلك في معاهدة الامام . ^(٣)

(١) راجع تلك المادة والشرح عليها في صفحة ٣١٦

(٢) ٣١٦ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

(٣) ٣١٦ من هذا الجزء ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

الفصل الثاني عشر

جوارر وسادات

نائب ابلّيس في عاصمة ابن ادرّيس - اخبار العاصمة - الجارية المجرمة والسيد
المبادل والقاضي الذي نبتت في قلبه ريعانة الرحمة - ابو فراش - الدنقلبات
الجنان - وفاد ابن سعود - المناقشة بين الوديعين وعلماء شقيق - لا تشعروا
يا ايها نجد - السيد الحضرمي - فصل العجاجة عند الساحة - الاتراك يفتنون
الجوارري والعميد - السيارة قدور - شجر الشوري - معاصر من مظاهر المدن
سيد من الامجاد - ميري - سوق الرقيق - يازمنا جارية للاستاذ -
سنيوك الجوارري المنتظر - سيد من ظهير الامجاد - ضللتنا الطريق في الليل -
النجية - السراب - الصايغ - معادن الملح - القطر - آخر غرقائنا في الرمل -
السائق اصيب بقوار - السيد الحضرمي يقرأ الفاتحة - النجدة من القرية -
ينت الجن

وقف الحاجب في الباب يقول: الحاج محمد. فهبط فضل الدين واستوى
جالساً على الديوان. ومن هو الحاج محمد؟ هو في عاصمة ابن ادرّيس نائب
ابلّيس، درويش وجريدة اخبار وحجام، وطبيب يطبيب العيون، ويتاجر
بالدر المسكونين، ويترأس كل الفنون. هو من مراکش، جاء مثل كثيرين
من اخوانه الى بلاد السيد حاجاً، وبقي فيها ينتقل مع الامام فيعيش في ظله
المغذي الروح والجسد معاً. والحاج محمد جبار، يكثر بيده الحجارة. صافحته
مرة واحدة وصرت بعدئذ اصكتفي بالسلام من بعد عشرة اقدم. اعجب
بذلك اليد، يد ولا غلاب البهوت، كل اصبع منها نبوت، وهي مع ذلك
يد ساحر، يدها الى ادق اعضاء الجسم البشري الى العين فيشفئها - بشهادة
الدكتور فضل الدين - من الآلام. يقبض السكين، ويغيرها وغير الله لا
يستعين. وما فشل مرة في عملية من العمليات، ولا عصته العيون والحدقات.

لكن ذلك لا يؤهله لا كرام فضل الدين الذي كان يستقبله ولا يستقبل

عجبه في النهار . دخل يلهث والعرق يتصبب من جبينه ، فجلس على الأرض ، طوى نفسه على السجادة امامنا ، وبدأ باسم الله .

— سافر الله مؤثراً الى صيا منذ ايام وعاد اليوم كاملاً بكل اجزائه والحمد لله . وحضرة القاضي فيه سالماً متعافياً بأذن الله . وقد وفق بين السيد . . . وجارية من جواريه جاءت تشكوه الى مولانا . ولدت هذه الجارية ابنة فلم تمس يوماً كاملاً . فعول السيد على بيع الجارية فاحتجت . متحصة بالشرع والحق في جانبها لانها ، وقد ولدت له ولداً ، أصبحت زوجة شرعية . وليكن السيد يقول : هي جارية نحس ، جارية جازية . لو انها ولدت ابنة حرة لما استحققت ان ارفعها الى مقام الزوجة فكيف وهي تجمعت بالاموات . جازية تستحق فوق البيع الذم . ولكني ارحمها وابيعها فقط . فقال القاضي ، وقد نبتت في قلبه ربحانة الرحمة : بشاك وانت من اهل البيت يليت العدل ويليق الحنان . فقد قال صلى الله عليه وسلم . قال : نسيت يا دكتور الحديث . ولكن القاضي اقنع السيد فدخلت الثغرى والحنان الى قلبه . فقاطعه فضل الدين قائلاً : نال الحليم في قلبه . فقال الحاج : والله رحمه يا دكتور . قال لها : ساشرفك ببذرتي مرة اخرى فاذا جنتي بولد ذكر حي كان لك ما تريدن . والا اتبعك بابنتك . قلبي يد القاضي ، وركبته ، ورجله . واشكري الله على مجيئه . وجيران تشكر الله على عودته سالماً في الله مؤثراً .

رفع الحاج محمد رأسه ومسح بطرف قبضه العرق من جبينه ثم طوى نفسه ثلاث طيات — اليديه على كعبيه وصدره على ركبتيه — ومد عنقه نحو فضل الدين وهمس قائلاً : سيدخل عم مولانا الامام على فتاة اخرى . ابو فراح يبني شرا . فرخة سوداء وراح امس يستأذن صهره . وراحت المسكينة الى الامام تبكي وتستغيث . فقال الامام الى عمه الشائب : لا اصبح لك بها الا اذا كتبت كتابك عليها . اخذت ابنتك بالكتاب والسنة فكيف احل لك

ما لا احله لنفسه . تقبل ابو فراخ بذلك وسيدخل الليلة هذه الليلة على الفرخة
الدنقلية . . لا والله ما رأيتها ولكني سمعتهم يقولون انها اجل ما جاء من
ورا البحر . هذه سوداء .

ورفع الحاج رأسه وصعد الزفرات ثم قال : والسيد . . عافاه الله
وحجب عليه . جاءته احدى جواريه بولد . . ابعد الله الدنقلية عن بيت
سادتنا . فرخة سوداء ، رأس البلاء ، في كنف ادريس . الادارسة يا دكتور
يذبحون انفسهم ولا يذبحون سود الفراخ .

ضحك الدكتور وامر له بالقهوة فشرب الحاج ومسح بقبضة العرق من
جبينه ووجهه واستأنف الحديث .

- سيخرج غدا وفد ابن سعود . اعطى مولانا كل واحد منهم كيسا
وكسوة . وقد كانوا ليلة البارحة في المجلس الشريف فتناقشوا وعلماء شقيقه
في التوحيد والاولياء . خفت والله على الشائقة من هؤلاء الوهابيين . تذكر
الرجل الذي ذبح ابنه في ابنا لانه افترى على زوجة ابيه وفر عاريا الى صبياء
فقبض عليه فيها وسجن باصر من الامام . جاء كتاب من عامل ابنا يقول
فيه : ارسلوا اخائي البنا . انتم لا تحسنون القصاص . شرائعكم لا تنفع .
عندكم محاكم وتاجيلات وتعويضات ورشوات . احبوا علينا عندنا السيف .
وامس قال احد هؤلاء الوهابيين : لا يظهر الاسلام من الشرك الا السيف .
وهو حجتهم الوحيدة . من يصلي الى العظام في القبور ويستقيت بالاشجار
والحجارة يشرك بالله ، يكفر بالله ، والكافر يقتل . فرد عليه احد علماءنا
بقوله : وانتم تستميثون بالنبي ، انتم كذلك مشركون . فقال الوهابي :
لذكر النبي اجازلا ولا نستقيت به ابدا . فقال عالمنا الذكر والاجلال
يتضاءلان الاقتداء ، والاقتداء هو خيماء النداء ، وفي النداء الاستغاثة . فقال
الوهابي : هذا انهام وكفر الانبياء اشد من الكفر الصريح . قامت المناقشة

ساعتين فدخل اذ ذاك مولانا فقال : لا تشغلوا يا ابنا . نجد . وجادلهم بالتي هي احسن . ثم قال والازكليز مشركون وليس علينا ان نهدبكم الى الدين الخفيف . . . من آمن بالله وباليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم « الآية » ونحن اصدقاء الانكليز . نخلص لهم ما داموا مخلصين لنا ، وانتم في نجد كذلك ان الله يهدي من يشاء . هذا ما قاله مولانا الامام . وقف الحاج محمد هنيئة وقد عمد الى طرف قبضه فأمرها اولاً وثانياً على جيبته ثم دنا من اضل الدين هامساً : سنبوك جوارر يصل الى ميدي بعد يومين . ثم مال بوجهه الي وقال : السيد الحضرمي يسلم عليك .

سكنت قد نسيت رفيقنا في الباخرة . وها ان الحاج محمد يثبت ما قاله فضل الدين . - قرأ السيد قصيدة في مجلس الامام يمدحه فيها فاسر له مولانا بمئة اجرة ، وهو عائد معكم في الـ « موتر » الى الحديدة .

وتب فضل الدين لهذا الخبر عن الديوان مستعزداً بالله . ثم دعاني وهو واقف امام الشباك لاشاهد ما شاهد في ذلك الحين فرأيت في الرواق اخدام ابكر - السيد ابكر - وحوله بعض ابنا . قريته جاؤوا يسلمون عليه ويقبلون يديه - هذا سيد ولكنه خادم مخلص . لا بأس اذا قبل يده ابنا بلده . ولكن في السادة الشحاذ والاص والراني والقاتل والمتاجر بالرقب . والناس يقبلون ايديهم وركابهم . ان مراوعة^(١) مدينة السادة ، كلها سادات وفيها من كل من ذكرت . يقول السيد الى السوق حاملاً السلة فسلأها بما يحتاج اليه خضر وجوب ولحم وحلوى ، دون ان يدفع غرضاً واحداً . ولا احد يقول : لا . ولا احد يجراً ان ينزع رزقه عنهم . وفي اشهر رجب ورمضان وشوال يخرج السادة يشحذون رمضان والشهر السابق واللاحق ، هذا فضل الشحاذة عند السادة . جاء في الكتاب : وأنذر عشيرتك الاقربين ، فن

(١) مراوعة هي على مسافة عشرين ميلاً شرقاً من الحديدة .

ينذرها اليوم ٩ عادات وخزعيلات وقبايات يهزم منها الاسلام اذا تزوج
السيد ابنة من غير آل البيت وولدت له ابناً فمن الواجب عليها ان تقبل يده
وركبته ورجله كل يوم لانه سيد ولانها من عامة الناس . وابنها يحترقها ،
ينظر اليها نظر السيد الى العبد . مثل آخر : سيد غنده جازية وخدام متزوج
بامرأة حرة . فزوجة الخادم تحترق جازية السيد ولا تحترقها ولو صارت ابناً
وزوجة شرعية . وكثيراً ما يحدث في مثل هذه الحال ان السيد يبيع الجازية
الى خادمه ويصكره على طلاق زوجته فيتزوج بها . فساد لا يطهره غير
الحجيم . . من فضل الاتراك انهم كانوا يعتقدون الجوارى والعبيد ويعطونهم
شهادات العتق . وكان السادة يوم كان الترك في البلاد يعتقدون هذه الشهادات .
اما الان فلا قيمة لها . . . ولا تظن ان سادات حضرموت ارقى من سادات
اليمن . هذا واحد منهم عرفناه وفيلاً وسيرافقتنا مرة اخرى اعوذ برب الفلق .
ولكننا علمنا بعدئذ ان حضرة السيد سبقنا الى ميدي وسيرافقتنا من
هناك . فقال فضل الدين : والحمد لله الذي دفع عنا بعض البلية . ركبنا
السيارة صباحاً يصحبنا جندي من جنود الامام ، وهو سيد من سادات اليمن
الاعلى يناهز الستين عمراً ، دقيق الانف والفم واليدين ، حلي الشارب ،
ابيض اللحية ، بهي الطلعة ، لطيف الحيا . جلس بعد ان سلم الى جنب
السائق ، وبندقية بين يديه فسرنا نبطي ميدي التي هي على مسيرة ستين
ميلاً من جيزان . وكان السهل الذي رحنا « فوتر » فيه كبلاد حرب كله
درب . مورثا بعدن ملح هو للحكومة قوب قرية تدعى مضايه . ولم يكن
في الارض حولنا ما يربح النظر من السبخات غير شجر الشورى الذي كانت
صفوفه تمتد اميالاً الى جانب الشاطئ . كانت جدار اخضر قائم بين البحر
والسهل . اما فشر هذا الشجر فابيض مثل عوده والمتكسر منها شبيه بالعظام
يجمعه الدرب خطياً . واما الورق الشبيه بورق النار فبعاءه الغزلان . كانت
رؤى اسراباً منها عادية ، شاردة ، نافرة من كل ما تحرك في تلك الارض . واهـ .

وفي تهامة مظهر من مظاهر المد غريب . ان مياه البحر تجري تحت الارض ، خلال شقوق في القربة رملية ، فتدرب الى مشافة خمسة اميال في بعض الاماكن ، وتظهر فوراً في السهل بجيدات مألوفة ، تجرد في الصيف مياهها فتبدو سبقات موحلة لزجة اذا علقَت السيارة فيها استحال على غير الجمال جرّها منها .

عجبت اسكوت السيد قدامي وتأدبه . سأئته سؤالاً فأدار بوجهه واجاب بصوت لطيف واثقة فصيحة انه من عرب حاشد ، من الحوارث فيهم ، وان جبال حاشد هي كالخلقة حولهم . نعم ، هو زيدي ولكنه منذ عشر سنين « في خدمة هذا الامام » اي الادريسي . بعد ان اجاب سؤالي امال وجهه وسكنت . أعجبني من الرجل محاسن ثلاث فيه ظاهرة - حسن طبعته ، وحسن منطقه ، وحسن ادبه . وهو سيد زيدي . بل هو سيد من الاملجيد ، شريف حتى اطراف اقله كما يقول الانكليز . وفيه برهان جلي على ان في التعميم ضللاً . اجل ، ان في السادة كما في طبقات الناس كلها ثلاثة رجال ، الشريف طبياً ، والشريف وراثتاً ، والذي لا شرف له .

وصلنا الى ميدي التي هي على مسيرة ساعتين في السيارة من جيفران قبل ان يشتد حر الشمس ، فاقنا فيها يوماً نستطلع احوالها ونستكشف اسرارها . اما الاسرار فهي والحرم في بيوت القش الهرمية ، واما الاحوال فاوّل ما يظهر منها اناس اكثرهم من السود والمولدين يزدهنون في اسواق تباريهم فيها الروائع والاقذار .

ولكن للاشغال ، للصناعة والتجارة ، أثراً باهراً فيها لا تجد مثله حتى في الحديدة . ذلك لان ميدي اليوم هي جيفران في اثناء الحرب العظمى ، وقد كانت المدينة الوحيدة على شاطئ البحر الاحمر الغربي المفتوحة للدواخِر والتجارة فتسير منها الى العقبة ، عقبة اليمن ، فجبال عسير ، وفي السهل شمالاً

الى جده . اما تجارة ميدي فاكثرها بالاسلح وبالزقيق وبالتهريب . اذا احتاج
امام صنعاء . مثلاً الى الذخيرة والبنادق يشتريها في ميدي او يطلبها لترسل عن
طريق ميدي . واذا اراد احد تجار الحجاز ان يهوب بضاعته فلا يدفع عليها
رسوم الجمره يستجلبها الى ميدي ، ومنها يرا الى جده . واذا اراد احد السادة
شراء جارية حسنة ، نجني . الى ميدي فلا تضل خطاه ومناه . وانك لتجد فيها
الازاوي ودهن السم الذي يعصرونه بين حجارة تدبرها الجمال ، والبنات
السافرات اللواتي ينفرن من آلة التصوير نفور الفزلان . ولا غرو وشهرة ميدي
هي في الحرم المنوع ، اي في الزقيق والسلاح ، وسهام الملاح .

ان الدكتور فضل الدين في صفته الرسمية والخصوصية هو رقيب المتاجرين
بالزقيق وعدوهم الاشد . اخبره الحاج محمد المغربي بان سنبوكاً من الجوارري
يصل قريباً الى ميدي فباشر عند وصوله البحث والاستقراء . جاء احد
اصدقائه من تجار الزقيق مسلماً . فسأله كيف السوق ؟ فقال : واقفة
يا حكيماً .

— يلزمنا جارية للاستاذ .

— غرضك يا حكيماً على الرأس والعين . ولكن لا يوجد اليوم . لا
واقفة ولا واحدة .

— ولا عند اصحابك ؟

— لا والله السوق واقفة . لم يدخل ميدي سنبوك واحد منذ شهرين .

— غرض الاستاذ عزيز لدينا . فنش ولو على دنقلية . والثمن يرضيك .

— سنبذل الجهد . غرضكم يا حكيماً وغرض الاستاذ على الرأس والعين .

راح ولم يرجع . وجاء اخر فكانت اجوبته قومي . الى ربب في نفسه
بحسن نية الوكيل . فانكر بتاتاً .

— لا جوارري في ميدي ، ولا احد يتاجر بالوقيق اليوم . لا والنبي ولا احد يشتري .

— وما من يشتري ويدفع ما تشاء . هات لنا ولو سودانية .

— توكل على الله غرض الحكيم لشتره بعيوننا .

وراح كذلك ولم يرجع . ثم جاء رجل طويل القامة ، طويل الشارب ، اجش الصوت ، جاحظ العين ، فسلم سلام الاحباب فترجع على الدويان .

— سقى قريباً يا يسرك يا حكيم . والله ما نبغي الا خدمتكم وخدمة مولانا السيد . لا يوجد جارية واحدة اليوم في ميدي . نظفنا البلد . والتجار كلهم يفتولوا . لا يهم والله اذا كنتم راضين . اول سنوك يدخل ميدي نحن ورجالنا نحجزه بنم مولانا ونعطكم بذلك .

وقد علمت بعدئذ ان الرجل من اكبر تجار الرقيق في نهاية . له قصر كبير بين ميدي والحقبة يستخدمه تهريب الجوارري والسلاح . والرجل عالم بقصد الحكيم ويظن انه يجادعه . على انه ينتج احياناً في ما يخال به . فاذا حجز سنوكاً مرة في السنة وسلم من فيه الى الحكومة يشتريهن بعدئذ بواسطة احد رجاله وبأخذهن الى القصر .

سأله فضل الدين عن السنوك المنتظر وصوله فقال : بعد شهر في الاقل . صاحبه سافر البارح الى جيبوتي^(١) عيّننا عليه ، كن مطعم البال .

وقد يكون « صاحبه » احد رجاله . عرفنا بعدئذ انه كان صادقاً في بعض ما قال . ولكن الرجل لم يسافر الى جيبوتي . ان في هذا الخبر بداية حادثة يجي . ذكرها في الفصل الثاني .

تولنا الساعة الثانية بعد نصف الليل الى الساعة لتركب السيارة فلقينا

(١) مدينة على ساحل بلاد الحبشة جنوباً وهي مشهورة افرنسية .

هناك رفيقنا السابق السيد الحضرمي وهو ينتظرنا .

وضع الخادم أبكر امتعة سيده في السيارة عند ارجلنا وأحكم بيننا حقيبة جاءت شبه مسند استندنا اليه . ثم اشار فضل الدين الى السيدان يجلس جنب السائق . فاني وقال : ارفعوا هذه الحقيبة فاجلس معكم . فضل الدين : يد الاستاذ تألمه وهو يحتاج الى شيء يسندنا اليه . تفضل اجلس قدامنا .

السيد مثلي لا يجلس جنب السائق .

فضل الدين يتلو الفاتحة ، والسيد يحوّل ، ثم : اجلس او نثني . لمز السيد رأسه ، فامر فضل الدين السائق بالسير ، فرفع السيد امتعته الى السيارة وصعد الى جنب السائق وهو يتلو الفاتحة . فقلت انا مع الاثنين : اهدنا السراط المستقيم .

والظاهر انه لم يكن فينا احد ممن انعم الله عليهم . او ان السيد هو سيد برج النخوس فجدبنا كلنا اليه في تلك الساعة وحجب عنا سواء . بل اعمانا فيتنا لا نعرف في البها . نحياً تهدي به . ضللتنا الطريق ، وبقينا ساعة ندور في سهل ككه درب مثل بلاد حرب ، ولا اثر فيه يرى لدواليب هذه السيارة المباركة التي لم ترل طفلة في البلاد . بعدنا في الدوران ثم عدنا فدوتنا من ميدي ، فمن الله علينا برجل هذان السراط المستقيم . ثم ضللتنا ثانياً وثالثاً قبل ان نصل الى محل ، وهي القرية التي فيها قصر التاجر بالوقيق ، وعندنا اتفاقاً او حياً الى اثر الدواليب المتقطع الذي كان يبدو ويختفي في نور القمر الضئيل .

وصلنا الى الاخيرة عند شروق الشمس ، فالقيناها كالخديعة حافلة بأنار القنابل الايطالية والانكليزية ، لانها ضربت مرات من البحر في الحرب الايطالية التركية وفي الحرب العظمى . الا انها لا تزال على شيء من العمران

في ابنتها النيرة ، وفي اسواقها التي لا تشبه اسواق ميدي بالروانج والاقدار ،
ولا بالناس وحركة الاشغال هي قريبة من البحر ولا تزال الكياسة
التركية هادية في بعض ارجائها ولا سيما في دائرة الحكومة ، حيث استقبلنا
عضر الافاضل من عسير ومن الحجاز كانوا سابقاً في خدمة الدولة ، منهم
رجل له ابن في الروس كان حاضراً ليلة الرئيسة والرقص التي احيها جلالة
الملك حسين اكراماً لي فكتب الى ابيه يصفها . وما قال : وكنا ساعة
الفجر لا تزال رقص حول النار . هذا اجل ما سمعت في وصف تلك الليلة
التي وصلت اخبارها الى اليمن .

واما سكان اللحية ، وفيهم الصومالي والسوداني والمولود ، فلا يتجاوز
عددهم اليوم الخمسة الاف وهو خمس سكانها قبل الحرب . وفيها ثكنة
مجهزورة وقلعة متهدمة ، واخرية كما قلت كثيرة . فقد كانت في اخر الحرب
الغليظ هدف الرصاص والنار من البحر ومن البر ، لان عساكر الادريسي
بقيادة ضابط انكليزي كانوا مخدقين خارج المدينة ، وكانت ابو حلق على
مسيرة ساعة منها جنوباً ، في يدهم . فتجيشهم الذخيرة والمؤونة والماء كذلك
من المراكب الحربية . وما علم ان تغلب الاسطول الانكليزي فخرج القوك
من المدينة ودخلت عساكر الادريسي اليها . وبعد قليل وصل الى تلك
البلاذ خبر الهدنة فأرخته الانكليز هكذا : ١١ - ١١ - ١١ ، اي ان الحبر
وصل الى اللحية في الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادي عشر من الشهر
الحادي عشر من سنة ١٩١٨ كان السيد مصطفى يومئذ نائباً عن ابن عمه
الامام والدكتور فضل الدين طليبا في الجيش الادريسي . فقول بعض الضباط
الانكليز الى البر يعيدون معها للخبر السعيد . احتفلوا بالنصر وبانتها . الحروب
في بلاد لا تنتهي وأسفاه فيها الحروب .

استأنفنا السير صباح ذلك اليوم فررنا ونحن قريبون من الشاطئ ، بالشمسية

وهي قرية صيادين ، وكذلك بالحربة التي لم يكن فيها سائح غير الارلاء .
فخرجوا جميعاً يلاقوننا ويكضون ليايقوا السيارة . وظل بعضهم وهم يشبون
كما للفرلان سائرين معنا بضع دقائق ، فتقهقروا الا واحداً ادهشنا في ثباته
وعدوه . ثم سمعناه يقول للسائق : دكه دكه ، اي على مهل . كأنه اراد ان
يرافقنا بل يسابقنا الى الحديدة .

سمعت السنوات والارض طلبة الولد ، فوقفتا فجأة ، وقفنا تاماً . غرقت
دواليب السيارة في الرمل ، فخرجنا كلنا الا السيد الذي ظل جالساً ، وجاء
الولد يساعدنا فدفعناها الى الامام . اخرجناها مع من فيها من الرمل وعدنا
الى محالسا وفضل الدين يقول : والحمد لله يا سيد . فاجاب بلا خجل ولا
اعتذار : والحمد لله .

دع السيد يادكتور واستقبل السراب . هوذا السراب ، وقد تراءى
لنا بعيداً فظنناه لاول وهلة احدى تلك البحيرات المالحة التي تتسرب اليها
مياه البحر ، او لساناً من الهر امتد اليه . وكانت اكواخ القرية تنعكس في
السراب فيشبه ظلها ظل الاشجار — ظلال في المياه ، ولا مياه ولا ظلال .
اما لون السراب فكان اشبه بلون السماء منه بلون البحر . لذلك كنا نرى
قرية ابن عباس كأنها واحدة في وسط البحيرة او بستان مغلق في الفضاء ، تحته
وفوقه السماء . ولما دنونا منها بدت اكواخها لا ريب فيها ، وكانت المياه اي
السراب المحيط بها يتقهقر ويصفر كلما تقدمنا حتى غاب رويداً رويداً
عن الابصار .

بعد ان اجتزنا ابن عباس غرقنا ثانية في الرمل ، فخرجنا ندفع ونحرق
والسيد في مكانه لا يتحرك . فرجونا ان يتفضل فيزل في الاقل فنحنف
عليها المصيبة ، فعمل متريداً . وما سكادت رجله الشريفة تطلا الارض حتى
تحركت الدواليب وجرت السيارة باسم الله ، فركض السيد وراءها وهو

يظن انها ستستمر جارية .

وصلنا الى الصليف المشهورة بحلها . وقد كانت قبل الحرب عامرة
بشركة انكليزية منحتها الدولة امتيازاً لاستخراج الملح من ارضها . انها لقرية
جميلة قائمة على طرف هلال من البر في البحر ، والهلال ذيل ضلع اي جبل
يتمد شرقاً الى الزبدية في سفح جبال السن . خطر لي ونحن نجتاز هذا الجبل
الضيق الطويل ، هذا الضلع في الارض ، خاطر قد يهيم الانكليز والامامين
اذا كانوا حقاً ينفون الصلح . ها هنا الحدود الطبيعية في تهامة بين السن
وعسير ، بين امام صنعاء وامام حيران . فتكون الزبدية وما دونها جنوباً
للزبد ، وتكون الصليف وما دونها شمالاً للادارسة . والجبل فاصل بين الاثنين
تغيرت التربة دون ذاك الجبل جنوباً فقلت فيها البخنة وكثرت الرمال .
وقلت كذلك المياه المالحة وبدت هنا وهناك ، في النبات والاشجار ، دلائل
الماء القراح . فهناك السلم والاب والمشر والنخيل . وهالك دلائل الاجتهاد في
بقعة من القطن شاهداً غيرها في الطريق بين دير البحري وعجلان . تبارك
الماء العذب ولكن الرمال كنا قد علقنا ثلاث مرات اخرى فيها وما
كان السيد يشرف الارض برجله الا بعد ان ندعوه رجلاً وزوجوه .

انصف النهار واشتد القيظ الى درجة يكاد لا يحتملها حتى ابناء البلاد ،
فكنا ونحن نساعد السيارة على عدوها الرمل نحس بالنار فحترق نعالنا فحترق
ارجلنا . وكان السيد الحضرمي يزيد بالطين بلة في سلوكه يفيظ حتى الاولياء .

فضل الدين ، ويده على السيارة ورجلاه مثل دواليبها في الرمل المحرق :
يا سيد يا ابن النبي تعال ساعداً والا تبقى هنا ، فقول هذه المرة السيد وليس
تعذر رجاء على مهل يميننا فوضع يده على السيارة وهو يقرأ الفاتحة كأنه يريد
تسييرها باليس والصلاة . فازدادت السيارة ترداً ، وفضل الدين غيضاً ،
فقال : سيادتك مثل السراب ، بل السراب احسن لانه يسر العين .

كنا ساعته في اشد حالنا أصيب السائق بدوار فوقع مقبى عليه ،
وكذبت انا اقع كذلك من شدة القيظ والعياء ، وفضل الدين وحده يعالج
السيارة ويستعيد بالله من برج النجوس . فارسلنا السيد الصالح ابصر الى
تربة اقرب قرية منا يستجد رجالها ، فعاد بعد ساعة ومعه بعض الاقوياء من
العرب والسود يرأسهم قزم جبار سلم علينا فاضحكتنا ، وحرك للسيارة
فادهمنا وملاً قلوبنا ابتهاجاً .

- السلام عليكم وعلى بنت الطين . هل تبغون تكسيوها او تسيروها .
اذا تم الى الله نكسرها ونزولكم عندنا وتركبون غداً المحجج مثل المؤمنين .
خلصونا بنا صكتنا فيه ، بارك الله فيهم ، واخذ الصغير البخيش فتعاسمه
ورجاله وردعنا قائلاً : احمدوا الله وتوبوا اليه . ولا تقطعوا الحمد ما دمتم في
بنت الجن هائمين .

ما كدتنا ننهي من الحدلات حتى بدأنا بالحوالة . وكان السائق لا يزال
متأثراً بما اصابه فعاصت السيارة للمرة العاشرة وعلقت الدواليب و - ثم ياسيد
فقال السيد المحترم : لا اقوم ولا أنزل حتى نصل الى الحديدية . فقلت :
وكانت شعلة القيظ قد اضطربت في ايضاً : ستزل هنا وتبقى هنا : ان
من يراك بظنك قوياً شيطاً ولكن لا قوة فيك لا جسدية ولا روحية ،
يا الضيعة النسب .

لم يجب الرجل بكلمة . وظل ساصكتاً حتى وصلنا الى الحديدية فودعنا
هناك واعتذر عما بدا منه .

وبعد يومين جاء الخادم يقول : رأيت السيد الحضرمي في السوق
والتجار الحضارمة يشون وراءه بعيدين عنه ، وهو يشي ويشز كفيه كأنه
حاكم البلد .

ثم علمت انه من كبار سادات صيوون ومقامه هناك شبيه بمقام اسقف
عندنا . فثلث انفسى اسقفاً رفيقاً في السيارة تجلسه جنب السائق ، ولستعينه
على جرها من الرمل ، ونقول له فوق ذلك : انت مثل السراب . بل السراب
احسن منك لانه يدر النظر . فاسفت لما بدا ، ووددت رقيقاً مرة اخرى
لا تكفر عن ذنب كان فيه ، سامحه وسامحنا الله شريكاً كريماً .^(١)

(١) جاءني جريدة عربية طبع في جاوه وفيها مقال طويل سكتبه احد الحضارمة
هناك يدافع فيه عن هذا السيد الحضرمي ، كبير قومه ، وفخر السادة العلماء ، ويطعن
علي طناً عجيباً ، ككشف النيط فيه كل انوار العلم والادب في صيوون . ولكن
الكتاب لم يتصد لني شيء . لما جاء في هذا الفصل والفصل السابق من اخبار السيد المحترم .

الفصل الثالث عشر

تجارة الرقيق

لرافية في البحر الاحمر - الحكومة الانكليزية في عدن - الحكومة الافرنسية في جيبوتي - سلطان تاجورا - بلاد الحبشة - مصدر التجارة - رئيسها الاكبر - حديث من الوكيل في عدن - الطريقة لتقيد الوجدان - في الحجاز يحاولون النخاسة - الحكومة الحجازية تتألمها ظاهراً - حادثة جديدة - الوكيل يحاول توقيع السنيوك وتخليص الارقاء - الحكومة تأذي بغرولهم الى المدينة - صواب الى عامل المدينة - الارقاء يساقون ليلاً الى ميدى - آيات قرآنية واجلاديت تبوية تأمر بالاعتاق - المتبعة على السادة والاشراف .

ايما رجل كانت له جارية فادبها

واعتقها وتزوجها فله اجران .

حديث شريف

كنت انكر وجود النخاسة في العالم اليوم ، فبجئت هذه البلاد ورأيتها بعيني . كنت اخبر ان التجارة بالرقيق محرمة ومنوعة شرعاً في هذا الزمان فخاب في البلاد العربية ظني . كنت اؤمل ، على فرض وجود الرقيق والنخاسة ، ان تكون الحكومة ناهضة للامر متعقبية المجرمين ، ساعية في سحق هذه التجارة المستنكرة ، الاثيمة ، فوجدتها في الحجاز وفي سائر نائمة وأسفاه او متناومة ، او عاجزة . بل وجدت الحكومة احياناً حليفة الاشقياء .

اما الحكومة الانكليزية بعدن فلما بعض الفضل في المراقبة في البحر الاحمر ، وفي ما تحجز بواخرها الحربية احياناً من السنيوك حاملة الرقيق . ولكنها لا تكسل عملها . فهي بعد ان تحجز السنيوك تطاق سراح العبيد والمستعبدين معاً . او بالبحري تعيد اذا شأوزوا الى بلادهم وتبعث الناحوزاء والتوقيين الى جيبوتي لتحاكمهم هناك الحكومة الافرنسية .

والحكومة الافرنسية الجيوسية رعاها الله تحمي اكبر تجار الرقيق في بلاد الحبشة اي سلطان تاجورا^(١). اما هذا السلطان الدنقلي المستقل الذي لم اشرف بزيارته فالذي يظهر من امره هو انه ابعد نظراً واكبر ذكاء من الذي يحسونه . هو سلطان ، نعم . ولكنه كذلك عامل حافق ، وتاجر ماهر ، يحب المال كثيراً ، وله في احراره حرفتان غير « السلطان » واحدة شريفة وهي السكافة — ليس في تاجورا من يحسن صنع النعال مثله — والاخرى تباركت ثمرة بطناك ايها الحبشية . اذا كسدت النعال عند السلطان فلا تنفذ الجوارى ولا تكسد سوقهن .

ان لسوءه في بلاد الحبشة رجالاً يحسونه دائماً بين بيناعون او يخطفون او يستقرون من البنات والصبيان ، وهو يبيعهم الى تجار الحجاز وعصير . الى تاجورا اذن لا الى جيوتي تحمي . تاجر الرقيق ، فيرحب به السلطان الاسكاف ، ويفتح له الكيس ، فيبلاه التاجر ذهباً وفضة ويعود بسبوك الى بلاد المغرب ملؤه الجوارى والعبيد . قد قيل لي ان الحكومة الجيوسية الافرنسية تقاسم السلطان الدنقلي ارباحه في هذه التجارة المستكفرة . وما لا ريب فيه انها تحسن معاملته وتكرمه وتجاهله . دعاه مرة احاكم الافرنسي ليعزل بضعة ايام ضيقاً عليه في جيوتي ، فقبل السلطان الدعوة .

جاء الى جيوتي يزور الحاكم فاستقبل استقبالاً يليق بمقامه وانزل في قصر فظم فرشه ورياشه من باريس . فحدثت السلطان نفسه ان هؤلاء الافرنسيين تجار مثله ويربحون من بلاده ارباحاً كثيرة ، فلماذا لا يقتدي بهم ؟ اغتتم السلطان هذه الفرصة الثمينة فذاع تجار المدينة الى القصر ، وباعهم كل ما فيه من فرش ورياش ، ووضع المال في اكيسه وعاد الى قاعدة ملكه .

(١) تاجورا مقاطعة حاشية مسنفة شرق جيوتي شبيهة بالنواحي التسع المحيطة بحول عدن . !

ان تاجروا اذن مصدر التجارة بالرقيق ، وان سلطاتها ، وهو تحت الحماية
 الافريقية ، سلطان تلك التجارة . أفتعجب بعد ذلك من فساد المدنية العربية
 في الشرق ونفور الشرقيين منها ؟ حدثت وكيل المعتد في عدن بالامر فقال
 ان لا حق لهم من وجهة شرعية بمقاومة النخاسين لانهم غالباً من بلاد لا سيادة
 لهم اي الانكليز فيها . فقالت : ومن جهة اديبة ، ومن جهة دينية ، ومن
 جهة محض المدنية ؟ اذا جردنا المدنية العربية من الادب والتهديب والحب
 الانساني فلا يبقى فيها ما يؤهلها للسيادة يوماً للشرق . واذا المعتد مثل
 بنخاس من تهامة او من الحجاز او من اليمن فامر بشقه في ساحة عدن أيظن
 ان السيد الادريسي او الملك حسين يحتج عليه ؟ واذا احتج ملوك العرب كلهم
 اتظن ايها القاري ان العالم المتمدن ينصرهم في هذا الامر على الانكليز مها
 كان حقهم الشرعي ؟ اينصرهم العالم والذي نفسه يأمرهم باعناق الرقيق ؟ اني
 انصر كل من يسعى في حق النخاسة وان تجاوز حدوده الشرعية على من
 يحميها او يتفاضل عنها وان كانت حكومته مقدمة .

ان في الحجاز من يميلون ويحبذون النخاسة ومنهم من يأسف انها غير
 مستورة ويامن المراقبة الانكليزية الا اني سمعت ان الملك حسين يستنكرها
 وينهى عنها وان حكومته تسعى في مقاومتها واستئصالها . فشرعت البحث
 لاكتشف الامرين . لا ريب ان جلالة الملك حسين يستنكر العبودية وهو اعلم
 الناس بما جاء في القرآن وفي الحديث بشأن الرقيق والاعتاق . ولكن حكومته
 والسفاه هي يوماً نائمة ويوماً متناومة . وقد تأكدت انها تشارك النخاسين في
 ما تفرضه ضريبة على كل رقيق يدخل جده .

حدثت انها حظرت ذات يوم سلبوكاً من سناريك الاشم والعار بما فيه من
 جوارر وعبيد فأوترتهم واحسنت معاملتهم ثم — ماذا ؟ قد اطلعت على نسخة
 من تقرير الوكيل البريطاني في جده وفيه ما يلي : قيل ان الحكومة باعت

الارقاء على حسابها . والحقيقة انها اخذت بينهم على حساب اصحابهم ،
واكتفت بتحويل الضريبة المفروضة اي خمسة وعشرين ريالاً الى كل رقيب .
يحيي ، النخاسون بالعبيد اما بحراً في السناييك واما براً من ميدي . وقد اطلعت
القاري . على شي . من حال النخاسة في تلك البلدة واسمته كلام بعض النخاسين
وهم يجادلون الانكليز والحكومة الادريسية . على ان احد السادة قال لي
واثبت قوله بعض المتوظفين ان الحكومة واقفة للنخاسين بالمرصاد . بالمرصاد ؟
بعد وصولي الى الحديدة حدثت حادث يدل على احد امرين ، اما ان الحكومة
تقف بالمرصاد وتسلم ، او انها لا ترصد الا عندما يكون الجو صافياً ، فلا
ترى اذ ذاك ما يشغل البال .

اعود الى يوميقي فانتقل منها ما يلي :

الحديدة في ٢ يوليو ١٩٢٢ - ٣ ذي القعدة ١٣٤٠

دخل على الوكيل مأمور الميناء يقول : سنبوك جوارر رما في الميناء
والناخوذاه ورجاله دخلوا البلد . وقد اطلعنا ايضاً انهم سائررون الى ميدي
وانهم لم يرسوا في الحديدة الا ليتابعوا بعض الزاد .

الوكيل : قل للمدير الشرطة ان يحضر حالاً .

بعد عشر دقائق حضر المدير .

الوكيل : هل علمت بسنبوك الجوازي الذي في الميناء ؟

المدير : نعم .

الوكيل : وكيف تأذن بدخول الناخوذاه ورجاله الى المدينة ؟

المدير : معهم اذن يا سيدي من الحكومة .

امر الوكيل مدير الشرطة ان يحضرهم امامه . فاحضرهم بعد نصف
ساعة وكان يتقدمهم رجل طويل القامة ، شديد الوطأة ، حاد النظر ، دخل

المكان كأنه سيده وتقدم الى الوكيل مصافحه مصافحة الاقران وجلس على
الديوان . من الرجل ؟ هو من كبار الموظفين في الحكومة الادريسية بميدي
الذي اشار اليه تاجر الرقيق هناك . جاء الحديدية خصوصاً ليلاقي السنوك
المذكور ويرافقه محافظاً الى مقره .

بعد استئطاق الناخوذاه علمنا انه جاء من تاجورا ، وان معه اربعة
وعشرين رقيقاً منهم عشرة صبيان والبقية بنات يتراوح عمرهن بين الثامنة
والثالثة عشرة ، وان صاحب « المال » - البضاعة - سبقهم الى ميدي . وما
عم الا مأجورون غامضون ، اما اذن الحكومة فما هو المحافظ بنفسه .

ها هنا انتهت صلاحية الوكيل السياسية ، ولكنه طيب وله كذلك
صلاحية طبية . فسأل الناخوذاه ان يحضر الارقاء ليفحصهم قبل ان يدخلوا
المدينة . فوعد ان يجي بهم بعد الظهر .

تعداد تكون الحديدية اليوم متقطعة عن العالم ، والسبيل الوحيد الى
المراسلات البرقية هو بواسطة سنوك الى جزيرة قران ، اي ست ساعات في
الربيع الموالي ، ومنها بالاسلاك الى عدن . صدر الامر باعداد السنوك
لأسفر ، وولى الاصيل ودنا الغروب ولم يبق الناخوذاه بوعده على انه جاء في
السا . يعتذر ، فلم يتمكن من شدة النوم والربح من ازال العبيد الى البر
ولكنه سيحضرهم صباح الغد - « والله بالله » وأشار بيده الى السماء .

وكان قد كتب الوكيل الى عامل الحديدية الكتاب التالي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قد بلغني ان بالقرب من ميناء
الحديدية اليوم سفركاً يحمل عدداً من الجوارى والعبيد ، قيل خمسة
وعشرين ، جاء بعض تجار الرقيق بهم من الشاطي . الافريقي . وهم
متوجهون الى ميدي قصد التجارة . وقد سمعت ايضاً ان الحكومة

الادريسية اباحت لهم ذلك، الامر الذي استغريته جداً ، فجئت الفث اليه نظراً سيادتكم وأعيد ما قلته مراراً ان التجارة بالوقت ، فضلاً عن انها مذمومة في الكتاب الكريم بل منهي عنها ضمناً ، وفضلاً عن ان الدول المتدنة وفي مقدمتها بريطانيا العظمى تمنعها منعاً باتاً ، فهي تشين الاسم الادريسي وتضر بالحكومة الادريسية ادبياً وسياسياً ضرراً جسيماً .
واني في طلبي من سيادتكم ان تحلوا المسئلة محل الاعتبار والاهتمام افصح من عقيدتي وعواظني كسالم وعن رغبة الحكومة البريطانية التي امتثلها .
اما السبوك المذكور فاعلمي ان تتخذ الحكومة الطريقة السريمة الفعالة لحجزه ومعاقبة ناخرذاه ومجربته ونجار الوقت فيه ، ثم تمتنع اولئك البنات والصبيان من الاسر . فان في مثل هذا العمل تريد الحكومة الادريسية اسمها شرفاً وعدلاً عدلاً ، وتجهن على رغبتها وقوتها في تنفيذ احكامها المبينة على الترع الكريم . وفقكم الله الى ما فيه خير الجزاء .

محمد فضل الدين

معتد بريطانيا السياسي

جا . الجواب ، فلم يكن مرضياً ، على ما فيه من عذر ووعد وتأكيده ،
اما الجواب الحقيقي فاليك من يومي :

في ٣ يوليو - ٤ ذي القعدة

جا . مأمور المينا هذا الصباح وفي وجهه خبر منجع . ثم جاء مدير الشرطة وفي وجهه ما يثبت الخبر . نعم اتوا الجوازي والصيد ليلاً خارج المدينة وجاء . . . » احد مشغلي الحكومة في الجديدة « فاختار من الجوازي واحدة واشترها . ثم ساقوا الباقيين وهم حفاة عراة برأ الى ميدي .

سأت وسذاجة الجاهل في سؤالي : وهل اعدوا لهم الزكاتب للسفر ؟

فاجاب المدير : اعدوا لحم ياسيدي السياط .

امش - امشوا . وهم يشنون حفاة عراة من الحديد الى ميدي ، متني ميل في شمس تامة وقيلها . وانك اذا وقفت دقيقة في تلك الطريق في نصف النهار تحترق النار نعلك وتحترق رجلك .

رحمكم ايها السادة انتم اعيان الحجاز ووجوه اليمن ، انتم حياة التجارة بالرقيق ، انتم اهل النخاس الاكبر ومورد رزقه ، انتم الطالبون ، انتم الواغبون في الاستعباد . فاذا كنتم حقاً مسلمين فعودوا الى كتابكم وقرأوا عفا الله عنكم ما جاء في سورة النساء وسورة المائدة من النصيح بالاعتاق الحر في المتدرج ، ثم في سورة البلد وسورة التوبة وفيها الامر بالاعتاق التام .

وهل من يأمر بالاعتاق التام يروم درام العبودية في العالم ؟

ايها رجل كانت له جارية فادبها فاحسن تأديبها
واشتقها وتزوجها فله اجران - حديث شريف .

ولا يقل احدكم عبدي انتي وليقل فتاي

وفتاي - حديث شريف .

فهل من يدعو الى المساواة يجلل الاستعباد والنخاسة ؟ انه لمن الغار ايها السادة ان تنادوا بالحرية والاستقلال ، وتدعوا البر والاحسان ، وتقاخروا بالعلم وحب الانسان ، ثم لطمع بالخدمة مجاناً او لغرض في النفس تستعبدون في هذا الزمان من هم مثلكم من طينة واحدة ، ولا عذر لكم في ذلك ، ولا ما يحلله او يحجزه لا ادباً ولا شرعاً ولا ديناً . واذا اتخذتم الاية - وما ملكتم ايديكم - حجة وسلاحاً فانكم تحتجون وتسلحون بالحرف على المعنى ، وبالعروض على الجوهر ، وبالظال ، وقد زال ، على الحقيقة . تسلحون بظاهر الامور وكل ما فيها من جوهر وقصد شريف هو ضدكم ، يشهد على

جهل فيكم ، او على علم ، افسده حب الذات .

اجل ان اكثر الذين يقتنون العبيد اليوم لمن الاشراف والسادة والاعيان ، فلا اظنهم يجهلون ان النبي اراد محي العبودية تماماً بالطرق المسكنة في زمانه . فنهى عن ظلم العبيد ، وامر بتعليمهم ، وبالا حسان اليهم . بل امر باعتاقهم وجعل الاجر في الاعتاق اجراً بل اضعاف الاجرين .

اذا رجل اعتق امراً استنقذه الله بكل عضو منه

عضواً منه من النار - حديث شريف .

افلا ذكرتم يا سيادي ، وانتم تفاخرون بانكم من السليمة النبوية المباركة ، ما جاء في الكتاب ؟ افلا انصتم الى الحديث الشريف ؟ افلا اقتديتم ولو في هذه النبي ؟ اليكم صحيح البخاري ، اقرأوا فيه الفصل في الاعتاق وفضله .

دخلت جارية على عائشة فقالت اشتريني واعتقيني . فقالت عائشة : نعم . فقالت الجارية : ولكن لا يبيعوني حتى يشترطوا ولائي . فرفضت عائشة . ولما علم النبي بذلك غضب وجاء الى عائشة يقول : اشتريها واعتقها ودميهم يشترطون ما شاؤوا .

فهل من يقول هذا القول ويعمل هذا العمل يحلل العبودية والخصاسة ؟ ان من يستعبد الناس لا يستحق الحرية . ان من يتاجر بالرقيق في هذا الزمان لا يستحق لقب انسان . وان من يشتري الرقيق يفادي بشرفه ويفقد كرامة نفسه . اجل ، وان امة لا تشكر الخصاسة ولا تنهض عليها فتسحقها لأقل في عين الله من لا يعرفون الله ، واحط في نظر العالم المتسدن ممن يعبدون الحجارة ، ويأكلون لحم الانسان .

الفصل الرابع عشر

خطوات إلى الوحدة

كتاب إلى الملك حسين - والامر شوري بينهم - اصلاح ذات البين - حسن نية
الافرنسي - تمييز العنود بين العجائز وعسير واليمن - بريطانيا العظمى -
الداخلية الاجنبية - الخطوة الاولى إلى الوحدة - خطاب إلى وزير الخارجية -
الاتفاق مقدمة لازمة للوحدة - توحيد النظام العسكري والسياسة الخارجية -
التفويضات اللاسلكية - العهد القومي - صندوق التوفير من مال الزكاة -
نادي لريوتة الملك حسين على المائدة

ودعت الجديدة بعد تلك الحادثة التي دونت في الفصل السابق . بل
ودعت تهامة أسفا لما كان من ختام رحلتي فيها . على انه لو حدثت قبل
سفري إلى جيزان ، وكانت فاتحة الاشجان ، لما اظنني كنت قد قررت بما ابيهه
من عقد معاهدة بين السيد والملك . وكيف افوز ومثل هذه الحوادث ، بل
هذه المآثم التي تتعرف تحت عين الحكومة ، تنير السخط والغيظ ، وتضعف
فوق ذلك الغرم واليقين في من يسعون في سبيل الامة وعمرانها . ولا هموان
وربك مع نخاسة ، ولا رقي مع رقيق .

بيد ان لنا في من يشعرون شعورنا في البلاد العربية ويرون رأينا املا
بفتح تلك التجارة المعيبة واستئصال شأفتها . اقرب السبل إلى ذلك انما هو
الغرم في الحكومة ، والوجدان في السادة والاعيان . ثم اتفاق بين الملوك
والامراء الحاكمين على المؤازرة في مقاومتها ومحققها . ولكنك سميت في اضافة
بند في هذا الموضوع إلى المعاهدة لو كان لي سابق علم به . فعمى ان ما فاتني
لا ينوت غيبي ممن سيقشفون الاثر ويسعون في انجاح العمل ان شاء الله .

قبل سفري من الجديدة ارسلت المعاهدة إلى جلالة الملك حسين مشفوعة
بالكتاب التالي :

صاحب الجلالة العظمى ايده الله

حيأ الله مولاي الملك بالخير والسعادة . اما بعد قد ارسلت كتاباً مع الصديق قسطنطين في الشهر الماضي فسي ان يكون حاز موضوعه استخسان جلالتهكم . والان ، وقد عدت من جيزان ، اسارع الى الكتابة بخصوص المعاهدة التي تباحثنا فيها وحم الاتفاق عليها .

ان في سيادة السيد الأدرسي قلباً كبيراً ، وله نظر في الامور غالباً نقيب ، وعند جلالتهكم من الاخلاص ما لا غبار عليه . من حديثه الذي علي في ذهني : المسئلة بيننا وبين الشريف قريبة سهلة^(١) وقد اطلعني سيادته على فسختين من معاهدة او تفهيد لمعاهدة كان النظر فيها سابقاً مع السيد السقاف . فاضفنا بعض ما جاء فيها الى المعاهدة التي كتبها وعرضتها على سيادته . ثم اضاف سيادته اليها ، بعد تكرار البحث والمداولة ، المادة الخامسة وما جاء في المادة الرابعة ابتداء بر « وكل ما يبحث في تلك الحادثة ويسعى فيها بما يمكن من اصلاح » الى حد « مجرد الاعتداء والبغي » وما جاء في المادة الثالثة بخصوص الحدود ابتداء بر « ويلزم على هذه المادة فصل الحدود بين الفريقين » الى اخرها . وقد استصوبت رأي سيادته بخصوص اصلاح ذات البين قبل المدا ، وبالنص في مسئلة الحدود على هذا الشكل اي التفهيد من جلالتهكم بعدم الاعراض في لواء عبير الى ان يتم بينكم « تغيير حدود معتدلة فاصلة بين الاطراف الثلاثة » وعسى ان يكون الاربعة كذلك . فاني اعتقد ان حضرة الامام محيي رغبة بالتسوية ايضاً اللهم اذا جنتاه من باب يأمن اليه . وان مفتاح هذا الباب بيد جلالتهكم الان . اما ما اضيف الى المادة الثالثة بخصوص الحدود فانه هو الاساس للعمل .

بقي مسألة اخرى . كان قد اضاف سيادته بندا يخص بربطانيا العظمى وحاجة امراء العرب الى موالاتها وصدقتها . فبحثت وسيادته في الموضوع وصرحت برأي الذي يختلف مبدئياً عن رأيه ، وقد تضمن في المادة الاولى من المعاهدة في قولنا « وتصلح به احوال البلاد من غير مداخل اجنبية تحل باستقلال البلاد العربية » وقد اقتنع سيادته بقولي ان ينبغي ان يكون الولاء والاعتماد من الامور المروقة والمنقاه فيها بيننا ، لا من الامور المسجلة في المعاهدات الرسمية . فتنازل عن تلك المادة ، اني مقدم المعاهدة لجلالتكم يصحبها كتاب من سيادة الامام واصر من السيد السنوسي . فسمى ان تنال استحسانكم فتوقعوها قريباً وتعيدوها مع الوفد الى جيزان . است اري يا مولاي غير هذه الطريقة الى تحقيق اماننا في الوحدة العربية . لان الحقيقة الثابتة التي لا ياري فيها من كان عارفاً باحوال الجزيرة هي ان امراءنا اليوم ، وان كانوا يميلون الى الاتفاق ، لا يزالون متنافرين متشاكين . وقل كذلك متحاربين . فينبغي اذن ان تكون الخطوة الاولى خطوة سلم وولا . بين الاقران والاكفاء ، يتمها ان شاء الله خطوات فيها ما نشده من وحدة سياسية قومية عربية . واني لأسعى طاقتي في هذا السبيل . ولكن لا نجاح لحد لا يشارك فيه ذو الامر ذوي الاراء . فالامر الان لجلالتكم . ولا اشك انكم متشعرون ، وسيكفل معيكم بالنجاح . في اصلاح ذات البين بين السيد الادريسي والامام يحيى ، كما انه يسعى هو في اصلاح بينكم وبين ابن سعود . وفقنا الله الى عقد محالفة رباعية في الجزيرة قريباً . ايدكم الله في المساعي الوطنية الشريفة .

الخلاص لجلالتكم

وكتبت الى صاحب الإقبال وزو الخارجية صديقي الشيخ فؤاد
الخطيب ما يلي :

عزيزي الشيخ فؤاد :

السلام عليك ، عسى ان تكون بخير ، وان يكون وصالك كتابي
السابق الذي أرسلته مع العزيز قسطنطين . وها انذا اكتب اليك الان
بخصوص معاهدة اخرى تباحثنا والسيد الأدرسي فيها وتم الاتفاق عليها .
وقد أرسلتها الى جلالة الملك حسين مصحوبة بكلمة صريحة يشفع بها
عليه واخلاصي . لا بد من الصراحة في الامر . ان الاتفاق بين امراء
العرب مقدمة لازمة للوحدة السياسية . والاتفاق لا يكون الا اذا تنازل
كل امير عن بعض اشيائه . انتم في الحجاز تبغون الوحدة العربية ونحن
ننصها والامراء الذين حدثتهم ببغونها . ولكنهم حراس على استقلالهم ،
وعم يخشون نفوذاً يظنون انه سري اليكم وتكون منكم . قد ازلت
هذا الظن من صدورهم ودافعت في مواقف عديدة عن جلالة الملك .
اثن ان قسطنطين اخبركم بذلك ، وبما اصلحته من سوء الظن في القنصلية
الاميركية بعدن .

بقي ان اقول هذه الكلمة . لا تطالبوا الان بتوحيد العالم ، وتوحيد
النظام العسكري ، وتوحيد السياسة الخارجية ، لا . ولا بالاعتراف بان
جلالة مولانا الحسين هو ملك العرب ، لان ذلك مبسر . ونحن نعهد ما
هو الزم في البداية . ان الوحدات هذه درجات في سلم الرقي القومي
السيامي ، ولا بد ان تصالوا اليها وتضعدها . الحكم يا شيخ فؤاد لا
يصكره صاحبه . عليك اذن وعلى الامير زيد ان تنم النظر في المسئلة
وتبدل الجهد في اقناع جلالة الملك حسين اذا كان لم يقتنع بما كتبت اليه .
قد يكون عقد هاتين المعاهدتين امراً بسيطاً ، ولكنه مهم اذا

اعتبرناه مقدمة لخطير الاحمال . ومن الزم الاشياء التي ينبغي ان تصحب هذه المعاهدات التفرقات اللاسلكية . فقد تباحت والسيد الادريسي خصوصاً بذلك ، وهم مستعدون ان يقوموا بنفقات آلة تركب في جيزان او في صيبا ، اني افضل صيبا . وستبحون ملياً في الامر عندما تؤمنون جيزان ، والمعاهدة بيدكم وقد وقعها جلالة الملك حسين . اما انكلكرا فهي على ما علمت راضية بنثل هذه المعاهدات ، راضية فيها . واما ما قد يتبعها من عهود قومية فذلك من شأن امراء العرب لا من شأننا . فنتى تمت وسائل المواصلة بوجود ممثلين للامامين في مكة ووجود التفرقات اللاسلكي بينكم كالكم تتوقعون ان شاء الله الى تقرير امور اخرى مهمة في التوحيد السياسي العربي .

وعندي ان من اهم المواد في هذه المعاهدات المادة التي تخص باذخار قيات معاومة من المال كل سنة لتصرف في المستقبل في الانشآت العمومية المشتركة اسبابها ومنافعها . في هذه المادة اذا عمل بها بدامة الاستقلال الاقتصادي الذي بدونه لا يتم استقلال سياسي في هذا الزمان . واني رسول هذه الفكرة ابشها في ديوان كل امير وكل سلطان عربي . صندوق توفير من مال الزكاة ، هوذا استقلال العرب ومفتاحه اذا كانوا يفتقرون . صندوق مشترك يصرف منه بعد عشر سنين مثلاً في مدسكة حديد بين الحجاز وعسير واليمن . واذا احتاج حكام البلاد الى اخصائين من الاجانب يستأجرونهم ويدفعون اجورهم من اموال عربية ، ويشتركون ما يحتاجون من مواد وادوات باموال عربية . فلو كانت المعاهدة بين الملك والامام وبين السيد والملك محصورة في هذه المادة ومادة الدفاع والناصره فقط لكفى بها الان خيراً ونفعاً للجميع ، وقررها اذن . وفقكم الله واطال بقاءكم . صديقكم المخلص

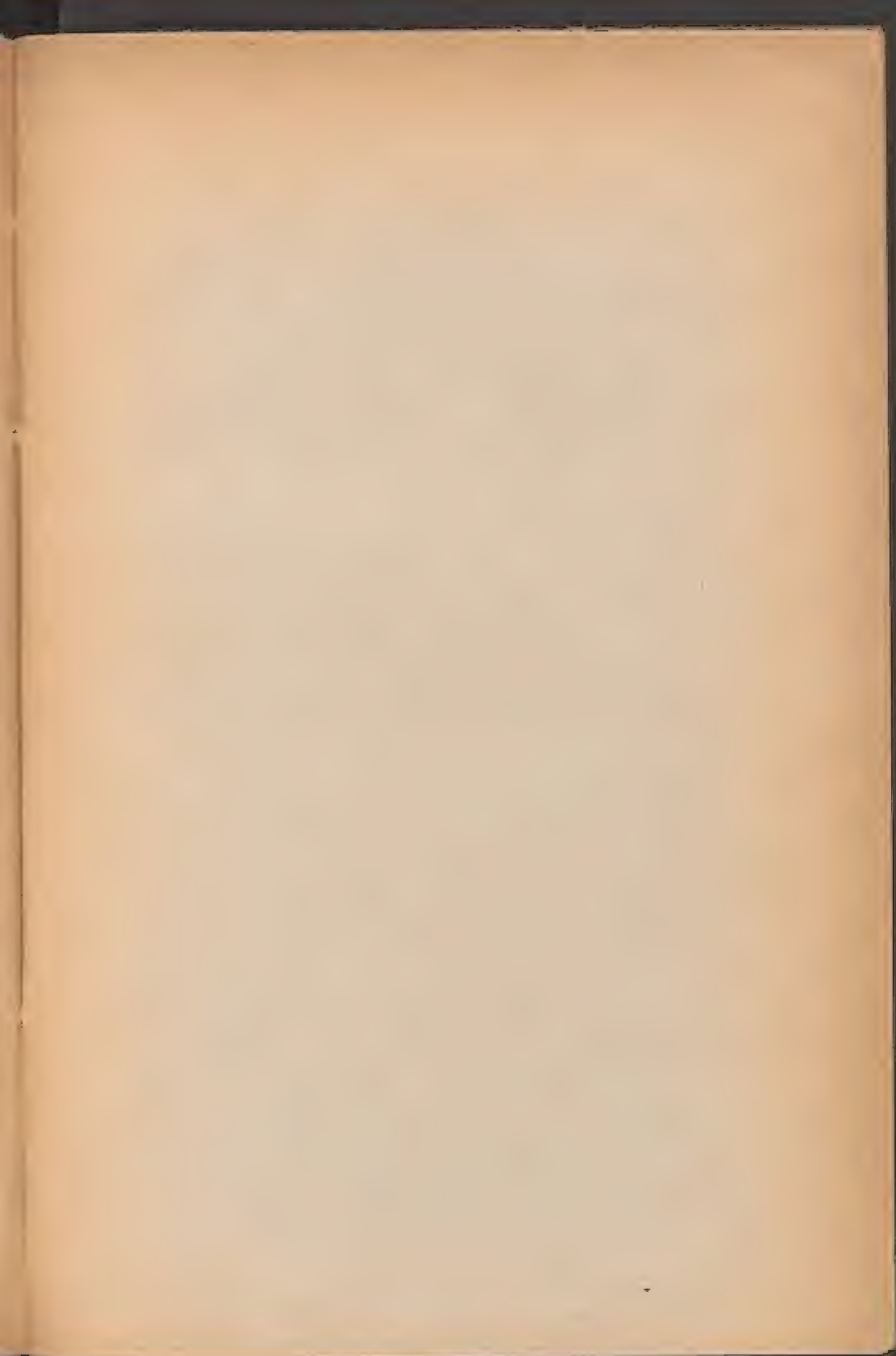
ها هنا تنتهي مهدي السياسية في اليمن وعسير .

رغبت في خدمة الامام بتقريب قضيته من فهم الانكليز ومصلحتهم ،
وبتقريب الانكليز من عقليّة الامام ، وبتهديد السبيل الى الصلح بينه وبين
الأدرسي ، فاقترحت ان يعقد مؤتمر يتبادل هو وخصومه فيه الآراء ويتعارفون
ويتفقون ، فأبى حضرته لأسباب ادركها ولا سبيل الى تداركها ان الامام
طامع بالاستيلاء على اليمن كله ، وهو طامع كذلك ، على ما اظن ، باللقب
الذي لا يعترف به الملك حسين .

ورغبت في خدمة الملك حسين بمقتد معاهدتين تربطان الحجاز واليمن
وعسير في البدانة ولو تحيط من حرير ، لاعتقادي ان جلالة يثمل فكرة عربية
قومية شريفة . فلم يوقع واحدة منها ولا اظنه استحسنها لأسباب ادركها
ولا سبيل الى تداركها . لم يعترف الامام بحجي ولا السيد الأدرسي بان
جلالة الملك حسين هو ملك العرب^(١) . ولكنها مدا اليه يد الولاة والمؤازرة
فرفضها . من هو حجر المثرة اذن في سبيل النهضة العربية ؟ -

التمهي الضم الثالث

١١٥ - كان مبدأ هذا المباحث في الحياة هو عبداً ذاك البطل في رواية اسير : كل
شيء او لا شيء . وقد كانت خابته بعد ثلاث سنين مثل خاتمة البطل في الرواية :
لا شيء - الا القم له . ولا آله ولكل مريديه . اني متيقن - واظن ان كل من له
شيء من العلم في الحوادث العربية بعد الحرب يشاركني هذا اليقين - انه لو وقع
الحسين مانين المهادنين لما نكب تلك التكبّة في خريف سنة ١٩٣٥ . راجع تاريخ
نجد الحديث : صفحات ٣٠٦ - ٣١٧ .





صو السلطان عبد الكريم فضل
سلطان الحج

الضم الرابع

الحج

والنواحي التسع المحمية

الحج

والنواحي التسع المحمية

سنة ١٩٢٢ م ١٣٤٠ هـ

•

حدودها : جنوباً ساحل البحر العربي من باب المندب الى بلخاف بالقرب من التقاء الخطين الثامن والاربعين من الطول الشرقي والرابع عشر من العرض الشمالي . شرقاً حضرموت . غرباً البحر الأحمر . شمالاً البلاد التي يحكمها الامام يحيى . وقد قلقت جيوشه بعض الحدود القديمة بينه وبين اصحاب الحماية .

ساكنيها : نحو الفين وخمسمئة ميل مربع .

سكانها : نحو ثلاثة الف نفس .

اهم قبائلها : العبادة واليوافع وآل فضل والعرالق والحواشب والصبيخة .

اهم بلادها : شرقه والحوطة وبلخاف على البحر العربي . ولحج وآتين وانصاب ومسيير وعبان .

مذاهبها : السنة ، شوافع وحنفيون . الشيعة ، جعفريون واماغيليون

وزيديون . وفي عدن اليهود والمهندوس والنصارى . وفي

القبائل داخل البلاد من لا يزالون على العادات الجاهلية لا

يعرفون الاسلام .

الفصل الاول

الثالث المادي في عدن

للمبدأ المرن في السياسة الانكليزية - حركات المرونة في البلاد العربية - رتبة
تسهر رتبة 2 تعلق رتبة 1 لا تضر - الماحداث والشاعرات والتدخلات - 3 التي
تتبع الاستقلال - التي مستقر - ونحن ندعم لك المال لتعاطف على استقلالك -
التي اشيت ومدافق الترحيب - بمئة افرسية زور عدن سنة ١٧٠٩ - عدن حينها
شاهدنا السيور لاروك - عدن اليوم - شعوب واديان - التواهي الي البحر
الاوربي - الثالث المادي - الورق والنور والبطار - الاستعمار والاستثمار -
الاوربيين اعداء يظهر لبعض - الدفاع عن عدن - المبدأ التجاري في الدفاع -
المال ارض من الرجال - من هو الكاسب من يدفع الشاعرات ام من يتبسطها ؟

قال المستر لويد جورج مرة ان المبدأ المرن في السياسة هو اصلح المبادئ.
حل المشاكل الخارجية والاستعمارية . لا تكن قاسياً فتكسر . وإمكاننا
نظلم الانكليز اذا ظننا ان هذا المبدأ هو دائماً مبدؤهم في البلدان التي يحكمونها
خارج الجزائر البريطانية . اما في البلاد العربية فلاريب ان المرونة هي غالباً
روح سياستهم قولاً وعملاً . وقد يتخللها في الازمات اطلاق مدفع او في
الافل مناورة بحرية ، فتعود السياسة بعدئذ الى مجاريها المعتوية المائعة .

ان من يتعم النظر في بلاد العرب واحوالها الجغرافية والسياسية
والدينية ، وفي تشتت اديورها واختلاف نزعاتها ، يرى بعض الحكمة في خطة
سياسية تمتد الى شكل مكان دون ان تنقطع او يعتريا شي . من الضعف .
مدها ، مطها ، من عدن فتصل الى صنعاء ، رقيقة لطيفة . مطها من الكويت
فتصل الى ما وراء الهنداء ، ومن شرقي الاردن فتصل الى الحوف ، فتداعب
اطرافها انهابية وتتعلق بانامل ابن سعود . مطها من الحديدة فتتقدم في صبياء ،
ومن جدة فتلتوي وتدق ولا تنقطع حتى في ظلال الكعبة . ولكل مطة
خطة ، ولكل بدقط اسلوب خاص بصاحبها في الماين ربقات لكل الرؤوس ،

والسوائل تدخل في كل الكؤوس .

ان اجلي ما هنالك من مظاهر المبدأ المرن هو ما يصنع في دار الاءتاد .
بعدن من الريقات السياسية . هذه ربة تسر ، وهذه ربة تخنق ، وتلك تؤلم
ولا تضر ، وبينها حكاها درجات في الضغط والارخاء ، في الربط والخل ،
توجيها احوال اليمن الاسفل والمشار القاطنة تلك الانحاء . وكيف لا وفي
سلاطينها من لا يلبس غير القوطة ، يسترجعها عورته ، ومن هو في ليله وفرش
بيته واخلاقه وتهذيبه من ارقى امراء العرب . اجل ، ان بين الاثنين درجات
في الوحشية والتمدن لا يمكن الحكم الذي لا يهسه من الامر غير الحكم
والمصاحبة ان يشاهها كلها بنفوذ ، ويقيدها بحكمه ، الا اذا عمل بقاعدة
لويد جورج السياسية .

ولهذه القاعدة مظاهر شتى ، اولها المعاهدات الولائية ، في المشاهرات
المالية ، ومدافع الترحيب والتوديع لمن يجي . الى عدن من السلاطين او سافر
منها ، ثم الالقاب والنياشين ، ثم النجرب لبيت طامع بالملك على بيت مائك
او عكس ذلك ، فالتدخل في السياسة المحلية عند الانتخاب او تعيين احد
الحكام . واخيراً ، بل يصح ان يسكون الاخير اولاً ، المحافظة على استقلال
كل سلطان وامير ، عملاً برغبتهم وبصاحبة بريطانيا العظمى . نعم ، ما من
امير او سلطان او شيخ قبيلة الا ينبغي الاستقلال التام ، ولا بأس اذا قيد
بمشاهرات وبهدية شكل عام . هذه لعري بلية العرب الكبرى التي توافق
مصاحبة الانكليز الكبرى . وكأني بهم يقولون الامير العربي : انت تبغي
الاستقلال . انت مستقل . نحن نعرف بذلك ونرفع الك المال اتحافظ على
استقلالك . نحن لا نبغي الا ما تبغي وهذا عهد الولا . والحاية . ولكن في
هذا العهد الربة التي تخنق ، فيه البند المشهور : لا يحق للسلطان او الامير
ان يتعاهد واحد زملائه او ان يبيع او يؤجر او يهب شيئاً من بلاده الى احد

أمراء العرب أو الأجانب أو يجب اختياراً دون أن يستشير ويستأذن الحاكم في عدن .

هي سياسة التفريق ولا شك^(١) وسياسة الاستيلاء والاستئثار كذلك . فالانكليز وهم سادة عدن ونواحيها لا يبقون غيرهم من الأوروبيين هناك ، وأمراء العرب يعاهدونهم على ذلك لقاء مشاهرات يقبضونها ذهباً وفضة وحماية عند اللزوم ، بالذي السطوة من جند وسلاح . كلمة الانكليزي وهذه : سنساعدك يا حضرة الأمير اتحفظ استقلالك فنُدفع عنك كل حائل من الداخل ومن الخارج .

أما الحماية فأمرها عجيب وفيها غالباً تنعكس الآية ، فيجبي العرب الانكليز لا الانكليز العرب . لذلك هم يستحقون في الأقل المشاهرات . ومنهم « صدقاؤنا المخلصون المحبون » الذين حازوا من ملك انكلترا وأمر أطر الهند لقباً^(٢) أو رتبة ونيشاناً فتطلق لهم المدافع ترحيباً وتوديعاً في عدن .

هذه خطة الانكليز في عدن والنواحي التسع المحيطة ، وهي تختلف عن خططهم في سائر مثلاً بعض الاختلاف ولا تلتزم أساساً بخططهم في العراق .

(١) كانت سياسة حاكم عدن الأولى القائد هابس Capt. Haines مبنية على القاعدة : فرّق تسد . لأن الحكومة أو البحري إدارة شركة الهند يومئذ لم تشأ أن غده بما يحتاج من الخرد لحماية عدن فإذا قامت على الانكليز إحدى القبائل كان الحاكم يثير قبيلة أخرى عليها . « حرض القبيلة الواحدة على القبيلة المعادية فلا ينظر إلى حدود بريطانيا » . . .

« والله وإن كان هذا الدعاء بما يؤسف له فثقل هذه السياسة ثقيد الانكليز في عدن لأنها توسع التماس بين القبائل » . هذا ما كتبه إدارة شركة الهند إلى الحاكم هابس فله الكرنل جاكوب في كتابه « ملوك العرب صفحة ٢٥ » .

(٢) النياشين الانكليزية التي تمنح الانكليز والأجانب في الشرق الأدنى والوسط تنحصر برتبة K. C. I. E أي Knight Companion of the Indian Empire و K. C. S. I. أي Knight Companion of the Star of India .

وربين هذين الطرفين في القاعدة المربعة ، بين عدن وبغداد ، مظاهر اخرى في المرونة سترها في الكويت وفي البحرين .

كانت عدن منذ خمس وثمانين سنة من املاك الدولة العثمانية امماً ولي حوزة سلطان حج فعلاً ، وكانت قيل ذلك اي قبل ان تأسست سلطنة الحج في حكم ملك اليمن او امام صنعاء تفاخر المدن بجدها والا - كل البحرية بتجارها . فقد جاءها في سنة ١٧١٧ م بعثة افريقية تجارية تبغي التجارة بالبن ، يصحبها رجل اسمه لاروك ، كتب كتاباً صغيراً يصف فيه تلك الرحلة^(١) . فعرفنا هذا الاجنبي بعدن العربية في ذاك الزمان ، ونجاها الكرم الاخلاق الذي ارسل عنده ايضاً مرصص الاجانب رجالاً من قبله يستقبلونهم ويوجهون بهم ، وخدامين يحملون الهم الزاد والحلوى والمرطبات

اقام الافرنسيون في عدن بضعة اسابيع شاهدوا فيها ما لا يشاهده السائح اليوم . قد كانت في تلك الايام عدن العرب والتوحيد ، بل عدن الشرق الصميم ، الواقع الجانب ، الكرم الخلق ، العزيز الشأن . والفضل الكاتب تلك البعثة المسيرة لاروك في وصف المدينة وصفاً ثبت جده صورة حفرها على النحاس رسام هولندي في ذاك الزمان . رأيت الصورة وقرأت الكتاب ، فقلت : اين ارميا بنثر الامعار في نذب الديار ؟ اين سورك الذي كان يطوق الجزيرة يا عدن ؟ و اين قصورك تفوق قصور ابن ذي الجذن ؟ و اين حماماتك الجميلة المرصوفة بانواع الرخام ، المزدانة ببقية من عمد الاصنام ؟ و اين مساجدك ذات القباب البيضاء والورقاء ، والمآذن الدقيقة البناء ؟ و اين آثار ادبائك وشعرائك ، ومن سكان يثي سامد الرأس نحت واثك ؟ بل اين تلك اللغة اليوم من رطانات وطبطنيات سرت من الشرق ومن الغرب اليها ؟ بل اين تلك الروح روح قحطان ، وتلك المكارم مكارم عدنان ، وذلك المظهر

الشريف النقي مظهر الوحدة القومية ، تزيده الفصاحة والفروسية .

قلت ان عدن تلك الايام كانت عدن العرب والتوحيد . ولا اريد بالتوحيد الدين فقط بل اللغة ايضاً والجاس . اما الوحدة الجنسية فكان قد تخللها شيء . من خليط الغنود الذين هاجروا الى هذه الزاوية من البلاد العربية قبل ان احتلها الانكليز . كان البنيان^(١) في عدن يوم جاءتها البعثة الافرنسية ، والمسبولاروك يذكرهم في كتابه ويقول انهم يهود المدينة ابي التجار والصيارفة بها . وكان العربي اليالي الزيدي يكرهم ويتخط له منهم الاخذان ، ويحسن اليهم كل الاحسان ، وهو لا يدري ان ابتداءه في المستقبل سيكونون من خدامهم وخدام من جاءوا كذلك من المغرب .

اما عدن اليوم فمدينة الشرك هي لا مدينة التوحيد . مدينة غمرية لا اوربية ولا شرقية ولا عربية . مدينة التجارة والفحم والمضارب العسكرية . هي من اوجهة الحربية جبل طارق الشرق ، ومن اوجهة التجارة مركز استيراد وتوزيع مهم في البحر العربي ، ومن اوجهة البحرية العمومية هي مستودع فحم لبواخر العالم التي تجري بين الشرق والغرب ، وهي فوق ذلك وقبل كل ذلك المستودع الثالث للبواخر الانكليزية في الطريق بين الجزائر البريطانية والهند . اما المستودعان الاول والثاني ففي جبل طارق والموريس .

ان المدينة تقسم قسمين عدن الفحم والحصون والسياسة وتدعى التواهي ، وعدن التجارة والموبقات وتدعى كعب اي المعسكر . في الاولى وهي على الشاطئ . دار الاعمال والقنصليات وبيوت الضباط والمتوظفين والاتوال ، وبعض المخازن التي تباع فيها بضائع الشرق والغرب الرديئة باسعار غالية . وفي الثانية وهي وراء الجبل على مسافة خمسة اميال ، في فم الهرم ، او ما كان يوسكاناً في قديم الزمان ، وفيها اربعون الفا من السكان من كل شعوب

(١) بنيان في لغتهم صاحب حانوت والبنيان فينبهو الهند كثير من الاسناد والافتاد ،

الأرض والأديان . فيها المسلم الذي يصلي الى الله ، والفارسي الذي يصلي الى الشمس ، والبُني الذي يصلي الى الأوثان ، والمسيحي مكرم الصور والصلبان ، والاممائي صاحب صاحب الزمان ، واليهودي مسيح الذهب الزمان . وفيها من يفسلون ويكفنون امواتهم ومن يحرقونهم ومن يحسبونهم الى برج السكينة لتأكلهم النور والعقبات .

كل هؤلاء يتاجرون ولا يتنافزون ويربحون ولا يفاخرون . اما بيوتهم فواحدة لا تعرف أعربية هي ام هندية ام اوروبية ، واما اديانهم فهي كالاشجار والادغال في الغاب ، وهم في ظلالها لا يتنبهون ولا يتطورون . الزاهرون والزاهرات والشائكون والشائكات . قلت ان يوم زار المسير لاروك عدناً لم يكن فيها غير الاسلام وحفنة من اليهود والبنات . اما اليوم ففيها من المذاهب الدينية مئة مذهب ومذهب تعيش كلها في قم الزمان ، بسلام وامان . وليس فيها غير واحد من المذاهب السياسية ، تصونه الثقة ، ويعززه الدينار والقوة ، هو مذهب الاحتلال . والتاجر ، وطنياً سكان او اجنبياً ، هو دائماً مع الحكومة . او بالحري لا يسه من الحكومة غير الامن والنظام . ومعا قيل في حكومة عدن الانكليزية فالامن والنظام ركنان فيها ثابتان .

تدعى عدن الثانية المعسكر لان فيها الشكات وقصراً من جيش الاحتلال . وهي في حلقة من الجبال السحاب بكلل قنتها حصون قديمة مهجورة لان الانكليزي يستغنون عنها اليوم بالمراكب البحرية . اما اشهر ما فيها من الآثار ما تبقى من ظل مجدها الغابر فهي اسداد الماء ^(١) تلك الاسداد المنيعة

(١) تاريخ هذه الاسداد عجول . فن المؤرخين من يقول انها بنيت في القرن الخامس للمسيح ومنهم من يعود بها الى الف وخمسة سنة قبل المسيح . وتسا لا يختلف في امرها انها كانت مربعة عند الاحتلال الانكليزي فعمرت ورممت سنة ١٨٥٩ وانها تسع ثمانين مليون جالون من الماء .

في مضيق متحدر بين جبلين ، بناء متيناً محكمياً ، محفوراً بعضها في الصخور ، سد فوق سد ، يصب الواحد مياهه حين يتلى . في السد تحته ، حتى تنقضي بعد امتلاء عدة اسداد الى الخزان الأخير القائم عند سفح جبلين . ولكن هذه الاسداد وهي من اجل الاعمال الهندسية في العالم ، لا تتلى . تلك الامطار الا او مرتين في كل بضع سنين .

وفي التواهي اي عدن السياسة دائرة اشغال هي اشم من كل ما ذكر هناك . بين تلك الرئي المسئلة بالخصون الحديثة ، المتصلة بعضها ببعض بواسطة الاتفاق ، راية لا علاقة لها مباشرة بالحروب او بالسياسة . راية عامرة نيرة منيرة ، بيوتها كلها حديثة بناء وهندسة ، ومهنة سكانها اعم من المهنة الرسمية كلها . هي قرية قائمة بذاتها فيها المطاعم والحانة والنادي واسباب اللهو والرياضة والراحة جميعها . واليهاء ومنها تمتد الاسالك ، اسالك السحر الحديث ، سحر العلم والعمل . من الشرق وجزر الشرق الكبيرة ، من اسمة اليا والفلبين ، من افريقيا واوروبا ، من قارات الارض تجري امواج السحر في اسالك العلم والعمل ، فتنبهم وتطنن في اعماق البحار ، وتنبق تحت الماء على صدر اليبس ، وتورعا كلهم في السلك ، والسلك في القماش ، والقماش في القار ، والقار في الحديد . هي انباء العالم ، انباء التجارة والسياسة والاجتماع ، يحملها الهمق تحت الامواج فتصل الى عدن ، تلك الروية المهمة فيها ، الى مركز الهمق هناك . ثم توزع منه كما تتسوج اليه امواجاً . فتربط الامم الشرقية بالقرية ، وتقضي على المسافات في المعاملات والمراسلات ، تنحصرها في سلك نصفه يمتد من تلك الرابية شرقاً وجنوباً ، والنصف الآخر غرباً وشمالاً . وهذا السلك هو حياة الاتصال بين الشرق والغرب ، بل هو حياة التجارة واحد اركان المدنية والعمران .

لا شك ان في العالم دوائر همق اكبر من تلك التي في عدن . ولكن

ليس في العالم على ما اظن اهم منها . اقطع ذلك السلك ، اوقف العمل على تلك الراية ، اسكت المنة آلة التي تدندن ليل نهار هناك ، فتعود البحار الى ظلمها القديم واستبدادها في المسافات ، وتبني قارات العالم القديم كلها ، آسيا واوروپا وافريقيا واستراليا ، وكل منها في عزلة الجزر او الجبال ، لا صلة بينها غير تلك التي يجعلها الرسول او البحار .

اجل ان شركة التعرف في عدن لاحدى ايدي المذنية والعمران . وهناك في تلك الاهرام والركام . على شاطئ البحر يد سردا . ولكنها في العمران بيضاء ، هي يد الفصحم والبخار . وفوقها وفوق المدينة نور وحاج ينير المينا . يلا ويدور حركة البولنتر والمراكب بانواره الملونة . هكذا غاوت عدن المادي . عرش البرق على هذه الراية ، وعرش النور على جارتها ، وعرش البخار على الشاطئ . فوق ركام الفصحم العالية . ان فيها كلها حياة يسكب الغريبون اسبابها ولا يزدهيا . باطناً الشرقيون . وكيف يزدهونها وهي في بلادهم تحمي التجارة والبحارة فيها ! اطفأ نور تلك المئذنة ، مئذنة عدن ، فتصطدم وتفرق المراكب في البحر . لتقفل ابواب شركات الفصحم فتقف وتبطل حركة البواخر بين الشرق والغرب ، وتقطع اذ ذلك آخر صلة حديثة بين القارات كلها .

ها هنا اذن في اسلاك البرق وفي اسباب البخار اهمية هذه الراية الجنوبية من البلاد العربية . ومعلوم ان اساس الاثنين العلم والاجتهاد . وسياج الاثنين الامن والنظام . يستطيع سلطان لحج او امام صنعاء ان يوجد الامن والنظام ويوطدهما في عدن ؟ او يستطيع اذا فوض اليه امرهما ان يحافظ عليهما ؟ لا اظن ان احداً من ابنا العرب مهما صفت وطنيته وكبرت همته يجب اليوم بالاجباب . او يستطيع العالم اليوم شرقاً وغرباً ان يستغني عن البرق والبخار ؟ لا اظن ان رجلاً عاقلاً يجب بالاجباب . وهل يريد الشرق ان يستقل بكل

الاستقلال فيقطع الصلات كلها بينه وبين الغرب ؟ لا اظن ان احداً من الشرقيين مهما غالى بالوطنية يحبب بالايحاب .

لا بد اذن من العرق والنور والبخار في عدن . ومن يد تدبرها وتحافظ عليها وتحبها . واليد اليوم انكليزية . وقد تكون غداً يابانية او عربية . لكن الغد لله . بينما اليوم وفيهم العالم اجمع ان تبقى هذه المحطة الكبيرة ، هذه الصلة المهمة ، في كنف الامن والنظام . ولو كان في ذرة من اليقين ان الامام محبي يستطيع ان يقوم مقام الانكليز لما فضلت احداً وطنياً كان او اجنبياً عليه . اني آسف ان الروح العربية تقلصت في عدن واضمحلت ، وانه ليحزنني ويجزئك ايها القاري العربي العزيز ، وقد اشرنا على شيء من مجد ظاهرها ، ان زارها في يد الاجانب . ولكننا في زمان سيده المال ، وحاكمه الاقتصاد ، ومديره الاول العلم . وليس عندنا من الثلاثة ما يؤهلنا اليوم لوظيفة صغيرة في معمل هذا الزمان الاكبر .

لنعدل حتى في انفسنا . لنقل الحق ولو كان علينا . ان عدناً محطة في طريق العالم ، وان للعالم كله مصلحة فيها . مما استأثر الانكليز اذن فهم ولا ريب مقيسون ببعض الواجب عليهم . وان العرب انفسهم ليتفهمون بحكم فيه الامن والنظام . على اننا نبغي من الانكليز اكثر ما يشاهد السائح في اليوم الاول من اقامته في عدن . نبغي منهم العدل الذي اشتهروا بحبه وبتميزه في بلادهم . نبغي منهم الانصاف الذي هو من نزاي الشب السكوني . نبغي منهم الاهتمام لما فيه تعديل البلد وصحة اهله في اجسامهم وعقولهم — المحافظة على شيء من الروح العربية — مدارس تعلم الناشئة لغتهم واداب بلادهم — ماء يصلح للشرب^(١) . مضى على الانكليز في عدن خمس وثلاثون

(١) المرافق في عدن لا تزال من الطراز القديم . والماء وهو مالح يُخرج من بحر في شيخ عثان ويوزع بمراحل تجرها الجمال ، والطرق وهي دائماً في حاجة الى اصلاح

سنة وهم لا يزالون يستخدمون الأمان والقربة لرش الأسواق .
قلت الانصاف ، وهالك مثلاً واحداً من آفاته . في عدن صياغة وتجار
عديدون يتاجرون بالأوراق المالية والقود ولكن ليس فيها غير مصرف واحد
هو فرع من فروع مصرف الهند - الانكليزي - المشهور . وهذا المصرف
لأنه اوحيد يستبد بالتجار استبداداً يعرقل التجارة ويضعف اسبابها . قد
شكك كثير من منهم الامر الى القناصل على مصرفاً امريكياً او افرنسياً او
ايطالياً يفتح له فرعاً هناك بواسطةهم فيخفف بالمناظرة استبداد مصرف الهند
واستشاره . ولكن دون ذلك صعوبات ظاهرة وخفية ، وحكومة عدن ولا
ريب يد فيها .

اني لا ارى عذراً لمثل هذا الاستئثار الذي يعد حقارة في الاستعمار . بيد
ان من العدل ألا افرد الانكليز بالذنب واخصصهم دون سواهم بالتثريب .
غالا فرنسيون في جيبوتي مثلاً والايطاليون في مصوع هم من هذا القبيل مثلاً
الانكليز في عدن . قد لا نجد تاجراً واحداً انكليزياً او ايطالياً في جيبوتي
فكيف بمصرف غير افرنسي ؟ وقد لا نجد عاملاً افرنسياً او انكليزياً في
مصوع فكيف بمصرف غير ايطالي ؟ ان هذه الروح الأوروبية الضيقة في
التجارة والاستعمار ، وان شئت فقل روح الاستئثار والاحتكار ، لمن اول
اسباب الاضطهاد الأوروبي في الشرق . فاذا كنت لا تطبق اخاك الأوروبي
مراحماً ، اذا كنت تضن عليه بفرصة يقتسمها فيستشرها مثلك في بلاد غريبة ،
فكيف تطبق الوطني او تحسن به الظن في الاقل ؟ وبأي حق والحال هذه
تطلب منه الثقة والاحترام ؟ اني مخلص لك ايها الاخ الأوروبي في ما اقول .
قد يطعنك الشرقي ويخدمك ، ويكون لك جاسوساً على اخيه ، ولكنه في
قلبه يكرهك ويحتقرك . وليس هو وحده المسؤول المأموم . عد الى نفسك
والانارة لا تزال على الطريقة القديمة . اما عذر الحكومة في ذلك كله فانه المال .
مارلند جاكوب في كتابه « ملوك العرب » صفحة ٢٦٣ .

أيها الأخ الأوروبي وفكر في ما أقول . اني ابغى لك ولابن الشرق خيراً في بلادهم مشتركاً ، متبادلاً ، متساوياً .

لكن روحك أيها المستعمر لا تعجب المنصفين من الامتين . صكّاني احضرك تقول : جئنا هذه البلاد وفشحنها ومحرناها وليس لغيرنا الحق ان يستفيع منها وفيها انتفاعنا . هذه هي روح الاستعمار الأوروبي في عدن وفي غيرها وفي مصر ، وقل ان شئت في الهند وفي الجزائر وفي طرابلس الغرب . وهي الروح التي تقصد على الشرقي اضم مظاهر الحكم العربي ابي الادارة والنظم . فحبذا الحكمة في اطمأنهم قاطعاً ، وحبذا الحفاضة في استئثارهم تخلف من عواقب الوحشية . لست ممن يعضضون عيونهم ويضررون ، ولا ممن يولون المغرب وجوههم ويسكروهم . ولكي اخشى والله على الأوروبيين من يوم يعم فيه الملا . فينهض الشرق - الشرق العاقل والشرق المجنون ، الشرق المنصب والشرق المتساهل - ينهض نهضة واحدة على المدنية الأوروبية صكها ، يحذقها ، لأنه لا يرى فيها غير سبائنا ، غير الثروة والشهرة ، والاستئثار والمنكرات . يودي اذن قبل ان تأزف تلك الساعة ان يعدل الأوروبي ويعقل الشرقي ، فيتغامم الاثنان ويأثلفان ، ويستفيع الواحد بالآخر ومنه .

قلت ان الأمن والنظام في عدن وكنعان ثابتان ، ولا شك ان الإنكليز قد بذلوا في سبيلها شيئاً من القوة بسبباً مقروناً بمثله من السياسة والدهاء ، ثم بتضحيات من مال ورجال ليس في الأمم الأوروبية يحكم منهم فيها والسبق منهم اليها . بيد ان احتلالهم عدن واستيلائهم على النواحي المجاورة لها لا يخلوون من الحيف والاحطاف والظلم . لا ينكر ان الأمن والنظام من الأمور الجوهرية الأساسية ولا تقتصر أهميتها على الإنكليز وحدهم بل على العالم اجمع . ولكن الأسباب اذا اكتشفت قشينة ، والسبل اذا ادركت تستبين كرامن الوجد والنضب . من المشهور عن الإنكليز انهم في سبيل

مقاصدهم كرماء ، ولكتهم ايضاً حكاماء . اذا بذلوا المال يعدون ما توفر عليهم من الرجال . واذا دفعوا المشاهرات يتقاضون بدلها الارادات .

قد علوا عند احتلالهم عدن بانه يجب حمايتها جيش كبير يقيم فيها . ولكن ادارة شركة الهند يومئذ فضلت تلك الحطة التي تقدم الكلام عليها . ثم عندما استلمت الحكومة البريطانية زمام الامور في الهند ، واستخدمت بعض القوة في تأسيس مركزها في عدن ، رأت انها تحتاج الى قوات بحرية وبرية تقيم فيها دائماً . وقد تعجز مع ذلك عن الحماية اذا لم يكن لعدن منطقة كالدرع يصونها من تعديات العرب الذين يجيئون بها من السجلات الثلاث اي من الشرق والغرب والسهل ، وبحاريون سكان القروء ، وبمقصون بالجيل . فانخذت لذلك سياسة ابر تدعها الشدة ، وباشرت المفاوضات ، وابتاعت من الاراضي ما لم تستطع الاستيلاء عليه بالسياسة ولم تشأ اخذه بالقوة . فتم لعدن الدرع الذي تحتاجه وهو خط يتد من المدور على البحر غرباً الى دار الامير شمالاً ، ومنها شرقاً شمال الى ام العُمد على البحر . ثم اقامت في هذه المنطقة الانكليزية الاستحكامات العسكرية ، ونقلت اليها الجنود من الهند ، وظلت مع ذلك في خطر دائم من العرب المحييين بها ، من الضبيحة والحواشب واليوافع وغيرهم .

فا المبل اذن ؟ قد يكلفنا الدفاع عن عدن الف ليرة في الاقل يوماً اذا فرضنا انه يعمين علينا ان نقيم فيها دائماً عشرة الاف جندي . وقد يكلفنا الدفاع عن المنطقة التي ظنناها درعاً منيعاً الف ليرة اخرى . ولكني اقف عند حد في النفقات لا يتجاوز نصف هذه القصة ، اي الف ليرة كل يوم ، وافترض ان الحكومة الانكليزية تستطيع بذلك ان تدوخ العربان وتؤدبهم ، وتستولي على بلادهم فتدخلها في منطقة الاحتلال . ولكنتها تضطر عندئذ ان تضاعف قواتها العسكرية ، فتضاعف النفقات ، لتدفع عن هذه المقاطعات غارات

عرب الجبال من زيود وشوافع شرقاً وشمالاً . النتيجة : اننا حكمنا توغلنا في اليمن زادت النفقات والاضطار . فالولاء اذن خير من العدا . على ان لا بد لنا من قوة نذهب بها اولاً من نبغي ولاه . فاذا كسرنا هذا الامر ، وتكلمنا بذلك الشيخ ، ثم صافعنا ووالينا وبذلنا المال مشاهرات ، كان لنا من الصداقة والاذعان ما يزيد .

وكذلك كان . مرت على عدن بعد احتلالها سنون فادت فيها انكسرتا بكتير من المال والرجال . جارت القبائل ثم عاهدت امراء ثم واحداً واحداً . ضربتهم ، وفروقتهم ، واقامت الحدود بينهم ، ورفعتهم الى مقام السلاطين ، واشترت صداقتهم بالمشاهرات المالية . وما هي تلك المشاهرات بالنسبة الى نفقات الحرب والدفاع ؟

اليك جدول الحساب الثاني . في المنطقة المحمية تسع ولايات او امارات او سلطنات . فلو فرضنا ان كل امير يتقاضى الانكليز اربع مئة روبية كل شهر وهي اكبر المشاهرات ، اذا استثنينا مشاهرة سلطان الحج ، وان في كل اعادة زعماء ، رجال الامير او اعداءه ، يتقاضونهم كذلك مثل هذه القيسة ، فيبلغ ما تدفعه عن ولاء الامراء التسعة ورجالهم سبعة او ثمانية الاف روبية كل شهر اي خمسمئة ليرة انكليزية^(١) . فلو دفعت هذه القيسة يومياً لا شهرياً لتوفر عليها ضعفاها او في الاقل مثلها كل يوم . واذا فرضنا ان في الافتراضين ، اي حساب الجيش وحساب الامراء ، بعض المبالغة فهي دون الحقيقة لا فوقها . ان النسبة بين الاثنين في كل حال لا تتغير ولا تتحل . عشرون الف جندي الدفاع يقوم مقامهم عشرة امراء او سلاطين . هذه هي النسبة الاساسية .

(١) راجع لائحة المشاهرات في اخر هذا الجزء .

حين الكاسب اذن ؟ أمن يدفع المشاهرات لم من يقبضها ؟

انها من الانكليز سياسة العزم ، تتلوها سياسة الحكمة اي المبدأ المرن
المقرون بالقاعدة التجارية في الاشغال ، وهم لا مراد قبحار لا يبارون ، كما انهم
ساسة محنكون . فاذا خيروا بين نفقات الجيش والمشاهرات يختارون الثانية
ولا غرو . انها ، اذا اعتبرنا مصلحة انكثرا اولاً ثم العالم الذي تهمة محطة
المواصلات البرقية والبغارية ، اصفقة غائمة . اما اذا اعتبرنا مصلحة العرب
فيعترينا الاسف والنهم لانهم الخاسرون في كل حال ، الخاسرون وان
تضاعفت الاموال .

الفصل الثاني

من اجل شركة الهند

المسئلة الثرائية - الكثيرون تدافع عن الدولة العلية - حقوقها من مجرد عن باشا - معاهدة لندن سنة ١٨٥٠ - اخرايم ابراهيم باشا من سوريا ومن اليمن - شركة الهند مستردة للقهر - عدن - احتلالها سنة ١٨٣٩ - معاهدة الانكليز - سلطان لعبي - بتوفد - الميدا المرن - انت صاحب الامر ونحن نتولى تنفيذك عنك - توسيع حدود عدن - كيف اشترى الشيخ عثمان - طريقة لا يحتلها الانكليز في بلادهم - والشيخ عثمان لا تكلم - توسيع المنطقة المحقة - كيد وقتل ومشاهدة .

لا يزال اولو العلم يذكرون ، برغم عدايات الحرب الصغرى وغازيات مؤتمر لوزان ، تلك المسئلة المشؤومة في سياسة اوربا والشرق الادنى التي تعمر في اذيالها اكبر السياسيين ، بل تحطمت في طواحينها اكبر الاحلام ، وأفسدت في ظلالها احسن المقاصد والنيات ، فكان انتفاع كل امة منها وبسببها بالنسبة الى ما افادت به من الشرف والوجدان . الا وهي المسئلة الشرقية . ولا يزال اولو العلم والانصاف يذكرون كذلك ، برغم انقلابات سكان الدهر فيها اليد الكبرى - قات الدهر واريد الحوادث التي تسيطر على الرجال والامم - وبرغم ضيحات الهند التي اختلطت فيها اصوات « الحلافة » باصوات الـ « صولاج »^(١) وبرغم تهايل في انقرة والاستانة ، ومناجزات في دوائر السياسة بكابر الديك « العالمي » فيها الاسد البريطاني ، ان انكثرا في مقدمة الدول واحياناً وحدها كانت تدافع دائماً عن سلامة الدولة العثمانية . ولم يكن دفاعها لينحصر في الكلمة المنشورة والمقولة بل كان يتجاوزها الى السيف والمدفع والاموال . بيد انه لم يكن مجاناً لوجه الله .

(١) سواراج Swaraj كلمة هندية يراد بها الحكم الذاتي المستقل او ما يدعى في

انكليزاً Home Rule

ليس القصد من هذه الكلمة ان اجدد ذكر تلك المسئلة السياسية الخاطئة التي يظن الناس ان قد حن عقدها مؤتمر لوزان . وانما قصدي ان اعود بالقارى الى تسعين سنة مضت فاقص عليه قصة تتلاقى بعدن وبشركة الهند الشرقية ، وبدفاع بريطانيا العظمى عن الدولة العثمانية .

من الخلفائى البارزة التي كانت تشغل الدولة والانكليز في تلك الايام ان محمد علي باشا بواسطة ابنه ابراهيم كان قد استولى على سوريا واحتل من البلاد العربية عسيرا وتهامة وجزءا من اليمن . فسمعت الدولة ان تحرجه من هذه الاقطار فلم تغلج . ورأت انكلترا ان مطامع محمد علي باشا في البلاد العربية لا تلتم مع مصالحها ، لاسيما ما كان يتعلق منها بالهند وبشركة الهند الشرقية ، فامتشتت الجسام ، او بالحري حركت الاسطول دفاعا عن الدولة ، وكانت هي العاملى الاكبر في اخراج المصريين من البلاد السورية وفي اسقاط ابراهيم باشا من اليمن .

ثم عقد مؤتمر لندن وأبرمت في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ معاهدة كانت تقضي الى الحرب بين فرنسا وانكلترا ، أعيدت بموجبها سوريا الى الدولة العلية وأثبت محمد علي في ولاية مصر . ولما كان قصدي على محمد علي في مصر كذلك لو فازت في ذلك المؤتمر السياسة الافرنسية التي كانت تحثى مقاصد الانكليز الخفية . لم تكن تلك المقاصد يومئذ غيرها اليوم ، وقد كشف الزمان منها الخجاب ، وحققت بعضها الحوادث . فيها قد اتفقت طريقتا البر من مصر الى سوريا ، فالعراق ، فالهند .

اما الطريق التي كانت تستوجب الاهتمام مباشرة فهي طريق البحر . وقد كانت انكلترا في تلك الايام ، ايام البخار الاولى ، تغشى عن مكان في البحر الاحمر او البحر العربي يصلح لان يكون مستودعا لانجم لتحويل البواخر في طريقها الى الهند ومنها . فرأى رجال الشركة الهندية الشرقية

ان عدن اصلح مكان لهذه الغاية ، وظلوا عشرين سنة يحومون عليها ويسعون بالمعاهدات والسياسة ان يرفعوا فوق قلاعها العلم البريطاني . وكان ابراهيم باشا وهو في تمامه يبغيها كذلك ويخبر سلطان خليج بخصوصها . ارجس الانكليز خوفاً من ابراهيم فاقترنت مصالحهم بصاحبة العثمانيين واتحدوا سياسة عليه .

كتب رئيس الوزارة الانكليزية يومئذ اللورد بالمرستون الى محمد علي باشا سنة ١٧٣٨ يقول ان لا حق له في البلاد العربية فيجب ان يسحب جنوده منها ، ثم عقد معاهدة مع الدولة تحول الانكليز الانجار في الممالك العثمانية ، وطلب منها عدن لتكون لهم مركزاً تجارياً في تلك الانحاء . على انهم كانوا يبيعونها مستودعاً للنجم كما قلت . وما هي اهميتها للدولة في كلا الحالين ؟ عدن ، ان هي عدن ؟ وراء ثلاثة بحار ، في آخر البلاد العربية ، تبعد القوي ميل عن الاسنانة ، ولا سيادة حقيقية للدولة فيها .

منح السلطان عبد الحميد فرمان . ولكن شركة الهند الشرقية كانت تعلم ان السيادة الحقيقية في عدن هي للعرب وان فرمان وحده لا يكفي . فبينما للاحتلال حادث يتذرعون به . كانت المراكب الانكليزية تمر في تلك الايام بعدن للتجارة فحدث ذات يوم ان مركباً شراعياً غرق هناك فسطا عليه العرب ونهبوه ، فبعثت ادارة الشركة القبطان هينس^(١) على مركب عربي في ثلاثة من الجنود يطلب التعويض ، وجاء الى عدن وفافض السلطان ، سلطان خليج ، الذي كان مقيماً فيها ، فاني سمعه ، فاحتج الانكليزي بالفرمان ، فاستشاط السلطان العربي غيظاً . ومن هو سلطان العثمانيين ؟ وهل يهب بلاداً ليست له ؟

ضرب القبطان هينس عدن في ١٦ ك ٢ سنة ١٨٣٩ فامر السلطان الخامية

بالدفاع ، فحدث بينهما وبين الانكليز قتال لم يدم طويلاً . سلم العرب ، ولكن سلطان الحج في اردوانه الخط الهايوي ومقاومة الفاتحين تكن من عقد معاهدة معهم حفظت له بعض حقوقه ، وقطع الانكليز معه عهداً بان يدفعوا له تعويضاً عن الاحتلال ستة الاف ريال مسانمة ، كانت بداية ثبات المشاهرات التي تبلغ اليوم نحو مئة الف روبية .

احتل الانكليز باسم شركة الهند الشرقية قمياً من عدن يدعى النواحي ولم تكن يومئذ غير اعشاش لصيادي السمك ، لا يتجاوز سكانها الستة نفوساً . وظل السلطان قمياً فيها مدة قصيرة فقط اذ قلما يقوم الى جنب السلطة الانكليزية سلطة اخرى وطنية او اجنبية ، فتراخت العلاقات بين السلطان ووكيل بريطانيا العظمى ، فحدث قتال ثان كان للانكليز رغبة فيه - يقول عرب عدن : كاد الانكليز كيدهم المعروف - فانصرفوا على العبادلة اي قبيلة السلطان واخرجوهم من النواحي واستولوا على عدن استيلاء قاعاً . منذ ذلك الحين لم يأذنوا اسلاطينهم ان يكون لهم في عدن بيت ولو صغيراً . ثم جددت المعاهدة التي من شروطها :

- اولاً : ان يعترف السلطان بسيادة الانكليز ويقبل حمايتهم في ملكته .
- ثانياً : ان تكون البلاد مستقلة في داخلها استقلالاً تاماً .
- ثالثاً : ان تكون المقابلات بين العرب والسلطان رأساً دون تدخل الانكليز . « قد كان هذا التدخل احد اسباب الخلاف بين الفريقين »

- رابعاً : ان يكون له الحق بان يصدر ما شاء من القوانين في بلاده .
- خامساً : ان لا يعقد معاهدات مع الاجانب (امراء العرب لا يعدون من الاجانب)^(١)

(١) قد تدرجوا من هذه القاعدة الى قاعدة اعم ، قصار الامير العربي المستقل . فيه

سادساً : ان يكون له راية خاصة وجند وحق بمنح الاقارب والرتب .
 سابعاً : ان تكون بوابة عدن الحدود بين المتعاهدين وان يكون ما
 دونها بما فيه بلدة الشيخ عثمان من امالك سلطنة خليج .
 ثامناً : ان لا يجوز لاجنبي التملك في خليج او الدخول اليها بدون اذن
 من السلطان تعطيه الحكومة البريطانية .

الخط تحت الكلمات الاخيرة مني لانتظر النظر اليه خصوصاً . تأملها ايها
 القاري . ان فيها مثلاً بمقاعدة المرونة في السياسة لم يقل الانكليز :
 بدون اذن تعطيه الحكومة البريطانية ، وهي حقيقة الحال ، لانهم يتحاشون
 ان يسوا كرامة السلطان . فطشوا السند ليعبر السيادة بين يرضي القريتين .
 انت يا صاحب السمو صاحب الامر . ولكتنا نحن خدامك نتولى امره ،
 نتوكل منك في اعطاء الاذن . وهو للان كذلك . اذا وصل السائح الى
 عدن وشاء . زيارة سلطان خليج يتحتم عليه ان يقوم بواجبين : اولهما ان يكتب
 كتاباً الى سموه يستأذن بالزيارة والثاني ان يطلب الاذن رسمياً من دار الاعتماد .
 فاذا كان هناك من مانع يعطون سموه بذلك ويرفضون الاذن عنه . والا
 فيمنحونه ويحددون وقته ومجاليته ، فلا يتجاوز حاضره حدود خليج ولا يقيم
 فيها غير ايام معدودة .

اشرفنا في الفصل السابق الى صعوبة الدفاع عن عدن اذا كانت وحدها
 البلدة المحتلة ما لم تخصصها الحكومة بقتل وبعض المدفوعات فيضطرون اذ
 ذلك الى مكان تقيم الجنود فيه . وبكلمة بسيطة ضاقت دونهم عدن فسموا
 في توسيع الحدود . ولكنهم اكتفوا ببضعة اميال شمالاً وبها بلدة الشيخ
 عثمان ، فطلبوها من السلطان فرفض طلبهم قالوا : نشترها ، فقال : لا .

فكرم كمالهمير الاجنبي ، فلا بقي لاميير آخر عربي ان يفقد معه معاهدة دون ان
 يستشير ويستأذن حكومة جلالة الملك .

قالوا : هي لازمة ، فلم يكترث .

فلجأت اذ ذاك دار الاعتماد الى وسائل لا تحملها الحكومة البريطانية في بلادها . كان لسلطان شقيق محب المال اكثر من حبه الشيخ عثمان وكانت لهذا العدلي يد في ادارة امور السلطنة ، مفرزة بشة اخيه . فتقرب الانكليز منه وتم سنة ١٨٨٢ الاتفاق بينهم وبينه سرّاً على التنازل عن الشيخ عثمان في مقابلة مبلغ قدره عشرون الف ريال ، اي اربعون الف روبية ، اي الفان وخمسة ذهب انكليزي . فمضى هذا البيع بالنيابة عن اخيه السلطان ، فاعتبره الانكليز صكاً شرعياً وحددوا بموجبه حدودهم التي شملت تلك القرية وهي على مسافة عشرة اميال من عدن .

اما السلطان فلما علم بالامر طرد اخاه من البلاد وصادر املاكه وحرره حفره في الاسرة المالكة . ولكن ذلك لم يؤثر في خطة الانكليز وسياسته . دخلوا الشيخ عثمان واقاموا فيها حامية قوية لم يستطع السلطان ولا خلفاؤه ان يقاوموها . ولم يكن احتجاجهم الدائم على شرعية البيع يجدي نفعا ، فرفضوا بعد مدة بقسمة الجزار فيهم ، وعقدوا معاهدة جديدة مع الانكليز قبلوا فيها ان تكون دار الامير ، وهي قرية تبعد نصف ساعة عن الشيخ عثمان ، الحدود الفاصلة بين خليج وبين الحكومة المحتلة .

ومنذ ذلك الحين حتى اليوم لم تضطر هذه الحكومة في الدفاع عن عدن الى توسيع الحدود مرة اخرى ، فلا يزال بحرك السلطنة الصحية في دار الامير .

اما الشيخ عثمان فقد أصبحت بلدة عامرة بالمساكن المهندبة والحدائق ، والصوماليات السافرات ، وبانواع الموبقات . وكذلك مقام الولي حاتم بنجر ، وساتين اغنيا . عدن ، وجنينة حيوانات سكانها غزال وقنفذة وسعدان .

الفصل الثالث

سلاطين الحج

مؤسس سلطنة الحج - اصل العبادلة - السلطان معين بن فضل العبدلي -
 للمعاينة بينه وبين الانكليز - السلطان فضل بن علي بن معين - اركان الملك الاربعة
 - السلطان احمد بن فضل - النفاذ وامام صنعاء على الاتراك - المناوشات السرية
 بين وبين الادويسي - الملك حين لصور الاتراك - السلطان احمد اول من سعى في
 سبيل الوحدة العربية - سفره الى مصر - الزراعة في الحج - السلطان علي بن
 معين بن فضل - ابن عمه الحسين المصلح معين بن فضل - السلطان العالي -
 تعين عادلة مع الانكليز - المناوشات بخصوص معاينة جديدة - نظام العبادلة
 في الاسواق الخمسة - طريقة الورثة وتدخل الانكليز - المقال والقطب «السلطان»

في سنة ١٧٠٩ ، عندما جاءت البعثة الافرنسية الى اليمن ، كان حاكم
 عدن مستقلاً عن امام صنعاء . وبعد ست وعشرين سنة من ذلك الحين استولى
 على عدن اول سلطان من سلاطين الحج . وكان هذا الرجل قائداً من قواد
 الزيد ، طامعاً بالسيادة والمجد ، متساهلاً على ما يظهر في الامور الدينية .
 اقامه امام صنعاء عاملاً على اليمن الاسفل فتوسع بالانجاز الامامية واقام
 نفسه حاكماً مطلقاً مستقلاً ، بل اقام نفسه سلطاناً . وبما ان حرب البلاد التي
 استولى عليها من الشوافع ، فلا يعززون حاكماً زيدياً ولو اطاعوه ، لبذ من
 اجلاهم وفي سبيل مطامعهم مذهب اجدادهم ، واتخذ المذهب الشافعي سراطاً
 الى النجاح قريباً . هو مؤسس سلطنة الحج .

ثم خلفه في الحكم امرأ من عرب العبادلة الذين اشتهروا بالشجاعة
 والعدالة ، وبجبههم الزراعة التي هي حتى اليوم مصدر ثروة الحج الصغيرة وموضوع
 اهتمام سلاطينها . والعبادلة من اليمن الاعلى ، زيدي الاصل كما تبين يتون
 بنسبهم الى عرب حيدان .

من سلاطين الحج اربعة مشهورون ، اولهم محسن بن فضل الذي احتل

الانكليز عدن في عهده . وقد كانوا عقدوا في سنة ١٨٠٢ اول معاهدة ولالية تجارية مع والده السلطان احمد فاستمرت موعية الى سنة ١٨٢٧ ، فنقضها السلطان محسن عندما ادرك مطامع الانكليز الذين كانوا يعيشون في تلك الايام عن مكان في البحر العربي يصلح مستودعاً للفحم . ولكنه غلب في نهاية امره فاضطر ان يعقد وايام معاهدة عندما احتلوا عدن سنة ١٨٣٩ كما اوضحت في الفصل السابق . ومن بنود تلك المعاهدة بندان لا ترى لها غير الاثر الضئيل في المعاهدات الحديثة ، اولها : ان لا يحق للاجنبي ، وان كان موظفاً بريطانياً في حكومة عدن ، ان يدخل الى الحج بدون اذن من سلطانها ، والثاني : ان من يرتكب جرماً من الانكليز او من رعاياهم في البلاد يحاكم بموجب شرائعها .

قبل الانكليز في البداية بهذين البندان ، ثم سعوا في توسيع الحدود الشرعية شيئاً فشيئاً ، فعدلوا البند الاول بل نقضوه باضافتهم اليه تلك الكلمة الاعتمادية ، فقالوا : لا يحق لاجني ان يدخل الى الحج بدون اذن سلطانها والاذن يطلب من دار الاعتماد بعدن . وقد اسسوا محكمة قاضيه مسلم هندي فقضت على البند الثاني الذي يختص بحاكمة الاجانب .

كان السلطان محسن غيوراً على استقلاله ، توافاً الى السيادة الواسعة النطاق ، محسناً الى العشائر ، محباً للعلم والعلماء . ولكنه كان متقلباً في سياسته ، يترقب الفرص لتحقيق مقاصده التي لم تتفق يوماً واحداً مع مقاصد الانكليز . غلبوه اولاً وثانياً ، في سنة ١٨٣٩ عندما احتلوا النواحي وفي السنة التالية عندما حاول ان يخرجهم منها ، فدارت عليه الدوائر وكان هو من الظالمين . اخرجوه من عدن ولم يأذنوا بان يكون له بعدئذ بيت فيها . ولا اذنوا بذلك لاحد من خلفائه كلهم .

ولكن خلف السلطان محسن لم ينادى . الانكليز ولا همته ظاهراً امرهم ،

بل ولي وجهه الشمال والقرب فسمى ان يعوض في داخل البلاد عما خسرته
سلفه في سواحلها . هو السلطان فضل بن علي بن محسن والد السلطان الحالي .
وقد كان باسلاً مقداماً حكيماً ، يقرن البطش باصالة الرأي ، ويرى ، وهو
امي ، ان لا عز للملك بغير الثروة ، ولا ثروة بغير الزراعة ، ولا زراعة بغير
الامن والعدل . فسمى في سبيلها كلها سعيّاً شريفاً . امتشق الحسام وكان
منتصراً في غزواته كلها ، فاستولى على الحواشب ، ويمكن نفوذ العبادلة في
العشائر ، واكتسب بسياسة الصدق والعزم ثقة الانكليز واعجابهم ولكنهم
غلبوه بسياسة اللين ، فالقاعدة المرننة ، فاعاد الى سلطان الحواشب ملكه
بعد ان استولى عليه بضع سنين ، فاستعصمت بعدئذ العلاتي بينه وبين
عدن والمسيير .^(١) حكم السلطان فضل ثلاثين سنة وكان في حكمه عادلاً
حكيماً ، فسن شرائع لا تزال حتى اليوم مرعية تتعلق بالزراعة ، وبإدارة
الاوقاف ، وبتسهيل صلات العشائر بعضها ببعض .

اما خلفه السلطان احمد بن فضل بن محسن ابن عم السلطان الحالي وقرين
سلفه السلطان محسن في الذكاء وحب العلم والعلماء ، فقد كان اشد حنكة
ودهاء من اسلافه ولكنه لم يكن مثاهم كرمياً . احقره الانكليز ظاهراً
وتعبدوا في معاملته ما كان من خلقه اي النكتم والمراوغة .

وقد كان بين السلطان احمد والامام المنصور والد الامام محيي صلة ولاه
ادت الى اتفاق سرري بينهما ، من شأنه مقاومة الترك والزعمة التركية في
اليمن . ولم يقف السلطان احمد عند هذا الحد في مناوئته الاتراك ، بل مد
يد الولاء والعون الى السيد الادريسي فكان سراً عضداً له في عسيرة ، وارسل
الى الشريف حسين وهو يومئذ امير مكة دعوة للانضمام اليهم ، او الكف

(١) النسيب هي عاصمة سلطنة الحواشب .

في الأقل عن مساعدة الأتراك على امام صيبا وجيزان^(١)

هوذا السلطان احمد عدو الترك واول من سمى على ما اعلم في سبيل الوحدة العربية . فقد دعا امراء العرب الى مؤتمر عام يعقد في احدى عواصم الجزيرة للنظر في مصير الامة العربية وتوحيد حكومتها وسياستها . ولكنه بعد ان ارسل منشوره الى الامراء ، عدل عن عمله لاسباب مجبولة . وقد تكون الحرب التركية الايطالية احد تلك الاسباب ، لانه تغير في سياسته خوفا عواطفه بعد تلك الحرب تغيراً سريعاً مذهشاً .

كلما جئت على ذكر الأتراك في البلاد العربية اراني مكبراً السيد محمد الادريسي وتباته في مبدئه وجهاده . فقد كان الامام يحبي عدو الأتراك فصار صديقهم في الحرب العظمى . وكذلك كان سلطان الحج السلطان احمد بن فضل ، فتحول في الحرب التركية الايطالية عن سياسته ومبادئه ، كانه لم يسع سراً وجهراً في تقويض السيادة التركية في البلاد العربية . وقد كان من امراء العرب الذين ساعدوا الدولة بلالاً ايضاً ، فدعي لذلك الى مصر ليقابل مندوبها السامي رؤوف باشا ، فلبى الدعوة ، وعاد من القاهرة يحمل وساماً من اوصية الدولة ، ويحمل ايضاً غراساً من ارض القرائنة .

ان للسلطان احمد مساعي مبهورة في تحسين الزراعة في الحج . فقد جلب الاغراس من مصر ومن الهند وكان في اهتمامه بها مثلاً لا للفلاح عالياً . وقد كان شغافاً كذلك بالاوصية ، فصك منها باسمه وشرع يمنحها الناس من عرب

(١) كان الادريسي في تلك الايام خائفاً على الدولة ومهدداً بمؤامرة تركية شرقية يذرية . فسمى السلطان احمد ان يقاومها ويدفعها باتفاق او حلف عربي فلم يفر بذلك . جاء عزت باشا الى الحجاز في اذار سنة ١٩١١ يستنجد الشريف على الادريسي فاجده بجملة يقودها غلام الاميران عبدالله وفصيل . وكتب الى السلطان احمد يستنصره على عدو الدولة ويسأله ان يسمي في سبيل الصلح بينها وبين الامام يحيى . ولكن سياسة السلطان احمد كانت يومئذ مخالفة لسياسة الشريف حسين .

وهنود وانكليز . ثم باشر تنظيم المالية والحرك فسن قوانين عديدة ، حالت دون تنفيذها الحرب العظمى . لا مبرية في القول انه كان سلطاناً كبيراً ذا همه قضا ، وذكا ، ودهاء . هو السلطان الزراع السياسي ، محب الابهة والاشجار الغربية . ولكنه لم ينتج في دار الاعتماد نجاحه خارجها .

وما كان في خلفه ما يوصى الى التوفيق والتجديد من هذا القبيل . كان السلطان علي بن محسن بن فضل سلف السلطان الحالي رجلاً ورعاً تقياً يحترم علماء الدين والسادة الاشراف احتراماً جزيلاً ، ولم يكن له ارادة تستقيم وتشتد في السياسة والرواثة . ولكنه لم يهتم لادارة الملك فأتكل في ذلك على ابن عمه محسن فضل شقيق السلطان الحالي .

كان السلطان محسن^(١) ادبياً ذكي الفؤاد ، عصرياً في افكاره واعماله ، مجباً للاصلاح وال عمران ، عالي الهمة ، بعيد النظر ، شديد البأس ، ثابت العزم والارادة . فباشر في ايامه القصيرة اصلاحات كثيرة في الجندية والمالية والمعارف ، ولكن الاقدار لم تشأ ان يكملها بنفسه فتوفي في عدن عقيب الهدنة عن اثنين وثلاثين ربيعاً . ان مثله من امراء العرب شديدي النزعة الى القومية العربية ، الراغبين في تعليم الناشئة على الاساليب الحديثة ، الساعين في تحقيق امالهم الوطنية العالية ، ليؤسف على موتهم في ريعان الشباب . وقد وقف السلطان محسن ثروته كلها على انشاء مدرسة عصرية ومستشفى وصيدلية في الحوطة ، فتأسست المدرسة وسيتم قريباً بناء المستشفى بفضل السلطان الحالي .

هو السلطان عبد الكريم فضل العربي الصميم في حديثه واخلاقه ، ولا اقول في ملابسه التي هي هندية اوروية . اما ملاعبه العربية فمثل اخلاقه

(١) كل اعضاء الاسرة المالكة يلقبون بالسلطين ، وهم يدعون السلطان الاكبر «الوالد المالك والسلطان الممان» .

وحديثه لا غبار عليها . هو نحيل الجسم ، عصبي المزاج ، مستطيل الوجه ، دقيق الأنف ، غائر العين ، في الخامسة والأربعين من العمر . لكنه يظهر أكبر من ذلك لما في وجهه من جمود وقنات ، ولما قاساه أثناء الحرب من الشدة والأحزان . وهو مثل أخيه الباسل وأبيه سلطان لحج الكبير يكره النفوذ الأجنبي ويسعى سراً عادناً سلباً في مقاومته وتقويضه . ولا عجب إذا كان من مساعيه أن يستعيد بعض الحقوق التي نالها السلطان فضل أبوه فاضاعها من خلفه .

على أن السلطان عبد الكريم يفتقر إلى شيء من شدة أبيه وطموحه ، ومن نشاط أخيه وعزمه . فهو والحق يقال أقرب إلى الأدب والزراعة منه إلى السياسة والإدارة . له ذوق في الموسيقى ويحسن بعض الأحسان العرف على البيانو . وله رغبة في المطالعة فيهتم خصوصاً بتاريخ العرب والإسلام . وهو مثل السلطان أحمد شغف بالزراعة يقضي ساعات من يومه في بساتينه . لذلك قيل فيه على ما اظن أنه قليل الاكتراث بضعف الإرادة . وقد يتخلل عزمه ، وهو عصبي المزاج ، فترات يسيئ فيها فهم أسبابها وفتائجها . ومن مزاياه أنه يحترم الرأي والحرية الفكرية في الناس . أما علاقته مع الإنكليز فالمدارة أظهر ما فيها . على أن له في دار الاعتماد مقاماً محترماً وكلمة مسؤولة ، فيستشيره أولاً الأمر في كثير من المسائل التي تختص بالعشائر وأحوال البلاد الداخلية .

إن في لحج على صفوها نهضة في التعليم تذكر ، وهي على صفوها سيدة النواحي التسع المحمية ، سيدتهم ادبياً ومعنوياً وفي بعضها سياسياً أيضاً . فإن أم السلطان عبد الكريم من الياقوت ، وبينه وبين السواتي ولا وثيق العرى ، وله على الصبيحة والخواشب سيادة لا بد أن تمتد إلى سواهما .

أما الإمارة في لحج وفي النواحي التسع فهي انتخابية لا اوثية . لذلك تقدم السلطان عبد الكريم اثنتان من أخوته بعد موت أبيه السلطان فضل .

ولكن الانتخاب اي المبايعة هي من قبل الخاصة فالمبايعون هم العقال^(١) اي
حكام البلدان الذين يعينهم السلطان فيجتمعون مع رؤساء العشائر لينتخبوا
ولي العهد الذي يجوز ان يكون من غير الاسرة المالكة . ولا شك ان هذه
الطريقة تفتح ابواباً واسعة لتدخل الانكليز في شؤون البلاد وسياستها فيولون
عليها من الموالين لهم من يشاؤون .

اما ولي العهد فهو يُنتخب في عهد السلطان احكام فيصبح منذ ذلك الحين
مقيداً بالسياستين ، سياسة حلب وسياسة عدن ، ورهين الارادتين ، ارادة
المعتد وارادة السلطان التي قد تكون ، وان كانت وطنية ، جائرة مثل
الاولى . هو ذا موطن الضعف والحلل في تلك الحكومات العربية الصغيرة كلها .
لا اقول ان الانكليز اخترعوا هذه الطريقة في الارث ووضعوا قواعدها ،
ولكنهم ولا شك ينفعون بها انتفاعاً يضر بين هم اصحابهم وحلفائهم
واصحاب البلاد التي احتلوها .

جداً لو ساعدوا اذن في تغيير هذه الطريقة فيكتبوا حب الناشئة
العربية الراقية وثقة اولياء الامر في البلاد . ولا اظنهم يفقدون في ذلك شيئاً
من حقوقهم الشرعية او من نفوذهم الصالح المفيد . اما غير ذلك من حق او
نفوذ فهو يضر بالانكليز اليوم اكثر من ضرره بالعرب . اجل ، ان الحقيقة
البليغة الرائعة التي يجب ان تدبرها اليوم وزارة المستعمرات بلندن او دائرة
الشرق الاوسط في تلك الوزارة هي هذه : كلما قل تدخل بريطانيا العظمى
في شؤون الامراء الوطنية والخاصة تبرز مركزها لديهم . وكلما تقلص نفوذ
الانكليز في داخل البلاد ازداد في السواحل . او بالأحرى كلما امتنعوا ،
حكمة وتزاهة ، عن مد يدهم الى ما وراء حدودهم المعروفة ثبتت قدمهم
ضمن تلك الحدود . ولا اظنهم ينفون اكثر من ذلك .

(١) حاكم الولاية او ما ياتلها يدعى في اليمن عاملاً وفي نجد اميراً وفي هذه النواحي
عاقلاً .

الفصل الرابع

لمحج في الحرب العظمى

جزيرة الشيخ سعيد - ضمها واحتلالها - احتجاج الامام يحيى - زحف الاتراك على عدن - الجنود الانكليزية تنتشر الى الشيخ عثمان - تأخير النجدة الانكليزية - الامير لواء علي سعيد باشا يفاوض سلطان نجد - وقعة الدكير - تدوير لنجد - وصول النجدة الانكليزية في الليل - اطلاق النار خطأ على السلطان ورجاله - الاسيرة المألقة في عدن - لنجد وعدن تتهادنان وتتسالمان - تركي كريم النجار - وما جزاء الاحسان الا الاحسان .

في باب المندب ، على مقربة من رأس البر اليمني ، جزيرة صغيرة تدعى الشيخ سعيد ، قد جاء ذكرها في تقارير عدن الرسمية أثناء الحرب ، وسيجيء ولا شك ذكرها في المستقبل في تقارير وصكوك لا يطلع عليها غير القليل ممن تهتم امتيازات النفط والمعادن .

هذه الجزيرة هي اليوم في حوزة الامام يحيى بن حميد الدين ، وقد كانت أثناء الحرب في يد الاتراك تابعة للساحل الجنوبي الغربي الذي يتصل ببلاد عرب الصبيحة . وعندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى ، وشهرت في تلك الحرب الضروس السيف على الحلفاء ، قررت القيادة في اليمن الزحف على عدن . فلما علم بذلك الانكليزية اوقفوا ثلاثة طوابير من الجنود في البحر كانوا مسافرين من الهند الى السويس ، فضربوا في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ الشيخ سعيد ليهدموا الابار والحصون والمستودعات فيها . ولكنهم لم يستطيعوا ، لشدة الانواء ، التزول الى الجزيرة فزلوا الى البحر ^(١) قريباً منها

(١) قد اغضب هذا الاعتداء الامام يحيى فاحتج عليه . فكتب اليه الكرنال جاكوب اللاون الاول يومئذ في دار الاتحاد يقول : ان الضرورة الحربية حلتهم على ضرب الشيخ سعيد وان ليس لهم في ذلك قصد خفي او سياسي ، وان جلاهم قريباً عن تلك الناحية يثبت ما يقول . - ملوك العرب جاكوب صنفحة ١٥٩

في حصى مدافع البواخر الحربية ، فتقهقر العدو الى داخل البلاد . ثم دمر
الانكليز قلعة ترنبه وغيرها من الحصون في تلك الناحية ، وفسدوا بعض المدافع
ففظنوا انهم اوقفوا الاتراك في الرحف على عدن . نعم ، اوقفوهم سبعة اشهر ،
فبادوا اذ ذاك الكورة على جزيرة الشيخ سعيد فاحتاوها ، ومشت جنودهم
من مأوية الى لحج بقصد الهجوم على عدن .

وكانت السلطة الانكليزية فيها قد احتاطت الامر بما لديها من قوات
الدفاع القليلة ، فامرت بنقل الحامية من عدن الى الشيخ عثمان ثم بالتقدم الى
لحج . جاء في التقارير الرسمية : « ان شدة الحرق وقلة الماء ، وقرار المجاعة
للمأجورين اخرجت الجنود في الطريق وحالت دون الفاية المقصودة » .

على ان طليعة الجيش وصلت مع ذلك الى محبتها في ذاك اليوم ونازلت
الاتراك خارج لحج قبل ان تصل الجنود اليها ، فدارت الدائرة على الانكليز ،
فتقهقروا عن لحج مهزومين ، فدمرها الاتراك في ٥ قوز سنة ١٩١٥ ودمروها .
ثم زحفوا على الشيخ عثمان فاحتاوها في اليوم التالي .

ولكن النجدة التي وصلت بعدئذ الى عدن اخرجت الترك من الشيخ
عثمان في ٢٠ قوز ، فبادوا الى لحج وتحصنوا فيها ، وظلت شروعات مهمهم في
أم القُشد والوهض ، فحاول الانكليز مراراً ان يخرجوهم منها فلم يتمكنوا
من ذلك الا بعد ان انجذبتهم عشار العرب التي استعجدها . ولكنهم لم
يستطيعوا ولا حاولوا بعدئذ ان يخرجوا الاتراك من لحج . فظالوا فيها الى
نهاية الحرب .

هذا ما وصل بالطرق الرسمية الى الدوائر الحربية في القرب من اخبار
تلك الزاوية العربية القصية ، وليس فيه كلمة عن نكبة لحج وعمال بالاسرة
المالكة وبسلطانها حليف بريطانيا العظمى . فنجت اروي الحشر كله صكا
صمته وثبتته من مصادر شتى هناك .

في السنة الثانية من الحرب اي في صيف سنة ١٩١٥ كان لدولة العثمانية في اليمن خمسة وثلاثون طاهراً ، اي نحو خمسة عشر الف جندي ، أكثرهم من السوريين . وكان منهم قسم في مأوية تحت قيادة الأمير لواء علي سعيد باشا الجركسي الذي سعى ان يضيف اليه قوة من العرب . كان سعيد باشا كريم الاخلاق جواداً ، فاجبه العرب وانضم الى جيشه بضعة الاف من الحواشب واليراقع والصبيحة^(١) فعول اذ ذاك على مهاجمة عدن ولم يكن قصده غير اشغال الانكليز هناك . وبما ان لحج ، وهي في طريقه ، سلطنة مستقلة بعث الى سلطانها يستأذنه بالمرور ويمنه بالمحافظة عليه وعلى ملكه . فاقبى السلطان علي لانه حليف الدولة البريطانية وتحت حمايتها . ما اشبه لحج والمهجرين من هذا القبيل بالبلجيك واعمالها : ليست بلادنا بدرب يجتازها المتحاربون .

خرجت جيوش سعيد باشا من مأوية وسقطت على لحج ، فاستقر سلطانها الورع بعض العشائر المجاورة فاجتدوه ، وخرجوا وهم بضعة الاف يلاقون الانراك وهم ضعفاء عدداً واضعافهم عدة . فاصطدم الجيشان قرب الدكيم ، على مسافة شرية اميال من لحج ، فانهمزم المسلمون . ولذلك اسباب ثلاثة - اولاً : لم يكن معهم من عتاد الحرب غير القليل . ثانياً : لم يكونوا على شيء من النظام . ثالثاً : لم تكنهم النجدة من الانكليز الا بعد الموقعة . وقد جاء في التقارير الرسمية ان لا يطاء تلك النجدة ثلاثة اسباب ايضاً . ولكن هناك سبباً آخر غير القبط وقلة الماء وفرار المجاعة . فقد سمعت في عدن ان الجنود الهندية عصوا يومئذ ضباطهم لانهم كرهوا ان يحاربوا اخوانهم المسلمين . والحقيقة التي لا ريب فيها انهم ابطأوا في الانجاد ثم انهزموا .

(١) وقد كتب الى الامام يحيى يطلب منه المساعدة فلم يابب الامام طلبه كما تقدم . بل ان الامام ، كما قال سعيد باشا عندما سلم الى الانكليز ، كان يراضى رايه في الزحف على عدن .

عندما دخل الاتراك لجج كان السلطان علي واسرته لا يزالون في القصر يدافعون عن انفسهم ، فاضطروا ان يخرجوا منه عندما بدأت الحجارة تنساق عليهم من الجدران التي كانت تحترقها القنابل ، فبادروا في الفسق الى الفرار ووجهتهم الشيخ عثان . اما الجنود البريطانية فكانوا قد خرجوا من تلك البلدة لينجدوا المحبسين ، فالتقوا بالسلطان واسرته تحت جناح الظلام ، فظنهم من كشافة العدو ، فاطلقوا عليهم النار ، فقتلوا عدداً منهم واصيب السلطان علي برصاصة في رجله ، فنقل الى عدن وتوفي من اثر الجرح هناك^(١)

دخل الاتراك الى لجج فدمروا قصور السلاطين ونككوا باهل المدينة ، ففر الى عدن من سلم من الاسرة المالكة وكثيرون من الاهالي . وعندما خاف السلطان عبدالكريم السلطان علياً كان من اول اعماله انه احتج احتجاجاً شديداً على حكومة الانكليز لانها لم تقم بواجب المعاهدة بينها وبين اجداده ، فقبلت حكومة لندن الاحتجاج وعزلت حاكم عدن وقائد الحامية فيها .

اقام السلطان والاميرة المالكة في عدن مدة الحرب كلها ، وهم يستعينون على الدهر بما كانت تدفعه الحكومة لكل منهم ، في حين ان املاكهم وقصورهم وبلادهم كانت في حوزة الاتراك يستعملونها ويجبرونها . حتى اصبح هؤلاء في غنى عن الامداد والتعويض من مركز القيادة الثانية في داخل اليمن . بل كانوا بعد ان استقر امرهم في لجج على شيء من اليسر وجانب من الامن والاطمئنان يستغرب مثله في ايام الحرب بين المتحاربين .

والسبب في ذلك بعد الفريقين على ما اظن عن ساحة الحرب الكبرى وعن مركز حكومتيهما . كان الجنود والضباط يسمعون ولا شك بويالات تلك الايام واهوالها ويمجدون الله لما يرونهم وبين تلك الويلات من المسافات .

(١) « انا في امانا مسرتولون عن وفاة السلطان علي الميمنة » . عارلد جاكوب في كتابه ملوك العرب ، صفحة ١٦٧

فلما امن الانكليز على مركزهم في عدن والشيخ عثمان تركوا الحج الاتراك .
ولما امن الاتراك على الحج ونواحيها تركوا عدن للانكليز . قنع كل بما ملكت
يده ، وكملت القناعة بكرم الاخلاق .

اجل ، بلنا كانت رحى الحرب تطحن الانسانية في شمالي فرنسا وغلا
الارض هو لا وقبوراً ، كان الترك والانكليز في هذه الزاوية المباركة من
اليمين السعيد يقبالان المعروف والاحسان وكان للقائد الجركسي سعيد باشا
الفضل الاكبر في ذلك بشهادة الانكليز انفسهم . اما العرب فلا يزالون
يذكرونه اليوم بالفخر والاعجاب .

قلت ان شيئاً من اليسر عاد الى الحج بعد نكبتها لان الاهالي والعساكر
شرعوا يزرعون ويشغلون ، فازدهت بالاخضرار والثمار تلك البتعة المحصنة
التي تستقي من فرعي وادي دين . اما عدن وهي في فم البركان فلا ترى
فيها ولا في جوارها ورقة خضراء . فتبادل القائدان السلام ، ثم الكلام ،
ثم : - هذه بقولاتنا نزلها اليكم كل يوم على الرأس والعين . فشكر
الانكليز الترك قائلين : وهذا الارز والسكر اكرم منها ما قبعون .
وهذه فوق ذلك السكاير . فهتف عسكر الدولة : ابجي الانكليز .

كذلك تم الصلح بين الاحلاف والدول الوسطى ، او بالحري بين مثابهم
في عدن وفي الحج ، قبل ان انتهت الحرب بسنتين . ولما اعلنت الهدنة دخل
علي سعيد باشا الى عدن ليسلم سيفه الى الانكليز ، فاستقبل فيها استقبالاً
جيداً . دخل المدينة لا كالمهزوم بل كالفاتح المنصور .

الفصل الخامس

الشدن الحديث في حلب

أثر من الأثار في تاريخ البهار - بين عدن والبحج - وفيد الزحيتين - ملايس
 النحجين الزاهية - سبو السلطان - ردهة الاستقبال - صحبة البخاري
 والاونوغراف - وزير السلطان السيد عاري الجفري يفوه بكلمة - لستر كروس
 قنصل اميركا يلقى خطاباً يفوه بمشربة كلمة وكلمة - سلطان متمدن - الموسيقى
 العسكرية تصدم بالشيخ الاميركي - ائمة السلطان - عرفة « البيلاردو » - في
 البساتين مع شاعر وساطان - اشجار لعمج - شاعر لعمج وفيلسوفها - ولي العهد
 لعمج - المدرسة الفاضلية - المدافع والاقاب - عرب الحبور - جناجر لعمج -
 البخاري والسواك وعائلة - البخاري وصندوق الزجاج - ثابوث العروة في لعمج .

كتبت بعد وصولي الى عدن كتاباً الى صاحب السور السلطان عبدالكريم
 افضل ارجب اليه في الشرفه بزيارته . وكتبت بواسطة قنصل اميركا الى دار
 الامير استأذن بذلك . فخط في اليوم التالي جواب السلطان مرحباً بي ، ثم
 جاءني بعد يومين من معاون المعتمد كتاب ضمنه اذن باسمي واسم رفيقي واذن
 اخر باسم القنصل الذي شاء ان يرافقتنا

ركبنا من محطة عدن قطاراً عسكرياً ، خطه ضيق وعمراته قديمة ، جى .
 به من الهند ، وقاطرته اثر من الاثار في تاريخ البخار . فرقصت بنا وهي
 تخرج وتفرقع في ارض سبخة قريبة من البحر ، وموت بالكلم من الملح هناك
 مستخرج منه ، ثم بواحة الشيخ عثمان بين صفوف من مقاهيها . ومنها الى دار
 الاميراي الحدود بين عدن وحلب ، ثم صدر ، فجلال ، انوبة الهراي ،
 فالخوطة . وكأها ما عدا العاصمة ودار الامير اسما ، لا كواخ من القش والابن
 يتخلها شي . من شجر الاسل واميال من القفر الذي تهب فيه رياح البادية
 وهي تحمل السوم والموت من الربيع الحالي . ويتند خط الحديد من الخوطة
 الى مكان يبعد ستة اميال عنها يدعى الحداد .

اما المسافة بين عدن والحوطة فلا تتجاوز العشرين ميلاً . اجترأنا
بسعيتين - حتى البخار يستشرق في الشرق - ووصلنا الى العاصمة بنجر وسلامة ،
فرحب بنا في المحطة ولي العهد واخو السلطان وغيرهما من القصر ، وهم في
ملابس تدهشك منها لاول وهلة الالوان الزاهية البهيجة ، ثم شكلها الذي
يختلف عن ملابس البدو والحضر في اليمن وفي الحجاز . ما ذكرني المصحفي
في فوطته المخططة التي تصل الى الركبة وعمامته الطويلة الذؤابة بغير
الاسكتلندي اذا لبس ثوب عشيرته اي التنورة الملونة والقبعة ذات الريش .

ولكن السلطان احمد وهو قائد الجيش يلبس مثل اخيه السلطان المالك
عبد الكريم ، الا ان له شغفاً بالالوان الباهرة . رأيت اول مرة في بنطالون
ابيض ضيق حول الساق ، وفوقه معطف الى الركبة اسلامبولي الشكل ، الا
انه من الحرير الازرق المخطط ، يشطره زقار وافر مشدود الى وسط الخيل ،
وفي الزنار خنجران هائلان مرصعان بالحجارة الكريمة ، وعلى رأسه عمامة
صفراء حمراء ، زرقاء ملفوفة في شكل هرمي - هي الموضة ، عند اعيان الخليج
- وطبي اضاعه ما يناقض كل ذلك اي روح عصرية حتى الكفر . سمعنا
الى السلطان احمد بعد ان نقابل سمو اخيه .

ركبنا من المحطة في سيارة اوصلتنا الى القصر فلفظ الى استقبالنا عند
الباب سمو السلطان ، وهو يلبس فوق ثيابه الافرنجية عباءة بنية ، وعمامة ملونة
هندية ، ومعه حاشيته ووزيره الاول السيد علوي الجفري . ثم صعد بنا الى
ردهة الاستقبال في الطابق الاول ، وهي رجة انيقة جليلة ، يدخل اليها نور
الشمس في جلباب من التقوى يلبسه اياه الزجاج الملون في النوافذ - وكأنه
من بيت الصلاة عند المسيحيين - وتلفظه السُجف البيضاء المخزومة كأنها من
قصر انكازي . ان في هذه القاعة مجلسين افريقياً وعربياً ، فرش الاول
غربي الشكل الا انه من صناعة الهند ، تحت زاوية منه آلة الفونوغراف ،

وفرش الثاني دواوين عربية تُقْلَمُها المساند والنوائد . وهناك بين المجلسين طاولة عليها مجلدات ضخمة هي شرح البخاري ، ذاك السفر الجليل المدهش ، الفريد في بابه ، المستاز بالشروح الثلاثة للكلمة النبوية ، اي شرح شرح الشرح . ولا يجوز ذكره بغير الاجلال كامل الاسماء ، فهو القسطلاني على صحيح البخاري ، والحارثي على القسطلاني ، والامام النووي على الحارثي . - وهوذا يا صاحب السمو المستر كروس C. M. Cross قنصل اميركا في عدن .

فرحب صحوه به واجلسناه ، اكراماً له على ما اظن ، في المجلس الاول الرسمي الذي يستقبل فيه ضيوفه الافرنج . ثم تعطف فاحلنا كلنا محل الاهل والاجباب على الدواوين العربية التي تبعدنا عن القوقوغراف وتقربنا من البخاري .

- كان قنصل اميركا السابق صديقنا يزورنا من حين الى حين . ولكم ما كان له عندنا من الحب والاكرام . قال هذا السلطان ، وكنت انا الترجمان فسررت بالقنصل لانه قليل الكلام . شكرو صحوه وسكنت . فاستلمت اطراف الحديث شاكراً ، ونشرت منها المأوف في السلام والتبجيل ، ثم المعروف من ظاهر سياحتنا ، فاوقفني عند هذا الحد كلمة من السيد عاوي شوقتم الي حديثه . وهو لطيف الابدسامة ، برآق العين ، فصيح اللسان ، يستأنس به جلسيه من مجرد النظر اليه . ولكي عرفت انه الوزير الاكبر وانه اهل لذا المقام العالي لانه مثل القنصل الاميريكي قال كلمته وسكنت . - مقاصدكم شريفة يا حضرة الفاضل وقد عرفناها .

فاضاف السلطان عبدالكريم الى ذلك كلمة اخرى لطيفة : وسيزيدنا الاستاذ معرفة ان شاء الله . زيارة مثله لا تنقضي في جلسة واحدة . ثم سألنا عن صحة المالك حسين ، فكان دور القسطنطين ، الذي اجاب بما يسر المحبين ،

ويروى بال معجزة رجل مكة الاكبر . ثم مال سموه الى القنصل فقال : يجب ان تغض النظر يا حضرة القنصل . ليس عندنا ما يليق بكم وبشرفنا في نظر الامة الاميركية العظيمة غير حبنا لكم واخلاصنا .

ترجمت الى اللغة الانكليزية هذه الكلمة وفيها جميل التواضع والالطف فادعيتني من المستر كروس جوابه الذي تجاوز الكلمتين قال لا فاض فوه : سأقل كلام سركم الى حكومتى واحب ان اقول بالاصالة عن نفسي ان في العرب فضائل كثيرة تشرفهم في نظر الامم الغربية .

هناك بعدئذ يجسن جوابه وحسن ساوكة . ومن ادري ياخراني الاميركيين مني ؟ فقد كنت اخشى منه سكرتاً بسى . او كلمة توجب الترح والتفكير . وهو مثل اكثر الاميركيين لطيف كريم في ما يفعل اكثر منه في ما يقول .

بعد ان شربنا القهوة نهض السلطان وتقدمنا الى الجهة الاخرى ، الى المجلس العربي قائلاً : هذا بيتكم . ربما انتم تعبرون . وراح يتبعه حاشيته الى داخل القصر . فجلسنا نحن الثلاثة وفي كل منا شيء يأتى السكتان .

— سلطان عربي في ثياب هندية افريقية .

— سلطان كريم حكيم .

وقال المستر كروس : سلطان متقدم .

وستدهشك من قدن هذا السلطان اشياء اخرى كثيرة . هذه مجلة عربية من مصر ، وهذه جرائد من القاهرة ومن الاسكندرية ، وهذه في ألواح الفوتوغراف اغاني مصرية وانشيد انكليزية ، وهذا يا مستر كروس النشيد الوطني الاميركي تسمعه جوقة الحج العسكرية اسررتنا بالنشيد الاميركي لانه كان من اجل آيات الترحيب والاكرام . والحق يقال ان ما من احد

يؤور الحج الأربعجب بذوق سلطانها الذي تفصح عنه مجالسه ، ومائدته ، وسباراته ، وخيله ، وكتبه . انك لقرى اشياء من الشرق والغرب مجتمعة غير متنافرة في قصور الحج ، وتجد حتى في ازالة الضرورة الطريقتين الشرقية والغربية .

فما في الاسرة ضمن الكلال ، وجلسنا والسلطان الى مائدة تعددت وتزومت الوانها ، فكان انطاعي شرقي تخدم في مطبخ تولد اوروي ، وشربنا التنيك في المداغة الهندية الشكل الطويلة القوام والي^(١) وركبنا السيارة بصحبنا ولي العهد واحياناً السلطان نفسه او اخوه السلطان احمد الى خارج البلد تشرف على بساقيتها الا ان الدهشة الكبرى كانت في غرفة « البلياردو » وفيها طاولة الكليزية كبيرة اعدت عليها ذكرى ايام كنت بهذه اللعبة هائماً بهزاً .

اما محاسن الحج ومستغرياتها فاكثرها في قصور الامراء وفي البساتين ، وللسلطان عبد الكريم عناية خاصة بالأتنين . اجل ، انك لتجد الشرق والترب مجتمعين حتى في الاشجار . فهذا التفاح الشامي في جوار القصب الهندي . ولكن الزراعة ، على اهتمام سلاطين الحج وشغفهم بها ، لا تزال في طور النشوء . مشينا صباح يوم وسمر السلطان الى احد تلك البساتين فكان اول ما اوقف النظر منا رجال يحفرون بئراً كما لو كانوا في ايام عاد وقود . فما المانع من استخدام الآلات البخارية ونفقاتها مثل لجرة العمل ان لم تكن اقل : ان ارض الحج صالحة الآبار الارتوازية . وهي مع ما يجري فيها من مياه رادي د'ين تحتاج الى هذه الآبار لان نهري الوادي يحفان في الصيف فلا تكفي الارض اذ ذاك مياه الصهاريج .

ها هنا وجدنا النقص في اسباب الزراعة واحياناً ، فان ارض الحج خصبة

(١) المداغة الارجيلة والي التريش .

جدا . ويمكن ان يزرع فيها القطن الذي رأينا قليلا منه في البساتين اذا بني سد في طرفها الكمالى على مرتفع من وادي دُيْنْ تصب مياهه في الصيف فيسقي الارض المزروعة كلها .

— اظن ما تشكوه يا مولاي من صغر ثمر العنب ناتجا عن امرين عدم التلقيح وقلة الماء .

— ولكن عبتا في حلب على صغره اطيب من عنب الهند .

والعنب اي Mango والجا . Papaya من الاشجار التي لا ترى في غير المناطق الحارة . مشينا في ظلالها الوارفة وصممه يعرفنا بما ينبت في حلب وما يزرع في البساتين .

— هذا السمر الذي يذكره الشعراء .

فقال رفيقنا الامير صالح وهو شاعر :

كأني غداة البين يوم تحملوا ندى سمرات اسلي ناقف حنقال

ومنه الشوكي العربي والاشوكي الهندي .

— وهذه شجرة تمطي قطعاً افطر من القطن ودرود الحرير نسيها شجرة

« القطن الحريري » . هي تشابه في طولها ونحوها شجر الخور .

— وهذا العُسر الذي يستخرجون منه البارود .

فقال الامير صالح : وكان عود الكبريت عند الاقدمين .

وهذا الأسل صديق الابل .

قلت : وهو شبهه السلم .

فقال الامير الشاعر :

أمن قد ذكر جيران بذي سلم مرجت دمعاً جرى من مقلة بدم

ولكن شاعر حلج وفيلسوفها ، الذي لا ينظم ولا يكتب كلمة للنشر ،
انا هو السلطان احمد فضل . قال لي ذات ليلة طال فيها السمر وما ذوى قصته :

— وما التعصب وما المذاهب كلها ؟ بلية الامم والله ونكبة الاوطان .
لو كان العرب يعقلون لعلموا ان خلاصهم هاهنا لا هاهنا « وأشار الى رأسه
ثم الى قلبه » نعم ، ان العقل — وانت يا حضرة الأستاذ ادري يا قائله شاعر
العرب الكبير ابو العلاء المعري — ان العقل مصباح الحقيقة . والحقيقة اساس
كل عمل صالح ثابت مفيد سياسياً كان ام دينياً . اما القلب فقال يا طال ،
والعواطف مضلة . هذا الزيد يغرس ثيابه وجسه في النيل لظنه ان النيل
يقيه الجهد . والظن يصح بالممارسة عقيدة . والعقيدة يشتتها الوهم . والوهم
منشأ العواطف والتصور . انا جربت النيل لما كنت شاباً فلم يدفع عني الجهد .
ولو حكم كل امرئ عقله في الامور لكان الضلال في كثير منها مثل النيل ،
ولما رأيت هؤلاء الجهال المتبيلين عندنا . وسقراهم ، سقى خيوات « كثيراً »
منهم غداً عند الزيد . قد قيل لي ان الزيد يقول اجسامهم وثيابهم حداداً
على الحسين . لا يزالون الى اليوم يحذون على الحسين ! والاجدر بنا ياستاذ
ان نخذل على العقل في بلادنا وعلى العلم .

اما السلطان احمد وهو الجندي الفيلسوف ، حاد المزاج ، شديد اللهجة
والباس ، فيجد في قلبه لا في ثيابه . كان يزورنا كل يوم وهو يحمل البناضلة
من الورد فينمش النفس منا ، كما كانت الوان ملايشه تنمش البصر ، وكما
كان حديثه ينمش العقل والامال . وهو لا يتجاوز الاربعين . له شغف بالعلوم
والفنون نادر في تلك الناحية القصية من البلاد العربية . يطالع الجرائد
والكتب والمجلات ، ويحدثك في سياسة الامم كما لو كان تويل القاهرة .
وهو من غزوة الهيد والتصوير والموسيقى ، فرحمن العزف على كثير من آلات
الطرب ويدير الجوقة العسكرية التي احمتها النشيد الاموي . ولكن منه

المتعددة لا تبعده عن الحقل والبستان، فهو مثل أخيه مزارع كبير يحب العمل في الأرض بيده . أما رأيه في المدينة الغربية فهو على شديد ترحته العربية لا يرى فيها الضرر الذي يتوهمه بعض الشرقيين .

— وما ضرتنا إذا لبنا الأفرنجي وكانت عقولنا سليمة ووطنيتنا حاذقة ؟ إذا كانت قيسية في هذه العامة وفي علم الجنية فلا كانت الجنية ولا كانت العامة ولا كنت أنا .

إن السلطان أحمد فضل هو السلك الكهربائي في حلب . وهناك السلطان الصامت مهدي بن علي ابن عم السلطان الحاكم . وقد يكون صامتاً لأنه ولي العهد الظاهر المؤيد ، وقل المقيد ، بالسياسين العذرية والاحجية ، الإنكليزية والبدلية . قلت : الظاهر ، لأن سمو السلطان عبد الكريم ، في ما يسمى إليه من الإصلاح الذي تقدم ذكره ، بأمل أن يكون ولي العهد ابنه الأمير فضل ، وهو في السادسة عشرة من العمر يتلقن العلوم واللغة الإنكليزية من اساتذة في القصر . اقترحت على السلطان أن يرسل الأمير فضلاً إلى مدرسة في سوريا أو في مصر فقال أنه يرغب في ذلك ولكن الأم لا تصبر على فراق ابنها .

— ولكننا سنحضر إلى حلب إن شاء الله اساتذة من مصر وسوريا يطوفون في مدرستنا .

هذا ما قاله لي عندما زرته ثانية بعد رجوعي من اليمن لاهته بعيد الاضحى . وقد هناك يومئذ تلاميذ المدرسة القضائية بما القوه من القوائد والمطرب قديمة الاسلوب عقيمة المعنى . أما كتب التدريس التي امر المعلمين بأن يطالعوني عليها فهي مصرية ومنها سورية وحكلا حديثه . فاستبشرت بذلك وقلت في حكمة القيتها على التلاميذ ان حلب زاوية اليمن المباركة ، وستصبح بفضل سلطانها زاوية العلم والتبذل . هذا اذا اقم ما يقصده من الاستعانة بالاساتذة والاطباء العرب يجلبهم من سوريا او من مصر .

وجبذا الانكليز عونا له في هذا السبيل . جبذا منهم المساعدة في تأسيس
مدارس وطنية تعلم فيها اللغة العربية والعلوم الحديثة . ليتهم يهتمون بالنظم
ربح اهتمامهم بالسياسة وبشكل ما يعزز جانبهم فيها . فقد ساعدوا في تنظيم
جيش لحج الصغرى ، وسهروا على ارضا . سلاميتها بما يظنونهم اكراماً كبيراً .
وما يضحك في تاريخ علانقهم السياسية والولائية انه في ١٩١٥ سنة ١٨٩٥
فهرت الحكومة ان تريد المدافع التي تطلق اسلطان لحج من التسعة الى الاحد
عشر مدفعاً . وفي سنة ١٩٠٣ منحت سموة لقب ورتبة « فارس في كوكب
الهند » . وعلم في رسائلهم يخاطبونه كما يلي : « عدة الامراء الكرام » وقدة
النجباء النظام ، سمر السلطان محبنا وصديقنا السيد عبدالكريم فضل بن علي
العبدلي صكي . سي . آي . اي . « K. C. I. E. »^(١) وهو يبادلهم هذا
الاکرام والتبجيل فيرده اليهم كلمة كلمة . او ترجمت « عدة الامراء الكرام
وقدة النجباء النظام » الى الانكليزية ، وهي تقدم اسم موظف انكليزي ،
اكانت تفكره وزارة المستعمرات . واكتها تظل مخزونة في رؤوس الكتاب
والمترجمين في دار الاعتماد .

اما العرب فلا يخفون بشل هذه الترهات وقلما يعرفونها . فهم يخاطبون
سلطانهم بقولهم : السلطان الممان او الوائد المالك . واهالي لحج من عرب
اليسن والموندن ، اهم قبائلهم بعد المبادلة العزبي واهل البان واهل سلام .
وفيهم الطحور من ناحية في حضرموت تدعى حجر قوب مكلا ، محرمهم شديدة
تضرب الى السواد ، فيظنهم السائح لاول وهلة عبيداً . هؤلاء الطحور^(٢)
يشغلون في لحج كل الاشغال الشاقة . في الحقول تجدهم وفي القصور ، يحرقون
ويجندون ويحسبون العمل .

(١) راجع الترح في صفحة ٣٧٤

(٢) جمع حجري

ان الحجري اكبر جماً واشد ساعداً من اللحي ، على ان وجه هذا ادق ملامح من ذاك ، وفيه من سياء الذكاء ما قلنا تجده في الحجري النشط الباسل . اما الثياب فالحجود يستفنون عنها كلها ما عدا الفرطة والعمامة . وقلنا تجده طبعيا ايا كان ومهما بالغ في اللبس او العري ، لا يحمل خنجراً من تلك الخناجر الرائعة المفضضة القبضة والنصاب التي تصنع في الحج . ومنها ما يكون نصايها مزدوجاً بشكل اللامين في « الله » فتظن صاحبه حاملاً خنجرين . ما رأيت في كل من يستفنون عن الثياب في البلاد العربية ويقولون بسوتهم الى السواد من هو اشد بأساً ، وارب طلعة ، من حجري يلبس عمامة كبيرة منيلة ، ويحمل خنجراً مزدوي النصاب . انه مع ذلك لتقي .

كنت وسمو السلطان في احد يماثينه خارج المدينة فرأيت الحجري يحرق الارض ، ورأيت يضي وهو واقف على صندوق كبير في الجوف فيه ماء . للقاطرة حيث تنتهي سكة الحديد . عامل من عمال الشركة يشتغل في تصليح مستودع الماء ، فأذنت الشمس بالغروب ، فترك عمله ، ووقف مكانه يضي صلاة المغرب . ان ذلك الخليل ، وان دية يستوقف العامل في عمله ليدكر الله لا اجل .

بعد أن بعد ساعة رأيت الوجه الثاني من ذا الجبال . عند رجوعنا ذاك اليوم الى القصر تناولت مجلداً من صحيح البخاري وفتحت عرضاً فاذا انا في باب المسواك والاحاديث النبوية في المسواك والشروح وشروح الشروح على الاحاديث النبوية في المسواك . أطبقت الكتاب وفتحت جزءاً آخر منه فاذا بعائشة تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعما كان يسلكه في التسل قبل الجماع وبعده في الليلة الواحدة ، فطلعتي اقرأ مذكرات احدي الخواتين الافرنسيات .

ولما جاء السلطان احمد يزورنا تلك الليلة اشترت الى ما كان من حظي

في البخاري فقال : لو قرأته كله كما نقرأه نحن في شهر رجب لكان حظك احسن . ثم قال : البخاري يا حضرة الاستاذ مثل صندوق زجاج يحيننا من اوروبا ، صندوق كبير ، كبير جداً ، فيه ست كؤوس او ستة قناديل ملفوفة ، مدفونة ، في قنطار من القش . هذا هو البخاري .

لست اذكر الان اذا كانت الكلمة هذه للسلطان احمد او للشيع علي رضا السروي الطرابلسي ناظر الجمارك في السلطنة الاحجية . كلاهما عريق في الحكمة وحرية الفكر والتساهل الديني . الا ان علي رضا ، مثل السلطان مهدي ، سكوت لا يجب الظهور . وقبلما يعرض فكره في غير مجلس الالفة والاطمئنان . كان من حظي ان اجالسه غير مرة ، وان له ولابن اخيه عبدالنبي الرافعي فضلاً علي بعض المعلومات في الفصلين الثالث والرابع من هذا القسم من الكتاب .

الفصل السادس

النواحي التسع الخمسة

مبدأ العناية في السياسة الانكليزية - المعاهدات الولائية - الهندان او الهندان - دور الرلا والعطاء - ولا بأس بالعطاء - دور الحماية - ولا بأس بالشكاية - لا بأس على قتلان في منصبه - التضيعة - آل فضل او الفضلي - العوائق - قور لا دين لهم - الواحدي - عرب لا يعرفون القرآن ولا النبي - انموذ - اليراقم حولتان مستثناتان - سلطان اليراقم السفل يعني من الانكليز زيادة في المشاهدة ولتبا وتيفان - سلطان اليراقم العليا لا يعني من الانكليز غير النعم والهجران - العلوي - القبطي - الخواشب - العقارب - اقدم السلطات واصغرها - الفاضل - سياسة الامار يعني - الشيخ الاخرم يعني - الزيرد يطلعون للمدافع - ارحيبا - الامار يقتدي بالانكليز - الرلا - نر العطاء - نر الاستيلاء .

ان السياسة الانكليزية جسم حي يشهده الساسة الانكليز بالقربة ويساعد في غره الزمان . وانك لتيقن ذلك في كل قضية مهمة ، خارجية كانت او داخلية ، اذا اطلمت على تاريخها . فقد اعربت في الفصل الاول من هذا القسم عن سياستهم في عدن وكيف نشأت وتطورت ، وازيد القارىء علماً في هذا الفصل الاخير ببعض جزئياتها .

بدأ الانكليز عند احتلالهم عدن بمقدون والمشارع عهوداً بسيطة تضمن لهم الهدنة في الاقل ريثما يجتهد التجدد . وتدعى هذه العهود صداقة وولا . اول من عاهدهم من العرب عشيرة الغزيبي التي هي اليوم من عشائر الحبح . والمعاهدة هي آية في البساطة والايجاز . فبعد ذكر اسماء الفريقين تقول :

هذه معاهدة بين الانكليز والغزيبي . نحن الان اصدقاء . ونتعهد بالسلم والولا . قلوبنا وبياتنا واحدة . الامان الدائم على عدن وطينا نتعهد به امام الله . واذا اخذ الانكليز احداً من مشائرتنا او اخذنا احداً من الانكليز فلا يؤذى المأسور او يهان .



في سنة ١٨٣٩ عقدوا مثل هذه المعاهدة مع اليرافع من المنطقة السفلى من بلادهم ومع الخواشب وغيرهم ، والقاعدة السياسية فيها كلها واحدة : الولاء ثم العطاء ثم الاستيلاء . فقد تدرجوا من المعاهدة ذات البند الواحد الى المعاهدات الطويلة ، وفيها كلها نجد اليوم البند الاول المهم الذي يفيد الامير او السلطان او الشيخ بالانكليف دون سواهم من الامم . اذ لا يحق له ان يفاوض او يرسل دولة اخرى ، او يماهدها ، او يقبل مساعدات مالية او غير مالية منها بدون معرفة بريطانيا العظمى واجازتها .

والبند الثاني اهم من الاول :

لا يحق لقلان « الامير المعاهد » ان يبيع او يؤجر او يهب او يوهن شيئاً من ارضه او ملكه لغير الحكومة البريطانية .

وفي بعض المعاهدات يجمع البندان في بند واحد شامل وهو :

يتعهد قلان « الامير المعاهد » في مقابلة مساعدة مالية ان لا يتنازل عن شيء من ملكه لغير الانكليز ، وان يدعن لما توجه السياسة الانكليزية ، وان لا يقبل مساعدات مالية او غير مالية من دولة اخرى .

واذا اخل باحد هذه البنود يقطعون عنه الراتب الذي شرعوا منه ذلك الحين يحضرون به المتعاهدين . كانت هذه الرواتب تاذية في البداية تتراوح بين عشرة ريالات والمئة ريالاً في السنة الى كل امير ، ثم نشأت تردد مع السياسة والمصلحة حتى اصبحت الان تتراوح بين الخمسين والاربعمئة روبية كل شهر . اما سلطان حلب ، وهو كما تقدم اكبر المتعاهدين ، فشاهرته تزيد على الثلاثة الاف روبية .

هذا دور الولاء والعطاء . ولكن الانكليز كانوا يتدخلون في بعض الاحايين في شؤون اصحاب المشاهرات ليصلحوا مثلاً بين صديقين متخاصمين

من اصدقائهم ، فيورثهم التدخل مسؤولية توجب عليهم الاستمرار . فيستبدون
مصلحين ويكتسبون ما لا بد منه من عداء احد المتخاصمين . يقيمون الحدود
بين الفريقين ، فيتصبون العمد البيضاء الفاضلة ، فيجني من لا يرضى بتدخلهم
غنائم نفسه مغبوناً ، ويرفع تلك العمد بل يكسرها ، فيقوم جاره الذي رضي
بالصلح ، صالح الانكليز ، ويدافع عنها ، فيعاديه ثانية ويقاذه ، ويستنصر
عليه اصدقاء الانكليز ، فيضطرون ان ينصروه بالسياسة والمال وبالرجال
ايضاً يعززون في الاقل كلمتهم ويثبتوا نفوذهم . فينتج عن ذلك كله تلك الحاية
التي لم تكن كما يقول بعضهم من مقاصدهم السياسية الاولى . وانكناك
تذكر ايها القارئ ما كتبه مجلس ادارة شركة الهند الشرقية الى الممثل
الانكليزي الاول في عدن^(١) . هوذا الجسم السياسي الحلي الذي يساعد في
غوه الزمان .

انتقلنا من دور الولاء الى دور الحاية فاصبح الانكليز حلفاء صديقهم
الامير العربي والمسؤولين عن استقلاله وسلامته ملكه . قد تطول مدة النشوء
كما في تاريخ الياقوت مثلاً الذين عاهدوا الانكليز سنة ١٨٣٩ عهد صداقة
وولاء ، ولم يعقدوا معهم المعاهدة التي امسوا بوجيها تحت حمايتهم الا بعد
خمس وستين سنة . وكان الدور السياسي يوجب على الساسة اكثر ما يتعمدونه
في البداية ديمون اليه . فالانكليز في عدن لم يبقوا عند حد التدخل لاصلاح
ذات البين بين امير وامير ، بل تجاوزوه الى التحزب السياسي الذي اشترت
اليه في فصل سابق . خذ البرهان من هذه العبارة التي تذكر في التقارير الرسمية
التي يرفعها الممثل الى وزارة المستعمرات :

« ان لنا يداً على فلان في منصبه فقد نصرناه على من كان من

اسرته ينازعه الامارة » .

أما الذين عاهدوهم من العشائر وساعدوا في تقسيبهم إمارات وسلطات
وبسطوا الحماية الانكليزية عليهم ، فهم يقطنون البلاد التي تدعى النواحي
التسع الحبية أي الجهة الجنوبية من اليمن الأسفل . وهالك اسماءها وبعض ما
علمته من الثقات عنها .

الصبيحة

النقطة المركزية عدن . فإذا نظرنا غرباً منها نرى قسماً من بلاد الصبيحة
التي تمتد على الساحل من رأس عمران حتى باب المندب . والصبيحة عشائر
متعددة منها العظيمة والجرفي يحكمها الشيخ والمقال حكماً بدوياً . وهم
مشهورون بالقوة والقدرة ، يُقدر عدد من يحمل السلاح فيهم بعشرين ألفاً .
على أن لا سلطان لهم ولا زعيم كبير ليجمع شملهم أو بالحري شرهم . وليس
لشائخهم وعقائهم مشاهرات معلومة . لكنهم يحضرون إلى عدن شكل ثلاثة
أشهر مرة أو يرسلون أقاربهم ليقضوا الأكراميات التي تقاوح بين الحميين
والملة وروبية ، وبعضهم يتناولها بواسطة سلطان لحج .

آل فضل أو الفضلي

وإذا اتجهنا من عدن شرقاً ونزلنا أمامنا مئة ميل من الأرض ممتدة على
الساحل من حدود المبادلة « لحج » الشرقية عند أم السُّد إلى حدود العوالق
الشرقية في المقاطن - والبلدان على البحر - تحيط بذلك آل فضل ، الذين هم
أقوى العرب وأشدهم حول عدن شرقاً بشمال منها . فإن لسلطانهم عبدالقادر
بن حسين الفضلي عسكرياً من قبيلته الخاصة ، وعنده من الشرقيين إلى الثلاثين

الفا يحملون السلاح^(١) اما عرب الفضلي فن البدو ، وهم ذوو بأس ومرؤة ، يسارعون الى النجدة ويذهبون دائماً في القتال . ويظهر ان السلطان عبدالقادر يوجب مثل زميله الصدي في توسيع ملكه ، فقد طلب من الانكليز سلاحاً ومدافع فلم يلبوا طلبه ، والملائق بينه وبينهم متأخبة في هذه الايام بيد انه لا يزال يقبض المشاهرة وهي اربعة روية ، ولا يزالون يوجبون به بقسمة مدافع عندما يشرف عدن .

العوالي

هم جيران آل فضل على الساحل ، وبلادهم اصغر النواحي التسع ، مساحتها مئة ميل وربع شرقاً ومثلها شمالاً . وهي تقسم الى قسمين العوالي العليا والعوالي السفلى . اما الاولى فيحكم اليوم قسماً منها السلطان صالح بن عبدالله العوالي ومركزه في الانصاب . ويحكم قسماً آخر شيخ يبادل بل يفوق السلطان صالماً قوة ونفوذاً ومركزه يشوم . وهناك بلد اسمها العرقه وميناء هو الحوزة يحكمها شيخان مستقلان الواحد عن الآخر ، ومستقلان ايضاً عن شيخ يشوم وسلطان الانصاب .

في العوالي العليا آثار حميرية كثيرة ما اكتشف غير اليسير منها وفيها متايخ وعلماء يؤثرون المال على الاستقلال ، ويمسكون في مقابلة ما يتقاضونه من المشاهرات لتوسيع النفوذ البريطاني في بلادهم . بيد ان ليس بينهم وبين عدن غير معاهدة ولا عقدت سنة ١٩٠٣ .

اما العوالي السفلى فاهلها اصدقاء . الانكليز منذ سنة ١٨٥٥ حين عقدوا معهم عهد ولا . على ان يمنع السلطان دخول الرقيق من افريقيا الى بلاده .

(١) يتبع هذا الفصل لائحة في المشاهرات كلها وما يستطيع ان يسمده كل سلطان من اللقائل وقد يكون الفرق شاملاً بين عدد من يستطيعون حمل السلاح وعدد المسلحين .

ولكنهم مع صداقتهم للانكليز واختلاطهم ، وهم على ساحل البحر ،
بالاجانب ، فلا يزالون على شيء يروع من الوحشة . وفيهم قبائل لا يعرفون
الديانة الاسلامية ولم يسموا بالنبي محمد . وهم يتزوجون بدون عقد نكاح
مثل عرب الجاهلية ، وينسكحون اخواتهم وزوجات اباؤهم ، ولا يصومون
ولا يصلون . سألت مرة في دار الاعتاد عما اذا كانت السياحة في بلادهم
ممكنة فاجابوا : نعم ، اذا كانت لا تمسك حياتك .

ان سلطان العوالي السفلى الحالي ابي بكر بن ناصر مشاهرة صغيرة لا
تتجاوز المئة روية . اما عدد من يستطيع حمل السلاح في هذه الناحية الكبرى
فيقدر بثلاثين او اربعين الفا . ولكن عدد من يستطيعون التحجيد هم لا يتجاوز
الثلاثة الاف .

الواحد

ثم جيران العوالي شرقاً بشمال ، عاصمة بلادهم حبان ومينازها المعروف
بالصاف ، وسلطانها علي بن محسن له مشاهرات وليس له مدافع تكريم
وترحيب . ذاك لان عربائه يبدو بخلاف عربان العوالي وامراتهم ، ينفرون
من الانكليز ويحاولون الثفلت من ربة الحماية التي اوتقوا بها منذ سنين .
والغريب العجيب في هذه الجهة من اليمن الاسفل ان حبان ، وهي بلدة قديمة
ذات ماض موصوف بالعلم والادب ، ويشبوم ، وفيها اليوم عدد من العلماء ،
لا تبعدان خمسين ميلاً عن العوالي السفلى التي لا يزال فيها من العرب من لا
يعرفون القرآن والنبي . اما النواحي الاخرى فلالاسلام ولسلالة النبي السادة
والاشراف مكانة عالية فيها . واكل قبيلة سيد يسمى منصب هو رئيسهم
الروحي فيأخذ منهم النذور ، ويحكم بينهم ، ويستغاث به وبكبار اجداده .

العوازل

إذا عدنا من بلاد الواحدي غرباً فاجتازنا بلاد العوازل عند الخط الرابع عشر شمالاً من خط الاستواء. نصل إلى الدلتنة بلاد العوازل البدو، وهي في ملتقى الأودية الثلاثة رُفُوح وذُرَى ومروان، تربتها خصبة، ورجالها أشداء. كانت الدلتنة في الماضي عاصمة التمرد و«ديرة» العصيان، فقد رفض العوازل الحماية الإنكليزية، وحاربوا الجنود الذين صدروا من عدن اليهم فمزموهم وردوهم خاسرين. ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا التخلص من النفوذ الاجنبي لأن جيوشهم العوازل اصدقاء الإنكليز وانصارهم. قيل لي ان يوم خرجوا على السلطة البريطانية انتقم الإنكليز من المقيمين منهم في عدن فاجابوهم عنها بالسياط.

اليوافع

إذا واصلنا السير غرباً عند الخط الرابع عشر من الأرض وقطعنا وادي الرقوح غر بالطرف الجنوبي من الجبال البيضاء، وهي بلاد خصبة فيها بضعة انهار واهلها موالون للإنكليز. ثم ندخل في بلاد اليوافع وفيها كما يقال سبعون ألف مقاتل وعدة «شيخات» مستقلة خلا الساطنتين العليا والسفلى. هي مثل العوازل تقسم إلى قسمين. اما اليوافع السفلى فأكثر اهلها من البدو وهم منذ سنة ١٨٣٩ اصدقاء الإنكليز مخلصون لهم. ويظهر ان اليوافع ثابتون في العداء. ثباتهم في الولاء. فقد كان بينهم وبين جيوشهم آل فضل عدا. منذ ١٨٧٣ استمر عشرين سنة ثم بسطت الحكومة البريطانية حمايتها عليهم سنة ١٨٩٥ فازالت ذلك العداء القديم او كاد. ولكن سلطان اليوافع السفلى محسن بن علي نائم على الإنكليز اليوم لانهم رفضوا ما طلبه من

الزيادة في المشاهدة ، وهو يعني فوق ذلك لقباً يصبحه نيشان ومدافع ترسيب
مثل الزملاء والحيوان .

أما سلطان اليوافع العليا فضل بن محمد ومرسكزه الخوطة فلا علاقة له
بالانكليز ولا فضل لهم عليه ، ولا هو يعني منهم غير البعد والهجران .
هؤلاء اليوافع مثل العبادة أكثر عرب النواحي التسع ثروة وقادراً ، فيهم من
التجار من تتصل تجارتهم بالهند والجزائر في البحر الهندي وبينهم رعاة
العبادة نسب وقرابة . وأهل اليوافع العليا يفاخرون اقوامهم وجيرانهم
باستقلالهم كل الاستقلال فيقولون : لم يدخل ولن يدخل اجنبي الى بلادنا .
أما حكومة عدن فكانت قد عثت في الماضي احد مشايخ عربان الشيب
ليحافظ على عمود الحدود هناك براتب شهري قدره سبعة ريالات .

العلوي

هم من العشائر التي لم تسكن حكومة عدن من ضبطهم واستدراجهم
الى الموالين المحسين . فلم يكن بينها وبينهم منذ سنة ١٨٣٩ حتى سنة ١٨٩٥
علائق رحمة ، ولكنها كانت تدفع المشاهرات الى شيخهم بواسطة جارهم
الى القرب سلطان الخواشب . ثم عقدت معهم مهادنة شبيهة بالمهادنات التي
عقدت مع جيرانهم ، اما الحماية او الولاء او الصداقة فلا تزال احمية . وكذلك

القطيبي

وهم مثل الصبيحة قوم غزاة . كانوا في الماضي يغزون الضالع والعلوي ،
ويتقاطعون القوافل رسوماً ، ويقطعون عند الحاجة الطرق . ثم دخلوا في
صف المتعاهدين اصحاب الاعاشات ولكنهم اوا الحماية ، ودار الاعتماد لا

تركبن اليهم . لما شيخهم اطالي الشيخ محمد صالح الاخوم شيخ بلاد القطيب
والاجمرد فقد قاوم الزيد عند ما زحفوا منذ ثلاث سنوات على النواحي
التسع ينفون الاسيلاء عليها كلها . ثم صالحهم لان دار الاعباد لم تقدمه بالمساعدة
الحربية والمالية التي كان يطلبها ، وصار من عمال الامام يحيى فضره
الانكليزي . وقد يجمرون بسيفه العلويين وغيرهم من المحبيين . اما

الحواشب^(١)

جوان القطيبي وطح والصبيحة فهم والغربي اول من عقدوا مع الانكليز
معاهدات . ويجاريون مع من « بلا كنفهم قروش »^(٢) عندهم من الحاسة الى
الشرين الف مقاتل كما يقال . وسلطانهم اليوم محسن بن علي بن مانع . هو
الذي كان ولي العهد عندما زنا اياه في المسيير .

المقارب

قبل ان نتقدم شألاً لنختم هذا الفصل يجب ان نعرف القارى . باقدم
السلطات المستقلة واصغرها ، اي سلطنة المقارب ذات القبيلة الواحدة
والبر الواحد . المقارب فعند من المبادلة اعلنوا استقلالهم في العقد السابع
من القرن الثامن عشر ، اي حين اعلنت الولايات المتحدة الاممية استقلالها .
وهي مثل تلك الولايات لا تزال مستقلة عزيزة ، بل هي فريدة في بابها لا
زادت عدداً ولا نقصت ، ولا كبرت ولا صغرت . اهلها قانعون بقصة الجبار
فيهم يحسون شتاتهم وكنيتهم في يد احمد مدينتهم الوحيدة بل بلادهم

(١) راجع الفصل الثاني من القسم الثاني صفحات ٩٧ الى ١٠٠

(٢) اشارة الى الكلمة المأثورة في تلك النواحي اوردها بلقهم : « لا تافجة حد
ولا حد دولتي سلطاني من ملاكني قروش »

اجماء ، فيعيون فيها طمحين . وما اشبههم بين الانكليز والصليبية والعبادة بملكة اكسبور قبل الحرب بين المانيا وفرنسا والبلجيك . ولكن الحرب قضت على اكسبور ، ودمرت طنج ، فقربت من سيطرة بيد احمد ولم تمسها بشي . من الضرر والويل .

الضالع

ينقلنا البحث في هذه الناحية من الجنوب الى الشمال ، ومن سياسة الانكليز الى سياسة الامام ، لانها تدخل في منطقة اليمن الاعلى ، وعي في الطريق الى صنعاء شحاً لا بغرب من بلاد العلوي ، وفيها قبائل متعددة . كان يحكمها الامير نصر بن شايف الذي اجتمعنا به في طنج يوم كنا هناك لأن الزيد كانوا قد احتلوا الضالع واخرجوه منها . ولا عجب اذا استعاد الامام يحيى هذه المناطق التي كانت سابقاً من ملك اجداده . قد قيل ان اجداد مشايخ الضالع من المولدين ، كان اباؤهم من عبيدة اليمن ، ثم استقلوا في طليعة القرن الماضي واقاموا منهم اميراً عليهم .

قد احتل الزيد بلاد القطيف والاجعود ايضاً ، ووصلوا الى الجبال البيضاء ، فشرعوا يفتشون الدعوة الامامية وينصبون حوائل السياسة والاستيلاء شرقاً وجنوباً حتى بلاد اليوافع وآل فضل . وقد كان الشيخ محمد الاخرم اول من وقع في خباياهم ، اول من اتبع الهدى .

دعاه الزيد الى الضالع باسم السلم والامام فبلى الدعوة بعد ان خذله الانكليز كما تقدم . ولما دخل البلد اطلق الزيد من اجله ، اقتداء بحكومة عدن ، اربعة مدافع ترحيباً واکراماً ، فترنح الشيخ ورفع الادعية للحضرة الامامية بصنعاء ، فعيته الامام امير الخيش في القطيف والاجعود ، واختصه براتب شهري ، وربع العشر من زكاة تلك المقاطعات ، وبالف قدح من

الذرة ، واربعة عشر من الزيد الاشوس ليستمع النواحي العاصية
ويدخلها في طاعة الامام . ولم يكن الشيخ الاخرم ليقبض من الانكليز غير
مئة روبية كل شهر . فهل يلام اذا ولي وجهه شطر صنعاء وعاد الى قديم
الشيعة والولا . ٧

ان حضرة الامام ، اذا تأمر على هذه الحطة ، لمن الفاترين بها يبيغ من
الانكليز . فهو يقتدي بهم فيحاربهم في اليمن الاسفل بتلك السياسة التي
هي عندهم رأس اسباب السيادة . الا وهي سياسة الولاء والعطاء ثم
الاستيلاء . وتراء لا يقصر حق في الجزاء والاصكرام ، فيرفع الى المناصب
العالية المشايخ والمقال ، ويدفع لهم المشاهرات ، ويمنحهم فوق ذلك مجزء
من التركة . اي دهاء الانكليز ، ان عندنا المدافع ايضاً نطلقها مرجحين ،
باخواننا المسلمين ، ابناء اتباعنا الاقدمين .

الرواقب الشهيرة وجيوش الزواحي المحمية

الراتب الشهري ، ما يستطع ان يحمله

روية	من الجنود	
٣٢٨٠	٢٠٠٠	السلطان عبدالكريم فضل بن علي سلطان حلب
٣٦٠	١٠٠٠	عبدالقادر بن حسين الفضلي سلطان شقرة
٢٥٠		صالح بن عبدالله العلواني سلطان الموالي ألمانيا
٣٥٠	٣٠٠٠	الشيخ حسن بن فريد العلواني شيخ
١٥٠		محسن بن دويس
١٦٠	١٠٠٠	السلطان ابو بكر بن ناصر سلطان الموالي السلي
٢٠٠		السلطان محسن بن علي سلطان بني قاسد
٨٠		صالح بن عمر
٨٠	٣٠٠٠	الشيخ سالم بن صالح بن عاتق جابر شيخ بني بلاد باقع
١٠٠		ابو بكر علي شيخ للوسطه
٥٠		محمد علي محسن
٨٠		عبد الرحمن المفلحي شيخ المفلحي
٥٠٠	١٠٠٠	السلطان محسن بن علي بن عاتق سلطان الحواشب
٣٠٠	١٠٠٠	الامير نصر بن شايخ امير الضالع
١٠٠	٥٠٠	الشيخ محمد صالح الاخرم شيخ قبيلة القطيب
١٠٠	٥٠٠	عبدالله العلوي
٦٠٥٠	١٣٠٠٠	

ولاصحاب هذه المشاهرات اكراميات ايضاً ، يتناولها بعضهم كل سنة اشهر مرة وبعضهم كل سنة ، تتراوح بين الثلاثة والالف روية . وهناك آخرون من المشايخ والعلماء تخصهم عدد بشاهرات واكراميات صافية . اما السلطان عوض بن عمر القعيطي سلطان مكلا في حضر موت فيستطيع ان يحشد الفتي جندي ، ولكن مشاهرة احمية ، وهي ستون روية لا غير ، لان آل القعيطي ذوو ثروة كبيرة في حضر موت وفي الهند .

(تم الجزء الاول)

فهرس الاعلام

ملاحظة

- تدل على وجوب تعداد الأرقام ما بين الرقمين - مثلا ١ - ٥ يعني ١ ٢ ٣ ٤ ٥
او ان هذه الكلمة وردت في اكثر الصفحات الواردة بين هذين الرقمين

- حرف الالف -

آري ٣١٩	ابن حميد الدين (القاسم بن يحيى) ١٤٨
اب مدينة ٨٠ ٩٥ ١٠٥ ١٠٧ - ١١١	ابن حميد الدين (محمد سيف الاسلام بن يحيى) ١٤٨
١١٩ ١٥١ ١٨٨ ٢٣٥ ٢٣٧	ابن حميد الدين (الطاهر بن يحيى) ١٤٨
ابراهيم باشا الشريف بن محمد ٦٢ ٢٩٤	ابن حميد الدين (الامام يحيى) راجع يحيى
٣٨٨ - ٣٨٩ ٢٩٥	ابن حميد الدين امام اليمن
ابراهيم (حافظ) ٣١١ -	ابن ذي جند ٣٧٥
ابراهيم الخليل ٢٧٠	ابن زيدون ٢٣٦
ابن ابي طالب (الحسن بن علي) ٦٢ ١٠٣	ابن شافى (نصر) ٤٢٧ ٤٢٥
١٤٤ ١٤٦	ابن صالح (الشيخ سالم) ٤٢٧
ابن ابي طالب (الحسين بن علي) ١٠٣ ١٤٦	ابن عباس قرية ١٦٩ ٣٥٠
١٤٤ ٢٩٤ ٣١٠	ابن العربي ٢٧٤
ابن ادريس (السيد احمد) ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٨	ابن علي بن سعيد (الشريف حسين) ٢٩٥
٢٨٩ - ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٤ ٣٠٠ ٣٠١	٢٩٦
٣٠٣	
ابن ادريس (قتادة) ٦٢	ابن يحيى جبران (موسى) ١٤٤
ابن ادريس (السيد محمد بن احمد) ٢٩٦	ابن - حصن - مدينة ٢٩٨ ٣٣٧ ٣٤٢
٢٩٧ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥	ابو بكر (الخليفة) ١٤٤
ابن جرير (سليمان) ١٤٤	ابو جازود ١٤٤
ابن جعفر الصادق (ابا عيل) ٢٣٨	ابو جندب القندي ٤٤
ابن حميد الدين (السيد احمد بن محمد) ١٤٨	ابو حنيفة قرية ٣٤٩
ابن حميد الدين (الحسين بن يحيى) ١٤٨	ابو حنيفة (الامام) ٢٧٦ ٢٧٧
ابن حميد الدين (القاسم بن محمد) ١٤٤	ابو سعد - جزيرة ٤٠٣ - ٤١٠ ٤١١

أبو عريش ١٤٠ ١٤٥ ٢٢٠ ٢٨٧ ٢٩٤ -	أحمد ٢٩٧ ٣٠٣
٢٩٦ ٣١٦	الأدرسي (السيد عبد الوهاب) ٣٠٣ ٣٠٤
أبو الدلاء المري ١١ ٨١ ٨٤ ١٣١ ٢٧١	الأدرسي (السيد علي بن محمد بن أحمد) ٣٠٣ ٢٩٨ ٢٩٧
٤١٠	الأدرسي (علي بن محمد بن علي) ٣٠٣
أبو مته بلد ٢٢٠	الأدرسي (محمد بن علي) ٣٠٣
أبو قطنة ٢٩٥	أبو التواس ١٥٩
أبو هادي (شيخ مشايخ الفقهاء) ١٩٦	أبين بلد ٣٧١
الأجمود ١٩٧ ٢٠١ ٢٢٤ ٢٢٥	أحياد قلعة ٧١ ٧٠
أحمد بن حسن (الإمام المهدي) ١٤٤	أحمد بن حنبل (الإمام) ١٥٩
الأحدية طريفة ٢١٠ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٣	٢٩٤ ٢٩٦ - ٢٩٨ ٢٨٧
الأخزم (الشيخ محمد صالح) شيخ الفطيب	٤٢٥ ٤٢٦ - ٤٢٧
الأخطل ٤٤	الأخوان ٥٦ ٥٥
الأذابة ٢٢٠ ٢٧٨ ٢٩٤ ٣٢٠ ٣٤٠ ٣٥١	الأدرسي (السيد حسن بن علي) ٣٠٣
الأدرسي (السيد حسن بن محمد) ٣٠٢	الأدرسي (السيد السنوسي) ٢٩٧ ٣١٩
٣٠٣	٣٢٥ ٣٢٦
الأدرسي (السيد العابد السنوسي) ٣٠٣	٣١٥
الأدرسي (السيد عبد الرحيم) ٣٠٣ ٣٠٤	الأدرسي (السيد عبد العزيز) ٣٠٣ ٣٠٤
الأدرسي (السيد عبد المتعال بن محمد بن	٤٠٧
إسرائيل) ٥ راجع بيود ٥	إسرائيل ٣٧٨ ٣٧٩

٢٧٠ ٢٧٨ ٢١٢	٢٥٤ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧
إيطاليا - إيطالي - إيطاليون ٧١ ١٤٦	- ٢٧٩ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٦ ٢٩٦ ٢٠٨
٢٠٥ ٢٠٩ ٢٠٩ ٢٩٩ ٢٠٥ ٢٢٢ ٢٢٢	٤١٤
٢٤٨ ٢٨١ ٢٩٥	الإوقيانوس الهندي ٧١
أيوب الصديق ٢٩٤	أويس القرني ٢٩٣
	إيران - أبرائي - إرانيون ٢٦٧ ٢٦٨

- حرف الباء -

٢٣٩ مدينة بدر	باب المنجب ٢٧١ ٢٩٩ ٤١٩
١٦٢ ٥٩ ٥٨ ٥٥ ٥٣ ٤٦ ٤٦ ٢٩ ١٨ (البذور)	باجل ١٩١ ١٩٥ - ١٩٧ ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٤
٢٩٤ ٢٠٠ ٢١٠ ٤٠٥ ٤١٩ - ٤٢٢	٢٣٦ ٢٤٧ ٢٥٢ - ٢٥٥ ٢٦٤
بدر الروس ٥٨ ٥٣	٢٨٧ ٢٠١
براع جبل ٢٢٠	بارت (الميجر) ٢٠٧
البرققال - برتقالي - برتقاليون ٣٠٨	باديس ٥٩ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٥٥
برنت (رتشرد) ١٢	بالمالمة (إسماعيل) ١٠٥ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠
بركهارت (جان) ١٢	بالمستون (الورد) ٣٨٨
بروتستاني - بروتستانيون ١٧٣ ٢٢٠	بان قبيلة ٤١٢
بريد ١٣	بهادور (محمد شريف خان) ٢٦٩ -
بريطانيا العظمى - الحكومة الإنكليزية -	٢٧١ ٢٠٨
بريطاني - بريطانيون ٢٦ ٢٧ ٢٧ ٢٧	البحاح قرية ٢٥٠
- ٦٩ ٧١ ٧٢ ٧٥ ٧٦ ٨٤ ٨٧ ٨٩ ٩٣	البحر الأبيض ٦٨
١٦٨ ١٩٢ ١٩٤ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٠ -	البحر الأبيض ٣٠٩
٢٠٢ ٢٢٢ ٢٥٧ ٢٦٧ ٢١٠ ٢٣٤ ٢٣٤	البحر الأحمر ٢٨ ٤٣ ٧٠ ٨٠ ٢٠٥ ٢٠٦
٢٣٥ ٢٣٥ ٢٦٢ ٢٦٤ ٢٧٢ - ٢٧٤	٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢
٢٧٦ ٢٨٦ ٢٩١ - ٢٩٨ ٢٩٨	٢٥٤ ٢٧١ ٢٨٧
٤٠٠ - ٤٠٢ ٤١٧ ٤٢٠ ٤٢٢	البحر السافى ٨٠
البرشي شيرة ٤١٩	البحر العربي ٢١ ٢١٠ ٢٧١ ٢٧٦ ٢٨٧
البيستاني (سليمان) ٥٧ ٢١١	٢٩٣
البنشور ٦١ ٦٦	بحر القزم ٦٨
البصرة ١١ ٦٩ ١٤٦	البحرين ٢١ ٢٢ ٢٧٥

بنو مرارة ٢٣٩	بدان جبل ١٢٥ ١٠٧ ١٢١
بنو مردان ٢٢٠	بنداد ١٦ ٣٧٥
بنو مطر جبل ٨٠	الباوم قبيلة ٥٨ ٥٣
بنو مطر قبيلة ١٢٠	بكيك قبيلة ٨٠ ١٢٣ ١٢٦ ١٢٧ ١٥٩
بنو ناصر ٢٨٣	١٩٤ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٩٨
بنو نبي ٣١	البلجيك ٦٠١ ٢٣٥
بنو هلال ٢٢٠	بلحاف ميناء ٣٧١ ٤٢١
البنيا او البنيان ٣٧٧ ٢٧٠	براك ٦٠
البحرة (فرقة من الاسماعيليه) ٢٣٩	بلشني - بلشنيون ٢٥٨
بوذا - بوذي - بوذيون ٢٦٧ ٢٧٠ ٢٧١	بلقراف (وليم) ١٢
بورت سودان ٨٨٧٠	عباي ٥١
بوعان جبل ١١٩ ٢٢١ ٢٢٥ ٢٢٩ -	البلجياب مقاطعة ٢٦٧
٢٣٢ ٢٣٢	بنو اسلام ٨٠
بنت النقية مدينة ٨٠ ٢٣٩ ٢٥٧ ٢٦٥	بنو بشر ٨٠
٢٨٦	بنو حسن ٦٢
بير احمد مدينة ٤٢٤ ٤٢٥	بنو ثقف ٢٨
بير العرب ١١٩ ١٢٢ ١٢٧ ١٥٢ ١٨٥	بنو سعد ٣٨ ٣٩ ٢٢٠
بيرقن مضيق ٢٢١ ٢٢٢	بنو سقيان ٢٨
بورت ١٢ ٥٦ ٩١	بنو عيسى ٢٢٠
بيكو (جورج) ٧٢	بنو غسان ٣٢٠
بيطرس ٨٥	بنو لومي ٥٨

— حرف الثا —

١٥ ٢٦ ٤٢ ٦١ ٦٤ ٦٥ ٦٧ ٧٠ ٧٢	ناجورا وسلطانها ٣٥٦ - ٣٥٨ ٣٥٩
٨١ ٩٥ ١١٠ ١١٦ ١١٣ ١١٧ ١٢٦	النازي (الشيخ عبدالوهاب) ٢٧٨ - ٢٨٥
١٣١ ١٣١ - ١٣٦ ١٤٠ ١٤٣ ١٤٥ -	٢٩٠
١٤٨ ١٥٣ ١٥٣ ١٦٠ ١٨٢ ١٨٦ ١٨٨	نيسنج (بن ابي بكر) ١٥٩
١٩٠ - ١٩٤ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠١ ٢٠٦	نبوك ٢٢
٢٠٨ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨	نوبه قرية ٥٨ ٥٥ ٢٥٢ ٢٠٠
٢٢٦ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٥١ ٢٥٩ ٢٦١	الترك - تركي - اترك او الدولة التركيه

٢٤٦ - ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٤ - ٢٥٦ ٢٦٢	- ٢٩٨ ٢٩٦ - ٢٩٤ ٢٨٧ ٢٩٢ -
٢٨٦ ٢٨٢ ٢٧٨ ٢٧٤ ٢٦٨ ٢٦٦ ٢٦٥	٢٤٠ ٢٢٢ ٢٢٠ ٢٢٧ ٢٢٥ ٢١٨ ٢٠٠
٢١٦ ٢٠٤ ٢٩٦ ٢٩٦ - ٢٩٤ ٢٨٨ -	٢٩٩ ٢٩٥ ٢٩٤ ٢٩٢ ٢٩١ ٢٨٨ ٢٤٤
٢٤٧ ٢٤٥ ٢٢٠ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٤ ٢١٧	٤٠٢ -
٢٨٨ ٢٨٧ ٢٦٢ ٢٦٠ ٢٥٦ ٢٥١	٢٨٦ ٢٠٨ ١٤٠ ١٠٧ ١٠٢ ٨٠
التوامي ٢٨٨ ٢٨٦	التسنية قرية ٢٤٩
توفيق باشا ١٤٥ ١٤٦ ٢٩٦	خامة ٨٧ ١١١ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٧ ١٩١ ١٩٤
	٢٠٦ ٢٠١ ٢١٢ ٢٢٨ ٢٤١ ٢٤٤ ٢٤٢ ٢٤٤

- حرف الجيم -

٢٧١	جاكوب مارلوك (الكرنل) ١٩١ ١٤٧
الجفري (الشيخ غلوي) ٤٠٤ - ٤٠٦	١٩٢ - ١٩٧ ٢٠٠ ٢٧٤ ٢٨١ ٢٩٩
جلال بلد ٤٠٤	٤٠٢
جمال باشا ٦٨ ٦٧	الجامعة الاميركية ١٢٩
جنيق ٢٢٥	جاوه ٢١٠ ٢٥٢
جوزج الخامس (ملك الانكليز) ١٩٥	الجاوي ٢٦٧ ٢٦٨
٢٧٤	جدة ١٧ ٢٨ - ٢٢ ٢٤ ٢٧ ٤١ ٤٢ ٤٤
جورج (لويد) ٢٢٦ ٢٧٢ ٢٧٢	٥٠ - ٥٩ ٦٢ ٦٦ ٦٧ ٧٠ ٧١ ٧٣
جهينة قبيلة ٢٨	٨٨ ١٢٤ ١٢١ ١٢٢ ١٢٤ ١٥٠ ١٥٦
الجوف ٢٧٢	٢٠٠ ٢٤١ ٢٥٠ ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٦٢ ٢٥٦
الجون لاموسن ٦٢	٢٧٢
جينيوتي مدينة ٢٤٧ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٨١ ٢٨٢	جرجي الساساوي ١٣٠ ١٥٢ ٢٠٢
جيزان ٢١ ٢٤ ١٦٨ ١٩٤ ٢٠٦ ٢٠٠	الجريدي (الطريرك) ١٢
٢٠٧ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٦ ٢٢٤ ٢٢٨ ٢٧٨	الجزائر ٢٨٢ ٢٢٣
٢٠٢ ٢٠٤ ٢١٢ ٢١٥ - ٢١٧ ٢٢٢	الجزويت ٢٠٨
٢٢٢ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩	جزيرة العرب ١٥ ١٧ ٢٩٥
٢٢٤ - ٢٢٦ ٢٢٦ ٢٩٥	جغفر - جغريون ٢٨ ٢٢٠ ٢٢٧ ٢٤١

عنتي - حنقون ٢٧١ ٢٦٧ ٢٨	٢٧٢ ٢٧٠ ٢٧٢ ٢٧١ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٠ ٢٧١
حروا ٦٣	٢٧٢ ٢٧١ - ٢٧٢ ٢٧١
الحواشب أو السلطنة الحوشية ٩٢ ٩٢ -	حقات جبل ٢٢٧
٢٠١ ٢٠١ ٢٠١ ٢٠١ ٢٠١ ٢٠١ ٢٠١ ٢٠١	حالب ٧٢ ٧٢ ٦٨
٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	حما ٧٢ ٧٢
الحوارقة قبيلة ٨٠	حذان قبيلة ٨٠ ٢٢١ ٢٢٢
الحورة مينا ٢٢٠	الحمر ١٥
الحوطة عاصمة الحج ١٢١ ١٢١ - ٢٢١ ٢٢١	حزوة (الشيخ) ٢٢٥ ٢٢٢ - ٢٢٢ ٢٢٢
٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	٢٥٠
الحويطات قبيلة ٢٨	حجن ٧٢ ٧٢
الحيمة ١٢١ ٢٢٨	الحسوي (ياقوت) ٢٢
	حجير - حيرية ١٨٠ ١٨٦ ٢٢٦ ٢٢٠

- حرف الحاء -

الحندق قرية ٩٦	الحداد قرية ٢٠٢
الحدير قرية ١٢٦	الحرمه قرية ٥٨
الحوية قرية ٢٥٠	الحضر أبو عباس ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٥
الحوطة قرية ٢٠٥	٢٩١
حوران بلاد ٨٠	الحطيب (قواد) ٢٩ ٢٩ ٢٩ ٢٩ ٢٩ ٢٩ ٢٩ ٢٩
الحيام (عمر) ٨٢	حايج فارس ٦٨
	الحليل ابراهيم (راجع ابراهيم الحليل)

- حرف الدال -

دالين ٩٢ - ٩٢ ٩٢ ٩٢ ٩٢ ٩٢ ٩٢ ٩٢	دار الأمير قرية ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢ ٢٨٢
الدائنة لائحة ٢٢٢	داود (التي) ٢٢٢
دجلة نهر ٦٨	الداودية (فرقة من الاسماعيليه) ٢٢٥
دروين ١٠٣	٢٢٢ ٢٢٨
الدكيم قرية ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢	الدباغ (الشيخ عبدالمزير بن مسعود) ٢٢٨
دمشق ١٢ ٢٢ ٢٢	٢٨٠ - ٢٨٥ ٢٨٢ ٢٨٥ ٢٩٠

دقنة - دقلي - دقليون ٣٠٢ ٣٤٢ ٤٤٦ | الذهب ٣٧٢
دوطي (شارلس) ١٣

- حرف الذال -

الذبياتي ٤٤
ذري وادي ٤٢٢
ذقار قبالة جبل ١١٩ ١٣٠ ١٥١
ذمار مدينة ٨٠ ١٠٥ ١١٠ - ١١٢ ١١٥
الذهب وادي ١٠٥ ١٠٧ ١١٠
ذو حنين قبيلة ٨٠ ٢٦٣
ذو محمد قبيلة ٨٠
ذوو حنين قبيلة ٢٨ ٥٣ ٥٨

- حرف الراء -

رائب باشا ٩٤
رأس مهران ٤١٩
الرائعي (عبدالغني) ٤١٤
الريع الحالي ٤٠٤
ريعة فرع من بني عدنان ٢٠
الريسي (السيد يحيى بن الحسين القاسم)
١٤٧ ١٤٨
الرشيد (الشيخ ابراهيم) ٢٧٨ ٢٨٧
الرشيدية طريقة ٢٧٨ ٢٨٧
رضا (الشيخ علي) ٤١٤
رضراض جبل ١٢١
رضوان (محمد طاهر) ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٤٦
٢٤٤ ٢٥٤
رقوع وادي ٤٢٢
روبرتس (ادوين) ٢١

رودس جزيرة ١٧٠
روزفك (ثودور) ١٥
الروس - روسيا ٢٥٨ ٢٢١ ٢٢٢
روما - روماني - رومانيون ٥٣ ٥٧ ٨٩
١٤٢
الرومي (جلال الدين) ٤٦ ٥٢ ٢٧٤
روثوف باشا ٣٩٥
الرويس ٣٩٩
رويس (الشيخ محسن بن) ٤٢٧
الرياض ١٢ ١٦ ١٧ ٢٢
الريحاني (امين) ٤٧ ٨٧ ٩١ ٩٣ ١٠٣
١٢٤ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢ ١٣٥ ١٤٦ ١٨٩
١٩٠ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢١
ريبي (الماخر) ٨٤ ٨٧ ٩١
ريه جبل ٢٢٥ ٢٢٨

- حرف الزاي -

١٢٧ ١٣٠ ١٢٧ ١٢٤ ١٢٣ ١٢١ ١١٥	زبازة (السيد محمد علي) ١٢٤ ١٢٣ ١١٩
١٣٩ - ١٤١ ١٤٦ - ١٤٨ ١٥٠ ١٥١	٢٢٤ ١٨٨ ١٧٧ ١٣٧
١٨٢ ١٧٤ ١٧٣ ١٦٤ ١٦٣ ١٥٨ ١٥٥	زيد مدينة ٨٠ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٨٦
١٨٣ ١٨٥ ١٨٧ ١٩١ ١٩٢ ١٩٦ ١٩٨	الزواني قبيلة ٢٥٤ ٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٣
٢٠٣ ٢٠٦ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٢ ٢٣٨ ٢٤٢	٣٦٥ ٣٥٠
٢٤٦ ٢٥١ ٢٥٥ ٢٦٠ ٢٦٣ ٢٦٦ ٢٦٧	زغلول (سيد باشا) ٢٦٣
٢٩٤ - ٢٩٦ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠٢ ٣٣٠	زعزم بئر ٤٠
٣٤٥ ٣٥١ ٣٧١ ٣٧٦ ٣٨٤ ٣٩٢ ٤١٠	زيد بن علي (امام الزيدية الاول) ١٠٠
٤١٥ ٤٢٤ ٤٢٦	١٤٠ ١٣٣ ١٥٦ ٢٢٨
الزيدية ٨٠ ١٤٢ ١٤٤ ١٧٤ ١٨٤ ٣٥١	زيد بن حسين بن علي (الامير) ٣٠ ٥٣
٣٥١ ٣٦٥	٥٨ ٦٠ ٦٧ ٧٠ ٧١ ٣٦٥
الزيدية قرية ٢٩٧	زيد زبوز ٢٨ ٩٤ ٩٨ ١٠٠ ١٠٣ ١٠٥

- حرف السين -

السناف (الشيخ محمد علوي) ١٧١	سان قرنسبسكو ٣٢١
السكون ٣١١ ٣٨١	سياء ٢٢٦
سكوت (الجفال) ٨٤ ٢٠٧	السباعي (محمد) ١١
سلام قبيلة ٤١٢	ستورس ٦٨
سلطان القافوني (سلطان تركيا) ١٤٥	سردود وادي ٢٥٤
السلطانية (فرقة من الاساطيلية) ١٤٤ ٢٢٩	سر كسي (سليم) ١٥ ٤٧
سبازة جبل ١٠٥ ١١٠ ١١٩	سريخ جبل ٢٣١
سمرقند ١٢	سريخ عشيرة ٢٢٣
سبحان جبل ١٢١	سعود بن سويد (سلطان مسقط) ٢١
السنوسي (الشيخ محمد) ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٩٧	سعود الكبير (الامير) ٢٩٥
٢٩٨	سعيد (علي باشا الشركسي) ٩٥ ١٩٢
السنوسية طريقة ٢٨٥	٣٩٩ ٤٠١ ٤٠٣
السنة - سني - سنون ٢٨ ٨٠ ١٠٦ ١٠٩	السناف (السيد احمد) ٥٩

٤١١	٣٧١ ٢٨٢ ٢٢٠ ١٩٥ ١٥١
سوق الحبش قرية ٢٣١	شام وادي ٢٥٤
السويس ٦٨ ٣٧٦ ٣٩٩	السواكين (محمد المجذوبي) ٢٨٥
سويسره ٢٣٠ ٢٣١ ٢٤٦	السودان - سوداني - سودانيون ٨٢ ٢٤٢
سيوريه ١١	٢٥٠ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٧٥ ٢٨٥ ٢٨٨ ٢٩٤
سييريا ٢٢١	٢٩٧ ٢٩٨ ٣٠٢ ٣٠٤ ٣٢٩
السيد بلاد ٢٢٠ ٢٤١ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٨	السوده ١٤٨
٣٤٠	سوريا - سوري - سوديون ١٠ ٢٣ ٢٤ ٢٩
سيف (طاهر بن محمد) ٢٣٩	٢٣ ٥٦ ٥٩ - ٦١ ٦٤ ٦٥ ٦٧ ٦٨
سيكس نيكو معافه ٧٢ ٧٥	٧٢ - ٧٤ ٧٦ ٨٢ ٨٨ ١٢١ ١٢٣ ١٢٤
سيكس (الكرنل) ٧٣	١٩٤ ٢٦١ ٢٦٧ ٣١١ ٣٨٦ ٣٨٧ ٤٠١

- حرف الشين -

شعوان جبل ١٢١	الشاذليه ، طريقه - الشاذليون ٢٨٣ ٢٨٥
الشعب ناحية ١٩٧ ٢٠١ ٢٢١ ٢٢٣	الشافعي - الشوافع ٢٨ ٨٠ ٩٨ ١٠٦ ١٠٩
الشعره ٣٧١	١١٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٨ ١٢٩
شقيز (نعوم) ٨٢	١٥١ ١٨٣ ١٩٢ ١٩٥ ٢٠٣ ٢٠٦ ٢٢٠
شمر قبيله ١٢	٢٤٦ ٢٥٤ ٢٦٠ ٢٦٦ ٢٦٧ ٣٠٠ ٣٧١
شنقيط - شنقيطي ٢٧٩ ٢٢٦ ٣٢٦ ٣٤٠ ٣٤٢	٣٨٤ ٣٩٢
شماره جبل ١١٩ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٤٦	الشام ٤٠ ٥٩ ٦٠ ٦٧ ٧٢ ٩٥ ١٢٢ ١٢٤
١٥٢ ١٩٢ ٢٣٥ ٢٢٧	١٢٣ ١٩٢ ٢٤٩ ٢٦٣ ٢٦٥ ٢٢٠
شوقي (احمد) ٣١١	شام جبل ١١٩ ١٢١ ٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٠
الشيخ سعيد جزيره ٨٥ ٣٩٩ ٤٠٠	٢٢٨ ٢٣٩ ٢٤٩ ٢٤٩
الشيخ صالح قرية ١٠٦	شراره ميدان ١٨٥
الشيخ عثمان قرية ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٩٠ ٣٩١	شرق الدين بن شمس الدين (الانام)
٣٩٩ ٤٠٢ ٤٠٤ ٤٠٤	١٤٤ ١٤٧
الشبراوي (الملا حسين) ٥٢	شرقي ٣٢٨ ٣٢٩
الشيعة - شيعي - شيعيون ٢٨ ٦٣ ٩٨ ٢٢٠	شرق الاردن ٢٨ ٣٧٢
٢٨٢ ٣٧١	شركه الخلد الشرقيه ٣٨٣ ٣٨٧ ٣٨٩

الطويل (الشيخ قارون) ٢٩٨ ٢٠٢
الطويلة - جبل ٢٣٨

طه ١٣٣
الطويل (الشيخ محمد) ٥٢

- حرف الظاء -

ظفار جبل ١١٠ | ظفر القصب جبل ١١٠

- حرف الميم -

٩١ ٣٦٩ ٣٧٥ ٣٨٤ ٣٨٨ ٣٨٨ - ٣٩١

٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٩ ٤٠٢ ٤٠٤ ٤٠٦

٤٠٨ ٤١١ ٤١٢ ٤٢٧

عبد المجيد (سلطان تركيا) ٣٨٨

عبدية خان ٦٢

العمراية ١٨٦

حصن عتارة ٢٣٨ ٢٣٨ ٢٣٩

عتيبة قبيلة ٢٨

العتيبة الدواة ٦٣ ٦٧ ٢٠٧ ٢١٢ ٢٥٨

٢٩٨ ٣٨٨ - ٣٨٨ ٣٦٩ ٤٠١ ٤٠٢

العجم - عجيبة ٨٤ ١٣١ ١٩٠

عدين ١٧ ٢٠ ٢١ ٢٣ ٨١ ٨٣ - ٨٨ ٨٦

٩١ ٩٣ ٩٥ ١٠٠ ١٠٣ ١٠٤ ١١٠ ١١٣

١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ - ١٣٠ ١٣١

١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩

١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧

١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥

١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣

١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١

١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩

١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧

عائشة ٣٩١ ٤٠٤ ٤١٣

(العارض ١٢)

العبادلة قبيلة ٢٨ ٢٢ ٢٧١ ٣٨٩ ٣٩١

٣٩٢ ٣٩٤ ٤١١ ٤١٢ ٤١٩ ٤٢٣ -

٤٢٥

عباس حاكمي (خديوي مصر) ٤٦ ٤٩

عبال ١٩٥ ٢٤٢ - ٢٤٦ ٢٤٦ ٢٥١ ٢٥١

عبد الله بن حسين بن علي (أمير شرقي)

(الاودن) ٢٢ ٢٣ ٥٥ ٥٥ ٦٢ ٦٧ ٧٠ ٧١

عبد الله بن الوزير ١١١

عبد الله (الشريف) ٦٢

عبد الحميد (سلطان تركيا) ٢٦ ٥٠ ٦١

٦٥

عبد العزيز آل فيصل آل سعود (سلطان نجد)

١٦ - ١٩ ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢ ٢١٢

٢٦٥ ٢٩٥ ٣٠٢ ٣٢٥ ٣٢٧ ٣٣٧

٣٣٨ ٣٤٠ ٣٤٢ ٣٤٢ ٣٧٢

عبد القادر العبدي (السلطان) ٤٢٠

عبد القادر بن محسن القاضي (سلطان شبره)

٤١٩ ٤٢٠ ٤٢٧

عبد الكريم فضل (سلطان الحج) ٨١ ٨٦ -

الملاوي (الشيخ عبد الله) ٢٢٧	٢١٥ ٢١١ ٢٠٦ - ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠
الملاوي عثمان ٢١٥ ٢٢٣ - ٢٢٥	٢١٨ - ٢٢٠ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٥
علي (الشيخ أبو بكر) ٢٢٧	عدنان ٢٠ ٢٢٦ ٢٢٠ ٢٢٥
علي بن أبي طالب (الامام) ٢٢٨ ١٢٦ ٢٢٣	المراق او الحكومة العراقية - المراقبون
٢٩٤ ٢٩١	٢١٠ ٢٥٣ ٢٤٦ ١٦٤ ١٤٤ ١١٢ ٦٢
علي بن الحسين بن علي (امير مكة) ٢٢٣	٢٨٢ ٢٧٤ ٢٢٣
٧٠	المرائن بلدة ٢٢٨
علي بن مانع (سلطان الخواشب) ٩٦ ٩٤	العرب غلبت هذه الكلمة أكثر صفحات الكتاب
٩٩ -	العرشي (القاضي عبدالله) ٨٨ - ٩٠ ٩٢ -
علي بن محمد (داعي المكارمة) ٢٣٩	٩٤ ١٠٣ ١٠٧ ١٢٣ ١٢٤ ١٦٨ ١٩٨
علي بن محمد (سلطان الواحدي) ٢٢١	٢٠٨
علي بن محمد بن عبد الله بن عون (الشريف) ٦٢	المرفقة بلد ٢٣٠
علي بن الوزير (امير جيش الامام) ٩٤	المريف قرية ٢٣٩
١٠٢ ١٠٤ ١٠٨ ١٢٧	عزيت باشا ١٢٠ ١٢٦ ١٩٢ ٢٩٥
علي رضا (الحاج زين) ٥٢ ٥١	المريني عشيرة ١١٢ ١١٤ ١٢٤
علي رضا (الحاج عبدالله) ٥٤	عزير ١٨ ١٩ ٢٨ ٧٤ ٧٥ ٩٨ ١٠٥ ١١٧
صان ١٩ ٢٢ ١٣٥ ١٤٤ ٢٠٥	١٢٤ ١٢٧ ١٥٢ ١٦٨ ١٩٠ ١٩١ ٢٠٣
عمر (الخليفة) ١٤٤	٢٠٥ - ٢٠٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٤ ٢٢٦
عمر (السلطان صالح بن) ٢٢٧	٢٥٥ ٢٥٨ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٣ ٢٨٨
العسري (القاضي عبدالله) ١١٩ ١٢٣ ١٧٥	٢٩٤ - ٢٩٨ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣١٧
٢٢٣ ١٧٧ -	٣٥٧ ٣٥٨ ٣٦٥ ٣٦٩ ٣٧١ ٣٧٤ ٣٥٥
عشيرة بلد ١٢	٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٧٤ ٣٨٧
المواذل عشيرة ١١٥ ١٢٢	عشائر جبل ١١٩ ١٢٠
المواثق قبيلة ٢٠١ ٢٧١ ٣٩٧ ٤١٥ ٤١٩	عصر جبل ١٢١ ٢٢٥ ٢٢٦
٢٢٢ -	المطيني عشيرة ١١٩
المواثي (الشيخ محمد بن رويس) ٢٢٧	المناريب عشيرة ١١٥ ١٢٤
المواثي (الشيخ محمد بن فريد) ٢٢٧	المقبة ٢٢ ٢٨ ٢٢٠
عون (الشريف) ٦٢ ٦٣	المقبة (في اليمن) ٢٢٥
عون (الشريف محمد بن) ٢٩٥	الملا ٥٤

- حرف القين -

عليوم (امبراطور الالماني) ١٥٥	القدير ٣٨٨
نمدان قمر ١٢١ ١٥٠ ١٥٢ ١٧٧	غزاي (السيرادوارد) ٧٣ ٧٢
النميس (من بني قريش) ٣٨	الغزالي (الشاعر) ٢٧٤ ١٣١
فوا ٣٠٨ ٣٠٩	غليقة ميناء ٢٦٣

- حرف الفاء -

فضل بن عبد (السلطان اليرافغ) ٢٢٣	الفارسي - الفرس ٥٢ ٢٢٠ ٢٦٦ - ٢٦٨
فضل (السلطان احمد بن) ٣٩٢ - ٣٩٥	٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٧
٢٩٧ ٢٩٥ ٢٠٨ ٢١٠ ٢١١ ٢١٣ ٢١٤	(فارض) (الشاعر) ١٣١
فضل (الامير) ٤١١	فاس مدينة ٢٧٨ ٢٧٩
فضل الدين (الذكور عبد) ٢٢٢ -	الفاطمي (الملك) ٢٣٨
٢٢٤ ٢٥٧ ٢٦٦ - ٢٦٩ ٢٧١ ٢٧٢	فنجي بك ١٢٩
٢٧٤ ٢٧٥ ٢٠٦ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٢ ٢١٣	النجري (القاضي عبادق) ٢٢٨
٢١٩ ٢٢٦ ٢٢٣ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨	الغارات ٦٨
٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٦ - ٢٢٨ ٢٣٠ ٢٣٢	فرسان جزيرة ٢٩٩
٢٥٩	فرماي ٥٨ ٥٩
فضل (السلطان علي بن حسن بن) ٣٩٢	فرنسا او الحكومة الافرنسية - افرنسي
٣٩٦ ٢٠١ ٢٠٢	- افرنسيون ٩ ١٠ ٢٤ ٢٧ ٥٩ ٧١ -
فضل (السلطان حسن) ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٦	٧٣ ١٣٢ ١٣٦ ١٤٤ ١٨٢ ١٨٤
فضل (السلطان علي بن) ٣٩٢ ٣٩٤	١٩١ ٢٠٣ - ٢٠٥ ٢٥٧ ٢٦٧ ٢٦٧
فلسطين ٧٣ ٧٤ ٢٥٩ ٢٧٠	٢٥٤ - ٢٥٦ ٢٧٢ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٨١
فيصل بن حسين بن علي (ملك العراق)	٢٨٧ ٢٨٩ ٢٠٣ ٢١٣ ٢٢٥
١١٢ ٧٠ - ٦٧ ٦٢ ٦٠ - ٥٨ ٥٣ ١٨	فروق بلد ٦٢
فيضي (احمد باشا) ١٢٠ ١٢٥ ١٢٦	(الفيكة) ٣ - ١٥ ٢٤ ٢٥
الفيدين ٢٧٨	فضل (عائدة آل) ٢٧١ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢٥
	٢٢٢ ٢٢٥

- حرف القاف -

القبطي ناحية ١٩٧ ٤٠١ ٤١٥ ٤٢٣ ٤٢٤	قابل (الشيخ سليمان) ٥٢
قمطية ٨٠	قابل (عبدالقادر) ٥٢
القبطي (آل) ٤٢٧	قاسم (ابن الامام يحيى) ١٢٨
القبطي (حزب) ٣١٢	قاسم (الشيخ) ٥٧
القبطي (السلطان عوض بن عمر) ٣١٢	القاهرة ٤١٠ ٤٠٧ ٣٩٥ ٣٩٢
٤٢٧	القجرا ١٩١ ١٩٥ - ١٩٧ ٢٤٦ ٢٥٤
القفاي ٢٧٨ ٢٩١ ٢٩٢	٢٦٣ ٢٦٤
القلم (بحر) (راجع بحر القلزم)	قحطان ٢٠ ١٥٩ ١٧٤ ٢٢٦ ٣٢٠ ٣٧٥
قوان جزيرة ٤٠ ٤٢ ٤٤ ٤٦ ٤٨ ٣١٠	القدس ٦٨
٣٥٨	القرامطة ١٤٠ ١٤٥
القفلة ميناء ٢٨ ٦٠ ٢٩٥ ٢٩٩	القرشي (محمد بن عبدالله) ١٢
القارحي ٢٦٩ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٢ ٣١٤	قريش قبيلة ٢٨ ٣٥ ٣٨ ٢٢٦
٣١٧	القصم ناحية ١٢
القروان ٢٩٧	قمار ناحية ٢٢
	القطيبي ٤٢٤ ٤٢٥

- حرف الكاف -

الكسانتي ١١	الكاثوليكون ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ٣٠٨ ٣٢٠
كدي ٢٧١	كامل قرية ٢٣٧
الكعبه ١٦ ١٨ ٣٥ ٣٧ ٤٥ ٦٢ ١١٢ ٣٧٢	الكبيسي (احمد بن يحيى) ١٦٣ ١٧٠ -
كدره بلد ٢٩٨	١٧٢ ١٧٦ ١٩٠ ١٩٩ ٢٢٤
كال (مصطفي) ١١٩ ١٢٩ ١٣٦	كنشتر (اللورد) ٦٧
كبيون (مقبر فرنسا) ٧٣	الكثيري (حزب) ٣١٢
الكوفة ١١ ٢٦٦	كرد علي (محمد) ١٤
كوكبان جبل ٢٣٠	كرزن (لورد) ١٣٦
الكويت ٣٧٢ ٣٧٥	كرابل (طامس) ١٠
	كروس (قنصل اميركا) ٤٠٤ ٤٠٦ ٤٠٧

- حرف الالام -

اللاجبة ميناء ١٦٨ ١٩٢ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٢٠	لاروك ٢٧٢ ٢٧٥ - ٢٧٧
٢٢١ ٢٢٠ ٢٢٧ ٢٢٩	لاهور مدينة ٢٦٧
لقم جبل ١١٩ - (٢٢) ٢٢٦	لبنان - لبناني - لبنانيون ٩ ٢٤ ٢٠٤
لكسيور ٤٢٥	١٠٧ ١١٠ ١١٩ ١٢٢ ١٢٠ ١٢١ ١٢٤
اللكسة قرية ٢٢٩	٢٢٩ ٢٢١ - ٢٢١ ٢٥٤ ٢٦٧
لندن ٥٤ ٥٩ ٦٠ ٧٢ ٧٣ ٨٧ ١٩٦ ١٩٨	الحج او السلطنة اللاهيجية - الحجى - الحجيون
٢٠٧ ٢٢٥ ٢٤٠ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٩٨	٨١ - ٨٣ ٨٦ ٨٧ ٨٩ - ٩٤ ٩٧ ٩٨
لورنس (الكرنال) ٦٨ ٤٢	١٠٣ ١٠٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢٤ ١٢٧ ١٢٨
لوزان ٢٨٦ ٢٨٧	١٩١ ١٩٢ ٢٠١ ٢٠٨ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٠٢
الليث بلد ٥٨	٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٥ ٢٧٩ ٢٨٤ ٢٨٦ ٢٨٨
ليته وادي ٥٠	- ٢٩٠ ٢٩٥ ٢٩٧ - ٤٠٥ ٤٠٧ -
	٤١٥ ٤١٧ ٤١٩ ٤٢٤ ٤٢٥

- حرف الميم -

٤٢٧ ٤٢٢	مارب ١٤٨
محسن بن علي بن مانع (سلطان الحواشب)	ماروفي - موارقة ١٠٣ ٢٦٧
٤٢٧ ٤٢٤	ماسينيون (لويس) ١٨٤
محسن (السلطان فضل بن علي بن)	مالي - مالكيون ٢٦٧
٢٩٧ ٢٩٤	ماوية قرية ٨٠ ٨٩ ٩٠ ٩٣ - ٩٥ ١٠٨
محسن (الشيخ محمد علي) ٤٢٧	١١٠ ١١١ ١٢٠ ١٥١ ١٨٨ ٢٢٢ ٢٢٤
محمد بن ابو غني ٦٢	٢٣٧ ٤٠٠ ٤٠١
محمد بن عبدالمعين بن هون (الشريف)	المنني ٤٤
٢٩٥ ٦٢	مننة قرية ٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٣
محمد علي باشا ٢٨٦ - ٢٨٨	مستوح حصن ٢٣٩
محمد (الذي) ١١ ١٢ ٢٨ ٥٦ ٥٧ ٦٤ ١٠٤	المجيدري ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٩٠ - ٢٩٢
١٢٤ ١٢٨ ١٨٦ ٢٢٢ ٢٢٨ ٢٧٥ ٢٨٣	مسن (الشريف) ٧٠
- ٢٨٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٥١ ٢٥٦	مسن بن علي (سلطان الشواف السفي)

الوكد ٢٤٩	مور نحر ١٢٩
ميدى ١٦٨ ٨٠ ٢٢٠ ٣٠١ ٣١٢	موشه وادي ٢٣٧
٣١٧ ٣٤٠ ٣٤٣ - ٣٤٦ ٣٥٤ ٣٥٧ - ٣٦٠	موسى (بن يحيى بيران) ١٤٢
	الموصل ٧٣ ٦٨

- حرف النون -

غلان وادي ١٠٥ ١٠٧ ١٢١	الامر (الشريف) ٢٨٣ ١٧١
ندم (محمود بك) ١٣٤ ١٩٢ ١٩٦	ناصر (ابو بكر بن) (سلطان العوالق
القرارية (فرقة من الاسماعيليه) ٢٣٨	السفلى ٢٢١ ٢٢٧ .
النصارى ١٨٢ ١٨٣ ١٨٥ ٢٧٠ ٢٧١	ناصرية ٢٨٣
نصيف (الشيخ محمد) ٥١	النو شبيب جبل ٢٢١ ٢٢٨ ٢٣٤ ٢٣٧
النصاني (عارف) ٥٤ ٥٣	نجد ، البلاد النجدية ١٤ ١٧ - ٢٠ ٢٢ ٥٥
النور ١٣ ١٤	٥٨ ٧٤ - ٧٦ ٨٥ ١٢٢ ١٩٢ ٢٠٩
النساوي ١٤٨ ١٥٤	٢٢٩ ٢٣٦ ٢٤٢ ٢٤٧ ٢٥٥ ٢٥٧ ٢٦٤ ٢٦٧
قربة الخزانى قرية ٤٠٤	٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٤ ٢٧٨ ٢٨٨
نيويورك ٩ ١٠ ١٢ - ١٤ ٢٠ ٢٩ ٣٠ ٨١ ٢٢٣	نجد الاجر (بقعة ارض) ١٠٧
٨٨ ٨٩ ١٢٥ ١٢٨ ٢٣٨ ٢٤٠ ٢٤٢	نجران ٨٠ ١٨٩ ٢٣٩
٢٢٢	النجف - النجفي ٣٦ ١٤١ ١٨٤

- حرف الهاء -

٢٦٦ - ٢٧١ ٢٩٨ ٣٠٨ - ٣١٥ ٣١٥	الحاشية - الحاشية ٥٥ ٢٥ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤
-----------------------------	---

- حرف الواو -

وادي العين ٣٥١	وسل جبل ٢٣٥ ٢٣٧ - ٢٣٩ ٢٤١ ٢٤٨
الواحد عشر ٤٢٢ ٤٢١ ٤١٥	وصاب بلد ٢٨٦
واشطنون (جورج) ٣٢٠ ٣١٥ ١٣٦ ١٣٠	وعلان قرية ١١٩ ١٢١
واشطنون الناصبة ٨٧ ٨٣	الولايات المتحدة ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢٤
وثني - وثنيون ٢٦٧	ونجت (رودجيك) ٦٧ ٧١
وجنام وادي ٢٤١	وماني - الوعاية - ومانيون ٥٨ ٢٨٢ ٢٩٤
الوجه ميناء ٥٤ ٢٨	٣٩٥ ٣٠٥ ٣٤٠ ٣٢٢ ٣٢٢
وزوه جبل ٩٤ ٩٤	الوسط قرية ٤٠٠

- حرف الياء -

اليابان ٣٨٠ ٣٢١	اليمن - يفي ١٧ ١٩ ٢٠ ٢٠ ٢٤ ٢٧ ٢٨ ٨٠ -
اليافع - البواقع قبيلة ٢٠١ ٣٧١ ٣٨٣ ٣٩٧	٨٨ ٨٦ - ٩٤ ٩٢ - ٩٨ ١٠٠ - ١٠٣ -
٤٢٥ ٤٢٣ ٤٢٢ ٤١٨ ٤١٧ ٤١٥ ٤٠١	١٠٥ - ١٢٠ ١٢٤ - ١٢٩ ١٢٦ -
يام قبيلة ٢٣٩	١٣٥ ١٣٧ ١٢٠ ١٢٢ - ١٢٤ ١٢٧ -
يحيى بن حميد الدين المتركلى على الله (امام	١٤٨ ١٥٠ ١٥١ ١٥٣ - ١٥٨ ١٥٥ -
اليسن) ٨٨ ٨٦ ٨١ ٧٩ ٧٨ ١٩ ١٨ ١٧	١٦٦ ١٦٨ ١٧٠ ١٧١ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٢ -
٨٩ ٩١ ١٠٦ ١١٢ ١١٤ ١٣١ ١٣٤	١٨٥ - ١٨٨ ١٩٣ - ١٩٧ ٢٠٠ -
١٢٣ ١٢٥ - ١٢٨ ١٥١ ١٥٩ ١٦١	٢٠٢ - ٢٠٨ ٢١٠ ٢١٣ ٢٢٠ ٢٢١ -
١٧١ ١٧٦ ١٧٨ ١٩٢ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٠	٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٣٢ - ٢٣٤ ٢٣٢ -
٢٠١ ٢٠٤ - ٢٠٦ ٢١٠ ٢١١ ٢١٥	٢٤٤ - ٢٤٦ ٢٤٨ ٢٥١ - ٢٥٨ ٢٥٥ -
- ٢٢١ ٢٢٢ ٢٥٥ ٢٦٤ ٢٦٥ ٣٠٢ ٣٢٢	٢٦٦ - ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ -
٢٢٥ ٢٢٧ - ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٦	٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ -
٢٦٦ ٢٦٧ ٢٧١ ٢٨٠ ٢٩٤ ٢٩٥	٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١

٤٠٦	٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
١٦٩ ١٥٤ ١٥١ ١٥٠ ٨٠ - يهودي	١٠٦ - ١٠٤ ٩٩ ٩١ ٩٠ ٨٨ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
٢٣٩ ٢٢٠ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ - ١٨٢	١٦٨ ١٦٦ ١٥٦ ١٣٨ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
٢٧٧ ٢٧٦ ٢٧١ ٢٧٠	٢١٥ ١٩٠ ١٨١ - ١٧٨ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠
٢٥٤ يوسف (بن يعقوب)	٢٦٥ ٢٦٤ ٢٦٣ ٢٦٢ ٢٦١ ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٥ ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٣٩ ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٣٦ ٢٣٥ ٢٣٤ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠ ٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

